مجلة دراسات العلوم الإسلامية

مجلة دولية علمية محكمة تصدر عن

جامعة القرآن الكريم
وتأصيل العلوم
السودان

مركز البحث وتطوير
الموارد البشرية "رماح"
الأردن

العدد الرابع
كانون الثاني 2022
ISSN: 2710-1967

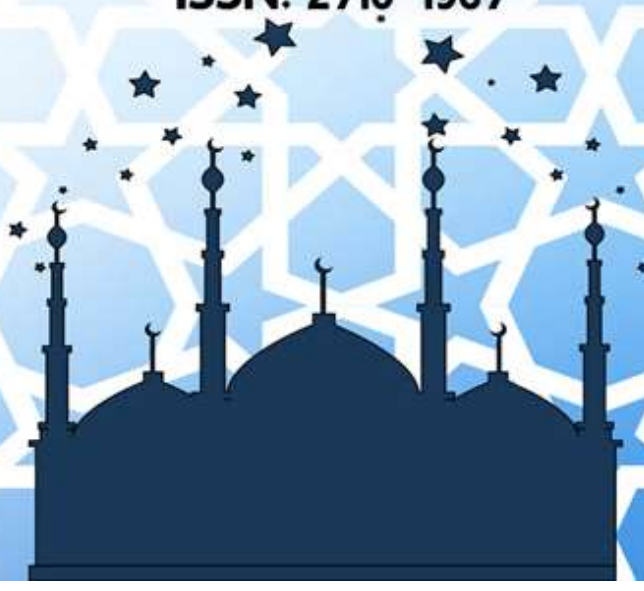

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

مجلة دولية علمية محكمة متخصصة في العلوم الإسلامية وما يتعلق من دراسات أسلمة المعارف

تصدرعن جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – السودان ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية "رماح" - الأردن

العدد (4) كانون الثاني 2022

ISSN: 2710-1967

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي للمجلة: أ.د. أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم

المشرف العـــــــــام: أ.د. خالد الخطيب– الأردن

رئيس تحريـــــــر المجلة: أ.د. محمد إبراهيم خليل السامرائي - العراق

مديرتحريـــــــر المجلة: م.د. مصدق امين عطية الدوري - العراق

سكرتيرالتحريـــــــــر: م.م. خالدة جمال الشافعي– العراق

المنسق العـــام للمجلة: م. محمد عماد الصعيدي – الأردن

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم خليل السامرائي

جامعة تكريت - العراق

العنوان الاداري للمجلة

مركز البحث وتطوير الموارد البشري "رماح" عمان – الأردن شارع وصفي التل

الهاتف /الفاكس: 00962782708863

البريد الالكتروني: khalidk_51@hotmail.com - remahislamicjournal2021@yahoo.com

الموقع الالكتروني: http://derasatis.remahresearch.com

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير	أ.د. محمد إبراهيم خليل السامرائي	جامعة تكريت/ العراق
مدير التحرير	م.د. مصدق امين عطيه الدوري	وزارة التربية/المديرية العامة لتربية صلاح الدين/ العراق
سكرتير التحرير	م.م. خالدة جمال الشافعي	معهد تقني الرصافة/ العراق

أعضاء هيئة تحرير المجلة

أ.د. عدنان مصطفى خطاطبة	جامعة اليرموك	الأردن
أ.د. خلوق ضيف الله محمد آغا	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن
أ.د. هناء الحنيطي	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن
أ.د. أبكر عبد البنات آدم إبراهيم	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
أ.د. مزاحم مهدي إبراهيم النجار	جامعة تكريت	العراق
أ.د. أشرف مؤنس	جامعة عين شمس	مصر
أ.د.عباس علي حميد العبيدي	جامعة ديالى	العراق
أ.م.د عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السلمي	جامعة أم القرى	السعودية
د. حسن عبد الزهرة كيطان الإبراهيمي	وزارة التربية المديرية العامة لتربية النجف	العراق
د. صهيب احمد السامرائي	ديوان الوقف السني /القسم الديني	العراق
د. محجوبة العوينة	أكاديمية طنجة تطوان	المغرب
د. عبد الرشيد أولاتنجي عبد السلام	جامعة برليس الإسلامية	ماليزيا
د. صابر نواس محمد	مدير أكاديمية التميز	الهند

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

اللجنة الاستشارية والعلمية

د. داتو ذو الكفل محمد يعقوب بن محمد يوسف-رئيساً	مدير مركز قرانيكا في جامعة ملايو	ماليزيا
أ.د. الفضيل ارتيمي	جامعة بليدة	الجزائر
أ.د. عزة عدنان أحمد عزت	جامعة زاخو	العراق
أ.د. مهند محمد صبيح	كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة	العراق
أ.م.د. فرح غانم صالح	جامعة بغداد	العراق
أ.م.د. ادم هارون أحمد إبراهيم	جامعة النيلين	السودان
أ.م.د. آلاء عبد الرحمن نعمان	جامعة تكريت	العراق
م.د. مزمل محمد عابدين	جامعة الإمام المهد ي	السودان
أ.م.د وميض فارس صعب	جامعة تكريت	العراق
ا.م.د. علي علي جبيلي ساجد	جامعة ملايا	ماليزيا
أ.م. هدى عبد علي حطاب	جامعة بغداد	العراق
د. فاتن العمرو	جامعة اليرموك	الأردن
د. محمد أحمد ربابعة	جامعة اليرموك	الأردن
د. عبد الرؤوف أحمد بني عيسى	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	الأردن
د. برير سعد الدين	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. حسن الفاتح حسين	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. عادل حسن طه	جامعة السلام	السودان
د. عبد الرحمن السيد عبد الغفار بلح	كلية الشريعة والدعوة الإسلامية	مصر
د. أحمد عبد القوي محمد عبد الله	جامعة ستة أكتوبر	مصر
د. طاهر فايز عبد الحميد عبد العال	جامعة أبوجا	نيجيريا
د. مهند شهاب أحمد	الوقف السني/ دائرة التعليم الديني	العراق
د. زينب إبراهيم السعدي	مديرية تربية بغداد/ الكرخ 1	العراق

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

د. عبد الهادي أحمد عبد الكريم	جامعة أنجمينا	تشاد
د. عبد الحسن ناجي عطية	كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة	العراق
د. محمد رضا رمال	الجامعة اللبنانية	لبنان
د. مريم هاشم حمد البدري	كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة/ فرع واسط	العراق
د. خلود هاش م جوحي الوائلي	مديرية التربية بغداد الكرخ الثانية	العراق
د. انتظار نجم كوت	كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة. فرع واسط. البلد	العراق
د. صباح خضير عباس	كلية الامام الكاظم ع اقسام النجف الاشرف البلد	العراق
م.د.اسماء حسن عبد علي	وازرة التربية/ مديرية تربية واسط	العراق
ا.م.د. غاز ي حميد موسى	وازرة التربية المديرية العامة لتربية صلاح الدين	العراق
ا.م.د. حيد ر صاحب شاكر	جامعة سامراء	العراق
ا.د. احمد داود شحرور ي	جامعة الزيتونة	تونس
ا.م.د. ارفد صباح التميمي	جامعة بغداد	العراق
د. بتول مالك عبا س الفتلاوي	وازرة التربية مديرية تربية الرصافة الثانية الإشارف الاختصاص التربوي	العراق

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

شــروط النشــر

- تقديم تعهد بعدم إرسال البحث لمجلة أخرى وعدم المشاركة به في مؤتمرات علمية.
- ألا تتجاوز صفحات البحث 20 صفحة ويكون ملخص البحث بلغتين لغة البحث بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية ان لم تكن هي لغة البحث، ويكتب عنوان البحث باللغة الانجليزية رفقة اسم الباحث والكلمات المفتاحية.
- تقدم الأبحاث مطبوعة على ورق من حجم A4 وتكون المسافة مفردة بين الأسطر مع ترك هامش من كلا الجوانب مسافة 4.5 سم، وأن يكون الخط (Traditional Arabic) قياس14باللغة العربية ويكون الخط (Times New Roman) قياس 12 باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وفق برنامج (Microsoft Word).
- يرقم التهميش والإحالات ويعرض في أسفل الصفحة :المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، الطبعة، البلد، السنة، الصفحة أو ضمن البحث مع ذكر المؤلف وسنة النشر والصفحة.
- تتمتع المجلة بكامل حقوق الملكية الفكرية للبحوث المنشورة.
- على الباحث أن يكتب ملخصين للبحث: أحدهما بلغة البحث والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يزيد عدد كلمات الملخص عن 150 كلمة. منهج العلمي المستخدم في حقل البحث المعرفي واستعمال أحد الأساليب التالية في الاستشهاد في المتن والتوثيق في قائمة المراجع، أسلوب إم إل أي (MLA) أو أسلوب شيكاجو (Chicago) في العلوم الإنسانية أو أسلوب أي بي أي (APA) في العلوم الاجتماعية، وهي متوافرة على الأنترنت.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبّر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدّمة متى لزم الأمر دون المساس بمحتوى الموضوع.

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

افتتاحية العدد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على فضله وإحسانه والصلاة والسلام على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

كما وعدناكم بتطوير مجلتكم الغراء فقد دخلت المجلة مستوعبات إقليمي وعالمية وستدخل المزيد من المستوعبات في المدة القريبة القابلة

ومن هذه المستوعبات مستوعب اسك زاد الإماراتي والعبيكان بالاشتراك بين الرياض المملكة العربية السعودية والقاهرة جمهورية مصر العربية ومستوعب كوكل سكولار وستدخل مستوعب isi الماليزي ومستوعب ابيسكو الامريكي وحسب جدولة الاعمال التي وعدونا بها وكما مبين في مذكرات الجهات المذكورة

كما نود اعلام المهتمين بالمجلة وكتابعيها والناشرين فيها ان المجلة اليوم لها موقعها الخاص والمستقل على الانترنت

ونوجه شكرنا وتقديرنا لكوادر المجلة والعاملين على إخراجها بأدق صورة وادارات المستوعبات العالمية والمحلية التي سمحت للمجلة دول عهد جديد من نشاطها

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

أ. د. محمد إبراهيم خليل السامرائي

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

المحتويات

المحتويات	الصفحة
مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية (القرآن والسنة) بروفيسور/ أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم	30-1
المسلم والإسلام، بين الواقع والمؤَمَّل (مِن خلال إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، لفضيلة الشَّيخ: أَحمد عبدالسَّلام أَبُومُزَيْرِيق الليبي) 1430هـ–2010 أ. حاتم مختار عبدالسّلام الزُّرقاني	52-31
حكم سفر المرأة من غير محرم بوسائط النقل المعاصرة أ. د. رعد طالب كريم – أ.د. شفاء رشيد حسن	67-53
دور الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والإرهاب كلية الإمام الأعظم إنموذجا ا. د عباس علي حميد العبيدي – ا. م. د بكر عباس علي الأزكي	84-68
المفسرون المعاصرون وتصديهم للتحديات والشبهات الفكرية أ.د جبار عبد الوهاب سعود – م.م. دعاء جبار عبد الوهاب	100-85
دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الماعون أ. د. عَزّة عدنان أحمد عِزّت	115-101
وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة واثرها على الزواج أ. د. مزاحم مهدي ابراهيم النجار	145-116
مِنْ مباحثِ الاطلاقِ اللغويِّ مادّةُ مرضَ وشفيَ في القرآنِ الكريمِ أ. د. وليد نهاد عبّاس	156-146
الفكر الاجتماعي والسياسي للنبي محمد(ﷺ) في بناء الدولة المدنية....الثوابت والمتغيرات ا. د حمدان رمضان محمد	205-157
الثقافة المقاصدية لفلسفة الاقتصاد الإسلامي ودورها في معالجة الأزمات الاقتصادية أ.م.د. أياد كامل الزيباري	235-206
ظاهرة الطلاق في محافظة ديالى الاسباب والمعالجات أ م د بكر عباس علي حسين	252-236
مؤرّخو بيوتات دمشق العلمية وإسهاماتهم الحضارية خلال المدّة من القرن (6 – 10) للهجرة أ. م. د. رياض سالم عواد	278-253
دور الإعلام المعاصر في مواجهة ظاهرة الإلحاد	300-279

ا.م.د واثق عباس عبد الرزاق	
ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع وآثارها وطرق الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي م.د بلال عمر عبد العزيز	318-301
التّناص القرآني وأدبيّة تمثيله في شعر نزار قبّاني د. نضال موسى مرزوق جقامة	352-319
الدعوة الي تجديد فهم النص القرآني (دراسة نقدية) د. مزمل محمد عابدين محمد	378-353
السمعيات في سورة الملك د. أحمد محمد الزبير حسن	402-379
المذهب المالكي في الصحراء والسودان الغربي الدكتور: المصطفى يكبر	411-403
شبهات الحداثيين حول الأحاديث النبوية دراسة تحليلية نقدية الدكتور /نبيل سعيد قايد علي العامري	435-412
التحديات المعاصرة التي تواجه الشباب المسلم في الدين وسبل مواجهتها "دراسة مقاصدية" الدكتور/ صديق زين العابدين النور أبكر	454-436
دور المسجد في تطوير الخطاب الديني د. هدى عبد الرحمن محجوب سعيد	474-455
مؤسسات التعليم العالي ودورها في صناعة الفتوى (مركز الإفتاء الشرعي– جامعة القران الكريم وتأصيل العلوم– السودان – نموذجا) دراسة فقهية مقارنة الدكتور/ زاهر عبد الحميد محمد صالح	500-475
قاضي الكوفة الاول سلمان بن ربيعة الباهلي ودوره في القضاء والفتوحات الإسلامية م. علاء عربيي سبع	514-501
اقتصاد المعرفة ودورها في تنمية الاقتصاد الإسلامي في فلسطين عمر عبد الحليم الحايك – محمود سمير الحلبي	532-515

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية (القرآن والسنة)

بروفيسور/ أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – السودان

الملخص

تناولت الدراسة مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية لمعرفة علاقة المسلمين بعقيدتهم وحضاراتهم وثقافتهم، ولبناء علاقة يمكن أن تنساق مع العقلية الغربية، والكشف عن المؤثرات النفسية التي تنجم جراء التعامل مع أنماط الحركة الاستشراقية. فليس من الصعب أن يدرك القارئ الإشكالية التي يعيشها الفكر الإسلامي في نظرته وموقفه من البنية الإستشراقية في ظل تضارب مواقف المفكرين المسلمين من أعمال المستشرقين. وقد خلصت الدراسة إلى أن الحركة الاستشراقية حول الدراسات الإسلامية قد شكلت واقعاً مغايراً أثرت في الأمن الروحي والفكري للمسلمين. استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن للكشف عن خطورة تلك المناهج في تأويل الثقافة الإسلامية لاستيعاب المتغيرات المادية والروحية التي تمتاز بها الحضارة الغربية.

الكلمات المفتاحية: مناهج– المستشرقين– الفكر الإسلامي– الحضارة الغربية.

Abstract

The study investigates the method of Orientalists in Islamic studies in order recognize the relationship of Muslims with doctrine, civilizations and cultures, so as to build the relationship that can harmonize with the Western mentality, and exploring of psychological effects that result due to the reader to treat the types of Orientalism movement. It is not difficult to realize that the perceive the problems which Islamic thought through its views and attitude and his position on the orientalist structure in light of conflicting positions of Muslim thinkers of the work of the Orientalists. The study concluded that the Orientalist movement on Islamic studies have formed a different reality influenced the spiritual and intellectual security of Muslims. The researcher uses the descriptive, analytical and comparative to reveal the seriousness of that method in the interpretation of Islamic culture to comprehend the materialism and spiritualism variables which it characterized the Western civilization.

Keywords: Methods – Orientalists - Islamic thought - Western civilization.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على هادي الأقوام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومَن تربوا بمدرسته، فسَمَت نفوسهم، وزكت طباعهم، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

لقد ظلت بلاد الإسلام والمسلمين مدةً طويلة من تاريخها لا تنعمُ بالاستقرار جراء الهيمنة الاستعمارية الأوروبية، والتي مازالت تحطم على أبواب معاقلها وتخومها الحملات العسكرية الصليبية التي شنها الغربُ منذ قرون خلت، وما كانت الوقفات الاستشراقية إلا محاولة دفينة لتأكيد حقدها على الإسلام والمسلمين. ولما استعصى عليها الأمر، دعا الساسة والزعماء في الغرب وبمباركةٍ من الكنيسة إلى اختراق بلاد المسلمين، عن طريق دراسة تاريخ الشرق الذي جاء بصيغة مسالمة، عنوانها البحث العلمي، وجوهرها التبشير والدعوة إلى نبذ الإسلام والتشكيك عن تاريخ الحضارة الإسلامية والهاف الضغينة حول سيرة المصطفى عليه السلام وإثارة حفيظة المسلمين حول القرآن الكريم.

لذلك فإن دراسة عمل المستشرقين حول الدراسات الإسلامية في غاية من التعقيد، ومن الصعوبة بمكان أن تجمع المستشرقون كلهم في بوتقة علمية واحدة، لأنهم ينتمون إلى مدارس مختلفة، ولكل مدرسة فلسفتها في قضايا الإسلام والمسلمين، هذا إلى اختلاف خلفياتهم التاريخية والثقافية، وتباين تياراتهم الفكرية، فمنهم المتدين ومنهم الملحد، ومنهم المتعصب لرأيه، وباختلاف الاشتقاق اختلفت مناهجهم، ولكنهم أجمعوا في تحقيق مفهوم الغربنة.

ومن المعلوم أنه لكي تنتشر الفكرة لابد من قوة دفعٍ تقوي الحجة، فإذا كانت الفكرة لصالح الإنسان، فإن القوة لازمة لحمايتها حين يتوفر الأجواء الآمنة لها، وإن كانت غير ذلك فتأخذ القوة هنا منحى آخر، يهدفُ إلى الحصار والإرغام وإطباق السيطرة على الآخر خاصة إذا كان هذا الآخر مخالفاً لجميع المقاصد الدينية والعقدية والسياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية. وقد عمد إلى استخدام عدد من المناهج، في سبيل إطباق سيطرته وبسط نفوذه على الشرق عامة، وعلى العالم الإسلامي بصفة خاصة باعتبار أن الإسلام هو العدوَّ الأول للثقافة الغربية؛ لأنه أثبت ما لا يدع مجالاً للشك أنه حالة استثنائية على العلمنة؛ إذ لا يزال الإيمان الديني عند أهله يمتاز بالقوة الروحية والمادية، بل إنه اليوم أشد مما كان منذ مائة عام، ومن ثَمَّ فإن الحضارة الإسلامية تمثل التحدِّي الوحيد للحضارة الغربية التي تتصف بالشك والتحلل. وللخروج من تلك الجفوة الثقافية انتهج الغرب فكرة الدراسات الاستشراقية التي تعتمد على دراسة تاريخ الشرق؛ كخطوة أولى بُغْيَة معرفة نقاط القوة، ومنافذ الضعف فيه؛ لكي يسهل عليهم الدخول عبرها، ومن ثم السيطرة عليهم. إذاً ماذا نقصد بالاستشراق؟ وما هي مناهج التذي استخدمه المستشرقون لدراسة الحضارة الإسلامية؟ وما عَلاقته بالعمليات التبشيرية التي سادت بلاد المسلمين؟ كل هذه الأسئلة وغيرها ستكون مناطَ هذه الدراسة المتواضعة، لكي نكشف من خلالها اللثام عن ظاهرة أثرت في نفوس المسلمين لفترة طويلة، وما زال أثرها موجوداً بصور متعددة، وأنماط مختلفة، تتفاوت حدتها ودرجة خطورتها من زمان إلى آخر.

هكذا بدأت الحركة الاستشراقية كظاهرة من الظواهر الفكرية المعقدة لدراسة العلوم الإسلامية، ومع اختلاف المفكرين العرب والمسلمين على اسهاماتهم، إلا أن الغالب الأعم منهم يشكلون خطراً بالغاً على الإسلام والمسلمين، خاصة بعد الحالة المتأثرة التي

وصلت إليها المسلمين، والتي يمكن أن توصف بالخطورة، على ذلك انبهر المستشرقون فتحدثوا عن الإسلام والمسلمون دون توثيق علمي منطقي.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- معرفة أثر المناهج التي استخدمها المستشرقون في دراسة الواقع الإسلامي في العصور المختلفة.
- الكشف عن المخططات الاستشراقية في تغيير الهوية الثقافية الإسلامية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

1. الالمام بالمناهج الدراسية التي اتبعتها المستشرقون في سبيل تحقيق المخططات الاستعمارية.
2. الكشف عن المؤثرات الفكرية والثقافية التي احدثتها الدراسات الاستشراقية حول القرآن والسنة.
3. التعريف بخطورة المناهج وتأثيرها على العقلية الإسلامية.
4. تبصير الدارسين بالتحريف والتزييف والشبهات التي وضعتها المستشرقون حول الدراسات الإسلامية.

مشكلة الدراسة: أثرت ظهور فكرة الحركة الاستشراقية على العالمين العربي والإسلامي في جميع مناحي الحياة المختلفة، وعلى الرغم من الكفاح المستميت من المفكرين المسلمين للتصدي لها في كافة الساحات العلمية والمعرفية، إلا أنها لازالت تشكل موضع خطر خاصة بعد التطور التكنولوجي والمعرفي التي صاحبت العالم أجمع.

تساؤلات الدراسة

1. إلى أي مدى أثرت تلك المناهج على المناهج الإسلامية؟
2. هل المناهج الاستشراقية تخاطب المسلمين أم النصارى؟
3. هل يمكن قراءة تلك المناهج بعقلية اثبات عقيدة التثليث؟
4. كيف واجه المفكرين العرب والمسلمين فكرة الاستلاب والتغريب؟
5. هل يمكن اعتبار اجتهادات المستشرقين حول الدراسات الإسلامية الغرض منها تشكيل العقلية المسلمة على نمط الثقافة الغربية؟
6. متى يمكن الاستفادة من عمل المستشرقين؟
7. إلى أي مدى يمكن الاستغناء عن اسهامات بعض المستشرقين حول الدراسات الإسلامية.

فروض الدراسة

1. تشكل دراسة المستشرقين للدراسات الإسلامية ظاهرة من ظواهر الهيمنة الفكرية والثقافية.
2. اختلف موقف علماء المسلمين حول أعمال المستشرقين.

3. نجح المستشرقون في استلاب العقلية الإسلامية.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي وأحياناً المقارن للوصول إلى أفضل الخيارات للحفاظ على الهوية الإسلامية.

المبحث الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحا: تختلف معاني كلمة المنهج في الدراسات الإنسانية والأدبية والتربوية بحسب السياق الذي ترد فيه، وقد أجمع كثير من الباحثين أنّ اليونانيين هم أوّل من استخدموا هذه الكلمة، فهي تعني بأصل وضعها الإغريقيّ:" الطريقة التي يتّخذها الفرد ليسرع بها إلى تحقيق هدف معيّنق(قورة،1977م:237).

لغة: إنّ كلمة المنهج مأخوذة من الفعل نهج ينهج نهجاً، ومادّة نهج أي نهج الطريقُ نهجاً: وضَح واستبان، ونهج الطريقَ: بيّنه وسلكه، لقوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(سورة المائدة:48)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " شرعةً ومنهاجاً سبيلاً وسنةً "، وتعني في الآية الطريق البيّن الواضح، ويقال: نهج فلان: أي سلك مسلكه وانتهج الطريقَ: استبانه وسلكه، واستنهج سبيل فلان: سلك مسلكه، والمِنْهاج: الطريق الواضح والخطّة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما، وخطة الدراسة"(الرازي،1979م:245). وتعود كلمة منهج Curriculum في اللغات الأجنبيّة الحديثة إلى الكلمة اللاتينيّة Curare" وتعني(حلبة السباق) التي يتنافس فيها المتنافسون للوصول إلى نقطة الفوز(عميرة،1991م:29).

اصطلاحا: هو عبارة عن مجموعة من الخطط والنظم التي تؤلّف وحدة كبيرة تهدف إلى نقل الطالب من مرحلة إلى أخرى عبر سلسلة من الإرشادات والمعارف والمهارات التي تفيده في حياته في المستقبل"(هوانة،1988م:32). بينما يرى آخرون أن تعريف المنهج أوسع وأشمل، يشمل ذلك العملية التعليمية التي ترتبط بالعملية الاتصالية.

المبحث الأول

الاستشراق لغة واصطلاحا

لغة: استشراق مصوغة على وزن استفعال، ومأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه. وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً، أي بمعنى طلب النور والهداية والضياء والإشراق من الشرق حيث نزلت الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام. ولما كان الإسلام هو الدين الغالب أصبح معنى الاستشراق البحث عن معرفة الإسلام والمسلمين عقيدة وشريعة وتاريخاً ومجتمعاً وتراثاً...الخ"(الرازي1948م:324)، وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً" أي بمعنى طلعت، وقيل اسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، ويقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق (ابن منظور1974م:234)، وفي الحديث:"لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شّرقوا أو غّربوا"(العسقلاني1378هـ:494)

أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي، وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية(أحمد1987م:21). ويرى آخرون أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي، وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس، ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء(الشاهد1994م:191). وقيل بأنه دخل العربية أول ما دخل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(البستاني1977م). واللفظ Orient في الدراسات الأوروبية يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية التي تتميز بطابع معنوي Morgen land وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة وفي مقابل ذلك استخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة(مطبقاني1995م:17). وفي اللاتينية تعني كلمة Orient: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعنى كلمة Orienter أي وجّه أو هدى أو أرشد. وبالإنجليزية Orientation وبالفرنسية orientate تعني توجيه الحواس نحو بناء علاقة في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفن أو الأدب... وغيرها(الأمين1997م:16).

اصطلاحاً: ليس المقصود من مصطلح الاستشراق المدلول اللغوي فحسب، بل المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم. وقيل المقصود به هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب لمعرفة الإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة، وحضارة، وتاريخ، ونظم، وثروات وإمكانيات مادية وروحية... لتشويه صورة الإسلام في الغرب، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق المسيحي على الإسلام (غراب1411هـ:7). وقد ذهب البعض بأنه هو كل ما يصدر عن الغربيين والأمريكيين من إنتاج فكري وإعلامي وتقارير سياسية واستخباراتية حول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والشريعة،

والاجتماع، والسياسة وغيرها، أو هو ما يكتبه المستشرقين العرب من أقباط ومارونيين الذين تتلمذوا على أيدي الغربيين الذين ينظرون إلى الإسلام من خلال المنظور الغربي. وقد كان الاستشراق ومازال يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم الهند وجنوب شرق آسيا والصين واليابان وكوريا وأفريقيا. وقد بدأت هذه المناطق تتخصص في دراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية أو الدراسات الهندية أو الدراسات اليابانية، أما الأصل فكانت كلها تحت مصطلح واحد هو الاستشراق Orientalism. ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخاً أو جغرافياً، ولا إنسانياً أو ثقافةً فحسب، وإنما هو مكان وزمان وإنسان وثقافة(بن إبراهيم2004م:17). والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري. ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، بقدر ما هو دراسة الهوية، اذن الاستشراق هو معرفة الشرق الهوية والتاريخ المتمثل في الإسلام والمسلمين. بل هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر، لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي التي تنطوي على التفاسير المضرّة والقديمة للحضارات الشرقية والشرقيين عامة.

فالاستِشراق هو علم دراسة الشرق، أو هو علم دراسة العالم الشرقي، وهو تعبيرٌ أطلَقَه الغربيُّون على الدِّراسات المتَعلِّقة بالشرقيِّين؛ شعوبهم وتاريخهم، وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وجغرافية بلادهم، وأرضهم وحضارتهم، وكل ما يَتَعلَّق به(زقزوق1997م:18). وهذا معنى عام للاستِشراق، وهناك معنى خاص: هو دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التَّبشِير من جِهَة، وخدمة أغراض الاستِعمار الغربي لبلدان المسلمين من جِهَة أخرى، لتنفيذ تلك المآرب سعى الغرب لإعداد الدِّراسات اللازِمَة لمحارَبة الإسلام وتَحطِيم الأمَّة الإسلامية خوفاً من اعتناق الغربيين للإسلام، وهو الشائع في كِتابات المستَشرِقين(زقزوق 1997م:24). وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه أسلوب أساليب من الفكر قائم على تمييز وجودي انطلوجي، ومعرفي ابستمولوجي بين الشرق والغرب يقوم بها علماء غربيين لدراسة الإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، سواء أكانت دراسة البنية التكوينية لهذه الشعوب التي تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، أو دراسة لغات هذه الشعوب عربية أم غير عربية كالتركية والفارسية والأوردية وغيرها من اللغات، لتحقيق أهداف متنوعة ومقاصد مختلفة. ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير (.Salah1967:24)

أما المستشرقون فهم علماء الغرب الذين اهتموا بدراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق وأديانه وآدابه. بعد توفر مؤهلات تؤهلهم للقيام بواجبهم مثل:

أولاً: الدراسة اللاهوتية والتاريخية المتعمقة لليهودية والنصرانية، وللكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد)؛ أي: ما يشمل التوراة والإنجيل، وهذه الدراسة يقصد بها تحقيق عدة أهداف أهمها:

- إبصار المستشرق بدينه لمواجهة الدين الآخر وهو الإسلام.
- محاولة دعم الزعم الذي يردده بعض المستشرقين والمبشرين بأن الإسلام مأخوذ من الديانة اليهودية والنصرانية،
- القدرة على استنباط الناسخ والمنسوخ من الآيات القرآنية، والتأكيد بأنه مستمد تعاليمه من التوراة والإنجيل.

ثانياً: الإلمام باللغة العربية، ومعرفة العادات والتقاليد.

ثالثا: دراسة الإسلام ومصادره (القرآن والسنة)، واتخاذ هذه الدراسات وسائل لإثارة الشبهات، والتشكيك في حقيقة الإسلام، وردة المسلم عن دينه.

فالمستشرق هو ذاك الغربي الذي درسُ تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتاريخه ولغته وآدابه وفنونه، وعلومه وتقاليده. ويتوسل في ذلك بمجموعة من الوسائل والأساليب التي تعينه على الدراسة، وتوصله إلى الثمار المنشودة؛ كضبطه للغة الشرق، ودرايته بتاريخه، وفنونه وآدابه. وقد أكد هذا الطرحَ المستشرق الألماني المعاصر (ألبرت ديتريش) الذي قال:" إن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهُّمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق"(على الصغير1986م:17). فالاستشراق هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. وبتعبير آخر هو ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته(أحمد1987م:21). ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

وجاء في بعض الروايات التاريخية أن كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، وهذا ما ذكره (آربري Arberry) أن المدلول الاصطلاحي للمستشرق قد ظهر في سنة 1638م، وفي سنة 1691 وصف(آنتوني وود Anthony Wood) و(صمويل كلارك Samuel Clarke) بأنه أول استشراقي عرف اللغات الشرقية. ويرى إدوارد سعيد أن الاستشراق هو نمط من انماط الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه. ويرى سعيد ان الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الاوسط متباينة وغير علمية، فان مفهوم الاستشراق صار اليوم كذلك(سعيد2005م:12). وبما أن مصطلح الشرق يرجع في أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى وأوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها في الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق. على الرغم من أن دراسات المستشرقين المتعلقة بشعوب العالم الإسلامي من غير العرب كالهند وباكستان وإندونيسيا ودول شرق وجنوب شرق أسيا وأفريقيا، كانت تسير على المنهج والطريقة التي كانوا يسلكونها في منطقة العالم العربي، والذي كان يهدف إلى تطويق المد الإسلامي والعمل على انحساره ووقف نموه المطرد بين أبناء هذه الشعوب المتباعدة. فالمستشرق هو ذاك العالم المتمكن من المعارف الخاصة بالشرق من اللغة والآداب(مراد2004م:6). ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية في عام 1838م وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق(رودنسون1970م:74). ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري على قاموس اكسفورد الجديد المستشرق بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه(آربري1946م:7). وقد ورد في موسوعة "لاروس" تعريف المستشرق في مادة Orientalist. "بأنه العالم

المتضلع في معرفة الشرق وثقافته وآدابه"(لاروس1962م:23). أما ألبرت ديتريش فيعرف المستشرق بأنه "ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتي له الوصول الي نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"(كرد1927م:82). ويرى كثير من الباحثين أن جيرار دي أورلياك الفرنسي هو أول من استشرق(بارت1967م:15). وير شكري النجار أن لفظ المستشرق:"تطلق على كل من تخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد"(النجار1993م:6). ويرى مالك بن نبي في مقال له تحت عنوان إنتاج المستشرقين فيقول:" إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"(بن نبي1985م:45)، وأن صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر على من ليس شرقيّاً، لأنها تصف حالة طلب لشيء غير متوفر في البيئة التي نشأ فيها الطالب. وقد أستخدم شيخ المستشرقين سلفستر دي ساسي de Sacy هذا المصطلح مرتين مرة في مقدمة كتابه(النحو العربي) في معرض حديثه عن المستشرق الهولندي إربنيوس Erpenius ومرة ثانية عندما وصف زملائه الذين لعبوا دوراً هاماً في دراسة فقه اللغة العربية ونحوها(بن نبي1985م:243). وقد رأى البعض أن مصطلح الاستشراق قد فقد هو الآخر قيمته العلمية لعدة أسباب منها:

1. عدم تطابق مصطلح الاستشراق مع الواقع الجغرافي الذي اشتقت منه الكلمة وهو الشرق، فهنالك أكثر من الشرق بالنسبة للأوروبيين.
2. أن ممارسة مهنة الاستشراق أضحت لا وجود لها، وأن مثل هذه الدراسات قد استنفذت أغراضها.

المبحث الثاني

أنماط من مناهج المستشرقين

لقد تأثر الكثير من المستشرقين في بحوثهم العلمية بأهواء أفرنجيتهم وبالنصرانية الأوروبية تأثراً جعل أكثرهم ينظرون إلى الأديان الأخرى نظرة شك واعتراض فاختلفوا في فهمهم للإسلام، فالقدماء منهم تأثروا بالفلسفات القديمة فتعصبوا، اما المحدثين منهم فأتخذوا من مناهج مختلفة رغبة منهم في إثارة الشكوك، وبناء النية السيئة وسط المسلمين.

فالناظر إلى مناهج الدرسات الاسلامية التي وضعها المستشرقون يرى أن هنالك سموماً دفينة تحيط بتلك المناهج الدراسية، لأن منهجهم في هذا الاتجاه يقوم على الافتراضات والوقائع والموضوعات غير المنطقية، وأحكاماً متأثرة بعواطفهم وبيئتهم وخلفياتهم الدينية التقليدية، فالواقع أن مدخل هؤلاء المستشرقين لدراسة الاسلام ينقصه الدقة والتزام جانب الموضوعية في طرح القضايا المختلف حولها، وكيفما كان الأمر فأن بعض المستشرقين قد انتقدوا بعضهم بعضا في تنفيذ مناهجهم الذي مارسوه في دراسة الاسلام والمسلمين، ومن أهم مناهجهم هي:

- منهج بناء العداءThe Antagonistic Method: يركز اصحاب هذا المنهج في دراساتهم لمعرفة تاريخ الثقافات والاديان، على تاكيد ان العالم الإسلامي كان ولا يزال كوكبا منعزلا عن بقية شعوب العالم التي اثرت فيها الاديان العالمية حضاريا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، هو في الحقيقة عداء سافرا للإسلام والمسلمين، وقد بني هذا العداء منذ بداية فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية عندما كان الإسلام في عنفوان شبابه، وقد سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخفيف ذلك العداء بسماحته وحسن خلقه تطبيقاً لمبدأ المساواة والعدالة، غير أنه وجد أن هنالك اعداء منافقين وفاجرين من اليهود والنصارى يكنون له العداء. فالمستشرقون ليسوا سوى امتداد لليهود والنصارى الذين بذلوا كل ما في وسعهم لطمس الهوية الإسلامية وإزالة معالمه من الوجود (Bernad1982:20))، وقد ظل تلك العداء يأخذ صوراً شتى وأشكالاً متنوعة، تعلن تارة وتخفي أخرى وتظهر في ثوب الود والولاء تارة وتكشر عن أنياب العداء أحياناً أخرى. وقد اشتدت هذه العداوة بعد الحروب الصليبية(1097م -1295م) التي كانت نقطة تحول في الصراع الفكري والسياسي بين الغرب المسيحي وبين الشرق الإسلامي، فقد عاش المستشرقون في هذه البيئة المفعمة ببغضهم للإسلام، ولذا جاء منهجهم يحوي بين طياته كل دسيسة وشبهة تطعن في الدين الإسلامي(بن نبي1969م:6)، ومن أبرز سمات هذا المنهج هي:

1. تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فحكموا على الإسلام والمسلمين بذاك العقلية معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الروايات الرومانية واليونانية واليهودية وغيرها.
2. تبييت النية بأن الاسلام صور من صور الإرهاب العالمي.
3. اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت.

4. تحريف النصوص ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه.

5. اعداءهم للعربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث العلمي.

6. يتحكمون في المصـــادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في التاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقاً لهوى أنفسهم وانحرافاً عن الحق.

7. إبراز الجوانب الضعيفة والمعقدة والمتضاربة في الفقه الإسلامي، وإحياء الشبه وكل ما يثير الفرقة والاختلاف بين المسلمين، وإخفاء الجوانب المشرقة والإيجابية وتجاهلها.

8. يعتمدون على الاســـتنتاجات الخاطئة والوهمية، وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو الأخرى، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم.

9. النظرة المادية البحتة للحياة، والتي كثيراً ما تخالف الحقائق الروحية.

10. ازالة كل ما هو مشترك بين المجتمعات الاسلامية والمجتمعات الاخرى.

وقد اقترن المنهج العدائي للاســـلام والمســـلمين بثلاثة مســـارات هي: اليهودية العالمية ورجال الدين في الكنيســـة، والحركة الاستعمارية الغربية.

- المنهج الشـــكيSkepticism Method: وهو المنهج المنادي في مبادئ الدين الأســـاســـية كالخلود والوحي، حيث كانت الحروب الصـليبية تمثل نقطة التحول في الصـراع الفكري والعقدي والسـياسـي بين الغرب المسـيحي والشـرق المسـلم، وأنها الدافع الأسـاسـي للنشـاط الاسـتشـراقي المكثف، ولكن اتصـال الغرب بالشـرق في ذلك الوقت وخلال القرنين الثاني عشـر والثالث عشـر الميلادي كان اتصـالاً عدائياً مسـلحاً ممثلاً في الحروب الطاحنة التي ظلت آثارها باقية حتى اليوم. وفي نهاية القرن السـادس عشـر أصبح منطلق الإصلاح الديني في الغرب بداية الاتصال الاقتصادي ممثلة في اكتشاف موارد الثروة في العالم الإسلامي، واستغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادل تجاري وغير ذلك، وتبع هذا الاتصال السياسي سيطرة الغرب ونفوذه على العالم الإسلامي حتى بلغ أوجه خلال الفترة ما بين النصـــف الثاني من القرن التاســـع عشـــر حتى الربع الأول من القرن العشـــرين، وخلال هذه الفترة الاســـتعمارية عمل الغربيون على تخلف المســـلمين بإبعادهم عن دينهم حتى يتمكنوا من إخضـــاعهم إخضـــاعاً تاماً للســـيطرة الغربية(سـعيد2000م:233). ولتحقيق تلك المقاصـد سـعت الحكومات الغربية إلى تقديم الدعم الروحي والمادي بكافة الوسـائل والأساليب لتعينهم على دراسة العلوم الإسلامية حتى يبسطوا نفوذهم التامة على البلاد الإسلامية، فبحث المستشرقون في كل ما يتصـل بالإسـلام من تاريخ وفقه وتفسـير وحديث وأدب وحضـارة، وصـبغوا كل ذلك بصـبغة علمية مما أدى على أن تكون تلك البحوث والدراســـات مراجع للكثير من الباحثين في المعاهد والجامعات العالمية. وقد غزت تلك البحوث العالم الإســـلامي في مؤسـساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم العام والعالي، بل أصبح العديد من قادة الفكر الإسـلامي في أيدي أولئك المستشـرقين فاســتخدموا للعمل في المؤســســـات الفكرية ومناهج التعليم، وهكذا ظلت العلاقة قائمة والصـــلة وثيقة بين العالم الغربي والفكر

الإسلامي، ولكنها علاقة تستهدف الإسلام بدرجة أولى على الرغم من قناعة بعض المستشرقون الذين بحثوا في كل جوانب الإسلام بأهمية السنة النبوية كالمصدر تشريعي ثاني بعد القرآن الكريم، وتناولوها بالطعن والتشويه والشبه ليتسنى لهم بعد ذلك التلاعب بالقرآن الكريم فذهبوا يؤولونه بما يحلو لهم، فطعنهم في السنة هو في الحقيقة طعن في القرآن الكريم لهدم صرح الإسلام.

- المنهج الموضوعيObjective Method : هو منهج استخدمه المستشرقون كوسيلة من وسائل الدارسة الموضوعية للتاريخ والحضارة الاسلامية، خاصة في تحديد بعض المفاهيم التي تخدم العمل التنصيري في المستعمرات الخارجية.
- منهج المقارنة Comparative Method: استخدم منهج المقارنة في ترجمة معاني القرآن الكريم، وفي دراسة السنة النبوية، والتاريخ الاسلامي. وقد برعوا في هذه الناحية واجادوا فيها، ومما ساعدهم على ذلك إلمامهم بالعديد من اللغات الشرقية واطلاعهم على المخطوطات العربية والاسلامية. وحاولوا إجراء المقابلة بين النصوص لمعرفة أوجه التقابل والتشابه دون ان يدركوا خصوصية القرآن الكريم في معرفة المشبه والمشبه به، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، أيضاً حاولوا استخلاص النتائج العلمية من خلال دراسة السيرة النبوية، وهم لا يعرفون الصحيح والحسن والضعيف من الحديث. كما برعوا في فن الترجمة وتحقيق النصوص ولكنهم لا يسلمون من الخطأ لغياب الفرضيات الواقعية.
- المنهج الماديMaterial Method: استخدم المستشرقون المنهج المادي للمقارنة بين الانظمة الاقتصادية العالمية والنظام الاقتصادي في الاسلام خاصة بعد نجاح الثورة الصناعية في أوروبا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مما جعل هذا المنهج مشاعاً في أوروبا خاصة في تفسير الواقع الاقتصادي، كما اعتمدوا على الضعيف الشاذ فقدموه على المشهور لإثارة الشبهات.
- منهج بناء الكراهية :Constructive hatred Methodبينما كان علم التاريخ الأوروبي يكتفي بدراسة الحضارتين الإغريقية والرومانية جاء عصر التنوير ليضم الى هاتين الحضارتين كلاً من الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الصينية ليوسع من أفق الدراسات الانسانية، بعد ان كان هذا العلم يحتقر الشعوب غير الأوروبية كبداية لتأسيس علم الاستشراق. وقد قام الأوروبيون بعمل كبير وجبار في اكتشاف ودراسة تاريخ الحضارة العربية الاسلامية فأرسل العلماء، الذين كانوا في معظمهم آنذاك من العلماء اللغويين فجمعوا المخطوطات العربية ثم قاموا بتصنيفها وفهرستها وترجمتها وفق النظرة الغربية للعلوم. أي ان المستشرقين الأوائل قاموا بعملية جمع كم هائل من المعلومات وتبويبها، ومن ثم الانتقال إلى دراسة هذه المعلومات والوصول إلى مرحلة التنظير لبناء الكراهية بين المسلمين حسب الروايات التاريخية المغلوطة.
- المنهج التحليليAnalytical Method: يقوم هذا المنهج على تفتيت الظاهرة الفكرية عند المسلمين وردها إلى عناصرها الأولية التي كانت في الجاهلية الأولى. فاعتماد المستشرقون على المنهج التحليلي دليل على أنهم يريدون أن يقسموا العمل الاستشراقي إلى قسمين: قسم يتألق بالجانب الروحي لأن الدين المسيحي لا ينظم إلا الجانب الروحي، ولا علاقة له بالجانب المادي. وقسم يتألق بالجانب الاجتماعي والسياسي.
- منهج الإسقاط Projection Method: وهو حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس... وذلك تنزيهاً لنفسه وتخفيفاً مما يشعر به من القلق أو النقص(عزت1970م:33)، يقصد بهذا الخطأ المنهجي إسقاط الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ ليفسرونها وفق هواءهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم. فواقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة والعلم والمال. فالذي

يملك المال يستطيع أن يصل إلى معرفة بعمق، وبدراية كافية وبدون دراية، مثلاً الذين تحدثوا من المستشرقون عن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة، فصوروها على أنها اغتصاب للسلطة أو تآمر بين ثلاثة من كبار الصحابة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين على أن يتولوا الخلافة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الواحد تلو الآخر. فالذي يمكن ان يقال في هذا الجانب ان الإسقاطات التي ساقها هؤلاء المستشرقون تدل على عدم معرفتهم بخصوصية الخلفاء الراشدين في تحملهم لتلك الأمانة، وهذا إن دل إنما يدل على سوء نيتهم وخبثهم وبعدهم عن المنهج العلمي الموضوعي والمنطقي.

- المنهج الانتقائي Eclectic Method: لقد عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا المثارة للجدل ويكتبون عنها ويحملون المسلمين على أنهم السبب الأساسي في خلق الخلاف والاختلاف، فذهبوا يصفون التاريخ الاسلامي بأنه تاريخ انتقائي لاعتماده على الأكاذيب والمبالغة. فكانوا كثيراً ما يشككون في التاريخ الإسلامي، لخدمة سلطة البابا والكنيسة، وخوفاً على رعايهم.
- منهج التحريف والتزييف والادعاء interpolating Method،Allegation and counterfeiting : قام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تتعلق بالإسلام وبرسالته وبتاريخه، فأنكروا عالمية الرسالة الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية، كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى، قد زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رأى أن لليهود أنبياء وكذلك للنصارى؛ أراد أن يكون للعرب كتاب ونبي، وكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه. ومن العيوب المنهجية في الدراسات الاستشراقية أنهم يعتمدون على المصادر غير الموثقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساسي في دراساتهم وبحوثهم، ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتاب مثل كتاب (الأغاني) للأصفهاني فيجعلونه مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعتمدون على المراجع التي ضعفها علماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم.
- منهج الأثر والتأثر Impact and influenced Method: استخدم المسترقون هذا المنهج لإفراغ الإسلام من ذاتيته ومضمونه وذلك بإحالته إلى مصادر خارجية ليست لها علاقة بمصادر التشريع الإسلامي المعروف، فقالوا إن الإسلام وتشريعاته تأثر بالديانة اليهودية والنصرانية، وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متأثراً بأفكار ورقة بن نوفل، بل أن الهجرة إلى الحبشة كانت بإيعاز من ورقة بن نوفل، كما تحدثوا عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة كان تقليداً لليهود.

وقد دحض القرآن الكريم كل هذه الافتراءت المنهجية لقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً }(الفرقان:4) وقال تعالى:{انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً}(الفرقان:9) فالذين وضعوا تلك المناهج إنما يريدون أن يقدوا لحكوماتهم تلك الشبهات حتى يؤولوا بأن القرآن ما هو إلا نسيج من الآيات التوراتية والانجيلية، ثم إزداد عنادهم حينما رفض القرآن أبوة المسيح عليه السلام لقوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }(آل عمران:45-47). وعندما رفض الاسلام لعنة الخطيئة وعقيدة الفداء والكفارة نصبوا عليه الاعداء، متناسين التشابه القليل الذي

يوجد بين الكتب الإلهية، والذي يفسر وحدة النبع الإلهي، وكان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إيذاناً لإرساء قواعد التوحيد والتسليم المطلق لله عزوجل، فالاسلام لم يأت لنقض الأديان بل جاء ليؤكد وحدة الدين الذي أوحي الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله، لقوله تعالى:{قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ }(الأحقاف:9). ومن هنا أصبح التحريف والتزييف هو ديدن الحياة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهذا ما أكده القرآن الكريم في كثير من الآيات لقوله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }(البقرة:75)، وقال تعالى: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }(النساء:46). هذا إلى جانب المفاهيم الدينية الخاطئة التي روج لها الكنسيون من رهبان الاديرة والطوائف النصرانية التي أضحت تتجه اتجاهاً علمياً بفتح مراكز للفكر الاستشراقي اللاهوتيMythology بالدعم من الكنيسة الرسولية ومن هذه الأديرة دير كلونيClony الذي تأسس عام 1909م، والذي كان يسيطر على الشئون الدينية والاقتصادية مجامع الكنسية، وقد نشأت في هذا الدير حركة التوبة وتكفير الذنوب التي كانت ترى في توسع الاسلام في انحاء اوروبا غضبا الهيا يجب التفكير به، لذا من بين هذه الاسباب اتجه الغرب الاوروبي إلى دراسة التراث الاسلامي والطعن فيه. ومن الطبيعي أن تكون تلك الدراسات خالية من روح العلمية لأن الهدف من ورائها التخلص من الاسلام أو تشويه سمعته في المحافل الدولية والاقليمية، وقد ترتب على ذلك ظهور عدد من الطوائف الرهبانية، منها:

1. طائفة الفرانسسكانFranciscan Order: تعتبر هذه الطائفة من أشهر الطوائف الرهبانية في الغرب، وقد نشأت منذ البداية لدراسة الانجيل وبعض العلوم اللاهوتية بالاضافة إلى الدراسات الاسلامية، وكان الوازع الديني جزء لا يتجزأ من الطعن حول الاسلام والمسلمين.

2. طائفة الدومينيكانDominican Order: أسسها الراهب فرانسيس عام1207م وصدق عليها البابا انوسنت عام1231م، وهم ممن أوكل اليهم البابا جريجوري مهام محاكم التفتيش، وتعرف هذه الطائفة في بريطانيا باسم الاخوة الوعاظ Friends Preachers، وباسم الاخوة السود Black Friends نسبة للعباءة السوداء التي كانوا يرتدونها. ومن أشهر الذين أسهموا في هذا المجال الراهب البرتيوس، والراهب توماس الاكويني، والبابا بيوس الخامس، والبابا بندكيت الثالث عشر(1724م-1730م). وقد استطاعت هذه الطائفة ان تقوم بأعمال جليلة للاستشراق، حيث أنشأت عدد من المعاهد العلمية في القاهرة، وادخلت في نشاطها كافة وسائل الاعلام المسموعة والمرئية بجانب الافلام.

3. طائفة اليسوعيينJesuits Order: وهي جمعية أنشأها الراهب (أجناتس ليولا) في فرنسا عام 1405م، ويطلق عليها جمعية يسوعThe Society of Jesus، ومن أبرز مؤسساتها الكلية الرومانيةThe Roman College، ويشرف اليسوعيون على عدد من المؤسسات الاستشراقية بما في ذلك محطة اذاعة الفاتيكان، هذا بالاضافة إلى تحرير عدد من الدوريات والمجلات في لبنان وغيرها.

وقد اهتم هؤلاء الرهبان بالدراسات اللغوية لمواجهة الزحف الاسلامي الذي طال الغرب، وتوحيد الكنائس الشرقية من جهة أخرى، فعكفوا جميعاً على دراسة اللغات السامية كالعربية والقبطية والسريانية للتعرف على النصوص اللغوية حتى يسهل لهم التعرف على الشرق وعلومه، على الرغم من الاختلافات العقدية والسياسية والعرقية لذلك اتبع البابوات سياسة المرونة في التعامل مع الطوائف الكنسية الأخرى حتى يضمن لأنفسهم الجانب الروحي والدنيوي على النصارى الشرقيين والغربيين معاً. وبناءً على ما تقدم فإن الدراسات الاستشراقية اللغوية قد وجدت اهتماماً كبيراً من قبل الدوائر التنصيرية العالمية، ومن ثم بدأوا في تأسيس المعاهد والمدارس التبشيرية في أنحاء العالم.

اهتم المستشرقون بالقرآن الكريم عندما أدركوا أهميته في الحفاظ على النزعة الايمانية كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، فتناول أغلبهم بالطعن في لفظه ورسمه وتلاوته وأحكامه وأخباره، وطريق تنزيله وثبوته، والأحكام المستنبطة منه، إلى غير ذلك. وينظر المستشرقون إلى القرآن الكريم على أنه من عبقرية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وجاء تأليفه عن طريق الوحي الذي هو عبارة عن أحلام ورؤى وأوهام حسب افترائهم وأنه عبارة عن أفكار وأمثلة تصوِّر لحياة الآخرة؛ ونتيجة لهذه الاجتهادات الشخصية حارب الشرك، ودعا إلى توحيد الله وحُسن عبادته؛ للفوز بسعادة الدنياء والآخرة، وقد زعموا بأنه صلى الله عليه وسلم كان متأثرًا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية. وقد اعتمدوا في هذا التصور والافتراء من الأساطير والخرافات وبعض الاشارات القديمة التي وجدت في كتبهم ومعتقداتهم الخالية من أدنى نظرة علمية. وهذا ما قاله أحد المستشرقين قائلاً:" لما بلغ محمد صلَّى الله عليه وسَلَّم الأربعين من عمره، أخذ يقضي وقته على ما تعوَّد في الخلوة في الغِيرَان المجاورة للمدينة، حيث كان نهبًا للأحلام القوية، والرؤى الدينية، وتملَّكه شعورٌ بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئًا فشيئًا؛ ليذهب إلى قومه منذرًا إياهم ما يؤدي بهم من ضلالة والخسران المبين، وبكلمة واحدة، أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربيًا لشعبه؛ أي: منذره ومبشره". ويعبّر فيقول: "وفي خلال النصف الأول من حياته، اضطرتْه مشاغلُه إلى الاتصال بأوساطٍ استقى منها أفكاراً، أخذ يجترُّها في قرار نفسه، وهو منطوٍ في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين، وفي بدء رسالته، كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مشروبة للحياة الآخرة، كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة، تزداد يومًا بعد يوم، وهذه التأملات هي التي كوَّنت الفكرة الأساسية التي بنى عليها تبشيره، وما سمعه أو عرفه عن يوم الحساب، الذي سيقع يومًا على العالم كالصاعقة، أخذ يطبقه على الأمور التي يراها حوله، والتي كانت تملأ نفسه اشمئزازًا، وهكذا أسس محمد صلَّى الله عليه وسَلَّم دعوته على التوبة والندم، والخضوع والإستسلام لله وحده لا شريك له، وإلى تمثيلات تتعلق باليوم الآخر قبل كل شيء، وهي حالة من الإدراك الإلهي كان من نتائجها لا من أسبابها: أنْ نبَذَ محمد صلَّى الله عليه وسَلَّم الشركَ الذي حطتْ عقائده من شأن القدرة الإلهية التي لا حد لها ووزعتها بين آلهة متعددين". ثم يقول:" فكان يبشر به خاصًّا بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة موارد استقاها بصراحة من الخارج يقينًا، وأقام عليها هذا التبشير ولقد أفاد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل، بمصير الأمم السالفة الذين سخروا في الأرض"(حسين1413هـ:534). ومن أهم أوجه الترجمة هي:

الوجه الأول: وسوسة الشيطان على النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم: ذكر بعض المستشرقين إن أول مصادر الشرع في الإسلام، القرآن الكريم، وليس هناك من شـــك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطأ، وهنا يقر الكاتب قطعية ثبوت القرآن الكريم ابتداءً، ثم ينفيها على الفور، بزعمه إمكان وسوسة الشيطان للنبي صلَّى الله عليه وسَلَّم فيسبق لسانه سهوًا أو غلطًا، فينقل عن الله خلاف ما أراد، وهو يريد اســتغلال ما ذكره بعض المفســرين في قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَــلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُــولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(الحج: 52). وقد ذكر بعض المفسرين: أن سبب نزول هذه الآية: أن رسول الله صلَّى الله عليه وسَلَّم لما رأى تولِّيَ قومه عنه، وشقَّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفســه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه؛ لقوله تعالى:{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}، فقرأها رســول الله صــلَّى الله عليه وسَــلَّم حتى بلغ قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}(النجم: 19، 20)، ومضــى رســول الله صــلَّى الله عليه وسَلَّم في قراءته، فقرأ السورة كلها، وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع مَن في المسجد من المشركين، فلم يبقَ في المســجد مؤمن ولا كافر إلا ســجد، وتفرَّقت قريش وقد ســرَّهم ما سمعوا، وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحســن الذِّكر، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشــفع لنا عنده، فإن جعل لها محمد نصــيبًا، فنحن معه، فلما أمســى رســول الله صــلَّى الله عليه وسَــلَّم أتاه جبريل عليه الســلام فقال: "ماذا صــنعت؟ تلوتَ على الناس ما لم آتِك به عن الله سبحانه وقلتَ ما لم أقل لك؟!" فحزن رسول الله صلَّى الله عليه وسَلَّم حزنًا شديدًا، وخاف من الله خوفًا كبيرًا، فأنزل الله سبحانه وتعالى، قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}(الحج: 52). فالقصة التي أراد أن يشير إليه المستشرقين ويستندوا إليها، لا تصلح دليلاً لنفي قطعية ثبوت القرآن الكريم لقوله تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }(الحجر:9)، فلم يعلم المســتشــرقون أن جمهور علماء المســلمين قد أبطلوا هذا النقد منذ قرون خلت، وقد بنوا نقدهم على الآتي:

- هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وقد روى البخاري في "صحيحه": أنه صلَّى الله عليه وسَلَّم قرأ سورة النجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون، الإنس والجن وليس فيها حديث الغرانيق، وقال أبو حيان في تفسيره:"وليس في الصحاح، ولا في التصانيف، مما ذكروه، ولذلك نزعت كتابي عن ذكره فيه.
- مناقضــتها للقرآن الكريم لقوله تعالى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}(الحاقة: 44 – 46)، وقوله:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم: 3، 4)، فلم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم ان يتخبط في الوحي، لقوله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}(يونس: 15).
- يناقض الاعتبارات العقلية: ذهب بعض العلماء أن الاعتبارات التي لا تقوم ميزان عقلى، ولا تتوقف على مسلمات دينية لا يمكن الأخذ بها، لأن الاعتبارات ما هو عقلي صرف، ومنها ما هو تاريخي، ومنها ما هو أدبي؛ فالعقلي الصرف أنها ليست إلا خبرًا واحدًا وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- إن معاداة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم كانت أكبر من أن يغترُّوا بهذا القدر فيخروا سجدًا قبل أن يقفوا على حقيقة الأمر المنزل من عند الله سبحانه وتعالى.

- استحالة حدوث هذه القصة نظرًا وعرفًا، كما ذهب القاضي عياض بقوله:" أن الكلام لو كان كما روي، لكان بعيدَ الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن لا يخفي عليه ذلك؛ بل هذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمُه ان يخالف سنة الله سبحانه وتعالى. وهذا يوضح مدى درجة الاستهزاء والافتراء، فالله غزوجل خاطبهم بقوله تعالى:{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}(النجم: 23)، فكيف يقحم تلك الغرانيق ويطلبون شفاعة لترتجى؟ وكيف يوضع هذا وسط ذلك السياق، فيسيغه المشركون؛ بل يُعْجَبون به، ويطربون له، ويسجدون مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويشاع إسلامهم جميعًا، على الرغم من أن الشفاعة بأذن الله عزوجل، لقوله تعالى:{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}(النجم: 26)، فكيف تُرتجى شفاعة أصنامهم حين تُنفى شفاعة الملائكة على هذا النحو؟! وكيف يتلاءم هذا في المزاج الأدبي لأساطين القول، الذين تحدوا بالقرآن الكريم؟!

الوجه الثاني: نسيان النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم: يروي بعض المستشرقين أن النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم وهو المبلِّغ عن الله عز وجل كان ينسى بعض ما بلغ به، ويستنتج ذلك في قوله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة:106)، وقوله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}(الأعلى: 6،7). فلم يذكر الآيات ان النسيان كانت صفة ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم، فالزعم دون بيان أو تفصيل كأن الأمر مسلَّم ومقرر في تصورهم، ولكن الأمر ليس له ما يقوى على تثبيت تلك الدعوى والافتراء والتلفيق لأن مدلول الآيتين مغاير لما ذكر فقد فسر بعض المفسرين كلمة "آية" بالمعجزة استنادًا إلى فاصلة الآية؛ فإن ذكر القدرة والتقرير بها لا يناسب موضع الكلام ونسخها، وإنما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة، وعلى هذا تخرج الآية عن محل الاستشهاد، فلا تكون دالة على النسيان. ثم يقال له أيضًا: إن كلمة "نُنسها" فيها إحدى عشرة قراءة، وفيها معانٍ عدة، فقيل: يراد بها التأخير، أو الترك أو النسيان، ومع هذه الاحتمالات لا يصح التمسك والانتصار على معنى واحد هو النسيان كما ذكر، وحتى على فرضية أن المراد منها النسيان فقط، فيمكن القول: إنها ليست شاهدًا مطلقًا على دعوى أن النبي صلَّى الله عليه وسَلَّم نسي آيات، وأخلَّ هذا بصيانة الكتاب عن التحريف؛ لأن الكلام في إنساء الله، لا في نسيانه هو. فالمعنى ألاَّ يترك العمل، إلا بما شاء الله ترك العمل به فينسخه، وهذا يخرج عن سياق الآية من موضوع الاحتجاج، فالاستثناء إنما هو لإظهار قدرة الله، وأن عدم نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم منحة من الله له، وتفضل يؤيده به، ولهذا المقام نظائر قرآنية، أريد فيها بيان قدرة الله، وعدم مشيئة الله وقوعَ الأمر المقدور المؤثر على مهمة نبيه صلى الله عليه لقوله تعالى: {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا}(الإسراء: 86، 87)، مع القطع بأن الله لم يشأ النسيان عند رسوله صلى الله عليه وسلم، قوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(الزمر: 65)، وقد دلت الاستثناء للدلالة على الثبوت والاستمرار، وتأكيد استحالة الشرك للرسول صلى الله عليه وسلم، فالاستثناء صلة في الكرم، وأسلوب من أساليب اعجاز القرآن الكريم، لقوله عن أهل النار: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ

لِمَا يُرِيدُ}(هود: 107)، وقوله تعالى في أهل الجنة الذين وعدوا الله بإمتثال الأوامر:{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}(هود: 108)، وقال تعالى:{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }(الأعراف:188) فالنفع والضر بيد الله سحانه وتعالى وليس عند أية من البشر.

الوجه الثالث: النسخ في القرآن الكريم: ذهب بعض المستشرقين ان هنالك تعارض في بعض الآيات القرآنية، ولكن الذي يجب معرفته ليس هنالك تعارض، بل هنالك الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وهذا لا ينفي حجيته، وليست بالضرورة أن يكون النسخ بالتقديم أو التأخير بعض الآيات، فالنسخ كماعرَّفه الإمام الجصاص أنه: "إطلاق الشرع بيان مدة الحكم والتلاوة"، وعرفه الإمام البيضاوي بأنه: "الخطاب الدال على ارتفاع الحكم، الثابت بالخطاب المتقدم..."، وعرفه فخر الدين الرازي بأنه: "طريق شرعي يدل على الحكم"، وعرفه ابن الحاجب بأنه: "رفع الحكم الشرعي، بدليل شرعي متأخر". فالذين ادعوا بأن هنالك تشابه في القصص القرآنية بين ما ورد في التوراة وشرحه التلمود والإنجيل، وبين ما ورد في القرآن الكريم، الا ان التشابه لا يعود إلى كون القرآن اقتبس من التوراة والإنجيل، وإنما لكون الأصل واحد، ولا ننكر أن الإنجيل والتوراة من عند الله تعالى، ولكن نقول ما أثبته القرآن الكريم هو دليل قطعي لأن الوحي الإلهي واحداً، وأن العقائد الدينية واحدة مع اختلاف الشرائع. ومن اشهر الترجمات لمعاني القرآن الكريم ما قام بها جورج سيل في مقدمة الترجمة الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم في عام 1736 م والذي جاء فيها:" أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه، فالذي يمكن ملاحظته أن تمثيل الاستشراق للإسلام وللمسلمين كان كثيراً ما ينعكس على القضايا الدينية، حيث يتصور الرأي العام الغربي ان الامة الاسلامية امة متخلقة لا تمتلك مقومات الحضارة الانسانية لغياب الحرية الدينية وحرية الرأي والفكر، ولا تمتلك عقلية منطقية يمكن ان تستفاد منها في المستقبل لمواكبة العصر، أو اللحاق بركب الدول المتقدمة، وهذا كله يشكل شبهة من الشبهات في نطاق العلاقات الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، ومن اهم تلك الشبهات:

أولاً: خلو المجتمع الاسلامي من التربة الصالحة لبذر أي فكرة لا تعود بالفائدة لكل أبناء العالم الإسلامي، وعدم يوجد التغذية الروحية والمادية الكافية التي تحصن الشاب المسلم من الغربنة.

ثانياً: فشل الخطاب الاعلامي والاسلامي لرفع الروح المعنوية للأمة الاسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. مع العلم بأن الأمة الإسلامية هي الوحيدة التي تحمل وحياً إلهياً خالصاً من التحريف والتبديل والتغيير، هذا الاستشعار يمكن أن يعيدها إلى مجد حضاري جديد، والمجد الحضاري الجديد، معناه توجه المنطقة توجهاً مستقلاً يحفظ كرامتها وشخصيتها وهويتها الإسلامية وثقافتها التاريخية وتطلعاتها نحو اعادة مجد الامة الاسلامية، ومخاطبة الوازع الديني، وبناء الصرح الثقافي والفكري بمناهج مستقلة منبعها القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجديد الخطاب الديني وفق متطلبات المرحلة، والابتعاد عن العصبية والقبلية والقومية.

الاستشراق و أثره على القيم الحضارية

أحدث الاستشراق عدة تأثيرات؛ منها:

1- إن الاستشراق مسؤول عن نقل المعرفة الإسلامية والشرقية عامة إلى الغرب حيث عكف المستشرقون على ترجمة النصوص الأساسية في الديانات السماوية والتقليدية، وترجمة النصوص العلمية في العلوم عند المسلمين إلى اللغات الغربية، وهي العلوم التي كانت أساسًا في النهضة العلمية في الغرب، وهذا يعني أن للاستشراق إسهاماته في تقدم العلم في الغرب من خلال الاستفادة من النصوص الإسلامية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية قبل عصر النهضة.

2- ساعدت الحركة الاستشراقية على تطور المنهج النقدي العقلي في الغرب، وخاصة في مجال الدين، فقد أفاد المستشرقون وغيرهم من علماء الدين في الغرب من المادة والنصوص الدينية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية؛ ومن أهمها: ترجمات معاني القرآن الكريم، والكتابات الإسلامية في تاريخ الأديان، ونقد الكتب المقدسة كاليهودية والنصرانية، وترجمة النصوص الكلامية والفلسفية، ولا سيما النصوص ذات الاتجاه العقلاني؛ مثل: النصوص الاعتزالية، وأعمال الفلاسفة مثل الفارابي، والكندي، وابن سينا، وقد أثر جهود بعض هؤلاء الفلاسفة في الفكر الغربي تأثيرًا مباشرًا؛ مثل ابن رشد، الذي أصبح له مدرسة في الغرب تسمى: "بالمدرسة الرشدية"(سعيد1981م:76)، وينتمي أتباعها من الفلاسفة الغربيين إلى فلسفة ابن رشد ومنهجه.

3- يعود تأثير الاستشراق في الغرب إلى تشابه الحركة الأدبية والنقدية في الغرب بصبغة شرقية من حيث الموضوع، ومن حيث الأشكال الفنية.

4- أصبح الأدب الشعبي الشرقي أكثر تأثيراً في الفكر الغربي، مما ساعد في تطور الفن القصصي والروائي في الغرب.

5- ظهورُ حركة نقد الكتاب المقدَّس في الغرب منذ القرن الثامن عشر، وحتى الآن على أساس من النقد الإسلامي لكتب اليهود والنصارى، ويشير هذا الخصوص إلى المدرسة الألمانية التي أسسها المستشرق يوليوس فلهوزن الذي نقد الكتاب المقدس(بارت1967م:36).

ولقد قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها سواء أهداف دينية واستعمارية وغيرها. لكنه في الوقت نفسه أثّر تأثيراً سلبية في العالم الإسلامي في كافة المجالات العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية والثقافية. وفيما يلي أبرز الآثار:

1. الآثار العقدية: من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين نادوا بفصل الدين عن الدولة، فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالناحية الروحية والمادية. فالتصور العام الذي جاء به الإسلام أنه يجب الاعتراف بوجود خالق لهذا الكون، وأن بين المخلوق والخالق هو عبادة المولى عزوجل. فلمّا كانت أوروبا قد وجدت الديانة النصرانية المحرفة تعيق تقدمها ونهضتها ظهر ما يعرف بعصر التنوير الذي كان منادياً بفصل الدين عن الدولة، وحصر الدين على

الشـــعائر العبادية التعبدية. أما شـــؤون الحياة الأخرى من ســـياســـة واقتصـــاد واجتماع فلا علاقة للدين به الا ما ندر(غراب2000م:23). وعندما نهضت أوروبا بمحاربة الدين والكنيسة بلغت الحروب ذروتها كالحروب الصليبية والحملة الفرنسية على بلاد المشرق وغيرها. وقد أثر الاستشراق في هذا المجال عن طريق البعثات العلمية والارساليات التنصيرية التي انطلقت إلى العالم الإسلامي لتحقيق الاطماع الاستعمارية الغربية، ولايجاد موطئ قدم في البلدان الاسلامية حتى يتسنى لهم الفوضى الخلقية والفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وقد كانت هذه البعثـــات تحت إشراف مستشرقين فرنسيين وبريطانيين وبرتغاليين وايطاليين وهولنديين وغيرها من الدول الغربية . وقد بدأ التأثير الاستشراقي واضحاً في كل المجالات ففي الجانب العقدي اهتموا بالتشـــدد والارهاب الذي نشـــاهده اليوم في كافة المســـارح الحياتية المختلفة. كذلك زاد أهتمامهم بالفرق المنحرفة كالرافضـــة والإسماعيلية وغيرها من الفرق، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم للاستغراب.

2. الآثار الاجتماعية: تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يؤثروا فيها بنجاح. لذلك فإن دوافعهم تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية بأن المجتمعات الغـــربية وما ساد فيها من فلسفات ونظريات هي المجتمعات الأكثر تقدماً في العالم. وقد تمكن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد الاسلامية التي وقعت تحت سيطرتهم. حيث سعى الاستعمار إلى تحطيم الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض، وتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في حالة من الانسجام والوئام، وإحداث النـــزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في السودان ومصر ودول غرب أفريقيا، وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع النزعة القبلية في دول المغرب العربي(بن نبي1980م:112). ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية التغلغل في البنية الاجتماعية، وفي تكوين الأسرة، وفي بناء العلاقة بين الرجل والمرأة وغيرها. كما اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة، وتشجيع تحرير لمرأة من القيود الإسلامية. لذلك يمكن القول أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه تحت تـــأثير وضع المرأة الغربية على أنها نموذج يجب أن يحتذى به، وان ما حققته من مساواة وحقوق في نظرهم يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية عامة... كما يسعى الاستشراق إلى تقويض وضعية المرأة المسلمة داخل الأسرة والتمرد على النظامن والخروج باسم الحرية. ولتنفيذ تلك المخطط الصهيوني الغربي أنشئت رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط، وهي ضمن تنظيم رابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية التي تهتم بأوضاع المرأة المسلمة وتشجع اتجاهات التغريب من خلال مجلتها ربع السنوية واجتماعاتها في إطار المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط، وذلك بدعوة الباحثات المسلمات اللاتي يتبنين الأفكار الغربية لتنفيذ المشروعات ذات الصلة بالعمل الاستشراقي. كما يقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في مجال المرأة ومن ذلك الصـــحافة الغربية والإذاعات الموجهة، فمن الكتب التي قدمت هيئة الإذاعة البريطانية عروضـــاً لها كتـــاب (ثمن الشرف) للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون التي تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إســـلامية هي الباكستان وأفغانستان والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية (زيدان1981م:32). وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف

الإسـلام من المرأة وبعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول، ومن المعروف أن الإسـلام حَكَمٌ على أهله وليس سـلوك المسـلمين حجة على الإسلام.

3. الآثار السياسية والاقتصادية: يزعم البعض أن الديمقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن؛ ولذلك فهـم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل أبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسـلامي. وقد ظهرت عدة كتب تتحدث عن نظام الخلافة في الإسـلام، كما زاعموا أن النظام السـياسـي الإسـلامي نظام قائم على الاسـتبداد وفرض الخضوع والذلة على الشعوب. بل بالغ لويس مارتن في جعل النظام السياسي الإسلامي يشبه النظام الشيوعي في استبداده وطغيانه(غراب1411هـ:111). وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة، فكانت كما قال أحد المستشرقين بأن العرب استوردوا برلمانات معلبّة لا تخدم أهداف الشعوب الاسلامية. وما زالت هـذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي يريد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت، ومع ذلك فما زال الغرب حريص على نشـر الديمقراطية المذيفة. ومن الحقائق المثيرة للانتباه أن تركيا كانت من أقدم الدول الإسـلامية تطبيقاً للنظام الديمقراطي، ولكن عندما وصـل الإسـلاميون للحكم انقلب السحر على الساحرن وعندما قلبت الدول الغربية بالنظام الديمقراطي ظهر المجون، فسعوا إلى فرض سياسة كبت الحريات ومصادرة الديمقراطية.

أما في المجال الاقتصـادي فإن الغرب سـعى إلى نشـر الفكر الاقتصـادي الغربي الاشـتراكي والرأسمـــالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي، فالمستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا بإعادة تفسير للتاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية الغربية كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي. ومن نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه فأصبح البعض يدور في الفلك الشـيوعي والبعض الآخر في الفلك الرأسمالي، ولعل من طرائف المواقف الاسـتشـراقية أن تسـعى الدول الغربية إلى بث النظام الاشـــتراكي في بعض الدول العربيةن والترويج بأن التنمية الحقيقية في العالم العربي تتطلب تأميم وســائل الإنتاج، وأن الحرية الاقتصـادية الغربية لا تناسـب مراحل التنمية الأولى. ومن تأثيرات الاسـتشـراق أيضـاً تشـجيع الصـناعة في البلاد الإسـلامية دون الاسـتعداد الكافي لها وإهمال قطاع الزراعة، مما جعل العالم العربي يقتنع بأن النهضـة الحقيقية إنما تكون في الصـناعة والتعدين دون الزراعة، على الرغم من أن نهضـة الغرب الصـناعية بدأت الاهتمام بالزراعة ومازال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

4. الآثار الثقافية والفكرية: لقد حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كـــان القرآن الكريم والسنّة الشريف يمثلان المصدرين الاساسيين الذين يكونان الفكر العقائدي والثقافي والفكري، وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة، أصبحت المصادر الغربية تشكل جزء من التكوين الفكري والثقافي للأمة الاسلامية سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى، وفي منهجية هذه المصادر الغربية والتعامل معها أثر كبير في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسـان أو غيره من العلوم.

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي العام الإسلامي، وبموجب سياسة الهيمنة والاستعمار أنشأ الغرب العديد من المدارس لتعليم أبناء الأمة الإسلامية حيث تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية (الأوروبية والأمريكية)(عراب1411هـ:121). ولما كانت بعض البلاد العربية والإسلامية خاضعة للاحتلال الأجنبي فقد مكّن لهؤلاء الذين تعلموا وتخرجوا في مدارسه أن يتقلد الكثير منهم مناصب حسّاسة في بلادهم. ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الأوروبي وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز بأشكاله المختلفة. فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عملية الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية. وقد بذلوا جهوداً مضنية للرفع من شأن طلابهم الذين درسوا في الغرب فهذا يطلق عليه "عميد الأدب العربي"، وآخر يطلق عليه "أستاذ الجيل"، وثالث يطلق عليه "الزعيم الوطني". فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني عن طريق ما يسمى بالحداثة التي تدعو إلى تحطيم الموروث الثقافية والفكرية الإسلامية، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس. وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم وإلاّ ووصفوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الباطلة. ومن هنا ينبغي على المهتمين بتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة أن يكونوا على دراية تامة بالجهود التي يبذلها المستشرقون في محاربة الإسلام؛ لأنهم في الحقيقة ألدّ أعداء الإسلام. والمستشرقون يتخذون العلم وسيلة للتشويش على الدعوة الإسلامية ويتسترون وراء البحث العلمي، وهم يلفّقون الأباطيل، ويلقون بها في ساحة الشريعة الإسلامية، ويحاولون تضليل شباب المسلمين وإقناعهم بآرائهم الفاسدة والخبيثة؛ ليشركوهم معهم في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين. لذلك إن ما يكتبه المستشرقون عن رسالة الإسلام ورسول الإسلام يوضح الحقد الدفين الكامن في قلوبهم، ويكفي أن نذكر على سبيل المثال ما كتبه(جولد تسيهر)؛ خيث يقول: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني قومه"(غراب1411هـ:112). إن جولد تسيهر وأمثاله من المستشرقين أعداء الإسلام يردّدون ما كان يردّده مشركو قريش من قبل في موقف العناد والكبر، غير أن مشركي قريش عدلوا عن عنادهم ودخلوا في دين الله وجاهدوا في سبيل الله. أما المستشرقون إلا قليل منهم يصرّون على محاربة الإسلام والتشويش على دعوته بالتشكيك في القرآن الكريم والإيهام بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول كان يتجاوز بعض الوحي القرآني وينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه إليه. إن عداوة المستشرقين للإسلام قد بدت من أفواههم ومن كتاباتهم المسمومة، وما تخفي صدورهم أكبر؛ فينبغي أن نقف منهم موقف الحذر دائماً وأن نكشف زيفهم وخاصة الذين يصطنعون الحكمة والتعقّل، ويتظاهرون بالإعجاب برسالة الإسلام ليدخلوا على عقول بحجج واهية ومضللة، فلتكن عقولنا حاضرة ونحن نسمع أو نقرأ لهؤلاء المستشرقين ما يكتبون عن الإسلام. فما أكثر الذين خدعوا من المسلمين بهؤلاء المستشرقين، وأخذوا مقولاتهم على أنها أحكام قاطعة لا تقبل نقاشاً؛ فاشتركوا مع المستشرقين في محاربة الإسلام والمسلمين، والتشويش على الدعوة الإسلامية بالاباطيل الذائفة التي لا تمد الاسلام بصلة فضلّ سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. إن المستشرقين قد حاولوا دراسة الإسلام بنية غير صادقة فجمعوا المطاعن الملفقة عن الإسلام، وهم يتزيّنون بزي العلم والبحث عن الحقيقة، غير أن العصبية تغلبهم عن يقولوا كلمة الحق، وأن ينطقوا بما في أيديهم من شواهد؛ فيكابرون ويلجون في الضلال، ويرمون الإسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل، وحتى من يقول منهم في الإسلام كلمة حق ليبعد عن نفسه تهمة التعصب، ويلصق بنفسه صفات العالم النزيه الذي لا يدلس. فالإسلام

اليوم يواجه عداوات متربّصة من كل حدب وصوب، وإن المسلمين في مواجهة حرب من أعدائهم المستشرقين؛ فعليهم أن يكونوا على وعي ويقظة، وأن يتسلح الدعاة منهم بأسلحة الثقافة الواسعة الشاملة، وأن يتعرفوا على ما عند أعدائهم من أسلحة يحاربونهم بها، حتى يلقوهم بأسلحة من دينهم ومن تراثهم؛ ليردوا كيدهم ويبطلوا تدبيرهم، وما يريدونه من سوء بالمسلمين وبدينهم وبأفكارهم وثقافاتهم.

الخاتمة

إن الاستشراق كتيار فكري اتجه صوب الشرق لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، حيث جعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية، وبيان أن الدين الاسلامي مزيج من اليهودية والنصرانية وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم وخدم للعقيدة الإسلامية خدمة جليلة أثر في محدثيهم، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية وتنحو نحو العمق بدلاً من السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وأن من الخطأ القول إن الاستشراق كحركة علمية لا هدف لها إلا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه؛ لأنه في الواقع خادم للاستعمار، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم، بل هو حقل معرفي ضخم نشأ في الغرب لدراسة الثقافات الشرقية من خلال استخدام الدوافع والمناهج العلمية والسياسية والدينية وغيرها. وقد اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق، فيرى البعض أن أول ظهور للاستشراق كان يمثل في لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنصارى نجران، بينما يرى البعض أن هجرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الحبشة وقصة نجاشي تمثل البداية الأولى للاستشراق، بيد أن الباحث يرى خلاف ذلك لأن هذه المرحلة تمثل بناء أول علاقة دولية في الاسلام، وخاصة عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية يدعوهم إلى الاسلام. وهنالك من يرى بأن غزوة مؤتة كانت تمثل أول احتكاك عسكري بين الاسلام واليهود والنصارى، ثم استمر الحال مع يوحنا الدمشقي الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين في عقيدتهم إلى أن برز الحروب الصليبية، هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين، خاصة بعد سقوط الدولة الاسلامية في الأندلس. ومع مرور الزمن توسع الأوروبيون في النقل والترجمة في مختلف الدراسات الإسلامية، وأنشئت في أوروبا أقسام للدراسات الاسلامية ومطابع عربية بعد اختراع الطباعة لطبع عدد من الكتب التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوروبية. كما أنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وبموجب تلك السياسة تم إرسال عدد الطلاب المسلمون إلى هذه الكليات الأوروبية للدراسة فيها. ثم عمل المستشرقون في الدوائر العلمية والجامعات في كثير من الدول الإسلامية. كما أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق والاستعمار والتنصير. وقد عقدت عدة مؤتمرات استشراقية لمعرفة مدى تنفيذ الخطط والبرامج الموضوعة. ثم توالت بعد ذلك المؤتمرات الاستشراقية التي تُلقى فيها البحوث والدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، وما تزال مثل هذه المؤتمرات تُعقد حتى اليوم.

المراجع

1. ابن منظور(1974م). لسان العرب.دار الحياة،بيروت،ط2.
2. أبوخليل، شوقي(1987م). أضواء على مواقف المستشرقين والمبَشِّرين، منشورات كلية الدعوة الاسلامية،طرابلس.
3. أحمد، إبراهيم خليل(1987م). المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي. مكتبة الوعي العربي،الكويت،ط1.
4. آربري، جون(1946م). المستشرقون البريطانيون.تعريب محمد الدسوقي. لندن: وليم كولينز،ط1.
5. بارت، رودي(1967م).الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ترجمة مصطفى ماهر. دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2.
6. أسد، محمد(بدون تاريخ).الإسلام على مفترق الطرق.
7. اصطيف،عبد النبي(2001م).نحو استشراق جديد. مجلة الاجتهاد، العدد (50، 51) السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف العام.
8. الأمين، عبدالله محمد(1997م). الاستشراق في السيرة النبوية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،ط1.
9. باركر(بدون تاريخ). الحروب الصليبية، مكتبة الأمل، القاهرة، ط1.
10. بدوي، عبدالرحمن(1993م). موسوعة المستشرقين.دار العلم للملايين،بيروت، ط 3.
11. بن إبراهيم، الطيب(2004م). الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر.دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.
12. بن نبي، مالك(1969م). انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. دار الارشاد، بيروت، ط1.
13. بن نبي، مالك(1985م). الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. دار الفكر العربي، بيروت،ط1.
14. بن نبي، مالك(1970م).إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. مطبعة دار البيان، القاهرة، ط1.
15. البهي، محمد(1981م). الفكر الإسلامي في تطوُّره. مكتبة وهبة، القاهرة، ط2.
16. الحاج، ساسي سالم(1991م). الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات.
17. الحاج، ساسي سالم(2002م). نقد الخطاب الاستشراقي. دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1.
18. حسين، آصف(1413هـ). المسار الفكري للاستشراق. " ترجمة مازن مطبقاني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. العدد السابع ربيع الثاني 1413،
19. خفاجي، محمد عبدالمنعم(1989م). حركة الاستشراق، مجلة المنهل، العدد 471.
20. الديب، عبدالعظيم(بدون تاريخ).الاستشراق في الميزان.
21. الرازي(1979م). المعجم الوسيط.مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2ح1.
22. الرازي، أبوبكر(1948م). مختار الصحاح.دار التنوير العربي،بيروت،ط1.
23. زيدان، عبدالكريم(1981م). المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
24. رودنسون، مكسيم(1970م). صورة العالم الإسلامي في أوربا. دار الطليعة، العراق، ط1.

25.رودنسون، مكسيم(1978م). الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية.تصنيف شاخت وبوزورث. ترجمة محمد زهير السمهوري. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، شعبان رمضان1398هـ،ط2.

26.زقزوق، محمود حمدي(1997م). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. دار المعارف، القاهرة، ط1.

البهي، محمد(1973م). الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.دار الفكر، بيروت،ط1.

27.السايح، أحمد عبدالرحيم(بدون تاريخ).الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي.

28.السباعي، مصطفى(1998م). الاستشراق والمستشرقون.دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة،ط1

29.السليمي، منصف(1997م). صناعة القرار السياسي الأمريكي.مركز الدراسات العربي – الأوروبي،باريس،ط1.

30.سعيد، إدوارد(2000م). خارج المكان. ترجمة فواز طرابلسي . دار الآداب، بيروت، ط2.

31.سعيد، إدوارد(2005م). الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، ط1

32.سوذرن، يتشارد(1984م). صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى. ترجمة وتقديم رضوان السيد.معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1.

33.الشاهد، السيد محمد(1994م). الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين. الاجتهاد العدد 22، السنة السادسة.

34.الشاهد، السيد محمد(1994م). رحلة الفكر الإسلامي: من التأثر إلى التأزم. دار المنتخب العرب، بيروت، ط1.

35.شاكر، محمود(1987م). رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.دار المدني،جدة،ط1.

36.شلبي، أحمد(1978م). المسيحية. دار العلم للملايين، بيروت، ط1.

37.غراب، أحمد(1411هـ). رؤية إسلامية للاستشراق. المنتدى الإسلامي،الكويت، ط1.

38.حسنين، عبدالمنعم محمد(1412هـ). الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش. دار الأمل، الكويت، ط1.

39.الطهطاوي، محمد عزت(1981م). التبشير والاسشتراق. المطبع الأميرية،القاهرة،ط2.

40.الطيباوي، عبد اللطيف(بدون تاريخ).المستشرقون الناطقون بالإنجليزية.

41.عاشور، سعيد(1963م). الحركة الصليبية – أوروبا العصور الوسطى. مكتبة الأنجلو المصرية، ط1.

42.عبدالرؤوف، محمد عوني(2004م). جهود المستشرقين في التراث العربي. المجلس الأعلي للثقافة، الكويت، ط1.

43.عزت، أحمد(1970م). أصول علم النفس. المكتب المصري الحديث.الاسكندرية، ط2.

44.عليان، محمد عبدالفتاح(1980م). أضواء على الاستشراق.دار البحوث العلمية،الكويت،ط1.

45.العسقلاني، ابن حجر(1378هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري.مكتبة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط1.

46.السباعي،مصطفى(1979م). الاستشراق والمستشرقون. المكتب الإسلامي، الكويت، ط2.

47.سارطون، جورج(1952م). الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط. ترجمة عمر فروخ مكتبة المعارف، بيروت، ط1.

48.العلمي، حسن(2003م). الفكر الإسلامي بين الآمال والمحاذير. طوب بريس، ط2.

49.علي الصغير، محمد حسين(1986م). المستشرقون والدراسات القرآنية.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

50.علي، محمد كرد(1927م). أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية. المجمع العربي، بيروت، ط1.

51.العقيقي، نجيب (1981م).المستشرقون.دار المعارف، القاهرة، ط1.

52.فوك، يوهان(بدون تاريخ).تاريخ حركة الاستشراق.

53.كرد، محمد علي (2002م). بين المدنية العربية والأوروبية. سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2.

54.لاروس(1962م). معجم لاروس. دار لاروس للتوزيع، باريس، ط1.

55.لوكمان، زكاري(2008م). تاريخ الإستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، ط3.

56.مراد،يحيى(2004م). أسماء المستشرقين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

57.مطبقاني، مازن بن صلاح(1989م). المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق.دار الريشة،جدة،ط1.

58.مطبقاني، مازن بن صلاح(1995م). الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،ط1.

59.مكرم، عبدالعال سالم(1992م). الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام. مؤسسة الرسالة، بيروت، عمان، دار البشير للنشر، ط2.

60.الميداني، عبدالرحمن(1988م). أجنحة المكر الثلاثة.

61.النجار، شكري(1993م). مجلة الفكر العربي. العدد: 31.

62.الندوي، ابوالحسن(1967م). حديث مع الغرب.دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت،ط2.

63.الندوي، أبوالحسن(1986م). الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين. مؤسسة الرسالة،بيروت، ط3.

64.النملة، علي(1993م). الاستشراق في الأدبيات العربية. مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، الرياض، ط2.

65.هونكه، زيجريد(1966م). شمس الله تَسطَع على الغرب: تاريخ الفكر الأندلسي؛ ترجمة حسين مؤنس، ط2.

66.وزان، عدنان محمد(بدون تاريخ).الاستشراق والمستشرقون.

67. **Bernard**, Lewis.1982. The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June 2.
68. **Encycolopedia** of Islam.1978.
69. **modern** trends in Islam, Un,1954.
70. **Norman** Daniel.1993. Islam and The West: The Making of An Image. Revised edition (Oxford: Oneworld).
71. **Report** of The Interdepartmental Commission of Inquiry of Oriental , Slavonic , European and African Studies (London, 1947).
72. **Report** of the Sub-Committee on Oriental, Slavonic, East European and African Studies (London,1961).
73. **Moroe** Berger1967. Middle Eastern And North African Studies: Development and Needs. In Middle East Studies Association Bulletin. Vol.1. No.2, November 15.

74. **Saleh** J. Altoma.1993. The reception of Najib Mahfouz in American Publication." In Comperatine and General Literature. (Bloomington: Indiana University Press. 1993) p160-179 quoting George Young. Egypt. London: E. Benn, 1927. P284-85.
75. **Religion** in the Middle East, Cumbridge,1976.
76. **Richard** Hrair Dekmijian.1985. Islamic RevolutionFundamentalism in The Arab World (Syracuse: Syracuse University Press,. and the Second edition was published in 1996.
77. **Rodinson**,The Western Image and Western Stdies of Islm,1961.
78. **Saidm**, E.1979. Orientalism. (New York: Vintage Books.

المسلم والإسلام، بين الواقع والمؤَمَّل
(مِن خلال إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، لفضيلة الشَّيخ: أَحمد عبدالسَّلام أَبُومُزَيْرِيق الليبي) 1430هـ-2010

أ. حاتم مختار عبدالسّلام الزُّرقاني

كلِّيَّة التَّربية – قسم الدِّراسات الإسلاميَّة – جامعة مصراتة

المقدمة

بِسْـــــمِ اللَّـــــهِ الرَّحْـــــمَنِ الرَّحِـــــيمِ، الحمد لله الذي اختار لنا المكان والزَّمان والدِّين، ورحمنا فكنَّا مِن أُمَّة خير المرسلين، نصلِّي بصلاته ونحجُّ بحجِّه ونأْتمر بأَمره حبًّا واستسلامًا داعين الله إكمال نعمته إِلى يوم الدِّين، ونصلِّي ونسلِّم على رسول مُنزل القرآن، رافع أَهله في الجِنان، المتكفِّلِ بحفظه غيرِ تاركِ ذلك لإِنسٍ ولا جان، فلم يَدخله تحريفٌ ولا بهتان، الرَّسول الذي عليه القرآنُ نزل، فبلَّغَهُ إِلى أَن أَتاه الأَجل، تلاوةً وتدبُّرًا وأَمرًا بالعمل.

أَمَّا بعد:

فإِنَّ معرفة علماءِ الشَّـريعة كنزٌ ثمين، والِّلقاء بمن مضـى عن طريق كتبهم حظٌّ وفير، والسَّـير على خطاهم يؤَدِّي إِلى الفقه في الدِّين، والاقتداءِ بهم في التَّحصيل.

وقد وقع اختياري على شـيخٍ مفسِّـرٍ مِن أَعلام ليبيا وخاصَّـتهم: الشَّـيخ أَحمد عبدالسَّـلام أَبُومُزَيْرِيق، مِن خلال كتابه الذي اسـتغرق في تأْليفه عشـرين سـنة (إِرشـاد الحيران إِلى توجيهات القرآن) بحثت مِن خلاله على هُوِيَّتنا الضَّـائِعة، وقوَّتنا المسـروقة، وأَحلامنا الزَّائِلة، وأَنا على يقينٍ أَنَّنا أُمَّةٌ لا تموت وإِن طال بها المرض، وقد كان الحَلُّ واضحًا جليًّا، لكن؛ قد غابت عنه همَّة الرِّجال وشجاعة الفرسان. مِن هنا اكتسب البحث أَهمِّيَّته وَعُلِمَ هدفه

وقد سرت على نهج تتبُّع مجلَّدات الإِرشاد (12) مستخرجًا منها نصوص المؤَلِّف غير متصرِّفٍ فيها إِلَّا بتقديمٍ وتأْخير يسير، وعناوينَ أَضـفتها، ولم أَخرج مِن الكتاب لغيره، فكان هو المصـدر الوحيد للبحث، رغبةً منِّي في بيان عمل المؤَلِّف في تفسـيره، ومعالجته لقضايا أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، التي ابتعدت عن نهجه وسنَّته.

واخترت لبحثيَ هذا الاسـم: "المسـلم والإِسـلام، بين الواقع والمؤَمَّل" (مِن خلال إِرشـاد الحيران إِلى توجيهات القرآن، لفضـيلة الشَّيخ: أَحمد عبدالسَّلام أَبُومُزَيْرِيق الليبي) 1430هـ-2010

وهو المقصود بمصطلح: يقول الشَّيخ، أَو قال الشَّيخ.

وقد قمت بتقسيمه على النَّحو التَّالي:

مقدِّمـــة، وثلاثة مباحث، وكتابٍ جامعٍ، وخاتمة، وفهارس، وهذه صورتُها:

المبحث الأَوَّل: المبحث الأَوَّل: مواطن عزَّة المسلمين.

المطلب الأَوَّل: كمال وشموليَّة الإِسلام، وبطلان خرافة فصل الدُّنيا عنِ الشَّريعة.

المطلب الثَّاني: قوَّةُ العقيدةِ الإِسلاميَّةِ وقيامُها بذاتها.

المطلب الثَّالث: المعيارُ الثَّابتُ للأَمانة والعدل.

المطلب الرَّابع: سبب حياة وقوَّةِ أُمَّة الإِسلام.

المطلب الخامس: القرآن.

المبحث الثَّاني: مواطن ضعف المسلمين.

المطلب الأَوَّل: الاغترار بالكفَّار في بعض مظاهر الحياة (عيشةً ومظهرًا وسلوكًا)

المطلب الثَّاني: فقدُ الأُمَّة احترامها بين الأُمم.

المطلب الثَّالث: تسلُّط اليهود على المسلمين (سبب ذلك).

المطلب الرَّابع: التَّأَثُّر بوهم علوِّ الدُّول الكافرة والفاسقة.

المطلب الخامس: موالاةُ الأَعداءِ وتركُ أَمرِ الله خوفًا مِنهم.

المطلب السَّادس: الإعراض عنِ الشَّرع.

المبحث الثَّالث: متفرِّقات

المطلب الأَوَّل: نظرةُ غير المسلمين للإِسلام (قوَّةُ الدِّين وإِدراك العدوِّ لذلك)

المطلب الثَّاني: خوفُ الأَعداءِ مِن الإِسلام (سبب خوف الكفَّار والفجَّار مِن الإِسلام)

المطلب الثَّالث: الأَمر إِمَّا شريعةٌ وإِمَّا أَهواءٌ.

المطلب الرَّابع: الجمع بين الهدى والضَّلال (محاولة الجمع بين الإِسلام وغيره).

المطلب الخامس: رسول الله والميلاد الجديد للبشريَّة، وتدبير الله لصاحبيه مِن بعده، ومضرَّة اختلال الميزان مِن بعدهم.

كتاب الجامع

المطلب الأَوَّل: اختراع أَشياءَ تصدُّ عن بيت الله الحرام (كالذِّكريات والمناسبات).

المطلب الثَّاني: حقوق النِّساء الضَّائِعة.

المطلب الثَّالث: تزكية النَّفس.

المطلب الرَّابع: توهُّم التَّضييق على الصَّالحين.

الخـاتمة.

الفهارس.

هذا وما كان مِن خيرٍ فمِن الله، وما كان مِن نقصٍ فمنِّ ومِن الشَّيطان، ولا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله.

اللهمَّ انفعنا وانفع بنا وتجاوز عنَّا، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على محمَّد وآله وصحبه والتَّابعين.

المبحث الأَوَّل

مواطن عزَّة المسلمين

المطلب الأَوَّل

كمال وشموليَّة الإسلام، وبطلان خرافة فصل الدُّنيا عنِ الشَّريعة[1]

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞[سورة المائدة: آية 3]

يقول الشَّيخ: "شريعة الله كلٌّ لا صغير فيه ولا كبير، كلٌّ لا يؤْخذ منه ببعضٍ ويستهان فيه ببعضٍ، كلٌّ متكاملٌ، الذي يختصُّ منه بالشَّعائِر والعبادات كالذي يختصُّ منه بالطَّعام والمباحات، فكلُّ جزئيَّةٍ مِن هذه الشَّريعة لها قيمتها في بناءِ هذه الشَّريعة، وفي بناءِ الأُمَّة التي تنظِّمها تلك الشَّريعة، وفي إنشاءِ المجتمع الذي يقوم عليها ويسير على هداها.

فها هو ذا إعلان الكمال والتَّمامِ لهذا الدِّين يجيءُ ملحقًا بآيةٍ في تحريم بعض المآكلِ مِن الطُّعوم، هذه الدِّلالة لها قيمتها في كلِّ زمان، وبخاصَّةٍ في هذا الزَّمان الذي يهمُّ فيه قومٌ بفصل الدُّنيا عنِ الشَّريعة، وتركها إلى تقدير النَّاس واجتهادهم، حتَّى فيما نزل فيه قرآن!

فها هو ذا القرآن يُعلن إعلانه الهائِل عن إكمال الدِّين في ظلِّ آيةٍ متعلِّقةٍ بتحريم بعض الأَطعمة على المسلمين؛ ليدلَّ على أَنَّ كلَّ حرفٍ في شريعته يُكمل الآخر، وأَنَّ كمالها لا يكون إِلَّا أَن يؤْخذ بكلِّ حرفٍ فيها مِن غير فرقةٍ ولا تقسيم."

وقد سبق هذا كلامٌ جاءَ فيه:"الدِّين: هو ما كلَّف الله به الأُمَّة مِن مجموع العقائِد والأَعمال والشَّرائِع والنُّظم، فإكمال الدِّين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضتِ الحكمة تنجيمه، فكان بعد نزول أَحكام الاعتقاد التي لا يسع المسلمون جهلها، وبعد تفاصيل أَحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحجُّ- بالقول والفعل، وبعد بيان شرائِع المعاملات وأُصول النِّظام الإسلاميِّ، كان بعد ذلك كلَّه قد تمَّ البيان المراد لله تعالى في قوله: ﴿... وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...۞ [سورة النحل: الآية 89] وقولِه تعالى: ﴿... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...۞ [سورة النحل: 44] بحيث صار مجموع التَّشريع الحاصل بالقرآن والسُّنَّةِ كافيًا في هدْي الأُمَّة في عبادتها ومعاملتها وسياستها في سائِر صورها بحسب ما تدعو إليه حاجاتها، فقد كان الدِّين وافيًا في كلِّ وقتٍ بما يحتاجه المسلمون، ولكن ابتدأَت أَحوال جماعة المسلمين بسيطة، ثمَّ اتَّسعت جامعتهم، فكان الدِّين يكفيهم لبيان الحاجات في

(1) إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، أحمد عبدالسَّلام أَبُومُزَيْرِيق، دار المدار الإسلامي، ط1 2011، 3/278-279، 8/98-99.

أحوالهم بمقدار اتِّساعها، إذ كان تعليم الدِّين بطريق التَّدريج؛ ليتمكَّن رسوخه، حتَّى استكملت جامعة المسلمين كلَّ شؤُون الجوامع الكبرى، وصاروا أُمَّةً كأَكمل ما تكون أُمَّة، فكمل مِن بيان الدِّين ما به الوفاءُ بحاجاتهم كلِّها، فذلك معنى إكمال الدِّين..."

ويقول في موضعٍ آخر: "لقد جاءَت هذه الرِّسالة للبشريَّةِ حيثما بلغت سنَّ الرُّشد العقليّ، جاءَت كتابًا مفتوحًا للعقول في مقبِل الأَجيال، شاملًا لأُصول الحياة البشريَّة التي لا تتبدَّل، مستعدًّا لتلبية الحاجات المتجدِّدة التي يعلمها خالق البشر، وهو أَعلم بمَن خلق، وهو اللطيف الخبير."

المطلب الثَّاني

قوَّةُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ وقيامُها بذاتها[1]

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: 33]

يقول الشَّيخ: "لقد أَرسل الله رسوله محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم بالهدى ودين الحقِّ، وقدَّر له أَن يظهر وينتصر على العقائِدِ جميعِها، وأَن يكون هو الدِّين الباقي المنتصرُ إلى يوم الدِّين، وننظر اليوم فإذا الإسلام هو العقيدةُ الدِّينيَّةُ الوحيدةُ التي تعيشُ في النُّور، فلا تحتاج إلى الهروب مِن التَّفكير الواضح المستقيم، وإذا هو العقيدةُ الدِّينيَّةُ التي تحتوي نظامًا للحياةِ كلِّها، تملكُ الحياةُ أَن تعيش في ظلِّه، وأَن تنموَ وتتقدَّم وهي في حدود الدِّين، وإذا هو العقيدة الوحيدة التي تملك أَن تقوم بذاتها حتَّى حين يتخلَّى عنها سلطان الدَّولة وتحاربها قوى الأَرض؛ لأَنَّ القوَّة مودعةٌ في بنائِها وفي كيانها، فهيَ بذاتها قادرةٌ على البقاءِ والتَّأْثير."

المطلب الثَّالث

المعيارُ الثَّابتُ للأَمانة والعدل[2]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [سورة النساء: آية 59]

يقول الشَّيخ: "الأَمانةُ المطلقةُ، والعدلُ المطلقُ، ما مناطهما؟ كيف السَّبيلُ إلى تصوُّرِهَا وتحديدهما؟ ثمَّ كيف السَّبيل إلى تطبيقهما وتحقيقهما؟ هل يُترك تحقيق الأَمانة والعدل إلى تعارف النَّاس واصطلاحهم؟ قد يكون هذا مأْمون العاقبة في بعض الجزئيَّات التي تعرض في الحياة، فأَمَّا الأُصول الكبرى والحدود الأُولى فليس عرف النَّاسِ واصطلاحهم بمقياس، فكثيرًا ما تنحرف الفطرة، وكثيرًا ما يتحكَّم الهوى، وكثيرًا ما تختلُّ المعايير ذاتها، فتصبح غير صالحة للقياس.

(1) المصدر السَّابق 181/5.

(2) المصدر نفسه 68/3-69.

أَم هل يُترك ذلك للعقل البشري؟ والعقل البشريُّ أَداةٌ غير ثابتةٍ؛ لأَنَّه يتأَثَّر بالأَهواءِ ويتأَثَّر بالملابسات، بل يتأَثَّر بما يطرأُ على الأَجسام مِن الآفات، وبما يكون في الجوِّ مِن تقلُّبات، وما يزال العقلُ البشريُّ ينقُضُ اليومَ ما أَبرمه بالأَمس، ويُبرم اليوم ما كان قد نقض.

إِنَّه لابدَّ مِن معيارٍ ثابتٍ للأَمانة، ومعيارٍ ثابتٍ للعدل –على وجهٍ خاصٍّ– معيارٍ لا يتأَثَّر بما يحيط بالبشر، وبما يُخالط العقل، وبما يُلابس حياة النَّاس.

والنَّصُّ هنا يضع الأَساس الكامل لنظام الحكم في الإِسلام، إِنَّ الحاكميَّة لله وحده، فشريعته هي الدُّستور الأَساسيُّ (الوحيد) والله واجب الطَّاعة، فشريعته واجبة التَّنفيذ، وعلى الذين آمنوا أَن يطيعوا الله ابتداءً، وأَن يطيعوا الرَّسول –بما له مِن صفة الرِّسالة– فطاعته إِذًا هي مِن طاعة الله الذي أَرسله بهذه الشَّريعة، وسنَّتُه وقضاؤُه –على هذا– جزءٌ مِن الشَّريعة واجب التَّنفيذ.

فأَمَّا أُولوا الأَمر فالنَّصُّ يجعل طاعتهم فرعيَّة، لا أَصليَّةً نابعةً ومستمَدَّةً مِن طاعة الله ورسوله، ومِن القيام على شريعة الله ورسوله، فالطَّاعة لهم تبعيَّةٌ لا أَصليَّة ومستمدَّةٌ مِن الأَصل، وليست هي بذاتها أَصلًا.....

المطلب الرَّابع

سبب حياة وقوَّةِ أُمَّة الإِسلام[1]

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(47) وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعاً إِلاَّ مَا شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ(49) ۞[سورة يونس: الآيات 47 الى 49]

يقول الشَّيخ: "...الأُمَّة التي تأْخذ بأَسباب الحياة تحيا، والأُمَّة التي تنحرف عنها تضعف أَو تضمحلُّ أَو تموت، بحسب انحرافها، والأُمَّة الإِسلاميَّة منصوصٌ على أَنَّ حياتها باتِّباع رسولها، والرَّسول يدعوها لما يُحييها، لا بمجرَّد الاعتقاد، ولكن بالعمل الذي تنصُّ عليه العقيدة في شتَّى مرافق الحياة. "..

(1) المصدر السَّابق 402/5.

المطلب الخامس

القرآن

1/ القرآن وأثره في رفعة الأُمَّة.[1]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ...﴾ [سورة الزخرف: الآية 44]

يقول الشَّيخ: "نصُّ هذه الآية يحتمل أَحد مدلولين: أَنَّ هذا القرآن تذكيرٌ لك ولقومك تُسأَلون عنه يوم القيامة، فلا حجَّة بعد التَّذكير، أَو أَنَّ هذا القرآن يرفع ذكرك وذكر قومك، وهذا ما حدث فعلًا.

فأَمَّا الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم فإِنَّ مئات الملايين مِن المسلمين تصلِّي وتسلِّم عليه، وتذكره ذكر المحبِّ المشتاق آناءَ الليل وأَطاف النَّهار، منذ ما يزيد على أَلفٍ وأَربعمائة عام، ومنذ ذلك التَّاريخ البعيد إِلى أَن يرث الله الأَرض ومَن عليها.

وأَمَّا قومه العرب، فقد جاءَهم هذا القرآنُ والدُّنيا لا تُحسُّ بهم، وإِن أَحسَّت اعتبرتهم على هامش الحياة، وهو الذي جعل لهم دورهم الأَكبر في تاريخ هذه البشريَّة، وهو الذي واجهوا به الدُّنيا فعرفتهم ودانت لهم طُوال الفترة التي تمسَّكوا فيها بالقرآن.

فلمَّا أَن تخلَّوا عنه –كما هو واقعهم اليوم– أَنكرتهم الأَرض واستصغرتهم الدُّنيا، وقذفت بهم في ذيل القافلة هناك، بعد أَن كانوا قادة الموكب المرموقين، فهي تبعةٌ ضخمةٌ تُسأَل عنها الأُمَّة العربيَّة التي اختارها الله لتؤَدِّي دينها بلسانها واختارها لقيادة القافلة البشريَّة الشَّاردة، إِذا هي تخلَّت عن هذه الأَمانة.

2/ خطاب القرآن وتأْثيره.[2]

قال تعالى: ﴿طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ(1) هُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ(2)﴾ [سورة النمل: الآيات 1-2]

يقول الشَّيخ: "... القرآن يمنح المؤْمنين هدًى في كلِّ فجٍّ، وهدًى في كلِّ طريق، كما يطلع عليهم بالبشرى في الحياتين: الأُولى والآخرة، وفي تخصيص المؤْمنين بالهدى والبشرى تكمن حقيقةٌ ضخمةٌ عميقة: فالقرآن ليس كتاب علمٍ نظريٍّ أَو تطبيقيٍّ ينتفع به كلُّ مَن يقرؤُه ويستوعبُ ما فيه، إِنَّما القرآن كتابٌ يخاطب القلب أَوَّلَ ما يخاطب، ويسكبُ نوره وعطره في القلب المفتوح، الذي يتلقَّاه بالإِيمان واليقين، وكلَّما كان القلب نديًّا بالإِيمان زاد تذوُّقه لحلاوة القرآن، وأَدرك مِن معانيه وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصَّلد الجافُّ، واهتدى بنوره إِلى ما لا يهتدي به الجاحد الصَّادق، وانتفع بصحبته ما لا ينتفع القارئ المطموس.

وإِنَّ الإِنسان ليقرأُ الآية أَوِ السُّورة مرَّاتٍ كثيرةٍ وهو غافلٌ أَو عجولٌ، فلا تنصُّ له بشيءٍ، وفجأَةً يُشرق النُّور في قلبه، فتتفتَّح له عن عوالمَ ما كانت تخطر له ببال، وتصنع في حياته صُنع المعجزة في تحويلها مِن منهجٍ إِلى منهجٍ، ومِن طريقٍ إِلى طريقٍ.

(1) المصدر نفسه 10/487-489.
(2) المصدر نفسه 9/51-52.

وكلُّ النُّظُم والشَّـرائِع والآداب التي يتضـمَّنها هذا القرآن، إنَّما تقوم قبلَ كلِّ شـيءٍ على الإيمان، فالذي لا يؤْمن قلبه بالله، ولا يتلقَّى هذا القرآن على وحيٍ مِن عند الله، وعلى أنَّ ما جاءَ فيه إنَّما هو المنهج الذي يريده، الذي لا يؤْمن هذا الإيمان لا يهتدي بالقرآن كما ينبغي، ولا يستبشر بما فيه مِن بشارات.

إنَّ في القرآن كنوزًا ضـــخمةً مِن الهدى والمعرفةِ والحركةِ والتَّوجيهِ، والإيمانُ هو مفتاح هذه الكنوز، ولن تُفتح كنوز القرآن إلَّا بمفتاح الإيمان، والذين آمنوا حقَّ الإيمان حقَّقوا الخوارق بهذا القرآن.

فأَمَّا حين أَصبح القرآن كتابًا يترنَّم المترنِّمون بآياته، فتصـل إلى الآذان ولا تتعدَّاها إلى القلوب، فإنَّه لم يصـنع شـيئًا، ولم ينتفع به أَحد، فقد ظلَّ كنزًا بلا مفتاح...!"

3/ منهج القرآن.[1]

قال تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً﴾ [سورة الفرقان: الآية 32]

يقول الشَّـــيخ: "... لقد جاءَ القرآن بمنهاجٍ كاملٍ شـــاملٍ للحياة كلِّها (دنيا وآخرة) وجاءَ في الوقت ذاته بمنهاجٍ للتَّربية يوافق الفطرة البشـريَّة عن علمٍ بها مِن خالقها، فجاءَ لذلك منجَّمًا وفق الحاجات الحيَّة للجماعة المسـلمة وهي في طريقِ نشْـأَتها ونموِّها، ووفق اســـتعدادها الذي ينمو يومًا بعد يومٍ في ظلِّ المنهج التَّربويِّ الإلهيِّ الدَّقيق. جاءَ ليكون منهج تربيةٍ ومنهاج حياة، لا ليكون كتاب ثقافةٍ يُقرأُ لمجرَّد اللذَّة، أَو لمجرَّد المعرفة، جاءَ ليُنَفَّذَ حرفًا حرفًا وكلمةً كلمةً، تكليفًا تكليفًا، جاءَ لتكون آياته هي الأَوامر اليوميَّة التي يتلقَّاها المســلمون في حينها؛ ليعملوا بها فور تلقِّيها، كما يتلقَّى الجنديُّ في ثكنته أَو في الميدان الأَمر اليوميَّ، مع التَّأَثُّر والفهم والرَّغبة في التَّنفيذ، ومع الانطباع والتَّكيُّف وفق ما يتلقاه، مِن أَجل هذا كلِّه نزل القرآن مفصَّـــلًا: يبيِّن أَوَّل ما يبيِّن عن منهجه لقلب الرَّســـول، ويثبِّته على طريقه، ويتتابع على مراحل الطَّريق رَتْلًا بعد رتلٍ وجزءًا بعد جزءٍ، والتَّرتيل هنا: هو التَّتابع والتَّوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب واســتعدادها للتَّلقِّي، ولقد حقَّق القرآن بمنهجه ذاك خوارق في تكييف تلك النُّفوس التي تلقَّته مرتَّلًا متتابعا، وأَثَّرت به يومًا يومًا، واطبعت به أَثرًا أَثرًا.

فلمَّا غفل المسـلمون عن هذا المنهج، واتَّخذوا القرآن كتابَ متاعٍ للثَّقافة، وكتاب نعبُّدٍ للتِّلاوة فحسـب، لا منهجَ تربيةٍ للانطباع والتَّكيُّف، ومنهجَ حياةٍ للعمل والتَّنفيذ، لم ينتفعوا مِن القرآن بشيءٍ؛ لأَنَّهم خرجوا عن منهجه الذي رسمه العليم الخبير."

ويقول: "إنَّ المنهج الذي جاءَ به محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم منهجٌ يُسعد البشريَّةَ كلَّها، ويقودها إلى الكمال المقدَّر لها في هذه الحياة."

---

(1) المصدر السَّابق 8/449-450، وينظر ص98 بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 106] حيث يقول الشَّيخ فيها: "فهذه لفتة نظرٍ إلى ما في القرآن مِن العبر، ففي هذا القرآن وما يكشفه مِن سننٍ في الكون والحياة، ومِن مصائِر النَّاس في الدُّنيا والآخرة، ومِن قواعد العمل والجزاءِ، فإنَّ في هذا لبلاغًا وكفايةً للمستعدِّين لاستقبال هدى الله، للطَّائِعين العابدين المتهيِّئين للتَّلقِّي والتَّدبُّرِ والانتفاعِ بما أَنزل الله مِن الرَّحمة على الرَّحمة المهداةِ مِن الله مولى النِّعمة والرَّحمة.

4/ القرآن كعلاج، والنُّظم البشريَّة.[1]

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [سورة الإسراء: الآيات 88]

يقول الشَّيخ:...القرآن منهج حياةٍ كامل "منهجٌ ملحوظٌ فيه نواميس الفطرة التي تَصرف النَّفس البشريَّةَ في كلِّ أَطوارها وأَحوالها، والتي تصرف الجماعات الإنسانيَّة في كلِّ ظروفها وأَطوارها، ومِن ثَمَّ فهو يعالج النَّفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة، بالقوانينِ الملائِمة للفطرة المتغلغلة في وشائِجها ودروبِها ومنحنياتِها الكثيرة، يعالجها علاجًا متكاملًا متناسق الخطوات في كلِّ جانبٍ في الوقت الواحد، فلا يغيب عن حسابه احتمالٌ مِن الاحتمالات الكثيرة، ولا ملابسةٌ مِن الملابسات المتعارضة في حياةِ الفرد وحياةِ الجماعة؛ لأَنَّ مشرّع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كلِّ أَحوالها وملابساتها المتشابكة.

أَمَّا النُّظُم البشريَّة، فهي متأَثّرةٌ بقصور الإنسان وملابسات حياته، ومِن ثَمَّ فهي تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد، وقد تعالج ظاهرةً فرديَّةً أَوِ اجتماعيَّةً بدواءٍ يؤَدِّي بدوره إلى بروز ظاهرةٍ أُخرى تحتاج إلى علاجٍ جديد. إنَّ إعجاز القرآن أَبعد مِن إعجاز نظمه ومعانيه، وعجْز الإنس والجنّ عن الإتيان بمثله هو عجْزٌ كذلك عن إبداع منهجٍ كمنهجه يُحيط بما يحيط به."

5/ أَثر صدق المؤْمنين والتَّمسُّك بالقرآن.[2]

قال تعالى: ﴿لَا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر: الآية 14]

يقول الشَّيخ: "... ما صدق المؤْمنون مرَّةً، وتجمَّعت قلوبهم على أَمر الله حقًّا إِلَّا وانكشف المعسكر الآخر أَمامهم عن هذه الاختلافاتِ وهذا التَّضاربِ وهذا الرِّياءِ الذي لا يمثِّل حقيقة الحال، وما صبر المؤْمنون وثبتوا إِلَّا وشهدوا مظهر التَّماسك بين أَهل الباطل ينفسخ وينهار، وينكشف عن الخلاف الحادِّ والشِّقاقِ والكيدِ والدَّسِّ في القلوب المتشتِّتة المتفرِّقة.

إِنَّما ينال المنافقون والذين كفروا مِن أَهل الكتاب مِن المسلمين عندما تتفرَّق قلوب المسلمين، فلا يعودون يمثِّلون حقيقة المؤْمنين التي عرضتها الآية في المقطع السَّابق في هذه السُّورة، فأَمَّا في غير هذه الحالة، فالمنافقون أَضعف وأَعجز، فهم والذين كفروا مِن أَهل الكتاب متفرِّقوا الأَهواءِ والمصالح والقلوب... فمتى أَخذ المسلمون قرآنهم مأْخذ الجدِّ هان عليهم أَمر عدوِّهم وعدوِّ الله، وتجمَّعت قلوبهم في الصَّفِّ الواحد، فلم تقف لهم قوَّةٌ في الحياة..."

وقال تعالى: ﴿بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآيات 20]

(1) المصدر السَّابق 229/7.

(2) المصدر نفسه 406/11، 540/10، وينظر 200/12.

يقول الشَّيخ في موضعٍ آخر: "...فوصف القرآن بأَنَّه بصائِر للنَّاس يُعمِّق معنى الهداية فيه، فهو بذاته بصائِر كاشفة، كما أَنَّ البصائِر تكشف لأَصحابها عنِ الأُمور، وهو بذاته هدى، وهو بذاته رحمة، لكن؛ هذا كلَّه يتوقَّف على اليقين، يتوقَّف على الثِّقة التي لا يُخامرها شكٌّ ولا يُخالطها قلقٌ، ولا تتسرَّب إليها ريبةٌ، وحين يستيقن القلب ويستوثق يعرف طريقه، فلا يتلجلج ولا يتلعثم ولا يحيد، فعندئِذٍ يبدو له الطَّريق واضحًا، والأُفقُ منيرًا، والغايةُ محدَّدةٌ، والنَّهج مستقيمًا، فعندئِذٍ يُصبح هذا القرآن له نورًا وهدًى ورحمةً بهذا اليقين."

المطلب السَّادس

ثمرة الاستمرار على نهج الله [1]

يقول الشَّيخ: "إِنَّه ما مِن مرَّةٍ سارت هذه الأُمَّة على نهج الله، إِلَّا تحقَّق وعد الله بالاستخلاف والتَّمكين والأَمن، وما مِن مرَّةٍ خالفت عن هذا النَّهج، إِلَّا تخلَّفت في ذيل الغافلة وذلَّت، وطُرد دينها مِن الهيمنةِ على البشـــريَّة، واســـتبدَّ بها الخوف وتخطَّفها الأَعداءُ، أَلا إِنَّ وعد الله قائِمٌ، أَلا وإِنَّ شرط الله معروفٌ، فمَن شاءَ الوعد فَلْيَقُمْ بالشَّرط، ومَن أَوفى بعهده مِن الله."

(1) المصدر السَّابق 8/380-381.

المبحث الثَّاني

مواطن ضعف المسلمين

المطلب الأَوَّل

الاغترار بالكفَّار في بعض مظاهر الحياة (عيشةً ومظهرًا وسلوكًا)[1]

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ...﴾ ثمَّ قال تكملةً للآية: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائِدة: آية 5]

يقول الشَّيخ: "هنا، فلنقف لتأمُّل هذا التَّذييل (التَّعليق) ما الغرض منه هنا؟ الظَّاهر أَنَّ المقصود منه التَّنبيه على أَنَّ إباحة تزوُّجِ نساءِ أَهل الكتاب وإباحةِ أَكل طعامهم، لا يقتضي تزكيةً لحالهم حتَّى (لا) يغترُّوا بدينهم ويرونه معتدًّا به عندهم، ولا ينخدع المسلم بهم إن ظهر مِن نسائِهم جمالٌ وحسن معاملةٍ مع الغير، وظهر مِن تفوُّقهم في مظاهر الحضارة، التي سببها معرفة نواميس الحياة وما تقتضيه مِن رُقيٍّ وتقدُّمٍ في الغنى والرَّفاهيَّة، كما هو حالهم اليوم.

فقدِ انخدع بعض المسلمين بهذه المظاهرِ فتزوَّج منهم وقلَّدهم في حياتهم، عيشةً ومظهرًا وسلوكًا، حتَّى خرج عن منهج الإسلام العام، فتزوَّج منهم وَغُلِبَ على أَمره، فأَصبح تحت تصرُّف زوجته، وأَخضعته لأَمرها وربَّت أَولاده على ذوقها، وما هذا إِلَّا انسلاخٌ ومسخٌ لطبيعة المسلمِ الذي عَلِمَ دينه حقَّ العلم، وفهم حقيقته حقَّ الفهم، وهذا هو سِرُّ التَّعبير بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خُسْرَانُ أَهل الكتاب ببقائِهم على دينهم؛ لاغترارهم بما هم عليه، وخسرانُ المرتدِّ عنِ الإسلام بانخداعه بمظاهرِ حضارةِ أَهلِ الكتابِ.

والإيمانُ هنا: الإيمان المعهودُ وهو إيمان المؤْمنين الحقّ الذي بسببه سُمُّوا بالمؤْمنين، وفي هذا التَّعبير ﴿حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ تحذير المؤْمنين بأَلَّا ينخدعوا بمظاهر أَهل الكفر التي تخلب العقول وتُبهر الأَنظار، كما يحصل للحيوان عندما يجد خضرة النَّباتِ، ووفرة المرعى، في مكانٍ رطبٍ وَوَخْمٍ، فيأْكل منه بشراهةٍ حتَّى تنتفخ بطنه فيهلِك.!

المطلب الثَّاني

فقدُ الأُمَّة احترامها بين الأُمم[2]

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ...الآيات﴾ [سورة هود: آيَةً 1-4]

(1) المصدر نفسه 281/3.

(2) المصدر السَّابق 461/5.

يقول الشَّيخ: "ما مِن نظامٍ اجتماعيٍّ أَو أَخلاقيٍّ أَو سياسيٍّ أَوِ اقتصاديٍّ أَو دوليٍّ يمكن أَن يقام على أُسسٍ واضحةٍ فاصلةٍ ثابتةٍ لا تخضع للهوى والتَّأْويلاتِ المغرضةِ إِلَّا حين تستقرُّ عقيدةُ التَّوحيد واضحةً بسيطةً دقيقةً لا لبس فيها ولا غموض، والإِقرار بالرِّسالة أَساس للتَّصديق بهذه القضايا التي جاءَت لتقريرها، وكلُّ شكٍّ في أَنَّ هذا مِن عند الله كفيلٌ بتحطيم احترامها الملزم في عَالَمِ الضَّمير....."

المطلب الثَّالث

تسلُّط اليهود على المسلمين (سبب ذلك)[1]

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ...﴾ [سورة آل عمران: الآيات 93]

يقول الشَّيخ: "...كلُّ ما حُرِّمَ على اليهود كان تحريمه بنصِّ التَّوراة التي كانت شريعتهم، ولا علاقة لهم بما حرَّم إِسرائيل على نفسه؛ لأَنَّ عمل الإِنسان في خاصَّة نفسه لم يكن شريعةً يَتَعَبَّد بها غيره.

وما فعله اليهود في هذا هو ما يفعله كثير مِن النَّاس الذين اتَّخذوا عاداتَ أَسلافهم دينًا يتعبَّدون بها، فنجدهم يمتنعون عن أَطعمةٍ معيَّنةٍ، كامتناع بعضهم عن أَكل نوعٍ مِن الطُّيور، أَو ما كان متَّصفًا بشكلٍ معيَّنٍ، أَو في أَوقاتٍ معيَّنةٍ مثل المواسم والأَعياد، فبعضهم يجعل نوعًا معيَّنًا فيها، وبعضهم يمتنع عن أَنواعٍ معيَّنةٍ، وهذه العاداتُ لازالت ساريةً في كثيرٍ مِن الشُّعوب، حتَّى في الشُّعوب التي تدَّعي التَّمسُّك بالإِسلام! فترى العصيدة في يوم العيد، وترى الفطير فيها عند آخرين، وهكذا ترى أَنواعًا أُخرى في مناسباتٍ أُخرى، وما ذاك إِلَّا لتأْصيل العاداتِ السَّارية في المجتمعاتِ، حتَّى تُعَدَّ مِن الدِّينِ وليست مِن الدِّين في شيءٍ، وهذا التَّخليط الذي ظهر في كثيرٍ مِن المجتمعاتِ جاءَ مِن جهة اليهود الذين اختلطوا بالنَّاس كثيرًا وطال تاريخهم، فطال عليهم الأَمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون." أ.هـ

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [سورة الإسراء: الآيات 6] يقول الشَّيخ: "... وذهب أَجيالٌ وتلتها أَجيالٌ، جيلً بعد جيلٍ، والمسلمون لهم الكلمة العليا، فحكموا العالم ورفعوا راية الإِسلام خفَّاقةً في سماءِ العالَمِ، حتَّى نسوا الذِّكرى وتشبَّثوا بالدُّنيا، وتركوا مطالب الأُخرى، فصاروا هم والكفرةَ في مطالب الدُّنيا سواء، فرجعوا القهقرى وتغلَّب عليهم النَّاسُ بزعامةِ اليهود مرَّةً أُخرى.

فالقرآن هنا يتحدَّث صراحةً بما سيحصل للمسلمين بعد النَّصر والفتح مِن الهزيمةِ والتَّردِّي وسوءِ المصير، وذلك بسبب ما ارتكبوا مِن المخالفات واتِّباع الشَّهوات، فسلَّط الله عليهم أَهل الكفر مِن الشَّرق والغرب بزعامة اليهود مِن جديد، فاليهود اليوم متحكِّمون في العالَم: دُوله ومقدَّراته مِن علمٍ ومالٍ وسلاحٍ وعتادٍ، وتتحكَّم فيه شركاتهم الضَّخمة، ومؤَسَّساتهم المختلفة، وهم يحاولون اليوم القضاءَ على الإِسلام بالمسلمين أَنفسهم الذين خضعوا لأَمرهم، واستناموا تحت مكرهم وقهرهم....."

(1) المصدر نفسه 198/2، 140/7، وينظر 185/2-186.

المطلب الرَّابع

التَّأثُّر بوهم علوّ الدُّول الكافرة والفاسقة.[1]

قال تعالى: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ(4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ(5)﴾ [سورة الحجر: الآيتان 4-5]

يقول الشَّيخ: "... وقد يُقال إنَّ أُممًا لا تؤمن ولا تُحسن ولا تُصلح ولا تعدل، وهي مع ذلك قويَّةٌ ثريَّةٌ باقيةٌ، وهذا وهمٌ، فلابدَّ مِن بقيَّةٍ مِن خيرٍ في هذه الأُمم، ولو كان هو خير الخلافة في الأَرض بعمارتها، وخير العدل في حدوده الضَّيِّقةِ بين أَبنائِها، وخيرُ الإِصلاح المادِّيّ والإِحسانِ المحدودِ بحدودها، فعلى هذه البقيَّة مِن الخير تعيش حتَّى تستنفذها، فلا تبقى فيها مِن الخير بقيَّة، ثمَّ تنتهي حتمًا."

المطلب الخامس

موالاةُ الأَعداءِ وتركُ أَمرِ الله خوفًا مِنهم[2]

قال تعالى: ﴿وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا...الآية﴾ [سورة القصص: الآية 57]

يقول الشَّيخ: "...وإِنَّ الكثير ليشفقون مِن اتِّباعِ شريعة الله والسَّير على هداه، يشفقون مِن عداوة أَعداءِ الله ومكرهم، ويشفقون مِن تألُّبِ الخصوم عليهم، ويشفقون مِن المضايقات الاقتصاديَّةِ وغير الاقتصاديَّةِ، وإِن هي إِلَّا أَوهامٌ كأَوهام قريشٍ يوم قالت لرسول الله: إِن نتَّبع الهدى معك نُتخطَّف مِن أَرضنا، فلمَّا اتَّبعت قريش –ومعها العرب– هدى الله سيطرت على مشارق الأَرضِ ومغاربِها، في ربع قرنٍ أَو أَقلَّ مِن الزَّمان..."

قال الشَّيخ قبل ذلك: "وما حدث قطُّ في تاريخ البشريَّةِ أَنِ استقامت جماعةٌ على هدى الله إِلَّا منحها الله القوَّة والمنعة والسِّيادة في نهاية المطاف، بعد إِعدادها لحمل هذه الأَمانةِ، أَمانةِ الخلافةِ في الأَرضِ، وتصريف الحياة."

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ(28) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(29)﴾ [سورة آل عمران: آية 28-29]

يقول الشَّيخ: "...ففي هاتين الآيتين حثٌّ على تنفيذ قوانين الإِسلام مِن كلِّ خاصٍّ وعامٍّ مِن المحكومين والحكَّام على الوجه المطلوب دون تزييفٍ أَو إِبهامٍ.

(1) المصدر السَّابق 468/6.

(2) المصدر نفسه 200/9، 124/2.

فقد حصل مِن بعض حكَّام المسلمين مَن والى أَعداءَ الدِّين، فنسيَ أَو تناسى هذا التَّحذير والنَّهي الصَّريح، وتوهَّم أَنَّه يُنجيه هذا الوليُّ أَوِ الحليفُ المليحُ، فصار مِن الذين يقولون: نخشى أَن تُصيبنا دائِرة، يسارعون في مرضاتهم لمرض نفوسهم وضعف إِيمانهم.

فلو كانوا مؤْمنين حقًّا لنفَّذوا هذه الأَوامر كما جاءَت؛ لينجوا مِن ذلِّ الدُّنيا، ويفوزوا بالثَّواب في العقبى، فالله لا يخفى عليه شيء مِن أَعمالهم، أَخفَوْها أَو أَظهروها، فسيجدون نتيجتها ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 30]

المطلب السَّادس

الإِعراض عنِ الشَّرع[1]

قال تعالى: ﴿وَإِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً...الآية﴾ [سورة الجاثية: الآية9]

يقول الشَّيخ: "...وهي صورةٌ كذلك مكروهةٌ مستمرَّةٌ في الجاهليَّات الأُولى وفي هذه الجاهليَّةِ الأَخيرةِ الآن، فكم مِن النَّاسِ وبين مَن يُقالُ إِنَّهم مسلمون مَن يستهزئ بآيات الله التي يعلمها، ويتَّخذها مادَّةً للسُّخريةِ منها وممَّن يؤْمنون بها، ومَن يريدون أَن يُرجعوا أَمر النَّاس والحياة إِليها."

قال الشَّيخ قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(7) يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ(8)﴾ [سورة الجاثية: الآيتان 7-8]

"فهذه الصُّورة البغيضة —ولو أَنَّها صورة فريقٍ مِن المشركين في مكَّة إِلَّا أَنَّها تتكرَّر في كلِّ جاهليَّة- تتكرَّر اليوم وغدًا، فكم في الأَرض وبين مَن يُقال إِنَّهم مسلمون مَن ﴿يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾؛ لأَنَّها لا توافق هواه، ولا تسير مع مأْلوفه، ولا تعاونه على باطله، ولا تُقرُّه على شيءٍ، ولا تمشي له مع اتِّجاهِ."

(1) المصدر السَّابق 537/10.

المبحث الثَّالث

متفرّقات

المطلب الأَوَّل

نظرةُ غير المسلمين للإسلام (قوَّةُ الدِّين وإدراك العدوّ لذلك)[1]

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [سورة الفتح: الآية28]

يقول الشَّـــيخ: "... فهو الدِّين الوحيد الباقي القادر على العمل والقيادةِ في جميع الأَحوال أَهله وبغير أَهله، ولعلَّ أَهل هذا الدِّين الآن هم وحدهمُ الذين لا يُدركون هذه الحقيقة، فغير أَهله يُدركونها ويخشونها، ويحسبون لها في سياساتهم كلَّ حساب..."

قال الشَّيخ قبل ذلك: "... ما يزال دين الحقِّ ظاهرًا على الدِّين كلِّه مِن حيث هو دين، فهو الدِّين القويُّ بذاته، فلا يحتاج إلى مبشِّرين محترفين يسترزقون مِن الدَّعوةِ إليه، وهو يزحف بلا سيفٍ ولا مدفعٍ مِن أَهله؛ لِمَا في طبيعتهم مِن استقامةٍ مع الفطرة، ومع نواميس الوجدِ، ولِمَا فيه مِن تلبيةٍ بسيطةٍ عميقةٍ لحاجات البشر وحاجات العمران والتَّقدُّم، وحاجات البيئَات المتنوّعةِ..."

المطلب الثَّاني

خوفُ الأَعداءِ مِن الإسلام (سبب خوف الكفَّار والفجَّار مِن الإسلام)[2]

قال تعالى: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ(6)﴾ [سورة المطففين: الآيات 4-7]

يقول الشَّيخ: "...هذه الصَّيحةُ المدوّيةُ بالحرب والويل على هؤُلاءِ المطفّفين –وهم يومئِذٍ سادة مكَّة أَصحاب السُّلطان فيها والتَّمكين– تلفت النَّظر في البيئَة المكّيَّة إلى طبيعة هذه الدَّعوة، وشمولِ منهجها للحياةِ الواقعيَّة وشـــؤُونها العمليَّة، وإقامتِها على الأَخلاق الأَساسيَّة الأَصيلة في طبيعة هذا المنهج الإلهيّ القويم.

ومِن هذا يُعلم السَّـــببُ الحقيقيُّ الذي جعل كُبراءَ قريش يقفون في وجه الدَّعوة هذه الوقفة العنيدة، فهم كانوا يُدركون أَنَّ هذا الأَمرَ الجديدَ الذي جاءَهم به محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم منهجٌ يُحطِّم كلَّ أَساس الجاهليَّة التي تقوم عليها أَوضاعُهم ومصالحُهم ومراكزُهم، فمن هذا شنُّوا على هذه الدَّعوة تلك الحرب التي تمثِّل الدِّفاع عن أَوضاعهم كلِّها في وجه الأَوضاع الإسلاميَّة.

(1) المصدر نفسه 11/115-116.

(2) المصدر نفسه 12/298.

ولا زالت تلك الحرب قائِمة على الأَوضاع التي شنَّ عليها الحرب كبراءُ قريش مِن قبل، والطُّغاةُ البغاةُ الظَّلمةُ في كلِّ جيلٍ وقبيلٍ هم الذين يُرهبون ويرعبون مِن سيطرةِ المنهج الإسلاميّ العادلِ الذي يُعطي للنَّاسِ حقوقهم، ويُبيّن ما عليهم مِن واجباتٍ دون إجحافٍ بهم، ولا تملُّقٍ لكبيرٍ متعلّقٍ بوهمٍ زائلٍ."

المطلب الثَّالث

الأَمر إمَّا شريعةٌ وإمَّا أَهواءٌ.[1]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية 18]

يقول الشَّيخ: "...فبهذا يتمحَّض الأَمر: فإمَّا شريعة الله، وإمَّا أَهواءُ الذين لا يعلمون، وليس يوجد بين هذين الأَمرين أَمرٌ ثالثٌ، ولا طريق وسط بين الشَّريعةِ المستقيمةِ وبين الأَهواءِ المتقلّبةِ المنحرفةِ الذَّميمةِ، وما يترك أَحدٌ شريعة الله إلَّا ليُحكِّم الأَهواءَ، فكلُّ ما عداها هوًى يهفو إليه الذين لا يعلمون..."

المطلب الرَّابع

الجمع بين الهدى والضَّلال (محاولة الجمع بين الإسلام وغيره)[2]

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 68]

يقول الشَّيخ بعد ذكره لأَهمِيَّة البيت وجزاءَ من اعتدى أَو حاول الاعتداءَ عليه: "...فما نسمعه الآن مِن بعض السِّياسيّين المحترفين أَنَّ التَّوفيق بين الأَديان السَّماويَّة ممكنٌ تحقيقه بين اليهود والنَّصارى وبين المسلمين، فهو كلامٌ لا يرضى به عاقلٌ، ولم يأْت به فيما مضى ناقلٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...الآية﴾ [سورة البقرة: الآية 120]

المطلب الخامس: رسول الله والميلاد الجديد للبشريَّة، وتدبير الله لصاحبيه مِن بعده، ومضرَّة اختلال الميزان مِن بعدهم.[3]

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ(11) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ(12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(15) كِرامٍ بَرَرَةٍ(16)﴾ [سورة عبس: الآيات 11-16]

يقول الشَّيخ: "... معجزة الميلاد الجديد للإنسان على يد رسول الإسلام في ذلك الزَّمان، بذلك التَّوجيه الإلهيّ، وبهذا الهدي النَّبويّ كان الميلاد للبشريَّة على هذا النَّحو الفريد، ونشأَ المجتمع البشريُّ الذي يتلقَّى قيمه وموازينه مِن مصدرٍ أَعلى طليقًا مِن قيود

(1) المصدر السَّابق 540/10.
(2) المصدر نفسه 186/2.
(3) المصدر نفسه 271/12.

الأَرض، بينما هو يعيش على الأَرض، وكانت هذه هي المعجزة للإسلام، المعجزة التي لا تتحقَّق إلَّا بإرادة إلهٍ وبعمل رسول، والتي تدلُّ بذاتها أَنَّ هذا الدِّين مِن عند الله، وأَنَّ الذي جاءَ به للنَّاس رسول.

وكان مِن تدبير الله لهذا الأَمر، أَن يليه بعد الرَّسول صاحبُه الأَوَّل أَبوكر، وصاحبُه الثَّاني عمر، أَقربُ اثنين لإدراك طبيعة هذا الأَمر، وأَشدُّ اثنين انطباعًا بهدي رسول الله، وأَعمق اثنين حبًّا لرسول الله وحرصًا على تتبُّع مواضع حبِّه ومواقع خطاه، فكانتِ الخلافة الرَّشيدةُ المتمسِّكةُ بهذه الرِّسالة الفريدة.

وظلَّ ميزان السَّماءِ يرجح بأَهل التَّقوى —ولو تجرَّدوا مِن قيم الأَرض كلِّها– في اعتبار أَنفسهم وفي اعتبار النَّاس مِن حولهم، ولم يُرفع هذا الميزان مِن الأَرض إلَّا قريبًا جدًّا، بعد أَن طغتِ الجاهليَّةُ طغيانًا شاملًا في أَنحاءِ العالَم قاطبةً، فأَصبح الشَّخص يُقوَّم بالمادَّة، كما تُقوَّم السِّلع المعروضة بالأَسواق!"

كتاب الجامع

المطلب الأَوَّل

اختراع أَشياءَ تصدُّ عن بيت الله الحرام (كالذِّكريات والمناسبات)[1]

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمِينَ(96) فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ(97) ۞[سورة آل عمران: الآيات 96-97]

يقول الشَّيخ: "...وكثيرًا ما حاول الملحدون والمنافقون مِن المسلمين أَن يُحوِّلوا النَّاس عن حجِّ هذا البيت: إِمَّا بسبب فرض الضَّرائِب الباهظة، أَو بفتح مزاراتٍ لأَضرحة الأَموات، أَو بفتح مثاباتٍ يُسمُّونها تخليدًا لمواقع وحوادث موهومة كذكرى معركة، أَو ثورةٍ حدثت ضدَّ نظامٍ سبقها، أَو غير ذلك ممَّا هو مسموعٌ أَو مشاهدٌ اليوم، وكلُّ هذه التُّرَّهات لا تخرج عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ۞."

المطلب الثَّاني

حقوق النِّساء الضَّائِعة.[2]

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً...الآية۞ [سورة النِّساء: الآية 20]

يقول الشَّيخ: "...وهذه الأَحكام الأَربعة في هذه الآية والآية التي سبقتها، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً(19)۞ المتعلِّقة بحقوق النِّساءِ لازال بعض المسلمين اليوم يغضُّون عنها النَّظر، ولا يلتفتون إِليها، ولا يهتمُّون بها، حتَّى أَصبح حكمهم على المرأَة مثل حكم الجاهليَّة: فالبعض لا يُورِّث النِّساءَ، والبعض الآخر يعضُل الزَّوجة ويجعلها تحت أَمره في ضيقٍ وحرجٍ مِن الضِّياع وعدم المبالاة، وبعضهم يمتنع عن تزويج البنات أَو أَخواتهنَّ ؛ بعلَّة عدم المكافئ، أَو بعلَّة أَنَّ البنت أَوِ الأُخت الكبيرة لم يأْت إِليها خاطب، وعادتهم أَلَّا يُزوِّجوا الصَّغيرة قبل الكبيرة! وهكذا وهكذا لأَعذارٍ تافهةٍ لا مبرِّر لها إِلَّا الجهل بأَحكام القرآن، والتَّشبُّث بعاداتٍ ما أَنزل الله بها مِن سلطان."

(1) المصدر السَّابق 203/2.

(2) المصدر نفسه 471/2-472.

المطلب الثَّالث

تزكية النَّفس[1]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [سورة النِّساء: الآية 49]

يقول الشَّيخ: "...وقد اتَّفق العقلاءُ على استهجان تزكية المرءِ نفسه بالقول ولو حقًّا، ومصدر هذه التَّزكية الجهل والغرور، ومِن آثاره السَّيِّئَة: الاستكبار عن قبولِ الحقِّ والانتفاعِ بالنُّصح..."

وذكر الشَّـــيخ قبل ذلك نوعين للتَّزكية فقال: "وتزكية النَّفس تارةً تكون بالعمل الذي يجعلها زاكيةً طاهرةً كثيرة الخير والبركة، بتنميةِ فضـائِلها وكمالاتها، ولا يكون ذلك إلَّا بالابتعاد عنِ الشُّـرور والآثامِ التي تعوقها عنِ الخير، وهذه التَّزكية محمودةٌ، وهي التي عناها الله سـبحانه وتعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾ [سـورة الشـمس: الآية 9] وتارةً تكون بالقول، بادِّعاءِ الكمال والتَّزكية الكاذبة (وهي مذمومةٌ كما ذكر في أَوَّل المطلب بعد الآية).

المطلب الرَّابع

توهُّم التَّضييق على الصَّالحين[2]

قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَـمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْـلٍ فَضْـلَهُ...الآية﴾ [سورة هود: الآية 3]

يقول الشَّيخ: "...إنَّنا نشاهد كثيرًا مِن الطَّيِّبين الصَّالحين، المستغفرين التَّائِبين، العاملين في الحياة، مضيَّقًا عليهم في الرِّزقِ! فأَين إذًا هو المتاع الحسن؟ وهو سؤَال نعتقد أَنَّه يتحرَّك على أَلسنة الكثيرين، ولابدَّ لإدراك المعنى الكبير الذي يتضـمَّنه النَّصُّ القرآنيُّ أَن ننظر للحياة مِن زاويةٍ أَوسع، وننظر إليها في محيطها الشَّـامل العام، إنَّه ما مِن جماعةٍ يسـود فيها أَو يغلب عليها نظامٌ صـالحٌ، قائِمٌ على إيمانٍ بالله، وعملٍ طيِّبٍ منتجٍ في الحياة إلَّا كان لها التَّقدُّمُ والرَّخاءُ والحياةُ الطَّيِّبةُ بصـفةٍ عامَّةٍ كجماعة، وإلَّا سـاد فيها العدل بين الجهد والجزاءِ بالقياسِ إلى الأَفراد بصفةٍ خاصَّةٍ، فإذا شاهدنا في جماعةٍ ما أَنَّ الطَّيِّبين العاملين المنتجين مضيَّقٌ عليهم في الرِّزق، فذلك شـاهدٌ على أَنَّ هذه الجماعة لا يسـودها نظامٌ مسـتمدٌّ مِن الإيمان بالله، قائِمٌ على العدلِ بين الجهد والجزاءِ، على أَنَّ الأَفراد الطَّيِّبين الصَّـــالحين المنتجين حتَّى في هذه الجماعة يُمتَّعون متاعًا حســنًا حتَّى ولو ضُــيِّق عليهم في الرِّزق- وحتَّى لو كانتِ الجماعة تطاردهم وتؤْذيهم، كما كان المشــركون يُؤْذون القلَّة المؤْمنة، وليس هذا خيالًا وليس ادِّعاءً، فطمأْنينة القلب إلى العاقبة والاتِّصـــال بالله، والرَّجاءِ في نصره، وفي إحسانه وفضله، عِوَضٌ عن كثير، ومتاعٌ حسنٌ للإنسان الذي يرتفع درجةً عنِ الحُسْنِ المادِّيِّ الغليظ، فذو الفضل يلقى جزاءَه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل، يجده رضًى نفسيًّا وارتياحًا شعوريًّا، واتِّصالًا بالله وهو يبذل الفضل:

(1) المصدر السَّابق 44/3.

(2) المصدر نفسه 462/5-463.

عملًا أَو مالًا متَّجهًا به إلى الله، أَمَّا جزاءُ الله له بعد ذلك فهو الفضل العظيم في النَّعيم المقيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: الآية97] هذا الجزاءُ الدُّنيويُّ والأُخرويُّ مكفولٌ لمن استجاب للدَّعوة التي جاءَ بها هذا الرَّسول الكريم، مِن لدنْ حكيمٍ خبيرٍ، أَمَّا جزاءُ الفريق الآخر المعارضِ المقابلِ للفريقِ الأَوَّل فهو ما يعرضه السِّياق فيما بعد ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ(3) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(4) أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ(5)﴾..."

الخـاتمة

من خلال ما قرأْتُ وكتبتُ، علمتُ وازددت علمًا فَبَدَت لي نتائِج ذلك، وهي كالتَّالي:

1. قارئ هذه السُّـطور يلمس بوضـوح اعتزاز المؤَلِّف بالإسـلام واعتباره منهج حياةٍ لكلِّ نواحيها الدِّينيَّة والدُّنيويَّة بلا اسـتثناء، فهو سبب لحياة وقوَّةِ أُمَّة الإسلام ما تُمسِّك بتعاليمه قولًا وعملًا ويقينًا.
2. ومِن جهةٍ أُخرى يلمس قارئ هذه السُّـطور حزنًا عميقًا لِمَا آل إليه أَمر المسـلين اليوم مِن خلال ربط المؤَلِّف للواقع المعاش بواقعٍ مريرٍ مرَّ مِن قبل كواقع اليهود وواقع الجاهليَّة الأُولى.
3. لم يكتف المؤَلِّف بعرض صـورةٍ واحدةٍ لحال المسـلمين بل دمج بين الصُّـورة المشـرقة في زمنٍ ذكر سـببها، والصُّـورة المظلمة ولم ينس ذكر سببه، ويتلخَّص السَّبب في كليهما في تقديم أَمر الله أَوِ الإعراض عنه بتقديم ومتابعة أَمر غيره.
4. عرض المؤَلِّف بعض المظاهر المعاشة التي اعتادها النَّاس وما هي مِن شرع الله بشيء، وذكر أَمثلةً لذلك منها ما يخصُّ الاحتفالات والذِّكريات ومنها ما يخصُّ المرأَة، ومنها ما يخصُّ عادت الأَكل، ومنها ما يخصُّ بيت الله الحرام، ونبَّه على خطورة ذلك وبيَّن سبب انتشارها.
5. حثَّ المسـلمين على تقوى الله، ووضَّـح خطأَ وزيف مَن ظنَّ أَنَّ أَهل الصَّـلاح مُضيَّقٌ عليهم بحسـب ما قد يُفهم مِن ظاهر الحال، وحذَّر مِن وهم ظنِّ واعتقاد علوِّ الدُّول الكافرة والفاسـقة، ورغَّب في تزكية النَّفس وتعويدها على الخير بالعمل لتحصـيل ذلك، وذَمَّ وحذَّر مِن تزكية المرءِ نفسه بالقول ولو حقًّا.
6. رغَّب وبقوَّةٍ في تتبُّع سيرة رسول الله الذي جاءَ بالميلاد الجديد للبشريَّة، وسيرة خيرِ منِ اقتفى أَثره مِن صحبه.
7. أَخيرًا: الأَمر إمَّا شرع وإمَّا أَهواء، ولا يجتمع ضلالٌ وهدى في القلب، فلن يكون إلَّا إسلام يعمُّ كلَّ أُمور الدُّنيا والدِّين.

هذا، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّينا محمَّدٍ وآله وصحبه والتَّابعين...

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، أَحمد عبدالسَّلام أَبُومُزَيْرِيق، دار المدار الإسلامي، ط1 2011.

حكم سفر المرأة من غير محرم بوسائط النقل المعاصرة

أ. د. رعد طالب كريم أ.د. شفاء رشيد حسن

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

الملخص

اولت الشريعة الإسلامية اهتماما بشؤون المرأة سواء كانت أمًّا أو أختًا أو بنتًا أو زوجة واعتنت بها حضورًا أو سفرًا، ومن بعض مظاهر هذا الاهتمام ما بينه الفقهاء في مسـالة سـفرها لوحدها، الا أن تكون في صـحبة زوجها أو ذي مَحرَم لها، وذلك لحديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم):

(لا يَحِل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة إلا مع ذي مَحرَم

فمع وضوح هذا الحكم، إلا أن نظرة فاحصة عن العلة والحكمة التي من أجلها اشتُرط الزوج أو المحرم فى سفر المرأة، تبين أن اشتراط الزوج أو المحرم إنما هو للمحافظة على المرأة وصيانتها من المخاطر المتوقعة فى السفر، فمتى ما حصل المعنى فقد تحقق الحكم الشرعي وتحصل مقصود الشارع، ولذا وددت ان اتناول هذه المسالة من البحث والتوضيح بشيء من الايجاز والاقتضاب في ضوء تعدد طرق ووسائل السفر الحديثة من وجهة نظر الفقهاء.

وقد قسـمت بحثي الى مبحثين تناولت في المبحث الاول الذي جعلته بمطلبين معنى المحرم للمرأة والسـفر واهم انواعه المعاصـرة، فيما جعلت المبحث الثاني بمطلب واحد في بيان حكم سفر المرأة مع بيان اراء المذاهب وادلتهم الشرعية. استخلصت بعدها اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث معززا ذلك بخاتمة مختصرة لذلك.

Abstract

Islamic Sharia paid attention to the affairs of a woman, whether she was a mother, sister, daughter or wife, and she took care of her when she was present or travelling, and some of the manifestations of this interest are what the jurists have mentioned in the issue of her traveling alone, unless she is accompanied by her husband or her mahram, and that is due to the hadith of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him). God bless him and grant him peace): (It is not permissible for a woman who believes in God and the Last Day to travel for a day and night except with a Muharram) With the clarity of this ruling, however, a closer look at the reason and the wisdom for which the husband or mahram is stipulated in the woman's travel, shows that the husband's or mahram's condition is to preserve and protect the woman from the risks expected while traveling, so when the meaning is achieved, the legal ruling has been fulfilled and it is obtained The intention of the legislator, and therefore I wanted to address this issue of research and clarification with some brevity and brevity in light of the multiplicity of modern ways and means of travel from the point of view of the jurists.

And I divided my research into two sections that dealt with the first topic, which I made with two demands, the meaning of the forbidden for women and travel, and its most important

contemporary types, while I made the second topic with one demand in explaining the ruling on women's travel with an explanation of the opinions of the sects and their legal evidence. Then the most important results were extracted from the research, which was reinforced by a brief conclusion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد النبي الأمين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

أمّا بعد:

ان موضوع سفر المرأة من المواضيع التي تثير جدلا واسعا في بلاد المسلمين، وهذا الجدل مصدره عدم وجود رؤية واضحة للنصوص الشرعية التي تعالجه، فمناقشة الأدلة دون النظر إلى الجو العام الذي قيلت فيه، والتمسك بالحرفية دون المقاصد خلق اختلافا لدى الكثيرين. فإنّ إطلاق الفتوى بتحريم سفر المرأة وحدها في وسائل النقل المعاصرة جعل الكثيرين يشككون بقدرة التشريع على مواكبة التغير الكبير الذي يحصل على منظومة الحياة المعقدة، وما نراه أنّ الله قد ختم شرائعه برسالة الإسلام وجعل فيها من المرونة ما يكفي لتكون دستورا للمسلمين إلى قيام الساعة مهما طرأ على منظومة الحياة من تطور وتقدم. لذلك أحاولت أن أقف على أهمّ ما جاء بهذا الخصوص من أدلة للوصول إلى نتائج ترضي الله تعالى، وتحقق مبتغى التشريع في إقامة أمر الدين والدنيا، بما يحقق الطمأنينة للفرد والمجتمع، بعيدا عن التعصب والتبعية العمياء وانسجاما مع مقاصد الشريعة الإسلامية القائمة على التيسير ورفع الحرج.

المبحث الاول

معنى محرم وسفر المرأة وبيان اراء الفقهاء

المطلب الأول

معنى المحرم في اللغة والاصطلاح

المحرم لغة: المِحْرَمُ: الحَرَامُ ويقال: هو ذو مَحْرَم منها، إذا لم يحل له نكاحها[1]

اصطلاحاً:

قال ابنُ الأثير: " ذو المِحْرم: من لا يحل له نكاحها من الأقارب، كالأب والابن والأخ والعم ومن يجري مجراهم " [2]، وقد أدخل ابن قدامة الزوج في تعريف المحرم اصطلاحا لصلوحه أن ينوب مكان أحدهم، فقال: " المِحرمُ: زوجها أو من تحرم عليه على التأبيد بنسب أو سبب مباح كأبيها وابنها وأخيها من نسب أو رضاع " [3]

وقيل ان المحرَم: هو كل من يحرم على الزوجة على التأبيد بنسب أو رضاع أو مصاهرة لقرابةٍ أو غير ذلك.ويشترط فيه أن يكون كبيراً بالغاً عاقلا. قال عبد الرحمن ابن قدامة: ويشترط في المحرم أن يكون بالغا عاقلا قيل لأحمد فيكون الصبي محرما؟ قال لا حتى يحتلم لأنه لا يقوم بنفسه فكيف تخرج معه امرأة وذلك لأن المقصود بالمحرم حفظ المرأة ولا يحصل ذلك من غير البالغ لأنه يحتاج إلى حفظ نفسه فلا يقدر على حفظ غيره.[4] فالمقصود هو حفظ المرأة و رعاية شئونها والعناية بها في السفر وهذا لا يتأتى من الطفل الصغير، وفي المميز الذي يكفي المرأة حاجاتها ويقوم بشئونها. والتأكيد في مسألة السفر على كونه كبيراً أعظم منه في الخلوة التي لا يلزم فيها إلا كونه مميزاً.وعندما تطلق كلمة محرم ينصرف إلى الأذهان علاقته بالمرأة المحرَّم عليه الزواج منها وأكثر ما يبحث بخصوصه اشتراط البعض ملازمته للمرأة عند سفرها

المطلب الثاني

معنى سفر المرأة وبيان اراء الفقهاء

تعريف السّفر

السفر لغةً: مأخوذٌ من الظهور والبروز، ومنه: أسفر الصباح إذا ظهر وبرز ولمع، ويُقال: طالَ سَفَرُ الرجلِ، وقيل: السفر يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال أي يكشفها ويوضّحها، وسَفَرَتِ المرأة عن وجهها: أي كشفته وأظهرته، والسَفَرُ كذلك: قطعُ المسافة وجمعه أسْفار، وهو كذلك: بَياضُ النهار، والسِّفْرُ بالكسر: الكتابُ، ويُجمَع على أَسْفار.[5]

السفر اصطلاحاً: (هو الخروج عن عمارة موطن الإقامة قاصداً مكاناً يبعد مسافة يصحُّ فيها قصر الصلاة)[6] وقيل: هو الخروج عن بيوت بلدٍ معين بقصد قطع مسافةٍ تزيد عن مسير ثلاثة أيام ولياليهنّ بسير الإبل أو مشي الأقدام.[7]

وقد بحث الفقهاء هذا الموضوع عند تعرضهم لوجوب الحج على النساء. ونظرا لاختلاف الأدلة التي اشترطت المحرم وعدم تحديدها زمنا معينا أو مسافة معينة لوجوبه فقد اختلفت آراء الفقهاء على أقوال أربع كما يلي:

أ- فمنهم من تمسك بظاهر الأحاديث المذكورة، فمنع سفرها بغير المحرم، ولو كان لفريضة الحج، ولم يستثن من هذا الحكم صورة من الصور.

ب- ومنهم من استثنى المرأة العجوز التي لا تُشتهى.

ج- ومنهم من استثنى من ذلك ما إذا كانت المرأة مع نسوة ثقات. بل اكتفى بعضهم بحرة مسلمة ثقة.

د- ومنهم من اكتفى بأمن الطريق. وحتى لا أطيل في ذكر كل ما ورد اكتفيت بذكر رأيين متقابلين :

الأول- يقول بتحريم سفر المرأة مطلقا من غير محرم، والثاني يقول بجواز سفر المرأة من غير محرم عند أمن الطريق.

الراي الاول: تحريم سفر المرأة بلا محرم: لتوافر الأدلة من السنة فالأصل أن لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم لقول النبي صلى الله عليه واله وسلم: لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم، فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش (كذا وكذا) وامرأتي تريد الحج. فقال: اخرج معها[8]

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم [9]،وقد رويت أحاديث كثيرة في النهي عن سفر المرأة بلا محرم وهي عامة في جميع أنواع السفر.

وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم سفر المرأة بدون محرم لغير ضرورة وحكى بعضهم الإجماع عليه[10] ولا يصح حكاية الإجماع لثبوت الخلاف قبل ذلك.

أدلة الجمهور: تواتر الأدلة العامة على تحريم سفر المرأة بلا محرم ولم تفرق بين أمن الطريق وغيره

الراي الثاني: جواز سفر المرأة بلا محرم

وذهب آخرون إلى جواز السفر بدون محرم بشروط يمكن منها أمن الفتنة كرفقة نساء وأمن الطريق وغير ذلك وهو مروي عن الحسن البصري ويروى عن الأوزاعي وداود الظاهري وقول عند الشافعية [11] وهو قول عند الحنابلة اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ذكره عنه أعلم الناس باختياراته ابن مفلح وإن كان له قول آخر[12] ويبدو أن قوله – الموافق للجمهور– في أول حياته لا سيما وأنه في شرح العمدة الذي ألفه في أول أمره مقرراً للمذهب.

فقد ذكر ابن مفلح[13] عن ابن تيمية: وعند شيخنا تحج كل امرأة آمنة مع عدم المحرم، وقال: إن هذا متوجه في كل سفر طاعة كذا قال ونقله الكرابيسي عن الشافعي في حجة التطوع. وقال بعض أصحابه فيه وفي كل سفر غير واجب كزيارة وتجارة [14].

و نقل النووي[15]: قال الماوردي: ومن أصحابنا من جوَّز خروجها مع نساء ثقات، كسفرها للحج الواجب، قال: وهذا خلاف نص الشافعي وآخرون. وسأناقش هذه الآراء في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

اتّفق العلماء على القول بجواز السفر للمرأة المسلمة بلا محرمٍ إن اضطرّت لذلك كأن تكون في بلاد الكفر وتريد الانتقال إلى بلاد الإسلام هروباً بدينها، كما أجازوا لها الانتقال من بلاد الخوف إلى البلاد الآمنة دون محرم؛ إنما جرى اختلافهم في سفر المرأة لأجل الطاعة أو أداء الفريضة كالحج، وقد فرّق بعضهم بين سفر الطاعة وسفر الواجب، وكان مُجمَل الخلاف بينهم عائدٌ إلى مسافة السفر المعتبرة في القصر؛ حيثُ ذهب السواد الأعظم منهم إلى حرمة سفر المرأة بلا محرم، وبيان أراءهم في هذه المسألة فيما يلي:

حيث يرى فقهاء المذهب الحنفيّ أنّه يحرم على المرأة السفر بلا محرم في كل سفرٍ مباحٍ أو حج تطوّع أو نحوهما شريطة أن يكون ذلك السفر طويلاً يتجاوز مسيرة الثلاثة أيام، وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يحلُّ لامرأة تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، أن تسافرَ سفرًا يكون ثلاثةَ أيامٍ، إلا ومعها أبوها أو ابنُها أو زوجُها أو أخوها أو ذو محرمٍ منها)[16]، فإن كان السفر دون مسيرة ثلاثة أيامٍ جاز لها السفر بلا محرم سواء كان السفر واجباً أو مباحاً أو تطوعاً [17].

وذهب المالكية إلى أنّه لا ينبغي للمرأة أن تسافر من دون محرم ما دام السفر يزيد عن مسيرة يوم وليلة، فإن قلَّ السفر عن ذلك جاز لها السفر بلا محرم؛ إذ إنّها لو منعت من السفر والسير في الأرض جملةً إلا مع ذي محرم لشقّ ذلك عليها وأدّى إلى فوات مصالحها[18] واستدلّوا على ما ذهبوا إليه بما رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحلُّ لامرأة تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، تسافرُ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ، إلا مع ذي محرمٍ عليها)[19] .

وذهب الشافعية في الراجح عندهم إلى أنّه لا يجوز للمرأة أن تسافر سفراً يزيد عن مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم، ودليلهم هو ما استدل به الحنفية من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه،

في حين أجاز بعض علماء الشافعية للمرأة السفر بلا محرمٍ بشرط أن يكون بصحبتها نساءٌ ثقات إذا كان القصد من سفرها أداء الحج الواجب، وبعضهم من أجاز لها السفر بغير مَحرَم؛ سواء أكان ذلك السفر واجباً أو غير واجب، وقال بعضهم: يجوز لها السفر بغير نساء ولا محرم إذا كان الطريق آمناً، وبهذا قال الحسن البصري[20] .

و ذهب الحنابلة إلى القول بأنه لا يجوز للمرأة السفر بلا محرمٍ إن كان السفر يزيد عن مسيرة يوم، ودليلهم ما استدلّ به المالكية بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وقال بعض الحنابلة أن المرأة إن حجَّت بلا محرم جاز حجُّها وأُثِمَت لمعصيتها أمر الله ورسوله، فإن كان سفرها دون مسيرة يومٍ فلا شيء عليها (اتفاقاً بين جميع الفقهاء)[21].

أما الأمامية فكان من النادر تعرّضهم لهذا الموضوع، ولهذا فإنّ المعروف بينهم هو الجواز من حيث المبدأ. ومن الذين تعرّضوا له بشكل مطلق الشيخُ المفيد حيث قال: (وليس للمرأة أن تسافر إلا مع ذي محرم لها) [22]. نعم، وقع الحديث عند فقهاء الأمامية عن حجّ المرأة بلا محرم، والمعروف بينهم عدم اشتراط المحرم [23]

وان منعها عن سفر الحج بلا محرم لا يلازم منعها من السفر مطلقاً؛ إذ لعلّ للحجّ خاصيّته وحكمه التعبّدي، أو لكونه طويلاً جداً ومحفوفاً بالمخاطر لا سيما في تلك الأزمنة.

لقد استُند في منع سفر المرأة بلا محرم إلى عدّة روايات مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

كما جاءت روايات أخرى عن أهل البيت تجيز سفرها مع رفقة ثقات، أو إذا كانت مأمونة، وهذا ما يفتي به الكثير من فقهاء الشيعة بصرف النظر عن خصوصيّة سفر الحجّ، فالعبرة بكون السفر لا يعرّضها للخطر أو للفساد الأخلاقي.

. ويمكن القول بانه قد اتفق أهل العلم على جواز سفر المرأة بلا محرم للضرورة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام والانتقال من البلد المخوفة إلى حيث البلاد الآمنة. وانه لا يجوز في التطوع وسفر التجارة والزيارة ونحوهما الا بمحرم

حكم السفر بالطائرة ووسائل المواصلات الحديثة:

فلا شك أن الله أنعم علينا بتقريب المسافات وذهاب كثير من الخوف والمهالك التي كانت تصيب الناس في سفرهم قديماً عبر تيسير وجود الطائرات والقطارات السريعة ونحو ذلك وما كان يقطع في أيام وأسابيع صار يقطع في ساعات معدودة.

فهل ان تغير الأحوال وسهولة السفر اليوم تغير في الحكم الشرعي في جواز سفر المرأة بلا محرم؟ فان قلنا أن العلة من التحريم هي السفر وإن كانت الحكمة المحافظة على المرأة (فالشارع يعلق الأحكام بالوصف الظاهر المنضبط ولا يعلقها بالحكمة التي يصعب ضبطها) فإن الحكم لا يختلف فالحكم معلق بالسفر حتى ولو كانت الحكمة منها المحافظة على المرأة فنقول برأي الجمهور.

وإن قلنا إن العلة من التحريم صيانة المرأة والمحافظة عليها فمتى ما حصل المعنى فقد تحقق الحكم الشرعي وتحصل مقصود الشارع.

ولا شك أن السفر بالطائرة اليوم بحيث يوصلها المحرم إلى المطار ويركبها الطائرة فتسافر في رفقة من الرجال والنساء وطاقم الطائرة ويأخذها المحرم الآخر أو الرفقة المأمونة من المطار الآخر فيه قدر كبير من الأمان والحفاظ على المرأة ربما أبلغ من سيرها في طرقات المدينة والأمور التي تحصل نادراً في المطارات والطائرات في حكم النادر والنادر لا حكم له[24].

قال الإمام الباجي في كلام نفيس بعد نقل أقوال الفقهاء في سفر المرأة للحج بدون محرم: ولعل هذا الذي ذكره بعض أصحابنا إنما هو في حال الانفراد والعدد اليسير، فأما القوافل العظيمة والطرق المشتركة العامرة المأمونة فإنها عندي مثل البلاد التي يكون فيها الأسواق والتجار فإن الأمن يحصل لها دون محرم ولا امرأة وقد روي هذا عن الأوزاعي[25].

ويتأكد هذا عند النظر إلى:

قاعدة ما حرم لذاته لا يباح إلا للضرورة، وما حرم لسد الذريعة فيباح للحاجة ولا شك أن سفر المرأة بغير محرم مما حرم سدًا للذريعة.

أن الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلَّف التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأصل العادات الالتفات إلى المعاني كما قرر ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله وأطال الاستدلال له[26]. ما جاء في حديث عدي بن حاتم مرفوعاً: يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة تؤم البيت لا جوار معها[27] فهو وإن كان من باب الإخبار إلا أنه في سياق مدح الزمان بانتشار الأمن ورفع منار الإسلام فيحمل على الجواز[28].

فعلى هذا نقول: الأولى أن لا تسافر المرأة بدون محرم مطلقاً فهذا أكمل في الحفاظ عليها وصيانة كرامتها إلا أنه يجوز للمرأة السفر بالطائرة مع رفقة مأمونة من النساء كعائلة مثلاً بالضوابط التي تحافظ على المرأة وتصونها ومن تلك الضوابط:

- إذا كانت هناك حاجة ملحة.
- استأذنت ولي أمرها.
- يصعب على المحرم مرافقتها أو امتنع من ذلك.
- لا يوجد توقف للطائرة أو ترانزيت ونزول في بلد وسيط.
- يوصلها محرمها للمطار ويأخذها من هناك محرم آخر أو رفقة أخرى.
- تحرص أن تكون ضمن رفقة نساء أو عائلة لتضمن من يجلس بجوارها

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه ومن ارسله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى اله وصحبه الطاهرين.

اما بعد:

فقد توصلتُ في بحثي المتواضع إلى أنّه لم يقم دليل مقنع على حرمة سفر المرأة بلا محرم سواء للحجّ أم لغيره، نعم يشترط أن تكون مأمونةً على نفسها ومالها، بحيث لا يكون في سفرها تعريضُ نفسها للضرر والأذيّة والاعتداء، ولا يلزم منه أيّ محذور شرعي آخر، وعلى هذا استقرّ مذهب الكثير من فقهاء الإسلام، وجمهور فقهاء الأمامية المعاصرين أيضاً، ويصبح الأمر أكثر وضوحاً مع رضا أهلها أو زوجها.

الهوامش

(1) مختار الصحاح: (56/1).

(2) النهاية: (1/377).

(3) المغني: (2/32).

(4) الشرح الكبير: (3 /194).

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 3/ 82_83 بيروت دار الفكر.

(6) معجم لغة الفقهاء، محمد القلعجي، بيروت، دار النفائس 245/1.

(7) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي عبد النبي، بيروت دار الكتب العلمية 123/2.

(8) (البخاري 1763).

(9) الصحيحان (البخاري 1038، مسلم 1339).

(10) (حكاه القاضي عياض والبغوي).

(11) (المجموع 342/8).

(12) شرح العمدة (172/2-177) والفتاوى الكبرى (381/5)

(13) الفروع: لابن تيمية (177/3).

(14) المصر نفسه.

(15) المجموع للنووي: (342/8)

(16) صحيح مسلم ص :1340

(17) الاختيار لتعليل المختار لعبدالله الحنفي، بروت دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة 151/1

(18) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، شمس الدين لمغربي، بيروت، دار عالم الكتب 493/3

(19) صحيح مسلم ص 1339

(20) المجموع، شرح المهذب محي الدين النووي، دار الفكر، بيروت 341/8

(21) المغني لابن قدامة 229/3، القاهرة، مكتبة القاهرة

(22) (أحكام النساء: 29)

(23) العروة الوثقى 4: 451؛ والمحقّق الحلي، شـــرائع الإســـلام 1: 168؛ والعاملي، مدارك الأحكام 7: 89؛ والنجفي، جواهر الكلام (17: 330)

(24) وقد أفتى بذلك الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله (انظر فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق 201/1)

(25) المنتقى شرح الموطأ 17/3

(26) (الموافقات 209/5)

(27) (رواه البخاري 9/ 125.

(28) انظر عمدة القاري (28)148/16

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. احكام النساء: عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ابو الفرج: المحقق عمرو عبدالمنعم سليم (ت 597هج).
2. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي عبد النبي، بيروت دار الكتب العلمية 123/2.
3. جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي (ت 1266 هج) في مدينة النجف
4. شرح العمدة: احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن عبد الله بن ابي القاسم الخضر النميري الحنبلي الدمشقي (ت728هج).
5. الشـــرح الكبير على متن المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن قدامة المقدســـي الجماعيلي الحنبلي ابو الفرج شمس الدين (ت 682هج) في دمشق دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع تحقيق محمد رشيد رضا
6. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (ص) وسننه وايامه: محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، طبعة دار ابن كثير.
7. صحيح مسلم: ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.
8. العروة الوثقى: الســيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي احد فقهاء الشــيعة البارزين (1337هج) المجموعة فقه الشــيعة من القرن الثامن، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الاولى.
9. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن احمد العيني بدر الدين ابو محمد، مفهرس على العناوين الرئيسية (ت855هج)، النشر دار احياء التراث.
10. الفتاوى الكبرى: تقي الدين ابو العباس احمد بن عبدالحليم بن تيميه، دار الكتب العلمية.
11. فتاوى ووسائل الشيخ عبدالرزاق :وليد بن ادريس السعيد ابن صابر بن عبده غير مفهرس، النشر دار ابن حزم.
12. الفروع: القاضي شمس الدين ابي عبدالله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الراميني لمقدسي الدمشقي الصالحي (ت 763هج).
13. القاضي عياض: ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي قاضي مالكي علامة فقيه مؤرخ (ت 1149هج) مراكش ن المغرب.
14. الكرابيسي: العلامة فقيه بغداد ابو علي الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الشافعي (ت 248هج).
15. كناب المجموع شرح المهذب للشيخ ابي اسحاق الشيرازي ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت: 676(هج)، النشر دار الفكر بيروت.
16. المحقق الحلي: ابو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي (ت676هج) الملقب بالمحقق الاول والمحقق الحلي وهو من علماء الفقه والاصول الشيعية في القرن السابع الهجري
17. مختار الصــحاح: زين الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (ت :666 هج) المحقق الشــيخ محمد، دار الطبع ن لبنان،بيروت.

18.مدارك الاحكام في شرح شرائع الاسلام: السيد محمد بن علي الموسوي العاملي، تحقيق مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لأحياء التراث.

19.معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي ابو محمد قسم تفسير القران، النشر: دار طيبة.

20.معجم لغة الفقهاء، محمد القلعجي، بيروت، دار النفائس 245/1.

21.معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسين (ت 395 هج) المحقق عبدالسلام محمد هارون الناشر، دار الفكر العام

22.المغني: ابو محمد موفق الدين عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي.

23.المنتقى شرح الموطئ ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث النجيبي القرطبي الباجي الاندلسي (ت 474 هج) دار النشر مطبعة السعادة.

24.الموافقات: ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هج)، المحقق ابو عبيدة المشهور ابن حسن ال سلمان.

25.النجفي: بشير حسين بن صادق علي محمد ابراهيم بن عبدالله الهندي النجفي، مرجع شيعي معاصر من ولاية البنجاب بالهند (م 1942).

26.النهاية في غريب الحديث والاثر: مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الاثير (ت: 606 هج) تحقيق طاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

دور الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والإرهاب
كلية الإمام الأعظم إنموذجا

أ. د عباس علي حميد العبيدي
كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى
dr.abbasali@uoiyala.edu.iq
أ. م. د بكر عباس علي الأركي
كلية القانون – جامعة ديالى
baker-abbas@uoiyala.edu.iq

الملخص

لا شك أن الإرهاب والغلو والتطرف آفات خطيرة، ينبغي على المؤسسات العلمية، أن تأخذ دورها في التصدي لها، ووضع السبل الكفيلة في مواجهتها والحد منها.

ومن بين أهم هذه المؤسسات الجامعات والكليات التي تعني بتدريس علوم الشريعة الإسلامية، ومن هنا جاء هذا البحث موسوما ب(دور الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والارهاب كلية الامام الاعظم إنموذجا)، وقد ارتأى الباحثان ان يبينا دور هذه الكليات في معالجة جانب من جوانب الخلل الفكري والعملي والذي ذهب ضحيته فئام من المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله. وقد تضمن البحث مبحثين أساسيين هما:

المبحث الأول: ماهية الغلو والتطرف والارهاب وأسباب ظهورها في المجتمع

المبحث الثاني: أثر الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والارهاب والمخرجات العلمية والعملية لكية الامام الاعظم، وقد قام بكتابة المبحث الأول الأستاذ المساعد د. بكر عباس علي الأركي، والمبحث الثاني تولى كتابته الأستاذ د. عباس علي حميد العبيدي. سائلين الله تبارك وتعالى السداد والرشاد.

Abstract

The research included two main topics:

The first topic: The nature of extremism, extremism and terrorism and the reasons for their emergence in society

The second topic: The impact of Sharia colleges in combating extremism, extremism and terrorism and the scientific and practical outputs of the Grand Imam College. The first topic was written by Assistant Professor Dr. Bakr Abbas Ali Al-Arki, and the second topic was written by Professor Dr. Abbas Ali Hamid Al-Obaidi. Asking God, the Exalted, for guidance and guidance.

المقدمة

الحمد لله المحمود على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوته من خلقه وعلى آله وصحبه الى يوم المثوبة والقرار.

لقد جاء الإســـلام بمنهاج قويم لتربية النفوس وتنشـــئة الأجيال وتكوين أمم وحضـــارات وإرســـاء قواعد المجد والعزة وتحويل الإنســانية من ظلمات الشــرك والجهالة والضــلال والفوضــى إلي نور التوحيد والعلم والهدى والاســتقرار امتثالا لقوله تعالى: ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضــوانه ســبل الســلام، ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه، ويهديهم إلي صراط مستقيم)) [1]

والشريعة الاسلامية الغراء جاءت لتحقيق مصـالح العباد في المعاش والمعاد، هدفها المنشـود إقامة مجتمع إسـلامي يسـوده الأمن والاسـتقرار بعيدا عن التنطع والتشـدد والغلو والتطرف، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال تمييع القيم وتضـييع الحدود، بل على العكس يجب أن نكون حريصين كل الحرص على إقامة شرع الله ومراعاة قيمه السامية ولكن وفق المنظور الاسلامي الصحيح، وهنا يأتي دور الكليات الشــرعية في هذا المضــمار. لذا ارتأى الباحثان ان يبينا دور هذه الكليات في معالجة جانب من جوانب الخلل الفكري والعملي وقد ذهب ضـحيته فئام من المسـلمين ولا حول ولا قوة الا بالله. وقد جاء هذا البحث موسـوما ب(دور الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والارهاب كلية الامام الاعظم انموذجا)،وقد تضمن البحث مبحثيين أساسيين هما:

المبحث الأول: ماهية الغلو والتطرف والارهاب وأسباب ظهورها في المجتمع

المبحث الثاني: أثر الكليات الشــرعية في مناهضــة الغلو والتطرف والارهاب والمخرجات العلمية والعملية لكية الامام الاعظم. مع مقدمة وخاتمة سائلين المولى سبحانه وتعالى السداد والهداية والرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) ينظر:المائدة:15

المبحث الأول

ماهية الغلو والتطرف والارهاب واسباب ظهورها في المجتمع

المطلب الأول

معنى الغلو والتطرف والإرهاب

معنى اللغو:

قال الجوهري في الصحاح:((غلا في الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد)). وقال الفيروزآبادري في القاموس: ((غلا غلاء فهو غالٍ وغَلِيّ ضد الرخص... وغلا في الأمر غلوا جاوز حدّه)). ووافقه الزبيدي في تاج العروس. وقال ابن منظور في اللسان: ((.... أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. [1]وقا ل ابن فارس في المعجم:((غلوى: الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاعٍ ومجاوزة قدرٍ,)) اهـــ. وكذا نحوه في المجمل [2].ومما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على " الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد "..

معنى التَطرّف:

التطّرف هو تفعَّل – بتشـــديد العين – من طرف يطرف طَرَفا بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى [3] ومفهوم التطرف في العرف الدارج – في هذا الزمان –: الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حز

معنى الإرهاب

الإرهاب لغة: مصدر مأخوذ من رَهب كعلم يرهب رهبا ورهبابا وأرهابا بالفتح

والكسر، وهو الإخافة والتخويف[4]

مصطلح الإرهاب المعاصر

وقد صدر في تحديده بيان عن مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته السادسة عشرة، المنعقدة في شوال من عام 1423هـ بمكة المكرمة، حيث حدَّدوا الإرهاب بتحديد سبقوا به جهات عالمية عديدة غالطت في معناه ودلالاته، وجاء في بيانهم أن: ((الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله،

(1) ينظر: ينظر«القاموس المحيط و تاج العروس و لسان العرب و معجم مقاييس اللغة و الصحاح والمصباح المنير كلهم في مادة غلا.

(2) ينظر: في المجمل مادة غلا والمعجم مادة غلوى.

(3) ينظر: القاموس المحيط ، و تاج العروس و لسان العرب و معجم مقاييس اللغة و الصحاح والمصباح المنير مادة (طرف).

(4) ينظر: القاموس و تاج العروس و لسان العرب و الصحاح و المصباح المنير و معجم مقاييس اللغة. مادة (رهب).

وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذا لمشـــروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أقوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد مرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر)).[1]

المطلب الثاني

أسباب ظهور الغلو والتطرف والإرهاب في المجتمع

أ: الأسباب الدينية والسياسية

1- البعد عن شريعة الله هو سبب الضلال والعمى والشقاء الذي نعاني منه الآن في كثير من بلدان الإسلام.

2- الظلم والعدوان واستعمال القسوة ضد البشر وخصوصا في الانظمة الدكتاتورية التي تصادر حقوق الانسان الاساسية.

3- مطلب تحقيق المصير الذي يواجه دائما الرفض من قبل الانظمة السياسية المنغلقة

4- فقدان النظام المؤسساتي في اساليب الحكم وغياب الطابع المدني. وكذلك فان طرق المعالجة والمكافحة للتعصب والتطرف والارهاب يضاف اليها ضرورة وجود تعاون مجتمعي دولي واقامة اسس الحكم الديمقراطي وحكم الاغلبية من خلال مؤسسات دستورية وقياك دولة القانون اضافة الى احترام حقوق الانسان الاساسية وحمايتها وضمانتها.

5- الإحباط السياسي: فإن كثيرًا من البلدان العربية والإسلامية لم تكتف بتهميش الجماعات الإسلامية وعدم الاكتراث بها، بل وقفت في وجهها، وتصدت لأربابها، وحصرت نشاطها، وجمدت عطاءها.

6- إهمال الرعية أو التقصير في أمورهم وما يصلحهم: إن على جميع من يلي أمرًا من أمور المسلمين أن يقوم بما أمره الله به بأداء الأمانة، وحفظ الديانة، والنصح للأمة، والصدق مع الرعية، وتلمس حاجات الناس، وتحقيق الحياة الكريمة لهم. ومتى ما أهمل أرباب المسؤولية رعاياهم، أو قصروا مع شعوبهم، أو تشاغلوا عن محكوميهم، فذلك مفتاح الضياع، وطريق المهالك، ومتنفس الضلال؛ «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[2] .

(1) ينظر: البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته 16، المنشور في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

(2) ينظر: أسباب العنف والتطرف وكيفية علاجها-الشيخ الدكتور صالح بن غانم...
www.al-forqan.net/articles/3229.html

7-المظالم التي ترتكب من قِبَل منْ شأنهُم أن يعدلوا بين الناس فهذا يوجد روحًا من السخط لعدم التعبير عن الرأي الذي حكر أو سجن أو عوقب صاحبه وضيق عليه.

8- التحزبات السرية التي نتجت عن قراءات خاصة ومفاهيم خطأ لايعرفها أهل العلم. يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إذا رأيت قومًا يتناجون في شيء من الدين دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة».إن دراسة فاحصة للجذور الفكرية للجماعات والأحزاب في «حياة المسلمين المعاصرة» تتطلبُ نظرةً عميقةً لهذه الفِرقِ والجماعات والأحزابِ الدّاعيةِ إلى ذواتِها حصرًا؛ حيثُ تُصور كل فرقةٍ وجماعةٍ وحزب إلى الناس أنها هي القائمةُ على الإسلام، وكلَّ من عداها مخالفٌ لها، وهذا التصور القاصر نراهُ عندَ الجميع مطردًا ومتفقًا عليه. ولهذا كان الجميع أهل فتنة وبدعةٍ، وليس هذا الحكمُ صادرًا فيهم عن رأي أو هوىً، بل هو ما اتفقَ عليه أهلُ العلمِ من المحققين وحكمهم في أولِ فرقةٍ وهي «الخوارج» وحتى آخر فرقةٍ ظهرتْ في هذا الوقت. فكل تطرف في الدين أو غلو فيه لدى المسلمين فسببه هذه الفرق والجماعات والأحزاب، وهي بمجموعها مصدر البدع والفتن والأهواء والآراء، وأصل كل شر معارضةُ الشرع بالرأي، وتقديم الهوى عليه.

9- الاستعمار والسيطرة الاستعمارية وانتهاك حقوق الناس وأخذ أموالهم بالباطل واحتلال الأراضي وانتهاك الحرمات والقتل والتدمير والاغتصاب وإجبار الناس على النزوح وترك أراضيهم وأوطانهم هذا يولد الإرهاب والعنف والتطرف.

ب- الأسباب العلمية

1- الجهل بين الافراد والجماعات وحتى قيادة الدولة التي تمارس ارهاب الدولة.والجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه: إن من علامات الساعة أن يتحدث الرويبضة في شأن العامة والقضايا المصيرية.

2- الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم،

3- الغلو في الفكر: وهو مجاوزة الحد، وهذا الغلو أو ما قد يصطلح عليه بـ (التطرف) خطير جدًا في أي مجال من المجالات، والإسلام قد حذر منه حتى ولو كان بلباس الدين

4- تقصير بعض أهل العلم في القيام بواجب النصح والإرشاد والتوجيه:

5- اعتماد الشباب بعضهم على بعضٍ دون الرجوع إلى العلماء: يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا». قال ابن قتيبة في تفسير ذلك: «لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ، قد زالت عنه حِدَّة الشباب ومتعته وعجلته

واستصحب التجربة في أموره فلا تدخل عليه في علمه الشبه، ولا يستميله الهوى، ولا يستزله الشيطان، والحَدَثُ قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ».

ج- الاسباب النفسية

1- حب الظهور والشهرة؛ حيث لا يكون الشخص مؤهلًا فيبحث عما يؤهله باطلًا فيشعر ولو بالتخريب والقتل والتدمير.

2- الإحباط: أحد أسباب الخروج على النظام وعلى العادات والتقاليد هو الإحباط وشعور الشخص بخيبة أمل في نيل حقه أو الحصول على ما يصلحه ويشفي صدره

3- الفشل في الحياة الأسرية من أهم الأسباب المؤدية إلى جنوح الأفراد واكتسابهم بعض الصفات السيئة.

4- الفشل في التعليم الذي يعد صمام الأمان في الضبط الاجتماعي ومحاربة الجنوح الفكري والأخلاقي لدى الفرد، والفشل في الحياة يُكَّون لدى الإنسان شعورًا بالنقص وعدم تقبل المجتمع له

5- الإخفاق الحياتي، والفشل المعيشي، وقد يكون إخفاقًا في الحياة العلمية أو المسيرة الاجتماعية، أو النواحي الوظيفية، أو التجارب العاطفية.

د- الأسباب الاجتماعية

1- إن من أسباب نشوء الأفكار الضالة ظهور التناقض في حياة الناس وما يجدونه من مفارقات عجيبة بين ما يسمعون وما يشاهدون، فهنالك تناقض كبير أحيانًا بين ما يقرؤه المرء وما يراه، وما يتعلمه وما يعيشه، وما يُقال وما يُعمل، وما يدرَّس له وما يراه، مما يحدث اختلالًا في التصورات، وارتباكًا في الأفكار.

2- تفكك المجتمع وعدم ترابطه لا يشعر الشخص أمام هذا المجتمع المفكك بالمسؤولية تجاهه ولا الحرص عليه ولا الاهتمام به ولا مراعاة الآخرين.

3- الفراغ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ)).

هـ- الأسباب الاقتصادية

1- الفقر والبطالة التي يعاني منها الناس واحيانا التعمد من قبل الدولة في خلق هذه الحالة بهدف ابادة الجنس البشري للتخلص من عرق او جماعة معينة غير موالية للنظام السياسي القائم.

2- البطالة: انتشار البطالة في المجتمع داء وبيل، وأيما مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلون، وتنضب فيه فرص العمل، فإن ذلك يفتح أبوابًا من الخطر على مصارعها، من امتهان الإرهاب والجريمة والمخدرات والاعتداء والسرقة، وما إلى ذلك.

و- الأسباب التربوية:

1- ومن هذه الأسباب قلة القدوة الناصحة المخلصة التي تعود على الأمم بغرض النفع إرضاءً لله تبارك وتعالى وحبًا في دينهم وأوطانهم، وغياب القدوة يؤدي إلى التخبط وعدم وجود المرجعية الصالحة والأسوة الحسنة من عوامل التفكك والانحطاط والتخلف.

2- غياب التربية الحسنة التي توجه الأفراد للأخلاق القيمة الحسنة.

3- نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفاسد الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس[1] !

مما عرضناه يتبين أن للغلو والتطرف أسباب عدة يجب على ذوي الشأن التنبه لها،مع محاولة وضع العلاج الناجع لمعالجتها بطريقة علمية سلمية.

(1) ينظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف
docs.amanjordan.org/files.php?file=docs/65.pdf

المبحث الثاني

أثر الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والارهاب والمخرجات العلمية والعملية لكية الامام الاعظم

المطلب الأول

أثر الكليات الشرعية في مناهضة الغلو والتطرف والارهاب

لا شك أن الدعوة الإسلامية في الكليات الشرعية هي امتداد لرسالة النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وهي مشروع عظيم عمادها العلم الشرعي في مصادره الأصيلة عقيدة وفقها وتفسيرا وسنة وغيرها. وهذا ما أدركه الذين درسوا الإسلام فلقد كان التكوين الفكري له تكوينا علميا، يستند على العلم الشرعي الذي يصح به تدينهم وتتثقف به أفكارهم [1]، فأمة الإسلام أمة العلم والتعلم وهذا مايعترف به المؤرخون المنصفون وإن كانوا من غير العرب، ولقد أعجب المفكر الغربي (كوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) أعظم الإعجاب من شغف العرب بالعلم، ولقد كان إعجابه أعظم أن رأى هذا الشغف منبعثًا منهم عن الدين نفسه. وقال في ذلك: إن العلم الذي استخفت به أديان أخرى قد رفع المسلمون من شأنه عالياً، وإليهم ترجع في الحقيقة هذه الملاحظة الصائبة القائلة باسم الدين: "إنما الناس هم الذين يتعلمون والذين يعلمون، وأما من عداهم فمضر أو لا خير فيه" مشيراً بذلك إلى الحديث الصحيح "ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردًى. وما استقام دينه حتى يستقيم عمله. [2] وفي رواية، حتى يستقيم عقله"، أي بالعلم. ثم يستمر (كوستاف) في كتابه فيقول:- إن النشاط الذي أبداه العرب في الدراسة كان مدهشاً جداً، ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما أظن من سبقهم. وكانوا إذا ما استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الأولى إلى تأسيس جامع وإقامة مدرسة، وعدا مدارس التعليم البسيطة فإن المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة الخ، كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر والمراصد والمكتبات الغنية، وبكلمة واحدة كانت هذه الجامعات مجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية، وكان في أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة، وكانت مكتبة الخليفة (الحكم الثاني) في قرطبة تحتوي كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة ألف مجلد كان فيها للفهرس فقط أربعة وأربعون مجلدا. وقد لوحظ بحق، أن (شارل الحكيم) لم يستطع بعد أربعمائة سنة من هذا التاريخ أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد. وكاد أن يكون ثلثها فقط خارجاً عن علم الكهنوت.[3]

(1) ينظر: بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله،مجموعة من الباحثين وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية 1421، 5\246

(2) ينظر: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة،79/5،الحديث رقم (4726)

(3) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام،عبد الفتاح بن سليمان عشماوي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1423 هـ / 2002 م، العدد(57) ص116

ولكن ذلك الدور الريادي الذي كان يتمتع به المسلمون من خلال جامعاتهم ومدارسهم بدأ يتقهقر مع الأسف الشديد خصوصا بعد سقوط الأندلس، يقول أحد المفكرين الإسلاميين المعاصرين: "هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره، لقد مَرَّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس، ليتعلموا كتابهم المقدس –التوراة– من علماء المسلمين. أما الآن فقد انقلب الأمر رأسًا على عقب حيث أصبح المسلمون –وأسفاه– يرجعون إلى أهل الغرب "أوروبا وأمريكا" يسألونهم: ما هو الإسلام، وما هو تاريخه، وما هي حضارته؟ ليس هذا فقط. بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي. وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين لا يجعلونه مادة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيمانًا راسخًا مع أنهم –أعني أهل الغرب– قوم لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولا في أتفه الأمور. [1]

لذا والحال هذه يلزم من الكليات الشرعية بالذات إيجاد العدد الكافي من الدعاة المتمسكين مع تدريبهم تدريباً عملياً لنشر الدعوة الإسلامية وهذا يستلزم إنشاء وتطوير معاهد متخصصة[2] يقوم عليها رجال مُتمرّسون ملتزمون قادرون على إعطاء المعرفة اللازمة والفكر الإسلامي المتجدد.

ومن الممكن تقسيم هؤلاء إلى ثلاث مجموعات: [3]

* المجموعة الأولى الإداريون: ومهمتهم وضع البرامج والإشراف على تطبيق الخطط وإعادة النظر فيها تعديلاً وتقويماً.

* المجموعة الثانية الدعاة: الذين ينقلون المعرفة الإسلامية إلى الناس ويبصرونهم بأحكام دينهم في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والجنايات وغير ذلك من أحكام الإسلام وآدابه ويجادلونهم بالحكمة والموعظة الحسنة حتى ينتقلوا بهم إلى مرحلة التطبيق العملي والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية في سائر المجالات.

إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى دعاة يتحلون بالصبر ويتصفون بالحلم، يجمعون القلوب ويقررون أمر العقيدة السليمة ويغرسون شرائع الإسلام الصحيحة في قلوب المسلمين بالتؤدة والأناة والحكمة والموعظة الحسنة، يعاشرون الناس على بصيرة من أمرهم إن رأوهم على صواب تعاونوا معهم وإن رأوهم مخطئين بصَّروهم بالدعوة ودعوهم بالحكمة على ضوء الكتاب والسنة وهدي سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم.

(1) ينظر: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو الأعلى المودودي، ص271.نقلا عن كتاب لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب،مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة 1425هـ-2004م،ص207

(2) ويعتقد الباحثان أن من أسباب تراجع الجامعات الشرعية عن دورها الريادي في المجتمع حتى أصابها ما أصاب أترابها كالأزهر وجامعة ام درمان حيث ألحقت بها كليات العلوم التجريبية مما أثر على رسالتها وصرف الاهتمام عنها كواحدة من أهم روافد تأهيل الدعاة المتخصصين في الجوانب الشرعية 0

(3) قضية وحوار العنف في العمل الإسلامي المعاصر، جماعة من العلماء، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات،1/74

وتلك سمة الدعوات العامة المخلصة التي تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على منهجها، إنها تحس نبض المجتمع جساً صحيحاً أميناً لتهتدي إلى الداء الحقيقي ومواضع الضعف في جسم هذا المجتمع وتضع أصبعها عليه وتضرب على الوتر الحساس دون كلل أو ملل.

كما فعل شعيب عليه السلام في دعوته، فبعد أن دعا إلى التوحيد وجه الدعوة إلى إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم وحذر من التطفيف؛ إذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيه وسمته البارزة وكذلك فعل غيره من الأنبياء. وهذه أيضاً كانت سنة الدعاة إلى الله من المخلصين الربانيين في تاريخ الإسلام.

* المجموعة الثالثة الباحثون: الذين يعملون على توسيع آفاق المعرفة في مجال تطبيق الشريعة الإسلامية، وذلك بإبراز مزايا ومحاسن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ويتمثل عمل هؤلاء في إنشاء مراكز ومنابر لها سلطة التأثير على فكر الأمة وتوجيهها، وذلك كمراكز البحث العلمي والمجامع الفقهية والمؤتمرات والندوات والإصدارات المتخصصة. سادساً: يجب على الداعين لتطبيق الشريعة الإسلامية والمنادين بتحكيمها أن تكون دعوتهم واضحة لا غموض فيها، محددة المفاهيم والضوابط بمعنى أن تطبق الشريعة الإسلامية كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وكما طبقها هو وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم واقعاً عملياً في الحياة بمفهومها الشامل الواسع. [1]

المطلب الثاني

المخرجات العلمية والعملية لكلية الامام الاعظم

نبذة مختصرة عن كلية الامام الاعظم:

كلية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى في جامع أبي حنيفة في بغداد، وهي مدرسة دينية تهتم بتدريس العلوم الشرعية الإسلامية، وشيدت هذه المدرسة بجوار مشهد أبي حنيفة المتوفى عام 150 هـ/767م، وسميت باسمهِ، وشيدها شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور الخوارزمي، مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي عام 459 هـ1066/، يقول ابن الجوزي البغدادي المتوفى عام 597 هـ، في كتابهِ المنتظم: (وفي سنة 459هـ بنى أبو سعيد المستوفي مشهد أبي حنيفة وعمل لقبرهِ ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بإزائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسة([2])، وذكر هذه المدرسة ابن خلكان المتوفى سنة 681 هـ، في تاريخه. ولقد درس فيها علماء أعلام منهم الشيخ ضياء الدين أبو الفضل أحمد ابن مسعود التركستاني المتوفى عام 610هـ، وأبو الفضل شجاع بن الحسن المتوفي عام 557هـ، وأبو الحسن مسعود بن الحسين القاضي المتوفي عام 571 هـ، وأبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله الواسطي المتوفى عام 594 هـ، وعبد الملك بن عبد السلام اللمغاني المتوفي عام 648 هـ، وتاج الدين بن

(1) قضية وحوار العنف في العمل الإسلامي المعاصر، جماعة من العلماء، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات،1/74

(2) ينظر:المنظم لابن الجوزي 100/16

السباك البغدادي المتوفي عام 750 هـ، والشيخ أحمد السمين الألباني المتوفي عام 1320 هـ/1902م، والشيخ حسين البشدري المتوفي عام 1322 هـ/1904م، وغيرهم كثير. (1)

وتم بناؤها مرة أخرى في عهد الدولة العثمانية في عام 1911م، حيث طالب الشيخ العلامة نعمان الأعظمي السلطان العثماني بما لجامع أبو حنيفة من حقوق مغدورة وكانت مجلتهِ التي يصدرها (تنوير الأفكار) والتي كانت تنطق بلسانهِ فحصل بجده وسعيهِ على موافقة السلطان لإنشاء كلية في الجامع، وكان للشيخ نعمان الفضل الأكبر في السعي لإنشائها وبنائها، وتعتبر من مآثرهِ وجليل أعمالهِ. (2)

وفي عام 1923م صدر الأمر الملكي من المملكة العراقية بإعادة (الكلية الأعظمية) وجعلها تابعة لديوان وزارة الأوقاف. وفي عام 1924م، عين الشيخ نعمان الأعظمي مديراً لكلية الإمام الأعظم في الأعظمية، وقد أبدل اسمها إلى (دار العلوم العربية والدينية). وكان لهُ مجلس يقيمه فيها ويتردد عليه الناس للوعظ والأرشاد. وقد تولى عمادتها من بعدهِ المؤرخ الأستاذ ناجي معروف، ثم عين الأستاذ هاشم الألوسي عميداً لها.

في عام 1967م، صدر القانون رقم 38 للجمهورية العراقية وبموجبهِ أُسست باسم ((كلية الإمام الأعظم)) مرة أخرى.

في عام 1974، صدر قرار مجلس قيادة الثورة بإلغاء التعليم الأهلي، معتبراً الأوقاف جهة أهلية فأممت هذه الكلية وألحقت بوزارة التعليم العالي.

في عام 1980م، صدر قرار مجلس قيادة الثورة بدمجها بجامعة بغداد وتسميتها بكلية الشريعة، ثم صدر قانون يقضي بتسميتها المعهد العالي لإعداد الأئمة والخطباء.

وبعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م، قررت الهيئة التدريسية وبالاجماع ارجاع تسميتها للاسم الأول ((كلية الإمام الأعظم ((واليوم صارت هذه المدرسة كلية تُدرس فيها مختلف العلوم الشرعية الإسلامية، كالفقه والعقيدة والدعوة والإرشاد، وهي تعتبر من أقدم المدارس العلمية في بغداد التي ما زالت عاملة لحد الآن. ومازالت بجوار الجامع الى اليوم كلية الامام الاعظم والتي هي امتداد للمدرسة القديمة، وتدرس الفقه الاسلامي بمذاهبه المختلفة مع بقية علوم الشريعة واللغة العربية.. وقد خرجت الالاف من الطلاب الذين يحملون اليوم لواء الدعوة والارشاد في اصقاع العراق المترامية.. والحقت به مؤخرا دار للفتوى يضم نخبة من العلماء للنظر في فتاوى الناس ومشكلاتهم الحياتية، فضلا عن تأهيله لنخبة من طلبة العلم للعمل كمفتين. وتحتوي كلية الإمام الأعظم الجامعة على عدة اقسام منها قسم الفقه وأصوله، أصول الدين، الدعوة والخطابة، اللغة العربية، التأريخ، الحضارة الاسلامية، واللغة الانكليزية، والقانون فمجموع الأقسام يكون 40 قسم، وهي منتشرة في بغداد، ونينوى، والانبار، وديالى،

(1) ينظر:البغداديون أخبارهم ومجالسهم، إبراهيم عبد الغني الدروبي،ص 266-267 وكتاب أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، وليد الأعظمي،ص123،كتاب دليل خارطة بغداد المفصل – الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة،1/205

(2) ينظر: التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى رؤية معاصرة،د/جمال الدين فالح الكيلاني،مكتبة المصطفى،القاهرة، ص352.

وسامراء، والبصرة، وكركوك. ورغم تردي الوضع الأمني في عموم البلاد فإنَّ مجموع طلبة كلية الإمام الأعظم الجامعة يبلغ اليوم بفضل الله تعالى اكثر من 10000 طالب، ينهلون من نبع صاف ومنهج سوي يقوم على الوسطية والاعتدال والانفتاح الفكري، ونبذ التنطع والتعصب أيا كان شكله ولونه تماشيا مع روح الشريعة الاسلامية الغراء قال تعالى:(وجعلناكم أمة وسطا) [1]،وهذا بين واضح من خلال المناهج الدراسية التي تدرس في هذه الكلية وفي كل المراحل الدراسية الأولية والعليا فضلا عن المؤتمرات والندوات وكثير من الحلقات النقاشية التي أقيمت رفدا للمنهج المعتدل ونبذا للتطرف والغلو والارهاب والذي راح ضحيته كوكبة كبيرة من الشهداء من العلماء والطلبة في هذه الكلية المعطاء، ومن بينهم فضيلة الشيخ فيضي الفيضي والشيخ يوسف الحسان، والشيخ عبدالغفور القيسي والشيخ محمد جمعة السامرائي والشيخ أحمد عبدالله الزيدي وغيرهم من الفضلاء رفع الله درجاتهم في عليين.

إن الجامعات عندما ترتكز جهودها على شراء الأدوات الحديثة والمباني التعليمية المتطورة، دون وجود هدف واضح وملموس لصناعة العقول، فهذا سيخلق مساحة فارغة تهدد الأمن الفكري داخل الجامعات أولاً، وتستهدف أمن المجتمع المسلم ثانياً. ومن هنا، كان لزاماً على المتخصصين أن يكونوا أكثر دراية بما يُحاك، خاصةً في ظل استغلال وسائل التواصل الإجتماعي السريعة لنشر التطرف الفكري، وتجدر الاشارة ههنا إلى أن تكثيف الندوات التوعوية التي تقيمها الجامعات لمحاربة التطرف الفكري لن تكون مجدية بشكل قوي؛ ما لم تصطحب معها مشروعاً جامعياً ضخماً لتهيئة بيئة تعليمية جاذبة للطالب والطالبة، تقوم على مرتكز حيوي وهو (تفريغ الطاقة الشبابية) بالمشاريع العلمية والتي تكون الجامعات حاضنة لها[2]،

وعلى رغم الدور الإيجابي الذي تؤديه كلية الامام الأعظم الجامعة في تفعيل آليات الضبط في المجتمع العراقي إلا أن الأحداث الكارثية التي يمر بها العالم الاسلامي عموما والمجتمع العراقي خصوصا في الوقت الحاضر أصبحت تفرض على العاملين في هذه الكلية أساتذة وتدريسين مسؤوليات مضاعفة تتجاوز حدود التعليم في نمطيته التقليدية وتفرض على النسق التربوي الاضطلاع بدور أكثر أهمية في تشريب الناشئة المعايير والقيم التي تحافظ على أمن واستقرار المجتمع إن النسق التربوي في الوقت الحاضر أصبح يعاني من الكثير من الضغوط بسبب قصوره عن أداء بعض الأدوار المناطة به مما يتطلب إعادة النظر فيه بعقلية انفتاحية لا ترفض القديم كله ولا تقبل الجديد كله دون دراسة وتمحيص، ويمكن اجمالها فيما يأتي:

- تستثمر الكلية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بشكل جدي لنشر فلسفتها وأهدافها الدينية وتصديها لمظاهر الغزو الفكري من غلو أو تطرف أو إرهاب.وكذلك مواجهة خطر التهم الظالمة التي توجه لأهل السنة والجماعة بذرائع يمجها المنطق السليم.
- تتعاون الكلية مع المؤسسات والجامعات الأخرى لمواجهة خطر الغزو الفكري المنحرف أيا كان شكله أو مذهبه.
- توجه الجامعة طلبتها على المستوى الجامعي نحو الدراسات العليا لدراسة مظاهر الغزو الفكري وكيفية التصدي لها.
- أن تستمر في مبادراتها الإيجابية والفاعلة، وأن تنطلق من مسلماتنا وهي عالمية الرسالة الإسلامية وأن رسولنا بُعث للناس كافة، وأننا مسئولون عن ضلال الأمم التي تعيش وتموت وهي لا تعرف شيئاً عن الإسلام، ونحن في عصر العولمة، علينا أن نجتهد في إيجاد الوسائل والآليات التي تمكننا من إيصال الإسلام إليهم حسب وسعنا.

(1) البقرة:143

(2) دور الجامعات في حماية الفكر، د. منصور الشمري، مقالة منشرة في جريدة اليوم، العدد 14833، الجمعة الموافق 24/ يناير /2014

- ضـرورة توفير دعاة يتمتعون بالقدرات البشـرية والعلمية والفنية لمخاطبة العالم بلغاته المختلفة، وهذا يحتاج منا إلى إعداد هائل لقدرات بشرية متنوعة ومدربة وفاعلة وقادرة على العطاء.
- ينبغي على أعضـــاء هيئة التدريس في كلية الإمام الجامعة مواكبة التطورات العلمية والمعرفية والتقنية والتكنولوجية من خلال التحاقهم بدورات تأهيلية حتى يتمكنوا من إيصال الفكر الذي يؤمنون به.
- زيادة الاهتمام بشبكة الإنترنت، وتفعيل موقع الكلية بما يخدم كشف تحديات الفكر المنحرف أيا كانت هويته، وإرشاد الطلبة إلى المواقع المفيدة على شبكة الإنترنت والفضائيات، واستخدام البرامج التي تحجب المواقع الضارة.
- البحث عن عوامل ضـعف المؤسـسـات التربوية المحلية من خلال الأبحاث والدراسـات الهادفة، وإيجاد سـبل لتطويرها بحيث تواكب المؤسسات التربوية العالمية في جانبها الإيجابي.
- تعزيز قنوات الاتصـــال الفاعلة بين كلية الإمام الأعظم والجامعات الأخرى، داخل وخارج العراق من أجل تعزيز الحركة الأكاديمية العلمية ذات الآفاق العالمية.
- تشجيع أعضاء الهيئة التدريسية على البحث العلمي، ومساعدتهم في تطوير قدراتهم البحثية والعلمية، من خلال الدعم المادي لتغطية تكاليفها المادية، واختراعاتهم العلمية والإبداعية، فضـلاً عن الدعم المعنوي، بما يسـهم في زيادة الرصـانة العلمية للمؤسـسـة العلمية التي ينتسب إليها الأستاذ، ولا شك ان هذا ينعكس إيجابيا على المجتمع الذي ينشد التقدم والإزدهار.

الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية اليسيرة، يمكن لنا أن نوجز البحث بجملة من النتائج، وهي كالآتي:

- التطرف والغلو يصبان في معن واحد –: التشبث بعقيدة أو فكرة أو مذهب تختص به جماعة أو حزب أو فصيل أو منظمة دون غيرها مع اعتقادهم الجازم أن الصواب معهم دون غيرهم.
- أن التعريف المختار للإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أقوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد مرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر.
- إن لظهور الإرهاب والغلو والتطرف أسباب كثيرة – لا كما يحاول الغرب أن يجعلوا للإرهاب سبب واحد وهو الدين ويحصروه في المسلمين فقط– بل إن له أسباب دوافع كثيرة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها إجتماعية والذين يقعون في الإرهاب كثر لا ينحصرون بدين أو قومية.
- للكليات الشرعية والجامعات الإسلامية دور ريادي في مناهضة الغلو والتطرف والإرهاب لأنها هي من تحمل لواء الدعوة الإسلامية المبينة على العلم الشرعي والقواعد المحكمة المستندة الى كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما ثبت بالاستقراء في تاريخ الأمة الإسلامية.
- أن المتتبع لتأريخ كلية الامام الأعظم من بداية تأسيسها الى يومنا هذا، وينظر في مخرجاتها العلمية والعملية يجد أن لهذه الكلية المعطاء دور واسع في نشر الفكر الوسطي المعتدل المناهض للغلو والتطرف والإرهاب ولها أنشطة وفعاليات متعددة من بث الدعاة في ارجاء العالم الإسلامي فضلا عن المؤلفات ونشر الدوريات واقامة المؤتمرات والندوات ولكن هذا كله دون الطموح، لذا قدمنا مجموعة من المقترحات للنهوض بواقع هذه الكلية التي نتمنى أن تكون في يوم من الأيام مثلا يحتذى ان شاء الله تعالى. واخيرا وليس آخرا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه خدمة الاسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر

1. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـــ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
2. أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران – وليد الأعظمي – مكتبة الرقيم – بغداد 2001 م.
3. بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله،مجموعة من الباحثين وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية 1421، 246/5
4. البغداديون أخبارهم ومجالسهم – إبراهيم عبد الغني الدروبي – بغداد – 1958 م – صفحة 266، 267 – (مدرسة الإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي(150هـ)
5. البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته 16، المنشور في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.
6. دليل خارطة بغداد المفصل – الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة – مطبعة المجمع العلمي العراقي – 1958 م.
7. تاريخ الأعظمية – وليد الأعظمي – بيروت 1999 م.
8. التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى رؤية معاصرة، د/جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة المصطفى، القاهرة، د.ت.
9. تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) الناشر: دار الهداية.
10. حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الفتاح بن سليمان عشماوي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1423 هـ / 2002 م.
11. – دور الجامعات في حماية الفكر، د. منصور الشمري، مقالة منشرة في جريدة اليوم، العدد 14833، الجمعة الموافق 24/ يناير 2014/
12. والعنوان الإلكتروني لكلية الامام الاعظم على الإنترنت هو:http://www.imamaladham.edu.iq
13. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة عشرة 1425هـ-2004م.
14. القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـــ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
15. قضية وحوار العنف في العمل الإسلامي المعاصر، جماعة من العلماء، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات
16. مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـــ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.
17. المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـــ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة

18.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

19.لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

20.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

21.أسباب الإرهاب والعنف والتطرف docs.amanjordan.org/files.php?file=docs/65.pdf

22.أسباب العنف والتطرف وكيفية علاجها-الشيخ الدكتور صالح بن غانم... www.al-forqan.net/articles/3229.html

23.الموسوعة الشاملة - الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف islamport.com/d/3/amm/1/71/2154.htm

المفسرون المعاصرون وتصديهم للتحديات والشبهات الفكرية

أ.د جبار عبد الوهاب سعود
Dr.gd70@gmail.com

م.م. دعاء جبار عبد الوهاب
doaaabd@uodiyala.edu.iq

الملخص

إن الحاقدين على مر العصور عملوا على تشويه الإسلام، إلا أن الخيرين من أبناء هذه الأمة تصدوا لهم، وفندوا مزاعمهم، وفي مقدمة هؤلاء المفسرون المعاصرون الذين تصدوا لأكاذيب هؤلاء، ولا تخفى أهمية الموضوع، إذ يتعلق بالدفاع عن الإسلام، وتفيد الشبهات الباطلة، واشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالإلوهية، والمبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالنبوة والصحابة، والمبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتشريع الإسلامي، ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج وفي مقدمتها: أن الشبهات المعاصرة شملت جميع المسائل الشرعية، ومن أبرز المفسرين في هذا المجال محمد متولي شعراوي، وأوصى البحث بتخصيص أقسام في الكليات الدينية لمتابعة الشبهات المعاصرة والرد عليها..

Summary

The haters throughout the ages have worked to distort Islam, but the good people of this nation confronted them, and refuted their claims. The research, after this introduction, is divided into three sections: The first topic: suspicions related to divinity, the second topic: suspicions related to prophecy and the Companions, and the third topic: suspicions related to Islamic legislation, and then the conclusion, which included the most important results, foremost of which: that contemporary suspicions included all legal issues, and among the most prominent The commentators in this field are Muhammad Metwally Shaarawy, and the research recommended allocating departments in religious colleges to follow up on contemporary suspicions and respond to them.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله المكرمين، وأصحابه الغرّ الميامين، ومن سار على هديهم أجمعين.

أما بعد:

فإن أقلام الحاقدين وألسنتهم وجهودهم كانت وما زالت تسعى للنيل من الإسلام، والطعن به ومحاولة تشويه حقيقته الناصعة، وإن عجزوا عن زعزعة إيمان المسلمين أو تشكيكهم، فهم على أقل تقدير يسعون من محاولاتهم البائسة هذه تثبيت أتباعهم ومنعهم من الدخول في الإسلام الذي صار يستشري بين صفوفهم، مما أرق مضاجعهم.

والمشكلة لا تقف عند حدود هؤلاء، بل صرنا نرى بعض المسلمين يتسابق للطعن في القرآن الكريم أو في مبادئ الإسلام الثابتة ابتغاء الشهرة، أو الرغبة في المخالفة، أو من أجل تحقيق ربح مادي في بعض مواقع التواصل الاجتماعي.

وبعض هؤلاء أعاد مقولات أكل الدهر عليها وشرب، مثل قول المعتزلة بإنكار عذاب القبر، وراح يروج لها وكأنها من ابتكاراته، وأغفل عن عمد ردود المسلمين عليها منذ مئات السنين.

وهذه الدعوات تنتشر انتشار النار في الهشيم، إذ يتداولها المسلمون لغرابتها عن جهل فيسهمون في انتشارها والترويج لها.

وفي المقابل كانت هناك جهود خيرة لعدد من المفسرين المعاصرين في التصدي لهذه الشبهات والطعون، وهذا البحث خطوة على الطريق، من أجل إبراز جهود المفسرين في التصدي لها في هذا البحث الموسوم (المفسرون المعاصرون وتصديهم للتحديات والشبهات الفكرية.

لا تخفى أهمية الموضوع، إذ يتعلق بالذود عن بيضة الإسلام، والدفاع عن حياضه، وتفيد المزاعم الباطلة.

واشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالإلوهية.

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالنبوة والصحابة.

المبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتشريع الإسلامي.

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

ثم قائمة المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

الشبهات المتعلقة بالإلوهية

أولاً: إنكار وجود الله تعالى:

أنكر بعض المعاصرين وجود الله تَعَالَى، وإن اختلفوا في توجيه هذا الإنكار وتعليله، إلا هذه الشبهات تشترك جميعها في الإنكار، من ذلك مقولة لينين الشهيرة: "الدين أفيون الشعوب"، وقوله: "ليس صحيحاً أن الله ينظم الأكوان، والصحيح أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه". وقول ستالين: "يجب أن تقوم التربية في المدارس على أساس إنكار فكرة الله"، وقوله: " يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة، وأن الإلحاد مذهبنا"[1].

وذهب ضحية هذه الدعوات المسلمين وليس النصارى، فقد قتل ستالين ثلاثة ملايين ونصف مسلماً[2]، وحولت السلطات الشيوعية المساجد إلى مراكز للترفيه ومخازن للسع أيضاً، وقد أغلق 26 ألف مسجد في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي، منذ أن قام الانقلاب الشيوعي حتى منتصف الخمسينات[3].

وممن كان له سبق التصدي لدعوات هؤلاء الشيخ محمد متولى الشعراوي، فقد فند هذه الدعاوى الإله منها دعوى الإله الخرافي بقوله: إن زعمكم نسبة النظام إلى إله خرافي، يرد عليه أنكم جئتم بنظام وضعي وهو الشيوعية، فينبغي مقارنة ما حققه نظام الإسلام ما مع حققه النظام الشيوعي ليتبين الفارق بينهما، " إذن فناقشوا نظاماً بنظام، فلو فعلتم ذلك، ثم جئتم إلى أي جزئية من جزئياتكم لتبحثوها، فستجدون التطبيق يفسد قولكم"[4].

ثانيًا: إنكار الوحي:

وهي شبهة قديمة تمشدق بها مشركو الجاهلية، وكفار أهل الكتاب، وأحياها المستشرقون ومن سار في ركابهم، و" جمهور المستشرقين على إنكار الوحي"[5]، ويستثنى منهم إلا من أسلم.

وملخص أقوال المستشرقين في الوحي تتمثل بما يأتي[6]:

(1) ينظر: فتاوى عن الشيوعية، د. عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف، مصر، ط2، بلا تاريخ: 35.

(2) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ- 1983م: 436.

(3) ينظر: المسلمون تحت الحكم الشيوعي، محمد سامي عاشور، مطابع دار القلم، القاهرة، 1959م: 53-54.

(4) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، جمع وإعداد وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 2002م: 23.

(5) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار البيان، الكويت، 1968م: 22.

(6) ينظر: آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (عرض ونقد)، د. إدريس بن مقبول، أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية التي عقدت في السعودية سنة (1427هـ- 2006م): 5.

إبطال الوحي، والادعاء بأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) افترى القرآن من عند نفسه، لما اتصف به من ذكاء وعبقرية.

إنكار الوحي واتهام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتلقي القرآن من عند غيره، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) -حاشاه- كذب في زعمه نزول الوحي عليه.

وصف الوحي بظواهر نفسية وانفعالية، فقد كان يصيبه الصرع.

التناقض في كيفية الوحي فتارة يزعم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه وحي وتارة حديث قدسي وتارة حديث نبوي.

وممن تصدى لهذه المزاعم الشيخ الشعراوي الذي أجاب عن شبهة عبقرية النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله:

الأول: إننا لا ننكر صحة هذا الأمر، أي إن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) عبقري نشأ في أمة فصيحة؛ ولكن لماذا لا يدعي الأمر لنفسه.

الثاني: إن العبقرية لا تكون في الأربعين، وإنما تكون في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث[1].

أما دعوى الكذب، فقد رد على ذلك بأمور منها أن الكذب له غايات وأهداف، فما هي الغايات والأهداف التي ابتغاها رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم)؟ وأن السيرة النبوية تكشف بما لا يقبل الشك كذب هذه الدعوى[2].

أما دعوى الصرع، فقد فندها الشيخ الشعراوي بأن المصروع ينكر ما حصل منه أثناء صرعه، ولا يتذكره، على خلاف ما كان يحصل عند نزول الوحي، في حين كان الوحي ينزل بالسور الطوال، ثم يأمر بكتابته، ثم يعود لقراءته في الصلاة، وكان يقرأه كما كتبوه، فهل هناك في الوجود من يفعل هذا؟ إن هذا أمر خارج عن نطاق البشر[3].

أما مزاعمهم حول طبيعة الوحي؛ فإنه "لا يوجد أي إنسان مهما كان موهوباً أن يتحدث بأسلوب، ثم يتحدث بأسلوب آخر، ثم بأسلوب ثالث؛ " فإنه لا يستطيع أن يتبرأ من أسلوبه الأول"[4].

ويقول سيد قطب: " وحتى الماديون الملحدون في روسيا الشيوعية، عند ما أرادوا أن يطعنوا في هذا الدين في مؤتمر المستشرقين عام 1954 كانت دعواهم أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد- هو محمد- بل من عمل جماعة كبيرة. وأنه لا يمكن أن يكون قد كتب في الجزيرة العربية بل إن بعض أجزائه كتب خارجها! دعاهم إلى هذا استكثار هذا الكتاب على موهبة رجل واحد. وعلى علم أمة واحدة"[5].

وقال عبد الكريم الخطيب: " فقالوا: إن النبي كان حين يلقى إليه الوحي على هيئة خواطر في قلبه، يبادر فيشكّلها كلمات يجريها على لسانه في عجلة، مخافة أن تفلت منه، أو تتغير هيئتها! وهذا الرأي قد فتح للمستشرقين وغيرهم بابا للقول، بأن القرآن

(1) ينظر: شبهات وأباطيل: 32.
(2) ينظر: المرجع نفسه: 32-34.
(3) ينظر: المرجع نفسه: 37.
(4) المرجع نفسه: 37.
(5) في ظلال القرآن، سيد قطب (ت1387هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1412هـ- 1992م: 2159/4.

في هيئته اللفظية، ليس كلام الله، وإنما هو من صياغة «محمد»، حيث كان يصوغ الخواطر التي يتلقاها من الوحي، في الصورة اللفظية المناسبة، ولهذا- كما يقولون- جاء القرآن أنماطا مختلفة من الأساليب، بعضها ممتد النفس، هادئ، ليّن، وبعضها متقطع الأنفاس، صارخ عنيف.. وذلك حسب حال النبي، وما تثيره الخواطر المتنزلة عليه.. وعلى عكس هذا لو كان القرآن لفظا ومعنى من عند الله، فإنه يكون نمطا واحدا، لا يتأثر بالعوامل النفسية الإنسانية، التي يكون عليها النبي حين يتصل بالوحى.. وهذا جهل أو تجاهل، بالحق الواضح، إذ أن كلام الله الذي يخاطب به عباده، إنما يبلغ آثاره فيهم، إذا جاء على أنماط كلامهم، وجرى على أساليب بيانهم، فلان في مواضع اللّين، واشتدّ في أحوال الشدة، وهذا ما عبر عنه علماء البلاغة في وصفهم للكلام البليغ، بأنه: المطابق لمقتضى الحال"[1].

ثالثًا: تناقض القرآن الكريم:

زعم أغلب المستشرقين ومن وافقهم وجود تناقضات في القرآن الكريم، فهو بزعمهم أنه يناقض بعضه بعضا، كما يناقض الحديث النبوي، أو يناقض بعض الوقائع التاريخية أو الحقائق الكونية والشرعية.

وممن تصدى لهذا من المفسرين الشيخ الشعراوي الذي فند بعضها، في التطور في التشريع أمر لا خلاف فيه، وفي هذا يقول: "هاتوا لي نصاً من دستوركم أن الموظف الذي يتخلف خمسة عشر يوماً يفصل؛ لا نص في الدستور يقول هذا، ولا حق للمفصول أن يقول: إنكم خالفتم الدستور؛ لأن الدستور ينص على القواعد العامة، ويترك التفصيل"[2]، وليست هناك قاعدة في حال عدم موافقة الرسول (صلَّى الله عليه وسلم) الحكم ليقال: إنه أخطأ، فالخطأ يكون عند مخالفة القاعدة، وليست هناك قاعدة ليخالفها، وأنه (صلَّى الله عليه وسلم) يقول بمقتضى التفويض[3].

رابعًا: تحريف تفسير القرآن الكريم:

وعن قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[4]، قال سيد قطب: " وسميت مكة أم القرى، لأنها تضم بيت الله الذي هو أول بيت وضع للناس ليعبدوا الله فيه وحده بلا شريك وجعله مثابة أمن للناس وللأحياء جميعاً ومنه خرجت الدعوة العامة لأهل الأرض ولم تكن دعوة عامة من قبل وإليه يحج المؤمنون بهذه الدعوة، ليعودوا إلى البيت الذي خرجت منه الدعوة! وليس المقصود، كما يتصيد أعداء الإسلام من المستشرقين، أن تقصر الدعوة على أهل مكة ومن حولها "[5].

وعن قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[6]، قال الطاهر بن عاشور: "وقد توهم بعض المستشرقين من الإفرنج أن البيوت المنحوتة في ذلك الجبل كانت قبورا، وتعلقوا بحجج وهمية. ومما يفند أقوالهم خلو تلك الكهوف عن أجساد

(1) التفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم يونس الخطيب (ت1390هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ: 114/1.
(2) شبهات وأباطيل: 43.
(3) ينظر: المرجع نفسه: 46.
(4) سورة الأنعام: من الآية 92.
(5) في ظلال القرآن: 1148/2.
(6) سورة الحجر: الآية 82.

آدمية، وإذا كانت تلك قبورا فأين كانت منازل الأحياء"[1]؟

وقال الطاهر بن عاشور: "ويشبه هذا الطعن طعن بعض المستشرقين من نصارى العصر في قوله تعالى في شأن مريم حين حكى قول أهلها لها ﴿يَا أُخْتَ هارُونَ﴾[2]، فقالوا: هذا وهم انجر من كون أبي مريم اسمه عمران فتوهم أن عمران هو أبو موسى الرسول عليه السلام، وتبع ذلك توهم أن مريم أخت موسى وهارون وهو مجازفة فإن النصارى لا يعرفون اسم أبي مريم وهل يمتنع أن يكون مسمى على اسم أبي موسى وهارون وهل يمتنع أن يكون لمريم أخ اسمه هارون"[3].

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي المالكي (ت1393ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1404ه- 1984م: 73/14.

(2) سورة مريم: من الآية 28.

(3) التحرير والتنوير: 72/20.

المبحث الثاني

الشبهات المتعلقة بالنبوة والصحابة

أولاً: تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم):

أكثر ألهج المغرضون بذكر شبهة تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم)، وممن تصدى لهذه الشبهة من المفسرين الشيخ الشعراوي إذ قال: إن النقاش مع الخصوم غير متكافئ؛ لأنهم ينظرون " إلى فعل معزل عن الرسول، ونحن ننظر إلى فعل منوط بالرسول"[1]، وقد رد بردود عقلية ومنطقية، ومما قاله: "هل الرسول جاء والناس يعددون، أو جاء ليشرع التعدد في الزوجات؟ بل الرسول جاء قوم يعددون، فهو حين عدد لم يكن بدعاً بينهم في هذا التعدد؛ لأن هذه المسألة إن سبقه فيها رسول لم يتزوج، فقد سبقه فيها رسل كثيرون تزوجوا أعداداً متعددة، فلماذا نجعل الواحد هو المرجح، ولا نجعل الكثرة هي المرجحة، الواحد جاء لحكمة، والسابقون قبله عددوا لحكمة، فالرسول (صلَّى الله عليه وسلم) لم يشرع التعدد، وإنما جاء والتعدد نظام قائم له ولكل الناس"[2]؟

أما عن حكمة احتفاظه (صلى الله عليه وسلم) بتسع، فقال: إنها لما شرع عدد الزوجات بأربعة، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) إما أن يحتفظ بأربع ويسرح الخمس، وحين يسرح الخمس فإنهن أمهات المؤمنين، وهن محرمات على سائر المؤمنين، لذا فليس لهن إلا أن يبقين مع رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) [3].

ورفض الادعاءات بأن الزواج كان لأغراض شهوانية، فرسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) تزوج من خديجة (رضي الله عنها) وهي تكبره بخمسة عشرة عاماً، وهذا خلاف القاعدة في أن الرجل يتزوج دائماً بمن دونه عمراً، وظل مع خديجة ولم يتزوج عليها حتى وفاتها، ثم تزوج بعدها بسودة بنت زمعة (رضي الله عنها) لتقوم بواجب الزوجية، وتربي أولاده، وتزوج عائشة (رضي الله عنها) وهي في السادسة، ودخل بها وهي في التاسعة، "فالسياق الجنسي ممنوع هنا"[4]، ويؤيد هذا أن بعض نسائه تبرعن بليلتهن لغيرهن، " ومعنى هذا أنها في ذاتها لا تصلح أن تكون امرأة يقضي منها الرجل إربته؛ فكأنها لم ترد إلا أن تكون أماً للمؤمنين، ومن نسائه في الجنة"[5]، لذلك فزواجه (صلَّى الله عليه وسلم) لم يكن لمآرب جنسية[6].

(1) شبهات وأباطيل: 48.
(2) المرجع نفسه: 48- 49.
(3) ينظر: المرجع نفسه:50.
(4) شبهات وأباطيل:50.
(5) المرجع نفسه: 50.
(6) ينظر: المرجع نفسه: 50 -52.

ثانيًا: تأثر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالكتب السابقة:

ونقول ذوقوا عذاب الحريق وقرأ حمزة: " ويقول ". قال الأستاذ الإمام: الذوق عبارة عن الشعور بالألم، أو ضده، فمعنى ذوقوا: تألموا. أما كيفية القول فلا نبحث فيها، أو إنما نعلم أن الله – تعالى – يوصل هذا المعنى إليهم.

قال محمد رشيد رضا عن كلمة (ذق) الواردة في القرآن الكريم: "وزعم بعض المستشرقين أن هذا الاستعمال لم يكن معروفاً عند العرب قبل القرآن، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذه من التوراة، وهو زعم باطل، وبمثله يستدلون على اقتباس النبي من كتبهم، فقد روي أن أبا سفيان قال لما رأى حمزة (عليه رضوان الله) مقتولاً: (ذق عقق)، أي: ذق عاقبة إسلامك أيها العاق لدين آبائك، ولمن ثبت عليه من قومك فلم يدخلوا في الإسلام. نعم: إن أصل الذوق هو ما يكون باللسان لمعرفة طعم الطعام، ثم توسعوا فيه فاستعملوه في غير ذلك من المحسوسات كقولهم: ذقت القوس إذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها. وقولهم: ذقت الرمح إذا غمزتها"[1].

وعن كلمة (قضى) الواردة في القرآن الكريم قال محمد رشيد رضا: " وزعم بعض المستشرقين من الإفرنج أن لفظ القضاء لم يكن مستعملاً في صدر الإسلام الأول بمعنى الحكم، وهذا من دعاويهم التي يتجرؤون عليها من غير استقصاء ولا علم"[2].

ثالثاً: الطعن بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

قال محمد رشيد رضا: " وقد عد بعض المستشرقين على أبي بكر (رضي الله عنه) المسارعة إلى تصديق النبي (صلى الله عليه وسلم) وعدم التلبث به، وحسب أن ذلك من السذاجة وضعف الروية، وينقض حسبانه كل ما عرف من سيرة أبي بكر في الجاهلية والإسلام، فإنه كان من أجود الناس رأيا، وأنفذهم بصيرة، وأصحهم حكما، وأقلهم خطأ، وإنما يعرف قيمة الصدق الصادقون، وقدر الشجاعة الشجعان، وحقائق الحكمة الحكماء، فلما كانت مرتبة أبي بكر قريبة من مرتبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصدق وتحري الحق وإيثاره على الباطل، وإن ركب في سبيله الصعاب وتقحم في الأخطار كان السابق إلى تصديقه، وبذل ماله ونفسه في نصره، وقد سمى الله الدين صدقا في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]، نعم إن الصادق يكون أسرع إلى تصديق غيره عادة، فإن كان بليدا أو ساذجا غرا صدق غيره في كل شيء، وإن كان ذكيا مجرباً، كأبي بكر، لم يصدق إلا ما هو معقول، ومن كان كبير العقل قوي الحدس يدرك لأول وهلة ما لا يصل إليه غيره إلا بعد السنين الطوال، وكان أبو بكر من أعلم العرب بتاريخ العرب وأنسابها وأخلاقها، وظهر أثر ذلك في سياسته أيام خلافته ولا سيما في المرتدين ومانعي الزكاة، فلولاه لانتكث فتل الإسلام وغلبته عصبية الجاهلية، أفهكذا تكون السذاجة وضعف الرأي والروية! أم ذلك ما أملاه على ذلك المستشرق كره المخالف، ووسوس به شيطان العصبية"[4] ؟

(1) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م: 217/4.
(2) المرجع نفسه: 191/5.
(3) سورة الزمر: الآية 39.
(4) تفسير المنار: 199/5.

رابعًا: مهادنة النبي (صلى الله عليه وسلم) لليهود:

يقول سيد قطب: " يزعم المستشرقون- اليهود والصليبيون سواء- أن محمدا- صلى الله عليه وسلم- لم يهاجم اليهود- بزعمهم- بهذا القرآن إلا بعد أن يئس في المدينة من استجابتهم له. وأنه كان يحاسنهم في مكة، وفي أول عهده بالمدينة، فيقول- بزعمهم- قرآنا لا يهاجمهم فيه إنما يحدثهم عن التقاء العرب بهم في النسب إلى جدهم إبراهيم! طمعا في إسلامهم له! فلما يئس منهم هاجمهم هذا الهجوم.. وكذبوا. فهذه سورة مكية تصف الحق في شأنهم، لا فرق بين ما جاء فيها وما جاء في سورة البقرة المدنية في هذا الحق الذي لا يتبدل.. وإذا نحن تجاوزنا عن الآيات من 163 إلى 170 في هذه السورة بوصفها مدنية، وهي التي ورد فيها تأذن الله سبحانه بأن يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، فإن الآيات التي قبلها والتي بعدها والتي لا شك في أنها مكية تضمنت الحق في جبلة بني إسرائيل. وفيها ذكر عبادتهم للعجل.. وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلها صنما بينما هم خارجون من مصر باسم الله الواحد! وأخذ الرجفة لهم لأنهم أبوا الإيمان إلا أن يروا الله جهرة. وتبديلهم قول الله لهم وهم يدخلون القرية.. إلخ مما يدمغ أولئك الزاعمين من المستشرقين بالافتراء على التاريخ بعد الافتراء على الله ورسوله.. وهؤلاء هم الذين يتخذهم بعض من يكتبون عن الإسلام أساتذة لهم فيما يكتبون"[1].

وقال البوطي: " بينما يزعم المستشرقون- اليهود والصليبيون سواء- أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يهاجم اليهود- بزعمهم- بهذا القرآن إلا بعد أن يئس في المدينة من استجابتهم له، وأنه كان يحاسنهم في مكة وفي أول عهده بالمدينة فيقول- بزعمهم- قرآنا لا يهاجمهم فيه إنما يحدثهم عن التقاء العرب بهم في النسب إلى جدهم إبراهيم، طمعا في إسلامهم له، فلما يئس منهم هاجمهم هذا الهجوم "[2].

وقال محمد عزت دروزة: "فقد حلا للمستشرقين والمبشرين أن يستعملوا تعبيرا عجيبا في معرض الإشارة إلى تطور السيرة النبوية في العهد المدني فيقولون إن النبي في هذا العهد انقلب من نبي إلى حاكم أو صار سلطانا أكثر منه نبيا أو ما في معناه، وقد اتخذ بعضهم بعض ما روته الروايات أو ما تبادر لهم أنهم فهموه من عباراتها أو من عبارات القرآن في صدد بعض أحداث السيرة النبوية الشخصية والعامة في العهد المذكور وسيلة للطعن والغمز، والقول إن النبي قد نقض المبادئ التي بشر بها ودعا إليها في مكة وخالفها"[3].

(1) في ظلال القرآن: 1332/3.

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت1409هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1424هـ- 2003م: 1968/4.

(3) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ: 55/1.

المبحث الثالث

الشبهات المتعلقة بالتشريع الإسلامي

أولاً: شبهة تعطيل المرأة عن العمل:

زعم المغرضـــون أن الإســـلام جمد نصـــف المجتمع وهي المرأة، التي ليس لها حركة في الحياة، وفي المقابل حاول قوم الدفاع عن الإسلام، وبرروا تصرفات المرأة في العصر الحديث بخروج المرأة مع رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) في الجهاد والحج، وغير ذلك[1].

وممن رد على هذا الشـيخ الشـعراوي الذي بين أن المرأة مارسـت تداوي الجرحى للاضـطرار، وأن الاختلاط في القتال أبعد ما يكون عن اتباع الشـهوات لما فيه من القتل، وكذلك فإن الحج ليس موضـع لها، وإلا فرط الإنسـان بحجه[2]، وإن المرأة مؤهلة لنوع من الأعمال، وكذا الرجل مؤهل لنوع آخر، فلا يصـــح أن تتولى المرأة عمل الرجل، ولا أن يتولى الرجل عمل المرأة، وأن مهمة المرأة تتمثل بتربية الأبناء ورعاية الأسرة، فعملها في بيتها، إلا إذا اضطرت للعمل إن لم يكن لها من معيل[3].

ثانيًا: ظلم المرأة في الميراث:

ذهب المغرضون إلى أن الإسلام "ظلم المرأة في الحقوق الإرثية التي تؤول إليها ممن ترثه، فجعلها دائماً على النصف من الرجل؛ وكأنها يجب أن تكون على النصف من الرجل في كل شيء"[4].

وممن رد على ذلك الشـيخ الشـعراوي الذي بين أن الإسـلام لم يكن ضـد المرأة، بل كان محابياً لها، فالإسـلام جعل المرأة هي المقياس الذي يدور عليه الأمر، إذ لم يقل: أعطوا المرأة نصـف الرجل، بل قال: أعطوا الرجل ضـعف المرأة، فضـلاً عن أن المرأة غير مسـؤولة عن نفقة نفسـها، فهي إن كانت بنتاً فهي مسـؤولة من أبيها، وإن كانت متزوجة، فهي مسـؤولة من زوجها، وإن كانت أختاً فهي مســـؤولة من أخيها، فلا يلزمها الإســـلام أن تنفق على غيرها، بيل يلزم غيرها أن ينفق عليها، فإن كانت غنية وزوجها فقير، فعليه أن يقترض ليعيل زوجته، وأن ميراث المرأة يكفيها، فإن تزوجت، فالنصـف سـيكفيها بلا زوج، وإن تزوجت، فسـيكون هذا النصـف خالصـاً لها؛ لأن زوجها هو الذي سـينفق عليها، ولا يطالبها الشـرع بالنفقة عليه ولا حتى بإقراضـه، في حين أن الأخ الذي أخذ الضعف مطالب بأن يبني حياته بزوجة يتزوجها وينفق عليها، وهذا ما لا تطالب المرأة به، لذلك حابى الإسلام المرأة[5].

(1) ينظر: شبهات وأباطيل: 52.
(2) ينظر: المرجع نفسه: 52.
(3) ينظر: المرجع نفسه: 53 -69.
(4) المرجع نفسه: 69.
(5) ينظر: شبهات وأباطيل: 69.

ثالثاً: منح الرجل حق تطليق المرأة:

ومن الشبه المثارة أن انفصال المرأة عن زوجها بكلمة واحدة، مثل كلمة طالق ونحوها[1].

وممن أجاب عن ذلك الشيخ الشعراوي الذي قال: "كيف دخلتم على كلمة الفراق، ونسيتم كلمة التلاقي؟ إن التلاقي أيضًا يكون بكلمة، وإذا كان التلاقي بكلمة زوجني وزوجتك، فلماذا تستبعدون أن يكون الطلاق أيضًا بكلمة طلقتك"[2]، وبين أن المرأة إذا عرفت أن فراقها منوط بكلمة، ستحتاط لذلك، كما احتاط الشرع في أن يضع هذه الكلمة في يد أمين عليها لتختار الزوج المناسب لها، وأن الشرع اشترط إن تكرر الطلاق مرتين وأراد الرجل الرجوع إلى زوجته أن تنكح المرأة رجلاً آخر، وفي تأديباً للرجل، وإثارة للغيرة فيه، حتى لا يقف هذا الموقف مرة أخرى، وتأديباً للمرأة حتى لا تكون سبباً لهذا الخلاف[3].

ومن ناحية أخرى فالطلاق حل لمشاكل زوجية مستعصية، لا ينفع معها إلا الطلاق، على خلاف من يجبر الزوجين على العيش معاً وأحدهما يخون الآخر، وأن كثرة حالات الطلاق في محاكم المسلمين ليس سببها نظام الإسلام؛ ولكنها قد تكون حجة ضد تطبيق قضايا الإسلام، ومن النادر أن يحصل الطلاق إن روعيت معايير الإسلام الحقيقة في اختيار الزوجة، وفي اختيار الزوج[4].

رابعًا: تعدد الزوجات:

وهذه الشبهة من الشبهات المشهورة، إذ ينكرون على الإسلام منح الرجل الحق في تعدد الزوجات[5].

وممن تصدى لهذا الزعم الشيخ الشعراوي الذي بين أن من يعارض تعدد الزوجات هن النساء المتزوجات، على خلاف غير المتزوجات اللواتي يوافقن على تعدد الزوجات لكي لا تبقى بلا زواج، فالمشكلة هي أن المرأة ضد المرأة، وليس الدين أو الرجل، وأن تعدد الزوجات مرتبط بالفائض، فلو لم يكن هناك فائض من النساء لما حصل تعدد الزوجات، وأن عدد النساء في المجتمعات دائماً أكثر من عدد الرجال بغض النظر عن الحروب، لذلك كان لا بد من تعدد الزوجات لمواجهة الفائض من النساء[6].

ومن ناحية أخرى فالنساء المحرومات من الزواج يلجأن إلى وسائل شتى لتعويض الحرمان، وقد يؤدي هذا إلى عواقب كبيرة، لذا فتعدد الزواج هو الحل المناسب لعلاج هذه المشكلة[7]، وسبب النفور من تعدد الزوجات في بلاد الإسلام عائد إلى سوء تطبيق الرجل لهذا الحق، وهو مجانبة العدل بين الزوجات، والعدالة تقتضي أن لا ننظر إلى القانون عبر المطبقين، لأن بعضهم قد يكونون

(1) ينظر: المرجع نفسه: 70.
(2) المرجع نفسه: 70.
(3) ينظر: شبهات وأباطيل: 73.
(4) ينظر: المرجع نفسه: 74.
(5) ينظر: المرجع نفسه: 74.
(6) ينظر: المرجع نفسه: 77.
(7) ينظر: شبهات وأباطيل: 78.

عصاة، وهؤلاء ليسوا حجة على القانون[1]، كما أن التعدد ليس أمراً مفروضاً في الإسلام، بل هو مباح، فالذي لا يعجبه التعدد لا يلجأ إليه[2].

أما بالنسبة للرجل، فإن أغلب دوافع التعدد هي جنسية، وقد تكون هذه الدوافع قوية ى تكفي الرجل امرأة واحدة، لذا فمن الأفضل السماح له بالزواج من الوقوع في الرذيلة، وأن الغربيين لا يحصرون الخليلان ويحصرون الحليلة، والمرأة الألمانية تقول: "لأن أكون شريكة لرجل مع عشر نساء خير له من أن أكون له والخليلات فوق المائة "[3].

كما أن منع الرجل من تعدد الزوجات سيلجأ إلى الطلاق، والمرأة تفضل أن تكون زوجة ثانية على أن تكون مطلقة، وإن عدم التعدد سيؤدي إلى شيوع الزنا والأمراض الجنسية والأخلاقية وغيرهما[4].

خامسًا: اختلاف المسلمين:

ملخص هذه الشبهة هو الخلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية مما أدى هذا الاختلاف إلى تفريق المسلمين، وإلى أن يكفر بعضهم بعضاً، فأي إسلام هو الصحيح؟ فإن كان صحيحاً في مذهب ما، فالذاهب الأخرى باطلة، وإن كان صحيحاً في طائفة، فالطوائف الأخرى باطلة.

وممن رد على ذلك الشيخ الشعراوي الذي بين سبب نشوء هذه الظاهرة، بسبب خطأ فهم المسلمين في كثير من قضايا الدين الأساسية، وأن الله تَعَالَى بحكمه وعدله لم يرد فرقة هذه الأمة، وأن الإسلام دين الاعتدال والوسطية، ففي نظام الحكم مثلاً أخذ الإسلام بمزايا الحكم الدكتاتوري وترك قبائحه، وكذلك فعل مع النظام الديمقراطي، فالإسلام " يعطي الدكتاتورية بلا هوى وبلا جبروت الدكتاتورية، وبدون استعلاء الدكتاتور، وبلا إذلال الدكتاتورية"[5].

إن آفة المذاهب والطوائف" أنهم جعلوا الأمور التي أباح الله فيها الرأي، وأباح فيها الاجتهاد، وأباح فيها الترجيح أموراً محزوماً مبتوتاً فيها... ولو أراده الله هكذا ما استطعنا أن نختلف فيه"[6].

خاطب المذاهب والفرق أن الله تَعَالَى أباح أموراً من دون تقييد، إلا أن المسلمين ألزموا أنفسهم بما لم يلزمهم به الله تَعَالَى، وقيدوا ما أطلقه الله تَعَالَى[7].

فرق بين المحكم والمتشابه، وأن المحكم حق ثابت، وأن في المتشابه حق الاجتهاد، فلا ينبغي أن يخطأ كل فريق غيره، وكما يقال:

(1) ينظر: المرجع نفسه: 79.
(2) ينظر: المرجع نفسه: 80.
(3) ينظر: المرجع نفسه: 81.
(4) ينظر: المرجع نفسه: 82.
(5) شبهات وأباطيل: 88.
(6) المرجع نفسه: 88.
(7) ينظر: المرجع نفسه: 90.

"أنا أصبت الحق ويحتمل الخطأ، ورأي خصمي خطأ يحتمل الصواب"[1].

سادسًا: استرقاق العبيد:

قال الشنقيطي: " فها هو هنا يجعل عتق الرقبة، سلم اقتحام العقبة، وجعله عتقاً للمعتق من النار كل عضو بعضو. ومعلوم أن كل مسلم يسعى لذلك، وجعله كفارة لكل يمين وللظهار بين الزوجين، وكفارة القتل الخطأ، كل ذلك نوافذ إطلاق الأسارى، وفك الرقاب في الوقت الذي لم يفتح للاسترقاق إلا باب واحد، هو الأسر في القتال مع المشركين لا غير، وهما مما سبق تنبيها عليه ردا على المستشرقين ومن تأثر بهم في ادعائهم على الإسلام: أنه متعطش لاسترقاق الأحرار"[2].

(1) المرجع نفسه: 91.

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ-1995م: 533/8.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث ألخص أهم النتائج والتوصيات بما يأتي:

أولاً: النتائج:

1. شملت الشبهات المعاصرة جميع المسائل الشرعية العقدية منها أو الفقهية أو التاريخية.
2. انبرى كثير من المفسرين المعاصرين للتصدي للشبهات المعاصرة، ولاسيما تلك أثارها المستشرقون الي روجوا لها كذباً تحت غطاء الحيادية والموضوعية، ومن أبرز المفسرين في هذا المجال الشيخ محمد متولي شعراوي (رحمه الله تعالى).
3. إن الردود المفحمة هي تلك التي اتصفت بالبساطة وبقوة الإقناع بعيداً عن التحذلق والتقعر.

ثانيًا: التوصيات:

1. يظن بعض المثقفين أن الشبهات القديمة التي أثارها المشركون، أو تلك التي أثارها المستشرقون لا تستحق الدراسة والرد، إذ إن السابقين تكفلوا بالرد عليها وتفنيدها، إلا أن ما نشهده اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي هو إعادة بث هذه الشبهات، والتي صارت تحظى بمشاهدات كبيرة، وأغلب هذه المشاهدات هي من أناس صدمهم التشكيك في بعض الحقائق المعروفة، ولا يملكون الرد عليها أو معرفة الموقف الصحيح منها، وبعضهم يروج لها من حيث لا يعلم بحجة التندر عليها، إلا إن لهذا النشر مردودات سلبية ونتائج عكسية قد يتاثر بها كثيرون، ولا سيما مع تكاثر مثل هذه المنشورات على منصات التواصل الاجتماعي، وفي المقابل فإن المتخصصين يأنفون من الرد عليها أو لا يملكون الوقت والقدرات الإعلامية لمواجهتها، لذلك فمن المهم التصدي لها ممن يجد في نفسه القدرة على ذلك.
2. إن التصدي لهذه الطروحات قد يعجز عنه بعض المتخصصين لعدم امتلاكهم الخبرة للعمل على مواقع التواصل الاجتماعي، أو لافتقارهم إلى الإمكانات المادية لذلك نوصي بإنشاء قسم متخصص للرد على هذه الشبهات في كل جامعة أو كلية تعنى بالعلوم الإسلامية، يتولى الرد متخصصون ليحظى الرد بالقبول ونشر هذه الردود في ذات القناة التي نشرت الشبهات للحد منها.
3. وفي الوقت نفسه نوصي بعدم الترويج لهذه المنشورات باي ذريعة كانت لأن المروجون يجنون أرباح مادية في حال تزايد عدد المشاهدات مما يشجعهم على التمادي.

المصادر والمراجع

1. آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (عرض ونقد)، د. إدريس بن مقبول، أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية التي عقدت في السعودية سنة (1427هـ- 2006م).
2. الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت1409هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1424هـ- 2003م.
3. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار البيان، الكويت، 1968م.
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ- 1995م.
5. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي المالكي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1404هـ- 1984م.
6. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.
7. التفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم يونس الخطيب (ت1390هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ.
8. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
9. شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، جمع وإعداد وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 2002م.
10. فتاوى عن الشيوعية، د. عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف، مصر، ط2، بلا تاريخ.
11. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت1387هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1412هـ- 1992م.
12. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ- 1983م.
13. المسلمون تحت الحكم الشيوعي، محمد سامي عاشور، مطابع دار القلم، القاهرة، 1959م.

دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الماعون

أ. د. عَزّة عدنان أحمد عِزّت

قسم اللغة العربيّة – فاكولتي العلوم الإنسانيّة – جامعة زاخو – إقليم كوردستان–العراق

azza.ezzat@uoz.edu.krd

الملخص

تعالج سـورة الماعون حقيقة راسـخة، تكاد تبدّل المفهوم السـائد للإيمان والكفر تبديلاً كاملاً في مجموعتين: الأولى تتكوَّن من الآيات الأولى الثلاث، والثانية تتكوَّن من الآيات الأخيرة الأربعة، ويُلحَظُ بين المجموعتين فروقات لغويّة كثيرة: صـوتيّة، وصـرفيّة، ونحويّة، ودلاليّة، تنسـجم وسـياق ما وردت فيه، فكأنّنا بهذا أمام لغة صـوتيّة خفيَّة، تظهر هالات هوامشـها الدلالية المنسـجمة مع سياق ما وردت فيه باستعمال ألفاظ مخصوصة بدل مرادفاتها، أو اعتماد صيغ صرفية معينة بدل غيرهاـــ لتأتي التراكيب النحوية بتنوعها فتزيدها بريقا وألقا، لا يمكن أن يُرى في غير النص القرآني.

Abstract

This surah deals with the essential truth which may absolutely alter the prominent notion of belief and disbelief throughout two groups. The first one comprises the initial three ayas and the second group includes the last four ones. many linguistic differences between these two groups has been observed; phonetically, morphologically, syntactically, and semantically. These differences harmonize with the relevant context. Accordingly, we can feel a hidden phonological discourse that may uncover its semantic effect matching the context via using specific lexical items instead of their synonyms. Or, it adopts certain morphological patterns rather than other ones. So, the syntactic structures appear in various shapes and aspects to give this surah a bright and elegant look which can’t be seen or felt in any discoursal text rather than the Qur’ānic one.

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ٧

المقدَّمة

ممّا لاشكَّ فيه أن إنعام النظر في النصوص اللغويّة، ومحاولة استنباط مقاصدها ليس أمرا يسيرا، فكيف إذا كان النص هو نصّ هو القرآن الكريم المعجز بخصوصيَّته المتفرِّدة؟

سنحاول في هذه الدراسة ألّا نتذوَّق الدلالة الصوتيّة بشكل شخصيّ، فالأذواق مختلفة، ولكنَّنا سنتناولها بشكل علميّ باحتساب عدد الأصوات والمقاطع الصوتية المسموعة لا المكتوبة، فقد كان الاستماع للقرآن الكريم له أثره الكبير وقت نزوله لمتذوقي اللغة والعارفين بها وما يزال حتى تقوم الساعة لما له من موسيقى خاصة لا نجدها في أي نصٍّ لغويٍّ آخر.

لن نطيل في الشرح والتفصيل لما هو معروف، ولن نقسِّم الدراسة على مباحث ومطالب كي لا نُفقِدَها محاولة كشفها بعضا من ذلك الإعجاز الصوتيّ، وسنحاول أنْ نربط بين دلالة كثرة الأصوات والمقاطع الصوتية أو قلتها، فضلا على نوعها: مفتوحة أو مغلقة مع المعنى والسياق باستخدام ألفاظ بدل أخرى غيرها، بصيغ محددة، وتراكيب معينة بأساليب نحويّة تعطي مالا تعطيه غيرها نظرا لما فيها من استفهام، أو تعجب، أو زيادة لفظ، أو استبداله بغيره، أو تقديمه، أو تأخيره، أو غيره، ولم يكن بعض من ذلك توافقا لرؤوس الآيات فحسب، فمنها ما لم يقع في آخر الآية.

تعالج سورة الماعون حقيقة ضخمة تكاد تبدِّل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلاً كاملاً، فهذا الدين ليسَ دين مظاهر وطقوس، ولا تُغني فيه مظاهر العبادات والشعائر مالم تكن صادرة عن إخلاص مجرّد لله سبحانه تعالى، ومحاور شرائع الدين ثلاثة: الاعتقاد الذهنيّ وهو داخليّ، والقصة التي ترسخ هذا الاعتقاد، والطقوس التي يتمظهر من خلالها هذا الاعتقاد[1]، فنرى في السورة التعجبَ من حال من كذَّبوا بالبعث وتفضيعَ أعمالِهم من اعتداءٍ على ضعيف، أو إمساكٍ عن إطعامِ مسكين، أو إعراضٍ عن قواعدَ الإسلامِ من صلاةٍ أو زكاةٍ[2]، ولاسيما أنَّ الماعون هو اسمٌ جامعٌ لمنافعَ البيتِ كالقِدْر والفأسِ والقصعةِ ونحو ذلك، ممَّا تعوّد النَّاسُ إعارتَه، وإنْ كانت العامّة تخصّصه، فلا تطلقه إلاّ على الإناء الذي يُؤكل به الطَّعام.

وتأسيسا على ما سبق فالسورة مقسَّمة على مجموعتين: الأولى: وتتكون من الآيات الثلاثة الأولى، والثانية: وتتكون من الآيات الأربعة الأخيرة، وقد وجدنا بين المجموعتين فروقا لغويّة كثيرة، صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، ودلاليّة تتسق وسياق ما وردت فيه، نذكر من ذلك: أنَّ المجموعة الأولى تتحدث بالمفرد، عن المكذب بالدين، بصيغة المضارع (يكذّب، يدعّ، يحضّ)، ومعلوم أنَّ الجملة

(1) في ظلال القرآن: ج 30 ص (262-264).
(2) التحرير والتنوير: ج 30 ص 564.

الفعليَّة تفيد التَّجدُّد والحدوث، في زمنٍ مُعيَّن مع الاختصـــار، وهذا يعني تجدّد حدوث الأفعال الواردة في الآيات (يكذّب، يدعّ، يحضّ) وتكرارها.

أمّا المجموعة الثانية فنراها تتحدَّث عن النفاق والرياء باستعمال صيغة الجمع المنسجم صوتيّا مع ارتفاع عدد المقاطع الصوتيّة الممتدة بالصوائت الطويلة إلى (11) مقطعا صوتيا، بأصوات المدّ الثلاثة (الألف، والواو، والياء) بعد أن كان عددها (9) بصوتي (الألف والياء) فقط، وهذا يتناسب مع إظهار أثر المنافقين السيء في المجتمع؛ لذلك كان مصيرهم الدرك الأسفل من النار؛ لقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) النساء)، في مقابل هذا نرى انخفاض نسبة الأصوات المجهورة، ومعلوم كما ذكرنا آنفا أنَّ الرياء نفاق، وفي النفاق إخفاء للحقيقة، وهذا قطعا لا يناســـبه الجهر، بل الهمس، فالمنافق شخص ضعيف لا يقوى على الجهر بحقيقة ما يكنُّه في صدره، والجدول الآتي يوضح بعض تلك الفروق:

المجموعة الأولى (1-3)	المجموعة الثانية (4-7)
تتحدَّث عن المكذِّب بالدين بصيغة المفرد.	تتحدَّث عن المرائين بصيغة الجمع.
عدد المقاطع الصوتيّة الممتدة بصائت طويل (ص ح ح) و (ص ح ح ص) هي (9) مقاطع، والمدّ فيها بصوتي: (الألف، والياء) فقط، وهذا يناسب الحديث عن المفرد.	عدد المقاطع الصوتيّة الممتدة بصائت طويل (ص ح ح) و (ص ح ح ص) هي (11) مقطعاً، والمدّ فيها بأصوات: (الألف، والواو، والياء)، وهذا يناسب الحديث عن الجمع.
نسبة الأصوات المجهورة أكثر من المجموعة الثانية، وهي (92.8%) تتناسب مع إبراز صورة المكذب بالدين وأفعاله، وإظهارها للملأ؛ للتعرف عليه وكشفه.	نسبة الأصوات المجهورة أقل من المجموعة الأولى، وهي (85.25%)، تتناسب مع الأفعال التَركِيّة: السهو عن الصلاة وعدم المساعدة، فضلا على مناسبة ذلك لشخصية المرائين.
نسبة المقطع المفتوح بنوعيه (62.9%) تُناسب استعمال الأفعال المذكورة في المجموعة؛ لأنَّ الفتح يتناسب مع الكشف والرؤية في فعل الفعل كما في رؤية عملية دعّ اليتيم.	نسبة المقطع المفتوح بنوعيه (52.9%) تُناسب الأفعال المذكورة في المجموعة، لأنَّ الغلق يتناسب مع عدم إنجاز الفعل كما في السهو عن الصلاة، ومنع الماعون.

ننتقل الآن للحديث عن دلالات الصيغ والتراكيب في المستويات اللغوية، وهو ما لا يمكن أن يكون منفصلا انفصالا تاما تحت محاور المستويات؛ لأن المستويات كلّها متداخلة فيما بينها، ولاسيَّما إنْ تعلَّق الأمر بالمستوى الصوتيّ، فأيّ تغيير في الكلمة من حيث استعمال المترادف، أو تغيير الصيغة الصرفية، يؤدي قطعا إلى تغيير في أصواتها.

في دراسة المستوى الصوتي جانبان رئيسان: صفات الأصوات ومخارجها، والمقاطع الصوتيّة، أمّا ما يتعلق بالمقاطع الصوتيّة، فلابدَّ من توضيح أنها تقسم على قسمين نظرا لما تنتهي به، فإن انتهت بصائت فهي مفتوحة، وإن انتهت بصامت فهي مغلقة، والقسمان يقسمان نظرا لعدد الصوائت والصوامت فيهما.

قد يواجه الباحث مشكلة تعدد المصطلحات التي تُطلق على المقاطع الصوتيّة، وعدم دقّة بعضها أحيانا، كالمقطع القصير، والمتوسط، والطويل، والمديد، أو المتمادي في الطول، ولكنّنا نرى أنَّ الوصف الدقيق للمقطع لابدَّ أن يعتمد ابتداء على ما ينتهي به من صامت أو صائت، ومن بعد ذلك على ما يشتمل عليه من صوائت وصوامت، فالمقاطع الصوتية في اللغة العربية قسمان: مفتوحة ومغلقة، فأمّا المفتوح بحسب رأي العلماء والدراسين فنوعان:

الأول مقطع صوتي قصير مفتوح، وهو المنتهي بحركة واحدة (ص ح)، حيث (ص) رمز الحرف الصامت، و (ح) رمز الصائت القصير أو الحركة التي يُشكل بها.

الثاني مقطع صوتي طويل مفتوح، وهو المنتهي بحركتين (ص ح ح) حيث (ح ح) رمز المدّ بصائت (الألف، أو الواو، أو الياء).

ولكننا نرى أنَّ المقطع الصوتيّ الطويل المفتوح قاصر عن وصف طول زمن المدّ بتلاوة القرآن، فارتأينا إضافة مقاطع أخرى للتعبير عن طول زمن المدّ وعدد حركاته وأطلقنا على كلّ مقطع اسما يوضح ما يشتمل عليه من صوائت أو صوامت، فارتأينا إضافة مقاطع أخرى فضلا على ما موجود لتكون المقاطع الصوتيّة المغلقة الخاصة باللغة العربيّة:

مقطع منتهٍ بحركة واحدة (ص ح)

مقطع منتهٍ بحركتين (ص ح ح)

مقطع منتهٍ بـ (3) حركات (ص ح ح ح)

مقطع منتهٍ بـ (4) حركات (ص ح ح ح ح)

مقطع منتهٍ بـ (5)حركات (ص ح ح ح ح ح)

مقطع منتهٍ بـ (6) حركات (ص ح ح ح ح ح ح)

حيث لا وجود لمدّ أكثر من ستّ حركات في تلاوة القرآن، مع وجوده في الغناء بهذا العدد وأكثر بحسب قدرة المغني وطول نفسه.

وأمّا المقاطع المغلقة فهي التي تنتهي بصامت قد يسبقه صامت أو يسبقه متحرك، وهي في اللغة العربيّة بحسب العلماء والدارسين: (ص ح ص)، و(ص ح ح ص)، و(ص ح ص ص)، وهي الأخرى رأيناها قاصرة التعبير عن طول مدّ الصوت في التلاوة، فارتأينا إضافة مقاطع أخرى لها فضلا على مّا موجود؛ لتكون المقاطع الصوتية المغلقة الخاصة باللغة العربية:

مقطع منته بصامت مسبوق بحركة واحدة (ص ح ص)

مقطع منته بصامت مسبوق بحركتين (ص ح ح ص)

مقطع منته بصامت مسبوق بـ (3) حركات (ص ح ح ح ص).

مقطع منته بصامت مسبوق بـ (4) حركات (ص ح ح ح ح ص).

مقطع منته بصامت مسبوق بـ (5) حركات (ص ح ح ح ح ح ص)

مقطع منته بصامت مسبوق بـ (6) حركات (ص ح ح ح ح ح ح ص)

فضلا على المنتهية بصامتين، وما يمكن أن يضاف لهما، وبذا تكون الدراسة الصوتيّة المقطعية الحديثة قد اقتربت في توصيف الزمن النطقيّ للتلاوة وأحكامها كتابيّا بدقة ووضوح[1]، "وقد تميَّز ورش عن بقية القرّاء بهذه المبالغة، فمدَّ ما حقّه حركتان من حرفيّ اللين إلى أربع حركات، وكذلك ما حقّه أربع حركات إلى ستّ حركات"[2].

ولا يختلف حال الصـــوامت عن الصـــوائت كثيرا، ففيها ما يطول زمن نطقه عن غيره، كأصـــوات الغنّة، أو اللين في المقاطع الصوتيّة التي يمثلها صامت واحد فقط (ص) كما في (لَوْ) = (ص ح ص)، وهذا غير دقيق؛ لأنَّ أطوال الأصوات ليست متساوية، ولابدَّ أن يوضع لها ما يناسبها من المقاطع الصوتيّة التي تنسجم وتلاوة القرآن كما حرفيّ اللين (التي تخالف حركة ما قبلها) كما في قراءة (أرأيت) بتحقيق الهمزتين[3]، فـــ(الياء) ممدودة مدّ لين عارضٍ للسكون، مقداره (2-4-6) حركات، وكذلك في مثل (خوف)، و(قريش)، و(السَـــوء)، و(شـــيء)، حيث يمدّ بعض القراء فيها إلى أربع حركات، وحقها حركتان؛ لنرمز لها (ص ح ص ص) بدلا من (ص ح ص ص)، وقد يسأل سائل فيقول لا يجوز اجتماع صامتين في وسط الكلام فكيف بثلاثة؟ ونجيب: إن الصامت هنا يمكن أن يطلق عليه وصف أشباه الصوامت، أو أشباه الصوائت، هذا أولا، وثانيا الأمر مختلف بكتابة حركة الحرف عن كتابة رمز المقطع الصوتي لها، فـ(الياء) الأولى في كلمة (يَتِيْم) حرف علّة متحرك بالفتحة، يرمز له (ص)، ولحركته (ح)، أمّا (الياء) الثانية وهي أيضا حرف علّة، فيرمز له (ح ح)؛ لأنَّه ساكن، وما قبله صوت (التاء) متحرك بحركة مجانسة له وهي الكسرة، وكذلك يرمز لصوت (الياء) (ص) في كلمة (رأَيْـــتَ)، فهو حرف لين ساكن مسبوق بحركة غير مجانسة هي الفتحة على الهمزة، وهنا يكمن اللبس في فهم معنى الحركة والسكون، ونوع الحرف، وحركته، وحركة ما قبله، والتعبير عنها برمز مختلف في المقطع الصوتيّ، لخصوصية كلّ حالة.

انتهت فواصل آيات السورة كلها بالمقطع الصوتي (ص ح ح ص)، فأعطى موسيقى خاصة تناغمت وسياق ما وردت له نظرا لاختلاف الصائت، فهو تارة (الياء)، وأخرى (الواو)، وتجدر الإشارة إلى وقوع هذا النوع من المقاطع الصوتيّة في آخر الكلام كثيرا

(1) أعجوبة اختلاف زمن المدّ في التلاوة وأثره في المعنى ووفرة الدلالة: ص 163.

(2) القيمة الدلالية لصوت المدّ في القراءات القرآنيّة: ص 53.

(3) الحجة في القراءات السبع: ص377.

مع ندرة وقوعه وسـط الكلام، وبعد اسـتقراء ذلك في القرآن الكريم وجدنا أنه ورد في الفاصـلة القرآنية (4549) مرة، في مقابل ذلك لم يرد في درج الكلام إلّا (118) مرّة في مواضع ثلاثة وهي:

تلاوة بعض الأحرف المقطعة، مثل (كهيعص).

أسلوب الاستفهام بأداة الاستفهام (الهمزة) التي لحقتها لفظة ابتدأت بألف ولام نحو: (آلله)، (آلذكرين)، (آلآن).

كلمات معينة أغلبها مشـتق من الأفعال الثلاثية المضـعفة، مثل: (ضـالّين) من (ضـلل)، (حاجّ) من (حجج)، (دابة) من (دبب)، (كافة) من (كفف)، (ضارّ) من (ضرر)، (آمين) من (أمم)، (يشاقّون) من (شقق)، (خاصّة) من (خصص)، (رادّ) من (ردد)، (عادّ) من (عدد)، (صافّات) من (صفف)، (جانّ) من (جنن)، (حافّين) من (حفف)، (يتماسّا) من (مسس)، (يحادّون) من (حدد)، (يوادّون) من (ودد)، (حاقّة) من (حقق)، (يحاضّـون) من (حضـض)، لا نسـتثني من ذلك إلّا: (صـوافّ) من (صوف)، و(مدهامَّتان) من (دهم)، فضلا على لفظ (تتبعانِّ) المؤكد بنون التوكيد فهو من (تبع)[1].

كانت المقاطع الصـوتيّة في السـورة منسـجمة مع السـياق والمعنى من حيث النوع والعدد فضـلا على ما اشـتملت عليه من أصوات، والجدول الآتي يوضح ذلك:

رقم الآية	نسبة (ص ح)	نسبة (ص ح ح)	صوت الصائت الطويل آخر المقطع	نسبة (ص ح ص)	صوت الصامت آخر المقطع	نسبة (ص ح ح ص)	صوت الصائت الطويل آخر المقطع
1	%50	%6.16	ي	%3.33	ي ل ذ د	%6.16	ي
2	%5.45	%28.18	آ ي	%3.27	ل ع ل	%9	ي
3	%6.41	%25	آ آ ي	%25	ض ل س	%8.3	ي
نسبة المجموعة1	%7.45	%17		%6.28		%8.6	
4	%5.28			%2.57	ي ن ل ل	%3.14	ي
5	%3.33	%25	ي آ آ	%3.33	ل م ن م	%8.3	و
6	%3.37	%25	ي آ	%25	ل م	%5.12	و
7	%6.28	%6.28	و آ	%6.28	م ل	%2.14	و
نسبة المجموعة2	%3.32	%5.20		%3.35		%7.11	
نسبة كلية	%39	%19		%32		%10	

(1) المُقْطَعُ الصَّوتِيُّ المدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ- دِرَاسَةٌ إحصَائيّة صَوتِيَّةٌ فِي القُرآنِ الكَرِيم، ص 101.

ورد المقطعان الصوتيان: (ص ح ح)، و(ص ح ح ص) عشرين مرّة، فربطا مجموعتي السورة بموسيقى أصوات المدّ فيهما، موسيقى بدأت بتكرار متطابق لصوتيّ: الياء والألف (ي ي ا) (ي ي ا)، فتكرار معكوس لها (ا ا ي)، لتنتهي بذلك المجموعة الأولى من السورة التي تتحدث عن المكذب بالدين، ثم ترتبط المجموعة الثانية في السورة بالمجموعة الأولى بالموسيقى التي ابتدأت بها السورة بالمجموعة الأولى (ي ي ا)، وبعدها ينتقل الإيقاع لصوت الواو بعد الألف وقبل الياء التي وردت آخر مرة، ليستمر بعد ذلك توالي صوتي الألف والواو فقط بدون الياء حتى نهاية السورة

ي ي ا	ي ي ا	ا ا ي	/	ي ي ا	ا و	ا	ا و		ا و	

وإذا ما نظرنا للمدّ الحاصل بسبب المقطع الصوتيّ (ص ح ح ص) فنراه يشكل موسيقى أخرى لا تقلّ انسجاما عن السابقة، فهي موسيقى لم تتكرر بشكل متطابق، فتكون مملّة، بل أعطت بتكرارها المتطابق أحيانا والمتعاكس أحيانا أخرى ما جعل للنصّ القرآنيّ خصوصيّة سمعيّة لا نراها في الشعر، ولا في السجع، ولا في غيرهما.

المجموعة الأولى من السورة		المجموعة الثانية من السورة	
ي ا	ي ا ا ي	ي ا ا ي	ا و ا

أمّا المقطع الصوتي (ص ح ح ص) فقد شكّل موسيقى أخرى هي موسيقى الفاصلة

المجموعة الأولى من السورة	المجموعة الثانية من السورة	
ي ي ي	ي	و و و

ابتدأت سورة الماعون بأسلوب الاستفهام المشوِّق[1] بالهمزة[2] الذي أعطى بتآلفه مع همزة الفعل السياقَ شدّةً وقوةً، والأسلوبَ متانةً وتماسكًا، فأسهم في بناء إيقاع واضح بارز، ارتبط بما بعده من عبارات[3]، ولاسيَّما عند قراءة (أرأيت) بتحقيق الهمزتين، وفيها الراء مفخَّمة من الدرجة الثانية[4].

وكما ذكرنا آنفا أنَّ كلَّ تغيير في الكلمة على مستوى المعنى (المعجمي) أو الصيغة (المستوى الصرفيّ) أو التركيب (المستوى النحويّ) قطعا يؤدي إلى تغيير في المستوى الصوتيّ، فنلحظ مثلا أن استعمال اسم الموصول (الذي) قد عزَّز مِن الاتصال بين فاعل فعل الرؤية والمفعول صوتاً ومعنىً بسبب اتصال أوّله بـــ(تاء الفاعل) في آخر التركيب (أرأيت)، لِيُكوِّنا معا بهذا الاتصال مقطعا صوتيّا واحدا مغلقا، ويرسمان وضوح الرأي في الواقع؛ لقرب الفاعل من المفعول، ولاسيَّما أنَّ اسم الموصول "يثير في النفس الشوق

(1) التفسير الكبير: ج 31 ص112.
(2) ينظر التفسير البياني: ج 2 ص 185 و186، وتراكيب أبنية الجذور (بصر. رأى. نظر) في القرآن الكريم: ص97.
(3) ينظر الإيقاع أنماطه ودلالاته: ص71.
(4) الحجة في القراءات السبع: ص377.

إلى معرفة الخبر"[1]، ويسبغ طابع الصفة المتميّزة للمتحدَث عنهم، فيحاكي بذلك وضوح الرأي، وما كان ذلك ليكون لو لم يُستعمل في التركيب اسم الموصول (الذي) بدل (مَن) ويتناغم مع الفرق الدلاليّ بينهما ابتداء بالتذكير والتأنيث، وانتهاء بالإفراد والتثنية والجمع، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

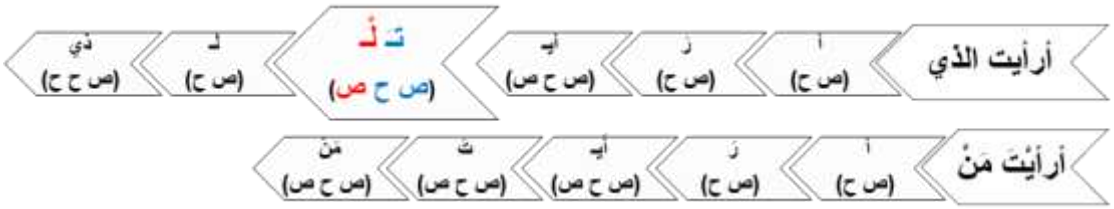

والنظر بأكثر الأصوات ورودا في السورة قيرينا أن (صوت اللام) الذي تكرَّر عشرين مرة قد رسم صورةَ المنحرفين عن الدين، المكذّبين به، فهم منحرفون عن الدين، مكذبون به، يكرّرون تكذيبهم وأفعالهم المشينة بوصفه صوتا منحرفا.

ويتناغم وهذا استعمال لفظ (الدين) بدل لفظ (الجزاء)[2]، الذي وسَّع من المعنى؛ لأنَّ الدين سلوك وجزاء، والتكذيب بالجزاء بعضٌ من التكذيب بالدين، فضلاً على إسهامه صوتيا في توافق رؤوس الآي.

وإذا ما نظرنا في فاصلة الآية الرابعة (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) المرتبطة بالآية الخامسة؛ لأنَّها تخصص الويل لأيّ نوع من المصلين، نلحظ أنَّ الوقوف عليها لم يكن لتوافق رؤوس الآي فحسب، ولكن للتشويق والسؤال عن سبب إنذار هؤلاء المصلين بالويل، وبالتالي إلى التفاعل مع النصّ، وجاء الوصف باسم الموصول؛ "لامتناع عطف الفعل على الاسم"[3]، ومنعاً للّبس؛ لأنَّه لو قيل: (فويل للمصلين الساهين)، لما فُهِمَ المراد أنَّهم ساهون عن صلاتهم، ولكن في صلاتهم، وهذا شيء يكاد يقرب من المحال، ويدخل أغلب المصلّين في ذلك الويل، فضلاً على إفادة التركيب بالجملة الاسميّة لمعنى الدوام والاستمرار على السهو، وكأنَّ تلك صفة ثابتة، وميزة ملازمة لهم، وهذا المعنى يُستشعر من استعمال اسم الموصول، ويُعَبِّرُ عن شدّةِ السهوِ استعمالُ لفظ (صلاتهم) بالمفرد بدل (صلواتهم) بالجمع كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) المؤمنون)، وكأنَّنا أمام صورتهم وهم عن الصلاة الواحدة ساهون، فكيف بهم عن الصلوات؟

ويأتي عدم استعمال واو العطف قبل اسم الموصول في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7) الماعون)؛ ليبين أنَّ الويل لمن يجمع الصفات كلها: السهو عن الصلاة، والرياء، ومنع الماعون، وليس من وُصِف بواحدة منها، فالواو تفيد المغايرة، كما في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) المؤمنون)، أو كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)

(1) من بلاغة القرآن: ص 136.
(2) معاني النحو: ج 1 ص 659.
(3) أسرار التكرار: ص 226.

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّـــائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَـــدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْـــفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَـــهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـــلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35) المعارج)، وهذا من كرم الله ورحمته جلَّ في علاه.

وتجدر الإشـارة إلى رؤية بعض الدارسـين أنَّ لفظ (الصـلاة) مُعرَّفا بأل التعريف ومنه وصـف (المصـلين) يختلف عن الوصـف بـــ(مقيمي الصلاة)، بالتركيب (أقام الصلاة)، أو (أقاموا الصلاة)، أو (يقيمون الصلاة) أو (أقم الصلاة) أو (أقيموا الصلاة) أو (أقمن الصـلاة)... وأنَّ سـياق الآيات التي ورد فيها لفظ الصـلاة مُعَرَّفا بأل التعريف يختلف عن سـياق الآيات التي ورد فيها لفظ الصلاة معرفا بالإضافة نحو (صلاتهم)، و(صلاتي)، و(صلاتك)، و(صلاته)، و(صلاة الفجر)، و(صلاة العشاء)، ويختلف عن سياق الصلاة المقترنة مع الإقامة[1]، كما في قوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) البقرة) أو قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ(238) البقرة)، أو(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى..(43) النسـاء)، أو قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُـرُوا مِنَ الصَّـلَاةِ...(101) النسـاء)، ويرى آخرون أنَّها قد تعني المتأخرين، ويستشهد بقول أبي مخزوم النهشلي وهو يفخر بقومه قائلا:

إنْ تبتدرْ غايةٌ يوماً لمكرمةٍ تلقَ السوابق منّا والمصلينا[2]

وقد لا يؤثر في موسيقى الفاصلتين الأخيرتين المنتهيتين بـــ(الواو النون) استعمال الصيغة الفعلية (يراؤون) الدالة على التجدد والحدوث بدل الصـيغة الاسمية (المراؤون) الدالة على الثبوت، ولكنّه يعطي صـورة دقيقة لتجدد الرياء وتنوّعه، خشـية أن يكشـف فيما لو تكررت طرقه، فلكلّ حالة لبوسها، ويظهر أنَّ وصفهم باسم الموصول، قد أسبغ عليهم هذه الصفة التي لا يميّزون إلّا بها، وقد نستشعر في تكرار صائت الواو أربع مرات في ألفاظ شبه متتالية (ساهون، يراؤون، يمنعون، الماعون) ما يعبّر عن لَفِّهم ودورانهم في حلقة مفرغة لا جدوى فيها من خلال شكل الشفتين عند النطق به.

أمّا (الماعون) الذي يطلق على أمتعة البيت وعلى كل معونة ومنفعة وعطيّة لا تكلف باذلها إلا يسـيراً، لأنها تكون عند الناس عفواً من غير تكلف ولا منّة[3]، فقد أسهم في توافق رؤوس الآي فضلاً على كل المعاني السابقة.

وإذا ما وازنّا بين قوله تعالى: (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) وقوله تعالى في سورة الفجر: (وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) فإننا نلمح نكتة لطيفة في استعمال الفعلين، فالأول ورج مجردا مع المفرد، والثاني ورد مزيدا مع الجمع، وهذا يتسق والمعنى والسياق، فالآية الأولى في سـياق الحديث عن المفرد، أمّا الثانية ففي سـياق الحديث عن الجمع، فضـلاً على الفرق الدلالي بين اللفظتين،

(1) ينظر: هاتوا برهانكم – 29 معنى الصلاة بين الدكتور محمد شحرور والمهندس عدنان الرفاعي، https: //www.youtube.com/watch?v=FlPlSsz0fKs

(2) الكامل في اللغة والأدب: ج 1 ص95.

(3) معارج التفكر: ج 1 ص 696.

فـ(تحضّون: تأمرون)[1]، و(تحاضّون: تحافظون)؛ لذلك كان الفعل المزيد بالألف وكأنه يعبّر عن تلك الزيادة، ويعزز ذلك أن سُبِقَت بقوله تعالى: (كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(17) الفجر)، أمّا الآية الأولى فقد سبقت بقوله تعالى: (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)، وعدم الاكرام قد يكون فيه دعٌّ وقد لا يكون!

وتبدو دقة استعمال الفعل (يحض) بدل (يحث) [2]، علما أنَّ الحثَّ لم يرد بمعنى الحض في القرآن الكريم، بل ورد مرة واحدة في قوله تعالى: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا (54) الأعراف) علما أنَّ الحض هو ضرب من الحث في كل شيء[3]، إلاّ أن الحث يكون بسوقٍ وسيرٍ، والحض لا يكون بذلك[4]، فضلاً على ما في الحث من حركة دائمة وسرعة وإعجال[5] لا تتناسب وحال المكذبين؛ لأنَّهم لم يتباطؤا أو ينقطعوا عن ذلك، بل لم يفعلوه بتاتاً، أمّا صوتياً فلأنَّ الضاد بوصفها من أصوات الاستعلاء والجهر فهي أقوى من التاء المهموس، والسياق يتحدَّث عن القوّة والشدّة في المعاملة مع الضعيف الذي يستنكف منه المكذِّب بالدين، فلا يطعمه ولا يحضّ غيره من ذوي اليسار على إطعامه، بل يبخل بسعيه عند الأغنياء لأغاثته[6].

لوحظ اقتران الحضّ الوارد في القرآن الكريم ثلاث مرات فقط[7]، مقترناً فيها جميعاً بإطعام المسكين، وربما كان في ذلك ما يعبّر عن ذلك، يعزز ذلك أنَّ (60%) من أصوات الاستعلاء في السورة تكمن في هذه الآية، فترسم صورة تعالي المكذبين واستعلائهم على المسكين "الذي يرقّ له الانسان إذا تأمل حاله وكلّ من يرقّ له الانسان يسميه مسكيناً"[8].

ويتناغم هذا وقوله تعالى (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) بالتشديد بدلَ يدَعُ اليتيم؛ لأن الدعّ: الدفع في جفوة وعنف دفعاً قوياً[9] مؤذياً[10]، وهذا يصوّر لنا كيف أن المكذّب بالدين لاَ يدَعُ اليَتم وشأنه، بل يَدُعّهُ دَعّاً، وكأننا بهذا نسمع لغة صوتيّة خفية، يَرسم فيها إدغام العين الحلقي الدعّ النابع من الأعماق لشدّة الكراهية، يعزز ذلك استعمال الفعل بصيغة المضارع الذي يستحضر الحال، ويشعرنا بجفاء هذا التعامل وقسوته، ولا يدري المكذبَّون أنهم سيعاملون هكذا في الآخرة (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا)، وإنْ رأى بعض الدارسين أنَّ الفاء في قوله تعالى: (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) سببيّة[11]، فأني ألمح فيها ما يعطي معنى وجوب الإجابة بنعم عن سؤال الآية الأولى، ويؤكد التقرير فيها بطريقة جديدة، ولو لم تذكر الفاء لنُطق النص بنغمة مختلفة، تعطي استمرار الاستفهام إلى الآية التالية، ولاسيما أنَّ هناك من حمل الفاء على أنها واقعة في جواب شرط محذوف "والمعنى هل عرفت الذي يكذّب بالجزاء أو

(1) معجم غريب القرآن: ص39.
(2) ينظر: التفسير البياني: ج 2 ص 190.
(3) ينظر: لسان العرب، مادة حضض.
(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني: ص 121.
(5) ينظر: لسان العرب، مادة حثث.
(6) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: ج 9 ص 490.
(7) في الآية (34) من سورة الحاقة والآية (3) من سورة الماعون والآية (18) من سورة الفجر.
(8) ينظر: الفروق في اللغة: ص 170 و 171 و معارج التفكر: ج 1 ص 691.
(9) معجم العين: ج 1 ص 80.
(10) تفسير النسفي: ص 1377.
(11) التفسير الكبير: ج 31 ص 112.

بالإسلام؟ إن لم تعرفه فذلك الذي يكذّب بذلك هو الذي يدع اليتم"[1]، ويأتي استعمال اسم الإشارة للبعيد (ذلك) في التركيب (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) موحيا إلى ابتعاد المكذِّب بالدين عن المؤمنين بسبب تصرفاته تلك.

(1) روح المعاني: ج 30 ص 656.

النتائج

1. التعرف على صورة من صور الإعجاز الصوتي في القرآن، فقد كشف البحث أنَّ أي تغيير في أيّ مستوى من المستويات اللغوية يؤثر في المستوى الصوتي ابتداء بالمستوى المعجمي، فهو يتأثر بشكل مباشر بسبب تغيير الأصوات الذي قد يقترن فضلا على ذلك بتغيير في المقاطع الصوتية نوعا أو كمّا
2. وكذلك يؤثر التغيير في المستوى الصرفي بسبب زيادة أو نقصان عدد الأصوات في بنية اللفظة ولاسيما الفروق بين الصيغ الصرفية المجردة والمزيدة فضلا على الفروقات بين الصيغ المزيدة نفسها.
3. ويأتي أخيرا التأثير في المستوى النحوي من حيث نظم الكلام، فباعتماد مبدأ الاستبدال بدا لنا كيف أنّ الأفصح والأنسب هو ما ورد في النص القرآني الكريم لا غيره
4. وتأسيسا على كل ما سبق يبدو لنا بما لا يقبل الشك أنَّ أيَّ تغيير لم يكن ليكون بمستوى ما ورد في النصّ القرآني قطعا من حيث الدلالة والمعنى وانسجام ذلك مع السياق الذي ورد فيه، وهذا دليل واضح وناصع على إعجاز القرآن اللغوي.

التوصيات

1. عدم إهمال الجانب الصوتي في التحليل اللغوي، وإشراك الدراسة الإحصائية مع الذائقة الصوتية.

المصادر والمراجع

1. أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكِرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، تونس، 1404 هـ- 1983م، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع.
2. أعجوبة اختلاف زمن المدّ في التلاوة وأثره في المعنى ووفرة الدلالة، 163، د. عَزّة عدنان أحمد عِزّت، المجلة العربية للنشر العلمي Arab Journal for Scientific Publishing (AJSP)، شباط 2021 م. https: //www.ajsp.net.
3. الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، دراسة أسلوبية دلالية: عبد الواحد زياد اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير، بإشراف: أ.د. أحمد جاسم النجدي، مقدمة لكلية الآداب، جامعة البصرة، 1416 هـ - 1995م.
4. تراكيب أبنية الجذور (بصر، رأى، نظر) في القرآن الكريم دراسة دلالية: عزّة عدنان أحمد عزت رسالة ماجستير بإشراف د. عماد عبد يحيى، مقدمة لكلية الآداب- جامعة الموصل، 1422 هـ - 2001م.
5. التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة عبد الرحمن، ط2، مصر، الجزء الثاني، 1388 هـ، 1968م.
6. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (د.ت)، الدار التونسية لنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.
7. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، القاهرة، 1332 هـ - 1914م، دار الحديث.
8. التفسير الكبير: الإمام الفخر الرازي، طهران، ط2، (د.ت)، نشر دار الكتب العلمية.
9. تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد محمود النسفي، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000م، دار المعرفة.
10. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، ط4، بيروت- القاهرة، 1401 هـ - 1981م، دار الشروق.
11. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلامي، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000م.
12. الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
13. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط3، بيروت- لبنان، (د.ت)، دار احياء التراث العربي.
14. القيمة الدلالية لصوت المدّ في القراءات القرآنيّة، كمال أحمد المقابلة، مجلة المنارة، المجلد 17، العدد 2، 2011م. https: /pdf-101620//ebook.univeyes.com/.
15. الكامل في اللغة والأدب، الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
16. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، 1375 هـ - 1956 م، دار صادر، دار بيروت.
17. معارج التفكر ودقائق التدبر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، دمشق، 1420 هـ - 2000م.
18. معاني النحو: فاضل السامرائي، وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، 1408هـ-1987م.
19. معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، بيروت، (د.ت)، دار المعرفة للطباعة والنشر.

20.معجم كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق د. مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، 1980، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، دار الرشيد.

21.معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت– لبنان، (د.ت)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

22.المِقْطَعُ الصَّوتِيُّ المِدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ– دِرَاسَةٌ إحصَائيّة صوتيّة فِي القُرآنِ الكَرِيم، عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الفراهيدي كلية الآداب جامعة تكريت العدد 10 اذار 2012م.

23.من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1370 هـ - 1950م، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

24. هاتوا برهانكم – 29 معنى الصلاة بين الدكتور محمد شحرور، والمهندس عدنان الرفاعي، https: fKs0//www.youtube.com/watch?v=FlPlSsz

وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة واثرها على الزواج

أ. د. مزاحم مهدي ابراهيم النجار

جامعة تكريت – كلية العلوم الإسلامية

dr.mozahimdori@gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على نبينا محمد وآله وصــحبه أجمعين وبعد: فإن هذا البحث يتناول مفهوم البعث، ومعرفة المنهج الذي سلكه القرآن لإثبات عقيدة البعث، وما فصّل فيه لتقريره وإقامة الحجة الواضحة البرهان الساطعة، وقد جاءت الدراسة في ثلاثة محاور، في الأول منه: ناول مفهوم البعث في القرآن الكريم، والثاني: منهج القرآن الكريم في الاستدلال على عقيدة البعث وفي المحور الأخير: أشار إلى القيم الإيمانية لهذه العقيدة وأثره في حياة الإنسان، وخلص على النتائج أهمها ما يلي:

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the universe, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions as a whole

This research deals with the concept of resurrection, and knowledge of the approach taken by the Qur'an to prove the doctrine of the Resurrection, and what was detailed in it for its report and establishing a clear and bright proof argument. In the inference of the doctrine of the Resurrection and in the final study: He referred to the faith values of this belief and its impact on human life, and concluded on the results, the most important of which are the following:

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الامين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين

وبعد

فانه لمن السعادة والشرف ان اشارك في المؤتمر الدولي الذي تقيمه

ان سعادتي تكمن في توضيح وبيان احد المواضيع المهمة في وقتنا الحاضر الا وهو وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة واثرها على الزواج لما له من اهمية كبيرة في استقرار الحياة الزوجية او هدمها،

ان الدين الاسلامي قد كرم المرأة واعطاها حقوقها بما يحفظ كرامتها وعزتها وذلك لأنها احد طرفي تكوين الاسرة التي هي عماد المجتمع فبصلاحها يصلح المجتمع والعكس صحيح

ان انشاء الاسرة وتكوينها هو من المواضيع التي اهتم بها الاسلام اهتماما كبيرا وذلك لخطورة الامر واهميته

ومن يتطلع الى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية يجدها مليئة بالآيات والاحاديث التي تخص الاسرة

ان الدين الاسلامي قد ندب الى الزواج وتكوين اسرة، بل انه قد يكون واجبا في بعض الحالات، وقد احاط الاسرة ببعض القيود من اجل استمرارها فقد جعل الزواج دائما وحرم الزواج المؤقت وغيرها من الزيجات التي كانت منتشرة آنذاك ولم يحلل الا الزواج الشرعي الدائم

ان الدين الاسلامي قد وضع الضوابط الشرعية من اجل الحفاظ على المرأة وهذه الضوابط لا تختلف من زمن الى اخر فهي صالحة لكل الازمان الى ان يرث الله الارض ومن عليها، ومن اهم مزايا الشريعة الاسلامية انها صالحة لكل زمان ومكان

الا انه في عصرنا الحالي ظهرت بعض المستجدات والتي تحتاج الى بيان راي الشريعة الاسلامية ومنها ما يخص الزواج الذي هو موضوع بحثي

وقد اقتضت خطة البحث ان يكون على مقدمة وخمس مباحث وخاتمة تضمنت اهم النتائج

تحدثت في المقدمة عن اهمية الموضوع

المبحث الاول: مفاهيم العنوان

المبحث الثاني: انواع وسائل التواصل الاجتماعي

المبحث الثالث: الحكم الشرعي لمقدمات الزواج عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة ويشمل

المطلب الاول: حكم انشاء العلاقات بين الرجال والنساء

المطلب الثاني: حكم التعارف لأجل الزواج

المطلب الثالث: حكم الخطبة عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة

المبحث الرابع: الحكم الشرعي لإنشاء عقد الزواج وافشاء اسرار الزوجية ويشمل:

المطلب الاول: حكم اجراء عقد الزواج عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة

المطلب الثاني: حكم افشاء الاسرار الزوجية عبر وسائل الاتصال الحديثة

المبحث الخامس: الاثار الايجابية والسلبية للزواج عبر وسائل الاتصال الحديثة ويشمل:

المطلب الاول: الاثار الايجابية

المطلب الثاني: الاثار السلبية

الخاتمة وتشمل اهم ما توصل اليه البحث والمقترحات

اسـال الله سـبحانه وتعالى ان يكون عملي هذا خالصـا لوجهه الكريم وان ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين

المبحث الأول

مفاهيم العنوان

المطلب الأول

تعريف الوسائل لغة

تعريف الوسائل لغة:

الوسائل جمع مفردها وسيلة، قال الليث: وسل فلان الى ربه وسيلة اذا عمل عملا تقرب به اليه [1]، قال لبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم بلى كل ذي لب الى الله واسل [2]

وقال الازهري: الوسيلة: الوصلة والقربى وجمعها وسائل، قال الله (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب الى الله)[3]

ويقال: توسل فلان الى فلان بوسيلة: أي تسبب اليه بسبب وتقرب اليه بحرمة اصرة تعطفه عليه)[4]

وقال الرازي: الوسيلة: ما يتقرب به الى الغير.. والتوسيل والتوسل واحد[5]

وقال ابن منظور: الوسيلة: المنزلة عند الملك والوسيلة الدرجة والوسيلة القربة ووسل الى الله وسيلة: عمل عملا تقرب به اليه[6]

وفي معجم اللغة العربية ذكر عدة معان وهي:

1. كل ما يتحقق به غرض معين
2. اعلان أي وسيلة او اداة يمكن بواسطتها ايصال فكرة او غاية معينة الى اذهان الجمهور
3. واسطة لإيجاد مخرج مناسب من صعوبة او وسيلة للخروج من مأزق
4. درجة عالية في الجنة (اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)[7]

---

(1) العين 298/7، تهذيب اللغة 48/13

(2) ديوان لبيد 85/1

(3) سورة الاسراء اية 57

(4) تهذيب اللغة 48/13

(5) مختار الصحاح721،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1841/5

(6) لسان العرب724/11

(7) سورة المائدة اية 35

5. درجة النبي صلى الله عليه وسلم من الجنة [1]

تعريف الوسائل اصطلاحا

هي عملية نقل الافكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الافراد، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا او شخصيا او تواصلا غيريا، وقد ينبني على الموافقة او على المعارضة والاختلاف[2]

وعرفه ماجد رجب العسكر بانه: بناء علاقة بين فردين او دولتين او مجتمعين من تحقيق المنفعة المتبادلة بين الطرفين[3]

وجاء في الموسوعة الحرة: عملية تبادل الافكار والمعلومات والقناعات والمشاعر عبر وسائط متنوعة لفظية وغير لفظية، كالكلام والكتابة والاصوات والصور والحركات والايماءات، او بوساطة أي رموز مفهومة ذات دلالات لدى الاطراف المشاركة فيه[4]

والذي اراه واختاره هو ما ورد في معجم اللغة العربية وهو:

اعلان أي وسيلة او اداة يمكن بواسطتها ايصال فكرة او غاية معينة الى اذهان الجمهور

المطلب الثاني

تعريف الاتصال لغة واصطلاحا

اولا: الاتصال لغة:

بكسر الهمزة والتاء المشددة من اتصل: الارتباط في مماسة والتئام، ضد الانقطاع ومنه الاتصال في صفوف الصلاة[5]

اتصل فلان بفلان: اجتمع به وخاطبه بواسطة الهاتف او غيره [6]

فالاتصال لغة: يعني الاقتران والترابط والالتئام والصلة والجمع [7]

(1) معجم اللغة العربية 2441/3

(2) منتدى ابن حزم(انترنيت)

(3) التواصل الاجتماعي، انواعه،ضوابطه، رسالة ماجستير22ا

(4) الموسوعة الحرة

(5)6: لسان العرب 19/4

(6)1: معجم اللغة العربية 2449/3

(7) وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الاسرة، دعاء محمد عمر 9

ثانيا: الاتصال اصطلاحا:

لقد وضـــعت عدة مفاهيم للاتصـــال كل منها يؤكد على جانب او اخر له اهمية في عملية الاتصـــال، ومن هذه التعريفات استمرار العلاقة المتينة بين طرفي العلاقة المشاركين فيها الناتج من استعمال الحواس [1]

وقيل: علاقة بين فردين على الاقل كل منهما يمثل ذاتا نشيطا [2]

وقال اخر: نقل المعلومات والافكار والمشاعر والمواقف من المرسل الى المستقبل فيحللها ويعطي انطباعه عنها [3]

وعرفها ياغي: انها عملية نقل هادفة للمعلومات من شخص الى اخر بغرض ايجاد نوع من التفاهم بينهما [4]

وعرفها ولبراشرام (1977):انه المشاركة في المعرفة عن طريق استخدام رموز تحمل معلومات[5]

ثالثا: وسائل الاتصال: هي الطرق والوسائل التي تمكن الانسان من التواصل مع العالم الخارجي بأكمله [6]

المطلب الثالث

تعريف الاجتماعي لغة واصطلاحا

تعريف الاجتماعي لغة:

قال صاحب مقاييس اللغة: الجيم والميم والعين اصل واحد يدب على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعا[7]

وجمع الشيء المنفرد فاجتمع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هنا وههنا، والجمع لجماعة الناس[8]

والجمع مصدر جمعت الشيء، والجمع ايضا اسم لجماعة الناس[9]

تعريف الاجتماعي اصطلاحا:

عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية تلك الصلات التي يحددها الادوات المتبادل بين الطرفين[10]

(1) :المصدر السابق، المدخل في الاتصال الجماهيري، عصام موسى سليمان،23،

(2) مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، محمود اسماعيل 30

(3)5: المصدر السابق نقلا عن مهارات الاتصال، هالة اسبانيولي 10

(4)6: مهارات الاتصال، هالة استانيولي 14

(5)7 الاعلام والتوعية الاسرية، اليمين شعبان 28،عاطف عدلي، الاتصال والراي العام 14

(6)8: وسائل الاتصال الحديثة، هنا المعطي،شبكة الانترنيت اخر تحديث 25/اغسطس/2016

(7) مقاييس اللغة 479/1

(8) الصحاح1198/3

(9) العين239/1

(10) المجتمع الاسلامي/ محمد امين 12

او هو: عبارة عن مجموعة من الناس يشتركون في التقاليد والعادات العامة وفي المؤسسات الجماعية والمصالح المشتركة[1]

المطلب الرابع

تعريف الاثر لغة واصطلاحا

اولا: تعريف الاثر لغة:

بقية الشيء والجمع اثار واثور وقال بعضهم: ما بقي من رسم الشيء [2]

وذكر الجرجاني ثلاثة معان وهي: الاول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الخبر[3]

وذكر صاحب مجمع اللغة العربية تسعة معان منها: سبب او نتيجة [4]

وهو صفة عامة للإشارة الى النتائج المباشرة المفترضة او المقصودة[5]

ويتوضح من خلال التعريف ان التأثير ما هو الا ردة فعل او انعكاس نتيجة التعرض لوسيلة او أي شيء اخر[6]

ثانيا: تعريف الاثر عند الفقهاء:

النتيجة المترتبة على التصرف ويطلق عليها الفقهاء الاحكام فيقولون: احكام النكاح اي اثاره [7]

(1) الفيس بوك والشباب العربي 37

(2) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي 236،237/8،تاج العروس10، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بالزبيدي/12،22،لسان العرب، ابن منظور 5/4،مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي 13/1.

(3) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني 9/1.

(4) معجم اللغة العربية، ابراهيم الزيات واخرون61/1.

(5) قاموس المصطلحات الاعلامية، محمد فريد عزت 208.

(6) اثر استخدام الانترنيت على العلاقات الاسرية بين افراد الاسرة السعودية، بو هلال احلام 9

نقلا عن المعجم الاعلامي، محمد جمال العار ص264.

(7) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي 42/1

المطلب الخامس

تعريف الزواج لغة واصطلاحا

اولا: تعريف الزواج لغة:

الزوج خلاف الفرد [1]

قال ابن شميل: الزوج اثنان وكل اثنين زوج [2]

وقال ابن دريد: الزوج كل اثنين ضد الفرد وتبعه الجوهري فقال: ويقال للاثنين المقترنين زوجان وزوج ايضا[3]

وقال صاحب المحكم والمحيط: الزوج: الفرد الذي له قرين والزوج الاثنان[4]

وفي القاموس المحيط: الزوج: كل ما يقترن باخر مماثلا له او مضادا وكذلك كل اثنين لا يستغني احدهما عن صاحبه[5]

وفي المعجم الوسيط: الزوج: كل واحد معه اخر من جنسه والشكل يكون له نقيض كالرطب واليابس والذكر والانثى [6]

وخالف في ذلك ابن قتيبة فقال: الزوج يكون واحدا ويكون اثنين[7]

والاصل في الزوج: الصنف والنوع من كل شيء او كل شيئين مقترنين شكلين كانا او نقيضين فهما زوجان وكل واحد منهما زوج[8]

وقال الفيومي: الزوج: الشـــكل يكون له نظير كالأصـــناف والالوان او يكون نقيض كالرطب واليابس والذكر والانثى والليل والنهار والحلو والمر[9]

والزوج المرأة والزوج المرء[10]

(1) لسان العرب291/2، مختار الصحاح130
(2) لسان العرب292/2،تاج العروس22/6،تهذيب اللغة106/1
(3) المصباح المنير258/1
(4) المحكم والمحيط525/7
(5) الكليات486/1
(6) المعجم الوسيط 405/1
(7) المصباح المنير258/1
(8) النهاية في غريب الحديث 317/2، تاج العروس22/6
(9) المصباح المنير 258/1،المعجم الوسيط 405/1
(10) تهذيب اللغة 106/11،مختار الصحاح 130

والزواج: هو اقتران الزوج بالزوجة او الذكر بالأنثى[1]

ثانيا: تعريف الزواج اصطلاحا:

الحنفية: عقد وضع لتملك المتعة بالأنثى قصدا[2]

الشافعية: عقد يتضمن اباحة الوطء بلفظ انكاح او تزويج او ترجمته[3]

المالكية: عقد مجرد متعة التلذذ بأدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله غير عالم عاقده حرمتها[4]

الحنابلة: عقد تزويج [5]

ويمكن تعريفه: بانه عقد بين رجل وامرأة غايته المودة والرحمة والنسل

(1) المعجم الوسيط405/1
(2) شرح فتح القدير 186/3
(3) مغني المحتاج 211/4
(4) شرح حدود ابن عرفة 235/1
(5) المغني3/7

المبحث الثاني

انواع وسائل الاتصال

وسائل الاتصال الحديثة كثيرة ومن اهمها الانترنيت والفيس بوك و تويتر و الواتس اب و الانستغرام و tumblrوالهاتف النقال

الانترنيت: online

لغة:

كلمة مكونة من كلمتين هما (interconnection) وتعني ربط اكثر من شيء ببعضه البعض، وكلمة (network) وتعني شبكة، اخذ من الكلمة الاولى(inter ومن الكلمة الثانية net)[1]

بينما يرى اخرون ان كلمة الانترنيت اختصار لمصطلح الشبكة الدولية للمعلومات (network) international وذلك بحكم ان شبكة الانترنيت دولية ويتم تسويقها عالميا [2]

اصطلاحا:

انها عبارة عن شبكة عالمية ضخمة تربط بين الملايين من اجهزة الحاسب الالي الموجودة في مناطق مختلفة حول العالم، وتتألف من عدة الاف من شبكات الحاسب الالي في الجامعات ومراكز الابحاث العلمية والمؤسسات الحكومية والشركات التجارية الضخمة في مختلف دول العالم [3]

وعرفها اخر بانها: اجهزة حاسوب تتصل ببعضها البعض عن طريق وسائل اتصالات ببرامج تحقق انسياب وتدفق وتبادل البيانات، أي انه يمكن اعتبار الانترنيت احدى التطبيقات الاوسع انتشارا في العالم لظاهرة اندماج الحاسبات الالكترونية بأنظمة الاتصالات [4]

الفيس بوك: facebook

هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي انه يتيح عبره للأشخاص العاديين والاعتباريين كالشركات ان يبرز نفسه وان يعزز مكانته عبر ادوات الموقع للتواصل مع اشخاص اخرين ضمن نطاق ذلك الموقع او عبر التواصل مع مواقع اتصال اخرى وانشاء روابط تواصل مع الاخرين [5]

(1) معجم مصطلحات الاعلام، طارق سيد احمد 170
(2) اثر استخدام الانترنيت على العلاقات الاسرية، الهام بنت فريج 59
(3) المصدر نفسه 18نقلا عن نجيب 1999ص8
(4) الفيس بوك صورة المثقف وسيرته العصرية 10
(5) تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على المثقفين 83

او هو شيكه من الكترونية تتيح للعديد من المشتركين عرض ملفاتهم الشخصية ومشاركته الاخرين فيما يختارون من نشاطات [1]

تويتر:tweeter

هو موقع تواصـــل اجتماعي لا يقل اهمية عن الفيس بوك، اخذ اسمه من مصـــطلح (تويت) الذي يعني التغريد،واخذ من العصفورة رمزا له،ويسمح للمغردين ارسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدى (140) حرفا للرسالة الواحدة وهو احدى شبكات التواصل الاجتماعي التي انتشرت في السنوات الاخيرة، وهو خدمة مصغرة تسمح للمشتركين ارسال رسائل نصية صغيرة [2]

الواتس اب: what Sapp

هو تطبيق تراسل فوري محتكر متعدد المنصات للهواتف الذكية ويمكن بالإضافة الى الرسائل الاساسية للمستخدمين ارسال الصور والرسائل الصوتية والفديو والوسائط [3]

انستغرام:instagram

هوتطبيق مجاني لتبادل الصور وشبكة اجتماعية ايضا، اطلق سنة 2010م يتيح لمستخدميه التقاط صور واضافة فلتر رقمي اليها ثم مشاركتها في مجموعة متنوعة من خدمات الشبكات الاجتماعية [4]

تمبلر:tumblr

احد اهم مواقع التواصل الاجتماعي والاكثر شعبية، اسسه ديفيد كارب عام 2005م، يمتاز بالسرعة والسهولة اضافة الى مجانيته، ويضم بعض التخطيطات والتصاميم الاكثر جمالا وجاذبية من أي منصة تدوين اخرى[5]

يقوم بالسماح لمستخدميه بتدوين نص او صورة او فديو او اقوال او روابط او محادثة صوتية، ويتسم بتصميم بسيط وادوات مختلفة [6]

بلغ عدد مستخدميه حوالي 794 مليون مستخدم[7]

الهاتف النقال:

(1) اثر استخدام الانترنيت على العلاقات الاسرية، الهام بنت فريج

(2) اثر استخدام شبكات التواصل الالكتروني على العلاقات الاجتماعية 32ـ 33

(3) ويكيبيديا الموسوعة الحرة/ الانترنيت

(4) https:llarwikipedia.org.wiki

(5) المصدر السابق

(6) الاعلام الجديد والصحافة عبد الرزاق الدليمي 15،https:llar.wikipedia.orglwiki

(7) موقع اليكسا(انترنيت)

تعريف الهاتف النقال لغة واصطلاحا

الهاتف النقال كلمة مركبة من الهاتف والنقال وعليه سأعرف كل كلمة ثم بعد ذلك اعرفها كمصطلح

اولا: تعريف الهاتف النقال:

1: الهاتف لغة:

اسم فاعل من هتف، والهتف:هتف صاح مادا صوته وهتفت بالرجل هتفا وهتافا اذا صحت به، وهتفت الحمامة اذا صاحت (ناحت)[1]

والهتف: الصوت وقيل: الصوت الجافي العالي[2]

والهاتف: اسم فاعل اذا تكلم بالهاتف[3]

2: النقال:

صيغة مبالغة من نقل[4]

وتأتي بمعنيين:

احدهما: السرعة، تقول: فرس نقال: سريع النقل للقوائم[5]

الثاني: التحويل، فنقل الشيء: تحويله من موضع الى موضع[6]

والنقال: ورد في مجمع اللغة العربية: يطلق في بعض الدول العربية على الهاتف المحمول[7]

وهو الان يطلق في اغلب الدول العربية ان لم اقل في جميعها كما ارى

3: الهاتف النقال اصطلاحا:

(1) المعجم الوسيط971/2،معجم لغة الفقهاء 491/1،العين 34/4

(2) المعجم الوسيط971/2،تهذيب اللغة130/6، تهذيب اللغة 6،130،مجمل اللغة898/1،مقاييس اللغة32/7،المخصص327/4، مختار الصحاح 324/1

(3) معجم اللغة العربية2322/2

(4): المصدر نفسه 2275/3

(5) تهذيب اللغة130/9،لسان العرب674/11،المخصص 2م102

(6) الصحاح1832/5،لسان العرب674/11،مجمع اللغة العربية 2275/3

(7) مجمع اللغة العربية 2275/2

تطلق على الهاتف النقال تسـميات عدة: الهاتف النقال، الهاتف المحمول، الهاتف الخلوي، فسـبب اطلاق الهاتف النقال وذلك اما لخفته ونقله من مكان الى اخر او لسرعة نقل الكلام من شخص الى اخر اما الهاتف المحمول فلانه يمكن حمله بسهولة لخفة وزنه وصغره اما الهاتف الخلوي او الخليوي فلانه يعمل بنظام الخلية الذي يعمل به[1]

عرفه مجمع اللغة العربية بانه: عبارة عن جهاز يحمله الشخص يعمل لاسلكي وفق شفرة معينة وبكمية كهربية يتم شحنها مسبقا [2]

وعرفته الباحثتان كل من فطيمة نور وفطيمة قدر تعريفا قريبا من تعريف مجمع اللغة العربية وهو: عبارة عن جهاز الكتروني لاسلكي يقوم بإرسال واستقبال نوع معين من الموجات تسمى (الموجات الراديوية) ذو حجم صغير قابل للحمل والتنقل[3]

(1) ينظر: تأثير الهاتف النقال على سلوكيات الاطفال،فطيمة نور وفطيمة قادر 8.،رسالة ماجستير، معجم علم الاجتماع، دار اسامة،عمان،291

(2) مجمع اللغة العربية 2275/2

(3) تأثير الهاتف النقال على سلوكيات الاطفال،فطيمة نور وفطيمة قادير .9،رسالة ماجستير

المبحث الثالث

الحكم الشرعي لمقدمات الزواج عبروسائل التواصل الاجتماعي الحديثة ويشمل

المطلب الأول

حكم انشاء العلاقات بين الرجال والنساء

ان انشاء العلاقات بين الناس لها صور متعددة منها علاقة الصداقة سواء اكانت متقابلة ام عن طريق الانترنيت والتي اتسعت في وقتنا الحاضر، وفي ديننا الحنيف حث على الصداقة الصادقة بين الجيران وبين الاشخاص الطيبين لا صداقة اصحاب السوء، والصداقة التي حث عليها الاسلام هي صداقة الرجل للرجل، والدليل على ذلك قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل)[1] ولم يقل الرجل او المرأة وكذلك حرص الاسلام على المرأة، ويظهر ذلك من خلال الاحكام التي شرعها الاسلام منها تحريم النظر الى المرأة وتحريم مصافحتها وغير ذلك من الاحكام، ان اقامة علاقة صداقة بين الشاب والفتاة يعقبه نظر احدهما الى الاخر واللقاء والحديث بينهما وكل هذه لا تجوز الا لضـــرورة وعليه فقد اتفق العلماء على عدم جواز اقامة علاقة صداقة بين الرجال والنساء الا بين المحارم وهذا ما ذهبت اليه فتاوى دار الافتاء في الدول العربية[2]

قال البهوتي(وان سلم الرجل عليها ـ اي الشابة ـ لم ترده دفعا للمفسدة)[3]

وقال العلامة الخادمي(التكلم مع الشابة الاجنبية لا يجوز بلا حاجة لأنه مظنة الفتنة ولا يسلم عليها وبالعكس)[4]

وقال يوسف القرضاوي: (ان المحادثة عبر وسائل التواصل الاجتماعي بين الجنسين قد تكون سببا للمفاسد [5]

وقال ابن جبيرين(لا يجوز لأي انســان ان يراســل امرأة اجنبية عنه لما في ذلك من فتنة عظيمة وخطر كبير فلا بد من الابتعاد عنها)[6]

والادلة على ذلك كثيرة اهمها:

1. قال تعالى (ولا متخذات اخدان)[7]

(1) مسند احمد307/8 تحقيق محمد شاكر، المستدرك188/4

(2) وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الاسرة، دعاء، دار الافتاء في المملكة العربية السعودية فتاوى الشبكة الاسلامية 303/6،، دار الافتاء المصرية رقم الفتوى 8593، دار الافتاء في دولة الكويت،

(3) كشاف القناع 155/2

(4) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة احمدية 7/4

(5) Htpplwww.haridy. coml iblshowthread.pgp?18600

(6) فتاوى المرأة المسلمة، ابن باز 96

(7) سورة النساء اية 25

وجه الدلالة: قال القرطبي(ولا متخذات اصدقاء على الفاحشة، فالصداقة بين الجنسين من اتخاذ الاخدان الذي نهى الله تعالى عنها)[1]

2. قال تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان)[2]

وجه الدلالة: قال السعدي(وجه المحادثة بين الجنسين ولو بالكتابة باب من ابواب الشيطان وخطوة في طريق الزواج والتدرج في خطوات الشيطان)[3]

3. قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا)[4]

وجه الدلالة: (ما يترتب على هذه الصداقات من الدخول في مكابد الشيطان فانه يجري من ابن ادم مجرى الدم،..بمعنى انه يمازحه ويخالطه ويوسوس له ويغويه ويضله، وقيل انه لكثرة اغوائه ووسوسته له كان مثل اللحم الذي هو جزء من اجزائه)[5]

4. قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء)[6]

وجه الدلالة: هذا نص من النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ان اعظم فتنة على الرجال هي النساء

المطلب الثاني

حكم التعارف لأجل الزواج

اولا: التعارف لغة:

التعريف: مصدر عرف[7]

والتعريف الاعلام[8]

وهو تعريف الشيء بذكر خواصه المميزة[9]

(1) تفسير القرطبي143/5
(2) سورة الاحزاب اية 32
(3) تفسير السعدي 564
(4) صحيح البخاري 50/3
(5) شرح سنن ابي داود،عبد المحسن بن حمد 532/20
(6)1 صحيح البخاري 8/7
(7) معجم لغة الفقهاء 136/1
(8) مختار الصحاح206/1
(9) المعجم الوسيط595/2،لسان العرب237/9

وتعارف القوم: عرف بعضهم بعضا[1]

ثانيا: التعارف اصطلاحا:

الوصـــول الى تحقيق المعرفة بين رجل وامرأه معينين معا خلقا وخلقا من اجل حصـــول الزواج بينهما بعد ذلك باعتبار هذا التعارف يؤدي الى حياة زوجية سعيدة مستقبلا[2]

والتعارف انواع عديدة منها التعارف عن طريق وسـائل التواصـل الحديثة، وقد شـاع في زماننا هذا كثرة التعارف بين الشـباب والفتيات وخاصـة عن طريف وسـائل التواصـل الاجتماعي حيث يمكن الاتصـال بينهما بسـهولة وامكانية رؤية الاخر رغم البعد بينهما، مما استدعى الى معرفة الحكم الشرعي في مثل هذه العلاقات وقد ذهب العلماء الى رأيين:

الراي الاول: تحريم مثل هذا النوع من التعارف وهو راي علماء المســلمين وبعض المفكرين منهم الدكتور محمد الشــحات الجندي والهام شاهين والدكتور عبد الفتاح ادريس وكلاهم اساتذة في الازهر والاعلامية التفات عزيز[3] ولهم ادلة كثيرة منها:

1. غلبة المفاسد المترتبة على ذلك، والقاعدة الشرعية (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)[4]

وذلك من عدة وجوه منها:

أ: ان هذه ليسـت الطريقة الشـرعية لمن اراد تحصـين نفسـه، فقد يحصـل فيها غش او قد تكون المعلومات غير صـحيحة، وما دام هناك سهولة في الوصول الى بيت الفتاة وخطبتها من اهلها من منطلق واتوا البيوت من أبوابها

ب: لا يخلو الكذب والتدليس سواء من قبل الرجل او المرأة[5]

ج: لان فيها ما يثير الفتنة ويفضي الى الشر والفساد[6] فالتعارف عبر النت بين الفتيان والفتيات من الفتن التي تجر الانسان الى ما حرم الله ولو بالتلذذ من صوت النساء.

2. لان الاسلام يسد ذرائع الفساد وطرق الشر[7]
3. ان اصل العلاقة بين الفتى والفتاة الاجنبية قائم على اصل الحرمة
4. ان انشاء علاقة على هذا النحو لا يوصل الى الغاية المرجوة منها

(1) لسان العرب237/9،تاج العروس149/24،الحاح1403/4

(2) :التعارف والتعريف للزواج،فهد بن عبد الكريم 59

(3) بين التأييد والتنديد لمواقع التواصل الاجتماعي مدخل للزواج، بين الرفض والقبول التعارف والزواج عبر شبكات التواصل الاجتماعي

(4) قواعد الاحكام، العز بن عبد السلام 17/1

(5) شبكة فلسطين للحوار، حسن الجوجو

(6) التعارف عن طريق النت لغرض الزواج ممنوع سدا للذرائع

(7) التعارف والزواج عبر الفيس بوك يثير جدلا فقهيا، هند مصطفى

5. كما ثبت ان التعارف بين الطرفين على هذا النحو يكون في الغالب تغريرا وغشا بين الطرفين[1]

يضاف الى ذلك ان 47./. من النساء وقعن ضحية الترهيب والمضايقات[2]

الراي الثاني: جواز مثل هذه المحادثات وهو راي اكثر المفكرين من غير علماء الدين وبعض علماء الدين ومنهم الدكتور محمد الشحات وسلام الشامي وبشرى العزاوي ولكنهم اشترطوا ضوابط محددة[3]

ومن الضوابط:

1. المكاشفة والمصارحة والحرص على الصدق وتقديم الحقائق عن كل منهما
2. ان يعلم الاهل بذلك وخاصة الفتاة
3. الا يتضمن مثل هذه المحادثات بينهما اي حديث يتضمن اسفافا او مخالفات شرعية كان يتم تبادل الصور بينهما

ومن ادلتهم:

1. حديث النبي صلى الله عليه وسلم (انما الاعمال بالنيات)[4]

وجه الدلالة: ان للنية اثرا على الفعل فاذا كانت نية الشاب سليمة ولا تخالف احكام الشريعة فان التعارف بين الشاب والفتاة لأجل الخطبة يكون مباحا وجائزا

2. القاعدة الشرعية (الوسيلة الى الحرام حرام والوسيلة الى الواجب واجبة) فالزواج هنا في حكم المندوب فان استخدام الانترنيت من اجل الخطبة فهو حلال شرعا مادامت النية جادة حول هذا الزواج من الطرفين[5]

والذي اراه هو منع اقامة علاقة من اجل الزواج للأدلة التي ذهب اليها المانعون،و كذلك من اجل صيانة المرأة والحفاظ عليها

المطلب الثالث

حكم الخطبة عبروسائل التواصل الاجتماعي الحديثة

اولا:تعريف الخطبة لغة واصطلاحا:

1. تعريف الخطبة لغة:

(1) بين الرفض والقبول

(2) بين التأييد والتنديد

(3) التعارف والزواج عبر الفيس بوك يثير جدلا فقهيا، هند مصطفى، بين الرفض والقبول التعارف والزواج عبر شيكات التواصل الاجتماعي

(4) صحيح البخاري6/1

(5) بين الرفض والقبول التعارف والزواج عبر شبكات التواصل الاجتماعي

الخطبة بالكسر: مصدر بمنزلة الخطب والخطب سبب الامر[1]

قال الجوهري: خطبت المرأة خطبة بالكسر[2] وتقول العرب: فلان خطب فلانة اذا كان يخطبها[3]

وخطب المرأة الى القوم اذا طلب ان يتزوج منهم واختطبها[4]

2. تعريف الخطبة اصطلاحا

اظهار الرغبة في النكاح واعلام المرأة وولي امرها بذلك[5]

حكم الخطبة:

يســـن للرجل الذي يريد الزواج ان يخطب المرأة ولها احكام فقهية الا ان المتفق عليه بين الفقهاء ان الخطبة وعد بالزواج وليس عقدا وعليه فانه يجوز للخاطب ان يرجع عن خطبته، ولكن هناك خلاف بين الفقهاء حول الاثار المترتبة على ترك الخطبة، وان كان هذا ليس من موضوعنا، ولكن المهم هو ان الخطبة ليس عقدا وعليه يجوز فسخ الخطبة من قبل الخاطبين، الطريقة التي يتم بها الخطبة:

من المتعارف عليه ان الخطبة تتم بإرســال الخاطب احدا من اهله الى اهل المخطوبة لطلب يد الفتاة، وهذا ما جرى به العرف والعادة بين الناس، او ان تتم بعرض الولي الى الشــاب الصــالح الذي يراه مناســبا لابنته وان كانت هذه الطريقة نادرة وفي العصــر الحديث بعد ان تم الاختلاط بين الجنســين في الدراســة والعمل وكل واحد منهما عرف الاخر فان اكثر الشــباب اذا تعرف على زميلته في الدراســة او العمل ورغب في الزواج منها ارســل من اقاربه الى اهل الفتاة لطلب يدها وخطبتها، وهذا ما يجري في غالب الأحيان اما اليوم ونتيجة للتقدم العلمي فقد ظهرت طريقة جديدة للتواصــل والتعارف وهي انها تتم عن طريق وســائل التواصــل الحديثة، مما تطلب معرفة الحكم الشرعي لهذه الطريقة وقبل اعطاء الحكم الشرعي لابد من معرفة بعض الامور الشرعية قبل الخطبة وهي انه يتطلب النظر والكلام بينهما وكلا الامرين محرم شرعا قبل الزواج ولكن يباح النظر قبل الزواج والكلام بحضور الاهل وعلى قدر الحاجة فقط، وان ما يجري من الاســـتمرار في النظر والاســـتمرار في المحادثة مما يحرم بين الطرفين وهذا ما ذهب اليه جمهور العلماء المحدثين[6] وذهب البعض الى جواز ذلك[7] ولهم ادلة ولكن الراجح والله اعلم القول بالحرمة لقوة ادلتهم المبحث الرابع: الحكم الشرعي لإنشاء عقد الزواج وافشاء اسرار الزوجية ويشمل:

(1) تاج العروس371/2،تهذيب اللغة 111/7

(2) لسان العرب361/1،الصحاح121/1،الكليات433/1

(3) تاج العروس371/2،

(4) المصباح المنير153/1

(5) مقدمات النكاح دراسة مقارنة، محمد بن عبد العزيز السديس 220/1

(6) ينظر المسائل الفقهية المستجدة في احكام النكاح مع بيان ما اخذ به القانون الكويتي، بدر ناصر مشرع، رسالة ماجستير 62،64،65،72/1

(7) المصدر نفسه

المطلب الأول

حكم اجراء عقد الزواج عبروسائل التواصل الاجتماعي الحديثة

عقد الزواج عن طريق وسائل الاتصال الحديثة له ثلاثة صور:

الصورة الاولى: ان يتم العقد عن طريق الكتابة

الصورة الثانية: ان يتم العقد عن طريق المشافهة بين الطرفين بدون رؤية احدهما للآخر

الصورة الثالثة: ان يتم عقد الزواج عن طريق المشافهة ورؤية احدهما للآخر

حكم عقد الزواج في الصورة الاولى (الكتابة)

وصورتها ان يكتب الشخص الذي يريد الزواج الى المرأة التي يريد الزواج منها عن احدى طرق التواصل الاجتماعي الواتس او الماسنجر او غيرها من الوسائل الحديثة

وقد اختلف العلماء حول حكم هذا العقد الى رأيين:

الراي الاول: المنع من اجراء مثل هذه العقود وهو مذهب جمهور العلماء الشافعية والحنابلة والمالكية[1] الحجة لهم:

1. اشتراط الاشهاد في عقد الزواج لأنه شرط صحة عندهم[2]
2. من مقاصد الشريعة الاحتياط للزواج فالنكاح له خصوصية حيث يحتاط له ما لا يحتاط لغيره

الراي الثاني: جواز اجراء عقد الزواج بمثل هذه الوسائل واليه ذهب الحنفية[3] وحجتهم:

1. القياس على جواز العقد بالكتابة او ارسال رسول
2. ان مجلس العقد هو ساعة وصول الخطاب الذي يحمل الايجاب الى الطرف

الاخر، واشترطوا بعض الشروط وهي:

1. ان يشهد العاقد شاهدين على ما في الكتاب عند الرسالة
2. ان يصرح المرسل اليه بالقبول لفظا لا كتابة [4]

(1) حاشية الصاوي على الشرح الصغير350/2،روضة الطالبين37/7،الانصاف الى معرفة الراجح من الخلاف 50/8

(2) المصادر نفسها

(3) بدائع الصنائع137/5

(4) البحر الرائق3:99

3. ان يشهد الغائب حين يأتيه الكتاب شاهدين ويصرح بالقبول، اما المرأة فحين يأتيها الخطاب تدعو شاهدين ثم تقرا عليهما الكتاب وتصرح بقبولها النكاح[1]

والذي اراه عدم الجواز لقوة الادلة، ولان الكتابة من الغائب اذا جازت في المعاملات المادية فإنها لا تجوز في احكام الاحوال الشخصية لخصوصية المرأة فهي ليست كالسلع ولا يجوز قياسها على الامور المادية فقد كرمها الله تعالى

حكم عقد الزواج بالطريقة الثانية

ان عقد الزواج بهذه الطريقة يشبه عقد الزواج بالطريقة الاولى، وعليه فانه يأخذ نفس الحكم ولا حاجة لذكره للاختصار ولأنه تم ذكره

حكم عقد الزواج في الصورة الثالثة (المشافهة)

وصورته ان يتم عقد الزواج بين طرفين غائبين عن طريق الاجهزة اللاسلكية او السلكية الحديثة مع رؤية احدهما للآخر

اختلف العلماء الى قولين:

القول الاول: جواز عقد النكاح واليه ذهب مصطفى الزرقا والدكتور وهبة الزحيلي والدكتور محمد عقلة والشيخ بدران ابو العينين بدران[2]

ومن ادلتهم:

1. القياس على العقد الذي كان ينقل الفاظه بين المتعاقدين[3]

2. انه نظير ما ذكره النووي من عقد البيع بين متناديين (لو تناديا وهما متباعدان صح البيع)[4]

3. ان هذا العقد توفرت فيه شروط عقد الزواج كالتلفظ بالإيجاب والقبول وسماع كل من العاقدين الاخر ومعرفته والموالاة بين الايجاب والقبول ووجود الولي والشهود الذين يسمعون الايجاب والقبول

القول الثاني: المنع من قبول هذا العقد وهو ما ذهبت اليه اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية ودار الافتاء المصرية[5] وحجتهم:

(1) رد المحتار 12/3

(2) حكم اجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة، د محمد عقلة 113،مجلة مجمع الفقه الاسلامي د وهبة الزحيلي،عدد6ج888/1، الفقه المقارن بالأحوال الشخصية، الشيخ بدران 41

(3) حكم ابرام عقود الاحوال الشخصية والعقود التجارية عبر الوسائل الالكترونية، محمد بن يحيى بن حسن النجيمي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الخامسة عشرةالعدد1424،60هـ،12

(4) المجموع 181/9،روضة الطالبين440/3

(5) فتاوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية،دار الافتاء المصرية

1: ان هذا الطريق قد يدخله خداع أحد العاقدين للطرف الاخر، وعقد الزواج يجب ان يحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره حفظا لفروج وتحقيقا لمقاصد الشريعة

2: علل مجمع الفقه الاسلامي المنع بان عقد الزواج يشترط فيه الاشهاد[1]

والذي اراه هو المنع من ذلك كما ذهب اليه اصحاب القول الثاني لقوة ادلتهم، ولخصوصية المرأة وكرامتها والحفاظ عليها.

المطلب الثاني

حكم افشاء الاسرار الزوجية عبروسائل الاتصال الحديثة

لقد احاطت الشريعة الاسلامية العلاقات الزوجية بسياج من الضوابط من اجل صونها وحمايتها وجعلت العلاقة الزوجية بين الزوجين لها خصوصية لا يطلع عليها احد مهما كان، كما ان الله سبحانه وتعالى جعل للزوج والزوجة حقوقا وواجبات لكل منهما ومن هذه الحقوق (حفظ الاسرار الزوجية) ومن اعظمها واشدها (اسرار الجماع وما يحدث بين الزوجين في الفراش) ان حفظ الاسرار الزوجية ادب اسلامي رفيع، فكتمان السر مركب من الوقار والامانة[2]

الحكم الشرعي لإفشاء الاسرار الزوجية:

لا خلاف بين الفقهاء واصحاب العقول السوية على حرمة افشاء الاسرار الزوجية باي طريقة كانت، فيحرم على الرجل ان يصرح بما يجري بينه وبين زوجته في الفراش وكذلك الزوجة، بل عده العلماء من الكبائر[3]

الادلة:

اولا: من القران الكريم

هناك عدد كبير من الآيات القرآنية منها:

1. قال تعالى (فالصالحات قانتات حافظات للغيب)[4]

وجه الدلالة يمتدح الله تعالى الصالحات الحَافِظَاتٌ لِمَغِيبِ أَزْوَاجِهِنَّ بِحِفْظِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ بِمَا اسْتَحْفَظَهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ. [5]

(1) وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الاسرة، دعاء كتانة 89
(2) المصدر نفسه71
(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر 45/2، ادب النساء 182
(4) سورة النساء اية 34
(5) تفسير القرطبي 170/5

2. قال تعالى(هن لباس لكم وانتم لباس لهن)[1]

وجه الدلالة: قال سيد قطب(واللباس ساتر وواق.. وكذلك هذه الصلة بين الزوجين. تستر كلاً منهما وتقيه)[2] وكشف هذا الستر يتعارض مع الآية الكريمة

ثانيا: من السنة النبوية:

1. عن اسماء بنت يزيد قَالَتْ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَقَالَ: «عَسَى رَجُلٌ يُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، أَوْ عَسَى امْرَأَةٌ تُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا» فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ» [3]

وجه الدلالة: الحديث صريح في النهي عن كشف اسرار الفراش

2. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)[4]

وجه الدلالة: لقد عد النبي صلى الله عليه وسلم من افشى اسرار الفراش وما يفعل الرجل مع زوجته من اشر الناس وقد عدها ابن حجر الهيثمي من الكبائر حيث قال (الْكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ: إفْشَاءُ الرَّجُلِ سِرَّ زَوْجَتِهِ وَهِيَ سِرَّهُ بِأَنْ تَذْكُرَ مَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ تَفَاصِيلِ الْجِمَاعِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَخْفَى) [5]

3. عن رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)[6]

وجه الدلالة: لقد تكفل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالجنة لمن حفظ ما بينه وبين زوجته في الفراش وانا مع المنع من افشاء الاسرار الزوجية لخصوصيتها ولان الله تعالى عد الزواج ميثاق غليظ وهذا الميثاق لا يجوز فضحه ونشره حرمة للطرفين

(1) سورة البقرة اية 187
(2) في ضلال القران174/1
(3) المعجم الكبير 162/24،صحيح ابن حبان57/5
(4) صحيح مسلم 1060/2
(5) الزواجر 45/2
(6) صحيح البخاري 100/8

المبحث الخامس

الاثار الايجابية والسلبية للزواج عبر وسائل الاتصال الحديثة ويشمل

المطلب الأول

الاثار الايجابية

لم اجد اي اثر ايجابي للزواج عن طريق وسائل التواصل اللهم الا في الضرورة واحكام الضرورة تجيز حتى الامور المحرمة فمثلا اكل الميتة حرام ولكن المضطر يجوز له الاكل لسد الرمق فقط، والاثار الايجابية في حالة الضرورة هي:

1. تسهيل عملية الزواج والاسراع به خاصة اذا كانوا متباعدين
2. الفائدة التي سيحصل عليها الزوج في البلاد التي تحتاج الى قيام الزوجية من بلادها التي تطلب ذلك

المطلب الثاني

الاثار السلبية

الاثار السلبية للزواج عن طريق وسائل الاتصال الحديثة هي:

1. افساد المرأة على زوجها والزوج على زوجته
2. المعاكسات المزعجة بين الطرفين
3. ضعف العلاقة بين الزوجين او ما يسمى ارامل النت:

استخدام هذه الوسائل ادى الى ضعف العلاقة بين الزوجين مما ادى الى ظهور ما يسمى ارامل النت وكذلك ضعف العلاقة بين الوالدين وابناءهم

4. ازدياد نسبة الطلاق وهدم الاسرة

ان استخدام هذه الوسائل يؤدي الى كثرة الخلافات بين الزوجين ووقوع الطلاق وهدم الاسرة

5. ضعف الوازع الديني

عن طريق الانترنيت يتم نشر صور وافلام جنسية تخل بالشرف وتؤدي الى ازدياد الفاحشة، وهذه لها اثارها السيئة على المسلم وخاصة الزوج مما له اثره على العلاقة بين الزوجين علما ان الاسلام قد حرم النظر اليها، وهي احدى الطرق التي يستخدمها الكفار من اجل ابعاد المسلمين عن دينهم

6. ما يحدث من الفواحش في هذه الوسائل والنظر الى ما حرمه الله تعالى، وكلها تؤثر على العلاقة الزوجية

7. تدمير الحياة الاجتماعية للأسرة:

بعد ان كانت الاسر تنعم بنوع من التماسك والاستقرار قديما الا انها اليوم وبعد انتشار وسائل الاتصال الحديثة اصبحت الاســـر اليوم مفككة من الداخل، فكل فرد فيها من الزوج والزوجة والابناء يعيش مع عالمه الخاص عبر الفيس بوك او التويتر او غيرها مما ادى الى تدمير الحياة الاجتماعية للأسرة

النتائج والتوصيات

اولا: النتائج

مما تقدم يظهر لنا ما يأتي:

1. تحريم اقامة الصداقات مع النساء عبر الانترنيت
2. تحريم اشاعة ما يجري بين الزوجين
3. جواز عقد الزواج عن طريق التواصل الاجتماعي بتوفر الضوابط الشرعية
4. جواز الخطبة عبر وسائل التواصل الاجتماعي
5. مع قولنا بجواز ما تقدم فان الاولى والافضل من اجراء الخطبة وعقد الزواج بالطريقة التقليدية المعروفة
6. ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ويمكنها ان تتلاءم مع الواقع الذي تعيشه
7. ان في الشريعة الاسلامية حدود وضوابط لا يمكن تجاوزها بحجة تغير الزمان او المكان
8. ان الشريعة الاسلامية قد احتاطت للعلاقات الاسرية وحفظ الفروج ما لم تحتط به في غيرها من الامور، لأنها اساس استقرار الاسرة والمجتمع فيجب الاهتمام بها

ثانيا: التوصيات

هذه بعض التوصيات للزوج

1. الاجهزة الحديثة سلاح ذو حدين ففيها منفعة ومضرة وذلك حسب الاستعمال لهذه الاجهزة
2. عدم استخدام هذه الوسائل الا بما فيه فائدة للإنسان
3. الابتعاد عن المحرمات التي تنشر عبر هذه الوسائل
4. تقوية الوازع الديني ومراقبة الله مراقبة ذاتية من قبل الشخص نفسه
5. الاسرة مقدسة في الاسلام فيجب الحفاظ عليها
6. التأكيد على ان الدين الاسلامي خير للإنسان في الدنيا والاخرة وان الخير والفلاح بتطبيق احكام الدين الاسلامي
7. التحذير والانتباه الى ما ينشر في هذه الوسائل وان وراءها خطة خبيثة الا وهي تدمير المجتمع المسلم

المصادر

3. 1اثر استخدام شبكات التواصل الالكتروني على العلاقات الاجتماعية الفيس بوك وتويتر نموذجا، حنان بنت شعشوع الشهري،جامعة الملك بن عبد العزيز، 1433هـ ـ 1434هـ
4. اثر استخدام الانترنيت على العلاقات الاسرية بين افراد الاسرة السعودية، الهام بنت فريج العريضي، رسالة ماجستير 2014م
5. 3الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م
6. احكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، د عمر سليمان الاشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ط1 1418هـ ـ 1997م
7. أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان (المتوفى: 238هـ)، المحقق: عبد المجيد تركي الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1412 هـ - 1992 م
8. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: 885 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م
9. البحر الرائق شرح كنز الدقائق زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ
10. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م
11. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (المتوفى: 1156هـ) الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، 1348هـ
12. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
13. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م
14. تفسير السعدي، المعروف ب تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376)،حققه عبد الرحمن بن معلى اللويحق،ط1 1420هـ ـ 2000م، مؤسسة الرسالة
15. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)
16. المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 2001م

17. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م

18. حاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ)، الناشر: دار المعارف الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

19. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م

20. الزواجر عن اقتراف الكبائر أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م

21. شرح حدود ابن عرفة للرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: 894هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، 1350هـ

22. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

23. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق

24. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م

25. العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال

26. الفقه المقارن للأحوال الشخصية،ابو العينين بدران، دار النهضة العربية بيروت

27. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ

28. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414 هـ - 1991 م

29. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ) الناشر: دار الكتب العلمية

30. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

31. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

32. مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م

33. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر

34. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م

35. المسائل الفقهية المستجدة في النكاح مع بيان ما اخذ به القانون الكويتي، بدر ناصر مشرع السبيعي، رسالة ماجستير، الناشر 2012

36. مقدمات النكاح (دراسة مقارنة) محمد بن عبد العزيز السديس، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 128- السنة 37- 1425هـ

37. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

38. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990

39. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت

40. معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر. سنة النشر: 1399هـ - 1979م.

41. المعْجَمُ الكَبِير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د سعد بن عبد الله الحميد و د خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: 1427هـ - 2006م

42. المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات حامد عبد القادر . محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

43. المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة

44. مهارات الاتصال، هالة استانبولي،ط1 2002م،الناصرة

45. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

46. وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الاسرة (دراسة فقهية)، دعاء محمد عمر كتانة، رسالة ماجستير، 2015

المواقع الالكترونية:

1. http:lwww.dar.alifta. orgl view fatwa
2. alifta.net.searchl result details.apx?
3. http:l www. Haridy. C9m. libl showthread.
4. htpp:ll www. Alaan. Tulneadsl world neawsl 125773l dar al fatwa Egypt
5. www.dari fatwa. Orgl neawsl shownead. Php?

مِنْ مباحثِ الاطلاقِ اللغويّ مادّةُ مرضَ وشفيَ في القرآنِ الكريمِ

أ. د. وليد نهاد عبّاس

الجامعة العراقيّة –كليّة العلوم الإسلاميّة – قسم اللغة العربيّة

الملخص

كتبتُ البحث بسبب انتشار وباء (كورونا) لنتعرَّف على المرض والشّفاء في البحث الدّلالي من جهة الأصل اللغويّ، والاستعمال الصّحيح، والمفهوم، ومن ثَمَّ الاستعمال القرآني لمادَّة المرض واشتقاقاتها، والاستعمال القرآني لمادَّة الشفاء واشتقاقاتها.

البحثُ مُقسَّمٌ على مُقدّمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وقائمةِ المصادر .

المبحثُ الأوّل: المرضُ والشّفاءُ في البحث الدّلالي. بيَّنتُ فيه المفردات اللاتي تخُصُّ البحثَ من جهة الأصل اللغويّ، والاستعمال الصّحيح، والمفهوم.

المبحثُ الثاني: الاستعمال القرآني لمادَّة المرض. تضمَّنَ التفسيرَ اللغويَّ لِما جاء من استعمالات لمادَّة المرض واشتقاقاتها.

المبحثُ الثالث: الاستعمال القرآني لمادَّة الشّفاء. تضمَّنَ التفسيرَ اللغويَّ لِما جاء من استعمالات لمادَّة الشّفاء واشتقاقاتها .

استعنتُ بمصادرَ كانت خيرَ عَونٍ لي في كتابة البحث بعد الاستعانة باللهِ ـــ جلَّ جلالُهُ ـــ فمن تلك المصادر تفسير القرآن للطبريّ، وتهذيب اللغة للأزهريّ، ومقاييس اللغة لابن فارس.

وختمتُ البحثَ بما تيَسَّرَ لي من نتائج ليتها تنالُ القبول، واللهُ الموفِّقُ.

المقدمة

الحمدُ لله الّذي أكمل لنا الدّين، وأتمَّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا والصّلاة والسّلام على سيّدنا مُحمّدٍ وعلى آلهِ وأصحابه أجمعين.

أمّا بعدُ فقد جاء البحثُ الموسومُ (مِنْ مباحثِ الاطلاقِ اللغويّ مادّةُ مرضَ وشفيَ في القرآنِ الكريمِ) موافقًا لانتشار وباء (كورونا) نجّانا اللهُ تعالى منهُ.

لكلِّ عضو في جسد الإنسان وظيفة تؤدّى إمَّا بإرادة الإنسان، أو من دون إرادته وهذا من نعم الله تعالى على خلقه فإذا ما مرض الإنسان أو اشتكى من عضو ظهرت على ذلك الإنسان أعراضٌ تدلُّ على ضعف في أدائه المترتّب على ضعف في أداء ذلك العضو؛ وعليه المرض هو الضّعفُ إنْ كانْ جسديًّا أو نفسيًّا وسيأتي بيانهما ـــ إن شاء الله تعالى ـــ وبيان كيفيّة إطلاق لفظ المرض ولفظ الشفاء في الاستعمال القرآني وتلك هي الغاية.

البحثُ مُقسَّمٌ على مُقدّمةٍ هذه، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وقائمةِ المصادر.

المبحثُ الأوّل: المرضُ والشّفاءُ في البحث الدّلالي. بيَّنتُ فيه المفردات اللاتي تخُصُّ البحثَ من جهة الأصل اللغويّ، والاستعمال الصّحيح، والمفهوم.

المبحثُ الثاني: الاستعمال القرآني لمادَّة المرض. تضمَّنَ التفسيرَ اللغويَّ لِما جاء من استعمالات لمادَّة المرض واشتقاقاتها.

المبحثُ الثالث: الاستعمال القرآني لمادَّة الشّفاء. تضمَّنَ التفسيرَ اللغويَّ لِما جاء من استعمالات لمادَّة الشّفاء واشتقاقاتها.

استعنتُ بمصادرَ كانت خيرَ عَونٍ لي في كتابة البحث بعد الاستعانة باللهِ ـــ جلَّ جلالُهُ ـــ فمن تلك المصادر تفسير القرآن للطبريّ، وتهذيب اللغة للأزهريّ، ومقاييس اللغة لابن فارس.

وختمتُ البحثَ بما تيَسَّرَ لي من نتائج ليتها تنالُ القبول، واللهُ الموفِّقُ.

المبحث الأوّل

المرض والشفاء في البحث الدّلالي

لفظُ المرضِ هو من وقوع اسم واحد على أشياءَ مختلفة، ومنه المرضُ في القلب هو الفتور عن الحقِّ، وفي البدن فتور الأعضاء، وفي العين هو فتور العين[1].

وعليه المرض قسمان: قسم عضوي (جسديٌّ)، وآخرُ نفسيٌّ، وسيأتي الحديثُ عنهما إنْ شاء الله تعالى.

وهنا أذكرُ من مدلولات المرض النُّقصان في كُلِّ شيء في القوّة، والأجسام، والأغراض؛ قال أبو حيَّة النُّميريّ:

ولَيْلَةٍ مَرِضَتْ من كُلِّ ناحِيَةٍ فَلا يُضِيء لَها نَجْمٌ ولا قَمَرُ[2]

أي نقصَ ضوءُها، وكذلك المرضُ في القلب من المخالفين للإسلام نقصُ الدِّين؛ فهو يصلُحُ لكُلِّ ما خرج به الإنسان عن الصّحّة في الدّين[3]، وهكذا المرضُ في العين نقصٌ في النّظر، ونقصٌ في القوّة؛ يُقال ريحٌ مريضةٌ إذا كانت ضعيفةَ الهبوبِ [4].

فالميم والرّاء والضّاد في مادّة (مَرِضَ) كما قال ابن فارس (395هـ): أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ما يخرجُ بهِ الإنسانُ عن حدِّ الصّحّةِ في أيِّ شيءٍ كان.))[5]

ويُقالُ: قد مرِضَ فلانٌ يمرَضُ وجمعُ المريضِ مَرضى، والأُنثى مريضةٌ؛ وأمرَضهُ اللهُ أعلَّهُ، وأمرضَ الرّجلُ؛ إذا وقعَ في مالِهِ العاهةُ. والممراضُ: الرّجلُ المسقامُ، ومَرَّضتُهُ تمريضًا؛ إذا قُمتَ عليه في مرضِهِ، والتّمريضُ في الأمر: التّضجيعُ فيه، والتّمارضُ: أنْ يُريَ من نفسِهِ المرَضَ وليسَ بِهِ؛ فالمرضُ نقيضُ الصّحَّةِ وهو اسمٌ للجنسِ جمعُهُ أمراض[6].

وقد جاءت تعريفات للمرض منها: هو ما يَعْرِضُ للبدن فيُخرِجُهُ عن الاعتدال الخاصِّ [7]، وهو ضعفٌ في القوى يترتّبُ عليه خللٌ في الأفعال [8] .

(1) ينظر فقه اللغة وسر العربيّة: ص 263.
(2) شعره: ص 148.
(3) ينظر تهذيب اللغة: 12 / 27.
(4) ينظر العشرات في غريب اللغة: ص 68.
(5) مقاييس اللغة: 5 / 311.
(6) يُنظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة: 3 / 1106، وتهذيب اللغة: 12 / 26، ومقاييس اللغة: 5 / 311.
(7) التّعريفات: ص 211.
(8) التّوقيف على مُهمّات التّعاريف: ص 302.

أمّا لفظُ الشّـفاء فهو ما يُبرِئُ من السّـقم؛ فهو اسـمٌ للبُرءِ معناهُ الدّواءُ جمعُهُ: أشـفيةٌ وجمعُ الجمعِ: أشـافٍ، والفعلُ شَـفاهُ اللهُ يشـفيَهُ شِـفاءً بَرَأَهُ، واسـتشـفى المريضُ، إذا طلبَ الشِّـفاءَ، وأشـفيتَ المريضَ؛ إذا وهبتَ لَهُ شـفاءً من الدّواء، وقيلَ: شَـفيتُهُ بمعنى: أشفيتُهُ في هبةِ الشِّفاء؛ تقولُ: أشفى الطّبيبُ المريضَ؛ إذا وصفَ لهُ دواءً يكونُ شفاؤهُ فيه [1].

قال ابنُ فارس: ((شفي: الشين والفاء والحرف المعتل يدلُّ على الاشراف على الشّيء؛ يُقال: أشفى على الشيء إذا أشرفَ عليه، وسُمِّيَ الشِّفاءُ شِفاءً لغلبته للمرض واشفائه عليه، ويُقال استشفى فلانٌ؛ إذا طلب الشِّفاء.))[2].

فالأصلُ في الشِّفاء البرءُ من المرض ثُمَّ جاء مجيءَ العلاج والدّواء.

(1) يُنظر العين: 6 / 290، وتهذيب اللغة: 11 / 290، والقاموس المحيط: ص 1300.

(2) مقاييس اللغة: 3 / 199.

المبحث الثّاني

الاستعمالُ القرآنيُّ لمادّةِ المرضِ

قلتُ المرض قسمان: قسمٌ عضويٌّ، وآخر نفسيّ؛ فالقسم العضويُّ لم يُذكر في القرآن الكريم صراحةً؛ بذكر لفظ المرض، أو أحد اشتقاقاته مع المرض الّذي يُصيبُ عضوًا من أعضاء الجسم كقولك: مرضتُ بمرض الزُّكام؛ لعلَّ ذلك يرجعُ إلى علمِ النّاس بأنَّهُ مرضٌ وهو حاصلٌ بإرادة الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ((وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)) البقرة: 177؛ فمعنى الضّرّاء هنا المرضُ [1]. فاطلاق اللفظ عامٌّ لجميع أنواع الأمراض، وقد يُكنّى عن المرض بلفظ؛ قال تعالى: ((وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)) النّمل: 12 يعني من غير بَرَصٍ [2]. وجاء التّصريحُ بمرض البَرص في قوله تعالى: ((وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ)) آل عمران: 49 فالأبرص المريض بالبرص.

وقد أُطلِقتْ مادّة المرض باشتقاقات في تراكيب وفي آيات من غير ذكر نوع المرض ــ كما ذكرتُ ــ ومن غير مجيء قرينة تدلُّ عليه؛ فهو اطلاقٌ عامٌّ؛ قال تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)) البقرة: 184. (مريضًا) خبرُ كان جاء على صيغة فعيل جمعُهُ فَعْلَى كما في قوله جلَّ ذكرُهُ: ((عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى)) المزّمّل: 20؛ مرضى اسم كان تأخَّرَ عنها مرفوع. وقد جاءت آيات أُخر على تلكما الصيغتين؛ قال تعالى: ((وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)) البقرة: 185، وقال تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)) البقرة: 196، وقال تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى)) النساء: 43، وقال تعالى: ((وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ)) النساء: 102، وقال تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا)) المائدة: 6، وقال تعالى: ((لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضى وَلا عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ)) التوبة: 91.

فاشتقاقات (مرض) في الآيات المذكورة آنفًا تدلُّ على السَّقم كقوله تعالى: ((فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)) الصّافات: 89 على لسان النّبيّ إبراهيم ــ عليه السّلام ــ قيل معناه: إنّي سقيم أشتكي رجلي وهو صريع، وقيل معناه: مغتم بضلالكم حتى أنا كالسقيم، وقيل معناه: إني سقيم عندكم، وقيل معناه: يجوز أنْ يكون ناله من ذلك الوقت مرض، وقيل معناه: إنّي سأسقم، لأنَّ كلَّ مَنْ كان مصيره إلى الموت، فلا بُدَّ مِنْ أنْ يسقم [3]. وكقوله تعالى: ((فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ)) الصّافّات: 145 في وصف حال النَّبيّ يونس ـ عليه السّلام ـ وهو كهيئة الفرخ الذي ليس عليه ريش، وروي أنَّه طُرِحَ على شاطئ البحر وهو ضعيف كالطفل المولود [4].

(1) يُنظر جامع البيان: 3 / 349، وبحر العلوم: 1 / 117.

(2) يُنظر جامع البيان: 13 / 17، وبحر العلوم: 2 / 574.

(3) يُنظر الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7 / 4768، 4771، والكشّاف: 4 / 49، والمحرّر الوجيز: 4 / 478.

(4) يُنظر الهداية إلى بلوغ النّهاية: 9 / 6166، والكشّاف: 4 / 62.

أمَّا المرضُ النَّفسيُّ الّذي يُصيبُ القلوبَ أو الصّدورَ نحو: (النِّفاق، والكذب، والكفر) فقد ذكره اللهُ سبحانَهُ وتعالى صراحةً أي بمجيء لفظ المرض مع موضِعِه؛ لإعلام النّاس أنّهُ مرضٌ في المعنى الحقيقي للمرض؛ فهو مرضٌ خطيرٌ على سلوك الإنسان مع خالقه ــ جلَّ جلاله ــ وجب اجتنابهُ؛ قال تعالى: ((فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) البقرة: 10 ففي قوله: في قُلوبِهِم مَرَضٌ: هم أهل النِّفاق في قلوبهم ريبةٌ وشكٌّ في أمر الله تعالى [1].

وقد تكرَّرَ هذا التّركيبُ في آيات كثيرة؛ قال تعالى: ((فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ)) المائدة: 52، وقال تعالى: ((إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ)) الأنفال: 49، وقال تعالى: ((وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)) التّوبة: 125، وقال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)) الحج: 53، وقال تعالى: ((أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) النّور: 50، وقال تعالى: ((وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا)) الأحزاب: 12، وقال تعالى: ((يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً)) الأحزاب: 32؛ يعني في قلبه مرض الفجور، أو شهوة الزنى، أو الميل إلى المعصية [2]، وهذا ممّا زاد على المنافق من أمراض أصابت قلبه، وقال تعالى: ((لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاَّ قَلِيلًا)) الأحزاب: 60، وقال تعالى: ((فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ)) مُحمَّد: 20، وقال تعالى: ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ)) مُحمَّد: 29، وقال تعالى: ((وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)) المدَّثِّر: 31. فمادّة المرض في الآيات المذكورة آنفًا جاءت على صيغة الاسميَّة لتدلَّ على حالة المرضى بأنَّ صفة المرض عندهم ثابتةٌ وملازمةٌ لهم؛ فضلًا عن تشخيص المرض بذكر موضعه.

أمَّا في قوله تعالى: ((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) الشعراء: 80؛ فجاء المرض على صيغة الفعليّة الدّالَّة على التّغيُّر بإسناد المرض إلى النّفس على أنَّ المرض بكسب اليد [3]؛ قال تعالى: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)) الشّورى: 30، وأسندَ الشِّفاء إلى اللهِ تعالى.

(1) يُنظر جامع البيان: 3 / 58.
(2) يُنظر بحر العلوم: 3 / 59.
(3) المصدر نفسه: 2 / 557.

المبحث الثّالث

الاستعمالُ القرآنيُّ لمادّة الشِّفاء

من المناسب في هذا الزَّمن أعني به زَمَنَ انتشارِ وباء (كورونا) وما يُخلِّفُهُ هذا الوباء من أعراض مَرَضيَّة أنْ نَرجِعَ إلى القرآن الكريم.

قُلتُ: وباء كورونا وهو الأصحُّ في الاستعمال من قولنا: جائحة كورونا؛ ذلك لأنَّ الجائحةَ هي المصيبةُ تَحُلُّ بالرّجُلِ في مالِهِ فتجتاحهُ كُلَّهُ، وهي الشِّدَّةُ، والنّازلةُ العظيمةُ الَّتي تجتاحُ المالَ من سنَةٍ جَدْبَةٍ، أو فتنةٍ، وهي الاستئصال تقولُ: أجاحتْ القومَ واجتاحَتهُم: استأصلتْ أموالَهُم؛ فالجوائحُ كُلُّ ما أذهبَ الثمرةَ، أو بعضَها من أمرٍ سماويٍّ بغير جنايةِ آدمي [1]. أمَّا الوباءُ فهو كُلُّ مرضٍ يَعُمُّ الأرضَ ويكثُرُ فيها؛ تقولُ: وبِئتْ الأرضُ تَوْبَأُ وبأً، وهي موبوءةٌ وأرضٌ وبيئةٌ على فعيلة، ووبِئَتْ تَيْبُأً، وأوبَأتْ إيباءً، فهي موبِئةٌ، ووبِئةٌ على فعلة إذا كَثُرَ مرضُها [2].

فالجائحةُ لم تُستعملْ في الأمراض جميعها لكنَّ المستعمل في الأمراض العامَّة لفظُ الوباء.

مَرَّ بنا مجيءُ آيات تحدَّثَتْ عن مرض قلوب المنافقين، والكافرين فضلًا عن تكرارها؛ فرُبَّما الغايةُ من ذلك تذكرة المرضى بعدما تبيَّنتْ لهم ضلالةُ ما كانوا عليه، وهدايةُ الله ــ جلَّ ذكرُهُ ــ وما عليهم إلّا الرّجوعُ إلى الله الرّؤوف بعباده، وقد دلَّهُم على الشِّفاء في آيات ضمَّتْ في نصوصها مادّة الشِّفاء، أو أحد اشتقاقاتها؛ قال تعالى: ((قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)) التّوبة: 14 فجاء (يشفِ) بصيغة المضارع وهو الدّال على الاستقبال والاستمرار، وكذلك جاء المضارع في قوله تعالى: ((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) الشعراء: 80، أمّا في قوله تعالى: ((يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)) يونس: 57 فقد جاء لفظ (شفاء) بصيغة الاسم ومعلومٌ أنَّ الاسم دالٌّ على الثبوت؛ فالشِّفاءُ صفةٌ ثابتةٌ عند الله ــ جلَّ ذكرهُ ــ وكذلك جاء في قوله تعالى: ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)) الإسراء: 82، وفي قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ)) فُصِّلَت: 44.

ففي تلك الآيات خصَّ اللهُ سبحانَهُ وتعالى شفاء المؤمنين من دون غيرهم من النّاس أنْ هداهم إلى الإيمان ذلك لأنَّ القرآنَ الكريمَ يقرأهُ مَنْ آمنَ به، ولكنَّ الله تعالى في قوله: ((يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)) النّحل: 69 ذكرَ النّاسَ دلالةً على اطلاق اللفظ لأنَّ العسل للناس جميعًا فالشِّفاءُ هنا عامٌّ لكلِّ الناس.

(1) يُنظر تهذيب اللغة: 5 / 88، ولسان العرب: 2 / 431.

(2) يُنظر المقصور والممدود: ص 278، وفقه اللغة: ص 101.

الخاتمة

لم ترد مادّةُ المرض باشتقاقاتها مع ذكر نوع المرض الجسدي في القرآن الكريم، فاطلاقُ لفظِ المرض، أو أحد اشتقاقاته عامٌّ؛ أمّا مادّة المرض مع المرض النّفسيّ فهي مذكورة صراحةً بمجيء مادّة المرض مع موضعه.

يُطلَقُ لفظ المرض على الجسدي وعلى النّفسيّ فيحتمل هذا الاطلاق من المشترك اللفظي بأنْ يكون لفظ المرض موضوعًا لكلّ واحد من الجسدي والنّفسي، او من الحقيقة والمجاز بأنْ يكون موضوعًا لأحدهما من دون الآخر.

استعمل القرآن الكريم اطلاق لفظ (مرض) في النفوس أي المرض في القلوب والصدور واستعمل لفظ (مريض) و لفظ (مرضى) في الأجساد.

اطلاق وباء كورونا هو الأصحُّ في الاستعمال من قولنا جائحة كورونا؛ لعلل ذكرتُها.

الأصلُ في الشِّفاء البرءُ من المرض ثُمَّ جاء مجيء العلاج والدّواء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

47.التعريفات: المؤلِّف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفّ: 816هـــ) المحقِّق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلميّة بيروت ـ لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ ـ1983م.

48.تفسير بحر العلوم المؤلِّف: أبو الليث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 375هـ) ـ تحقيق د. محمود مطرجي (النّاشر: دار الفكر ـ بيروت).

49.تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفّ: 370هـــ) المحقِّق: محمّد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ 2001م.

50.التوقيف على مهمات التعاريف: المؤلِّف: زين الدّين محمّد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفّ: 1031هـــ) الناشر: عالم الكتب عبد الخالق ثروت ـــــ القاهرة الطّبعة: الأولى، 1410هـ ـ 1990م.

51.جامع البيان في تأويل القرآن المؤلِّف: محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (المتوفّ: 310هـــ) المحقِّق: أحمد محمّد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ ـ 2000 م.

52.شعر أبي حيّة النّميري، جمع وتحقيق رحيم صخي التويلي العراق ـ بغداد.

53.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: المؤلِّف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفّ: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار

54.الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ ـ 1987 م.

55.العشـرات في غريب اللغة المؤلف: محمّد بن عبد الواحد بن أبي هاشـم، أبو عمر الزاهد الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المتوفّ: 345هـ) المحقِّق: يحيى عبد الرؤوف جبر، الناشر: المطبعة الوطنيّة ـ عمّان.

56.العين المؤلِّف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفّ: 175هـ) المحقِّق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

57.فقه اللغة وسر العربية المؤلِّف: عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفّ: 429هـ) المحقِّق: عبد الرّزّاق المهدي النّاشر: إحياء التراث العربي الطبعة: الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2002م.

58.القاموس المحيط المؤلِّف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفّ: 817هـــ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــــ لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ ـ 2005 م.

59.الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري (المتوفّ 538هـــ)؛ تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي (دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت).

60.لسان العرب: المؤلِّف: محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري (المتوفّى: 711هـ) الناشر: دار صادر ـ بيروت الطبعة: الثالثة ـ 1414 هـ.

61.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المؤلِّف: أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطيّة الأندلسي (المتوفّى: 542هـ) المحقِّق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، الطبعة: الأولى ـ 1422 هـ.

62.معجم مقاييس اللغة المؤلِّف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفّى: 395هـ) المحقِّق: عبد السلام محمّد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ ـ 1979م.

63.المقصور والممدود المؤلِّف: أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (280 هـ – 356 هـ). المحقِّق: د. أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة). النّاشر: مكتبة الخانجي

64.القاهرة الطبعة: الأولى، 1419 هـ ـ 1999 م.

65.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلِّف: أبو محمّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثُمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفّى: 437هـ) المحقِّق: مجموعة رسائل جامعية بكليّة الدراسات العليا والبحث العلمي ـــ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة ـ كليّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة ـ جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ ـ 2008 م.

الفكر الاجتماعي والسياسي للنبي محمد(ﷺ) في بناء الدولة المدنية....الثوابت والمتغيرات

ا. د حمدان رمضان محمد

العراق – جامعة الموصل – كلية الآداب – قسم علم الاجتماع

الملخص

استهدف البحث التعرف على منهاج النبي وأفكاره في بداية تأسيس الدولة الاسلامية المدنية في عصره، وما واجهه النبي(ﷺ) مع أصحابه من معارضة، ومقاومة من المجتمع الوثني في تلك المرحلة، وما تلقاه الرسول(ﷺ) من رسائل سماوية نزل عليه عن طريق جبريل (علية السلام)، التي يمكن اعتبارها من الثوابت الاساسية في سيرة الرسول(ﷺ) لبناء الدولة المترامية الاطراف للعمل والالتزام بها هذا من جانب، ومن جانب اخر ما يتطلبه واقع الحال في تلك الحقبة من تغيير وتجديد في نشر الدعوة بالعمل بما يتناسب مع روح الدين ومصلحته وظرفه من حيث الزمان والمكان في بناء الدولة الاسلامية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي والاستقرائي والاستنباطي والادبيات المكتوبة في هذا المجال لتفسير وتحليل الموضوع، وتوصل البحث الى عدة استنتاجات اهمها: يعد الفكر الاجتماعي والسياسي للرسول(ﷺ)اللبنة الاساسية لبناء الدولة المدنية وتغيير المجتمع في الاسلام.

الكلمات المفتاحية: الفكر، السياسة، الدولة، المدنية، الاسلام.

Abstract

The research aimed to identify the method of the Prophet and his ideas at the beginning of the establishment of the civil Islamic state in his time, and what the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) faced with his companions of opposition and resistance from the pagan society at that stage, and what the Messenger (peace and blessings of Allah be upon him) received from heavenly messages revealed to him through Gabriel (Peace be upon him), which can be considered as one of the basic constants in the biography of the Messenger (peace be upon him) to build a sprawling state to work and abide by this on the one hand, and on the other hand what the reality of the situation in that era requires of change and renewal in spreading the call to work in a way that is commensurate with the spirit and interest of religion And its circumstance in terms of time and place in building the Islamic state, and the researcher used the historical, inductive and deductive descriptive approach and the written literature in this field to interpret and analyze the subject, and the research reached several conclusions, the most important of which are: The social and political thought of the Prophet (peace be upon him) is the basic building block for building a civil state and changing society in Islam.

Key words: thought, politics, the state, civilization, Islam

المقدمة

قال تعالى:((لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِّـمَن كَانَ يَرجُو اللَّهَ وَاليَومَ الآخِر))[1]. مما هو مسلم به ان الاسلام دين شمولي، لم يدع زاوية من زوايا الحياة السياسية الا وعمل على تنظيمها على وفق المنهج الذي اراده الله تعالى، وقد اشتمل الاسلام على الاحكام والقواعد والاليات والمنهج الذي جعله قادرا على حل مشكلات الحياة الانسانية كافة في كل زمان ومكان، وحتى يكون جهد المجتمع منظما سائرا في اتجاهه الصحيح، فان هذه المهمة تتولاها الدولة بالنيابة عن المجتمع، فالدولة كيان منظم، يمتلك المقومات اللازمة لإقامة دولة الاسلام بكل نظمه ومعطياته. فضلا عن ذلك فان مشروعية الدولة في الاسلام اظهر من ان تحتاج الى حجة شرعية، فالمرحلة الحاسمة في عمل النبي(ﷺ) تمثلت بإقامة دولة المدينة التي اسست بعد الهجرة الى يثرب [2].

لذا يمكن القول ان الدولة الإسلامية قد بنيت في عصر الرسول(ﷺ) من نواة قوية، وعظم كيانها واتسعت أرجاؤها بفضل القائد الأول رسول الله(ص) وأصحابه البررة "رضي الله عنهم". وإذا نظرنا إلى الدولة الإسلامية نجدها قد ازدهرت بالإيمان وسمت بالعقيدة السمحة العظيمة السامية، وكان النبي محمد "ﷺ " قائداً بالفطرة لا يدانيه قائد[3].

وعليه سوف نتناول في هذا البحث مسيرة النبي الانسان تسمح بان نتحدث عن رؤية فكرية، وتجربة ميدانية تؤسس لبناء مدرسة فكرية اسمها "مدرسة محمد بن عبدالله في الفكر والسياسية، وستظل السيرة النبوية العطرة دائما وابدا مصدرا بالغ الاهمية من مصادر تلقي المنهج الاسلامي، فالسيرة النبوية هي ترجمان القران الكريم، وهي حاوية السنة النبوية المعطرة من قول وفعل واقرار، وبناءً على ما سبق يمكن تقسيم البحث الى عدة محاور منها:

اولا: الاطار المنهجي للبحث.

اشكالية البحث.

ان الدولة والحاكم وعلاقتهما بالرعية، موضوع شغل كبار مفكري التاريخ البشري وتشعبت التنظيرات بشأنه بحيث وصلت حد التناقض في الطرح، واخذا مباحث هذه الاشكالية ابعادا ومناخ تبتعد كثيرا عن حقلها البحثي المفترض ان تشغله الا هو ميدان السياسية. فضلا عن ذلك فان الوضع الحالي لعب دورا كبيرا، حيث وضع المسلمين المتردي عموما والتشويش على مبادئ الاسلام وشريعته، حتى صور الدين الاسلامي دينا متخلفا رجعيا، والمسلمون عالة على غيرهم ويقبعون في جهل وتخلف، وتشجيع الاخرين لينتقدوا الاسلام علنا، ويتهموه بقصوره عن مواكبة الحضارات والمدنيات، ويمتد النقد ليصل الى القران الكريم نفسه ولو بطريقة غير مباشرة، حيث الاستخفاف ببعض تشريعاته، او على الاقل التشكيك فيها، ولاشك ان تيارات كثيرة وحركات عالمية هي وراء مثل

(1) سورة الاحزاب:21.

(2) نوري، د. موفق سالم(1427هـ)، منهج النبي(ﷺ) في اقامة الدولة، مجلة الرباط، مؤسسة الفيضي الشهيد للتربية والتعليم والثقافة الاسلامية، السنة الرابعة، العدد(30)،الموصل، العراق،ص28.

(3) محمد، عيسى امين(2007)، قيادة الرسول(ﷺ) والفكر العسكري الحديث، متاح على موقع/ :https midad com. للمزيد انظر: النبهاني، تقي الدين(2002)، الدولة الاسلامية، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

هذه التصورات السلبية عن الدين عموما، والاسلام خصوصا، والناظر في تاريخ الصراع البشري عبر القرون، يلحظ مثل هذه الحروب والتشويهات، وقد نال الاسلام نصيب كبير منها.

فضلا عن ذلك لم يكن الدين يوما معيقا للحياة الكريمة والحضارة الحقيقية، والاسلام على وجهه الخصوص هو دين العلم، والتفكر، والتعقل، والتدبر، والتذكر دين اقرأ، فما معنى هذا، الا ان يكون هذا الدين حضارة بذاتها، ومدنية ورقيا ورفعة بالإنسان، فالإسلام هو دين رب العالمين، وهو الذي قال فيه:" اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا..."[1].وان كان هناك مشكلة ما فهي في فهمنا او تطبيقنا الخاطئ، وربما اثر فيه، وضع امتنا، وشدة بأس اعدائنا علينا، والحل بأيدينا فهما وترتيبا للأولويات والأخذ بأسباب العزة، فقد دالت علينا الايام بسبب منا:"... وتلك الايام نداولها بين الناس"[2].والتغيير ضروري، وأوله تغيير ما بأنفسنا: "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [3].

ولقد بدأ الرسول (ﷺ) دعوته، وبلغ ما انزل اليه من ربه، وعانى هو وصحبه، وهاجر من اجل دينه، وهو في قمة المعاناة والخطر والخوف، وفي بيئة جديدة هي" يثرب" التي سماها" المدينة المنورة" فيما بعد ليعيش من جديد مع قوم امنوا به وعاهدوه على نصرته، وهذه قمة المدنية والحضارة فقد كان بإمكان النبي(ﷺ) ان يقنع مسلمي المدينة بكل بساطة برغبته في اخراج غير المسلمين، او التضيق عليهم، وربما قتلهم، ولكنه اولا صاحب رسالة، ومؤسس دولة، ونبي رحمة، فلا تسيره عواطف، ولا تحركه اهواء، بل هو رسول الله للناس كافة، وهو يشرع لامته، وحريص على كرامة الانسان، مضافا الى ذلك فان تفسير العلاقة بين الفكر والبناء الاجتماعي في المجتمع الاسلامي، ضرورة اجتماعية لان الفكر هو الذي يهيمن وينظم البناء الاجتماعي للمجتمع بما فيه من تراكيب مادية واجتماعية وسياسية، وان الاستقرار النفسي يمكن ان يكون الا تابعا للفكر الاجتماعي الاسلامي. وعليه نجد بان من هذه المنطلقات الفكرية والاشكاليات واختلاف الرؤى فان الموضوع يستحق البحث والدراسة.

تساؤلات البحث.

يطرح البحث مجموعة من اسئلة يمكن الإجابة عليها: هل اقام النبي(ﷺ) دولة بالمفهوم المتعارف عليه للدولة ام كان رسولا مبلغا فقط؟. هل يحمل بعض الباحثين الامور اكثر مما تحتمل عندما يتناول دولة المدينة باعتبارها الانموذج الاول للدولة الاسلامية؟. ام ان هذه الدولة فعلا انموذجا يستحق الدراسة والبحث؟. ما سبب اختيار الرسول الكريم محمد(ﷺ) مدينة يثرب دون سواها لينشئ فيها دولة مدنية؟. ماهي حقيقة المشروع السياسي والاجتماعي النبوي المتمثلة في بناء دولة المدنية؟. ما هي ضرورة الدولة في عهد الرسول في الاسلام؟. وماهي ملامح ادارة الدولة في الصدر الاول للإسلام في بداية دعوته؟. ماهي المرتكزات الاساسية لبناء الدولة المدنية؟. ماهي طبيعة ملامح السياسية الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة؟. ما هي مبادى العلاقات الدولية في الاسلام واسسها في عهد الرسول؟. كيف هي مراحل بناء الدولة الاسلامية في عهد الرسول(ﷺ)؟. ماهي الثوابت والمتغيرات او الضرورات التي طرأت على الساحة لبناء شكل الدولة في المدينة المنورة لدى رسول(ﷺ)؟.

(1) سورة المائدة:3.

(2) سورة ال عمران:140.

(3) سورة الرعد:11.

اهمية البحث.

تتجلى اهمية هذا البحث بانه يشير الى معالجة قضية في مرحلة زمنية في غاية الاهمية و بالغة التعقيد والتي شغلت بال المسلمين على مدار تاريخهم، وهي مسـالة بناء الدولة في العهد النبوي الشـريف، فضـلا عن ذلك تأتي اهمية الموضـوع من خلال العمل والانفتاح في التطرق الى التشكيلات والهيكليات السياسية والادارية الجديدة في عهد الرسول والتي لم تكن معهودة في السابق بين المسلمين وغير المسلمين، كون ان هذه الحقبة قد تشكل اساسا يقوم عليه الفكر الاسلامي في بناء الدولة ونشر الرسالة السماوية السمحاء، فضلا عن ذلك يعد فترة النبوة وحمل الرسالة الاسلامية حلقة مفصلية في التاريخ العربي، والعالمي غير مجرى العالم بمبادئه وقيمة الاخلاقية والفكرية انارت بها الى ظهور عالم جديد عما كانت علية الجزيرة العربية، والمنطقة من ظلم وجور.

كما تأتي اهمية الموضـوع بان نظرية الدولة في الادبيات الاسـلامية لم تحظ بالدراسـات الكافية، حيث لم يظهر منها الا بعض البحوث التي لا تتمتع بالصفة العلمية التي تستحقها اطروحاتها، خصوصا وان اغلب هذه الدراسات لم تصدر عن متخصصين في فقه السياسة الاسلامية، مع ما تحمل هذه البحوث والدراسات من محاولات لاستجلاء مفردات تاريخ نظم الحكم الاسلامي، وبعض الدراسات المقارنة وللآسف تأثرت بشكل، واخر بالنظم الغربية، وبنت على اسسها تصورات توفيقية تفتقر الى الدقة، والموضوعية.

زيادة على ذلك تكمن اهمية الدراسة في الاضافات الفكرية والمعرفية التي جاء بها الاسلام في موضوعات تتعلق بعناصر الفكر الاجتماعي والسياسي، والتي تفيدنا في فهم طبيعة البشرية ومكوناتها الاساسية، وفي فهم الجماعات ودورها في عملية الاستقرار الاجتماعي وتحديد السمات والخصائص التي يتسم بها المجتمع في التصور الاسلامي، ان خصائص عناصر الفكر الاجتماعي في المنظور الاسلام يمكن ان تقود الباحثين الى صياغة نظرية اجتماعية اسلامية لكون اساس في عملية نشوء علم الاجتماع اسلامي.

اهداف البحث.

يسعى هذا البحث الى تحقيق عدة اهداف منها:

1. محاولة تجسيد حقيقة دور الفكر الاجتماعي والسياسي للنبي محمد(ﷺ) عصر صدر الاسلام الاول في بناء المجتمع، واهميته في حياة المسلمين.
2. ابراز وتشخيص الأركان الاساسية لبناء الدولة المدنية في الاسلام اثناء قيادة الرسول للدعوى الاسلامية.
3. تحديد المعوقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عوقت بناء الدولة في عهدالرسول(ﷺ).
4. ماهي طبيعة العلاقات السياسية الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة.
5. معالجة الشبهات، والمغالطات، وازاله اللبس، والغموض لكثير من المفاهيم لدى المسلمين حول فصل الدين عن الدولة والسياسية عن الدين.
6. معرفة دور النبي محمد(ﷺ) في ترسيخ مبادئ السياسة العادلة في بناء الدولة المدنية في المجتمع الاسلامي.

تحديد مفاهيم ومصطلحات البحث.

1. **الفكر.**

الفكر في اللغة: هو اعمال الخاطر في شيء، والتفكير والتأمل، والاسم الفكر والمصدر الفكر، وهكذا جاء الفكر في معاجم اللغة العربية يفيد معنى التأمل وامعان النظر والتدير[1]، ويعني اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول[2].ويعرف ايضا بانه" تصور ذهني او قوة تبعث اخرى وتدفع الى العمل"[3].

والتفكير اصطلاحا: يطلق معناه الخاص على العقل من حيث يدرك موضوعه ادراكا اعلى من الادراك الحسي والتخيل والتذكرة[4]، ويعرف الفكر بانه" نقيض الانطباع فهو يرمز لصورة العمليات الفكرية والادراكية"[5].الفكر هو" اعمال العقل في الاشياء للوصول الى معرفتها، ويطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية، وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل، ومقابل للحدس"[6]. كما ان التفكير هو عبارة عن "مجموعة كبيرة من العمليات الذهنية والعقلية التي يقوم بها العقل البشري، والتي تجعله قادراً على تكوين شكلاً مميزاً للعالم الذي يعيش فيه الإنسان، وذلك من أجل الوصول إلى الأهداف والخطط والرغبات المراد تحقيقها"[7].

2. **الفكر الاجتماعي.**

يعرف الفكر الاجتماعي: "بانه صورة المجتمع او الكون او الذات التي يحملها الفرد في عقله وعند فحصها تظهر بعض العناصر المستقلة عتها والتي تدعى بالأفكار"[8].كما يعرف بانه "الطبيعة الغالبة لنمط من الافكار التي يتبناها المجتمع او الجماعة او هو ذلك الجزء من الفكر المتعلق بإدارة شؤون المؤسسات وتنظيم الانشطة الاجتماعية"[9].ويعرف الفكر الاجتماعي ايضا بانه" منظومة الافكار والعقائد التي يقف خلف اسلوب حياة كل فرد وكل جماعة انسانية متجانسة في اي مرحلة من مراحل تاريخها، ويؤدي ذلك الى منح الجماعة درجات محددة من الحس بالانسجام والوحدة من الناحيتين الفكرية والعاطفية"[10].

(1) ابن منظور(1977)، لسان العرب، دار صادر، المجلد الخامس، ط3، بيروت، ص65.
(2) مصطفى، ابراهيم واخرون(ب. ت)،المعجم الوسيط، المكتبة العلمية،ج2، طهران، ص705.
(3) ابن منظور، المصدر السابق، ص699.
(4) الجوهري، اسماعيل بن حماد(1975)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحضارة العربية، بيروت، ص255.
(5) الحنفي، د. عبد المنعم(1975)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي،ج1،القاهرة، ص376.
(6) صليبا، جميل(1979)،المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج، بيروت، ص154.
(7) نعمان، ساجد صبري (2014)، مفهوم العلم في الفكر الاسلامي، www.iasj.net
(8) ماج، جارلس(1990)،المجتمع في العقل، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص9.
(9) الحسن، د. احسان محمد الحسن(1999)، موسوعة علم الاجتماع، دار العربية للموسوعات، بيروت،ص489.
(10) النوري، د. قيس، والحسني، د. عبد المنعم(1985)، النظريات الاجتماعية، دار الكتب، جامعة الموصل،الموصل،العراق،ص19.

3. الفكر السياسي.

يُمثّل الفكر السياسي أحد أبرز الاتجاهات العريقة التي تأخذ حيزاً من اهتمام وتفكير عدد لا محدود من المفكرين والخبراء حول العالم، حيث ينبثق هذا الفكر عن علم السياسة الذي يعتبر أحد العلوم والتوجهات الإنسانية التي تضم كافة الإجراءات والسُبل لاتخاذ القرارات المختلفة من أجل الحفاظ على استقرار وسلامة وأمان الجماعات البشرية، حيث يتمّ تعريفه بمفهومه البسيط على أنّه "العلم الذي يتمّ من خلاله توزيع أشكال القوة والسلطة والنفوذ في مجتمع أو دولة معينة"[1]..وينقسم الفكر السياسي إلى قسمين رئيسين هما: الاول، الأفكار السياسية التي تُمثّل أحد أهم الدراسات التاريخية القائمة على المتابعة على الأساس الزمني للتراث الفكري الذي يرتبط في تفسير ظاهرة السلطة، مع الأخذ بعين الاعتبار كافة الآراء والنظريات والتصورات الصادرة عن الفلاسفة على مر العصور، أما القسم الثاني، فيتمثّل في النظريات السياسية التي لا تأخذ بعين الاعتبار عنصري الزمان والمكان، وتسعى إلى إيجاد أحكام واضحة تجمع بين المناهج التجريبية وما هو موجود على أرض الواقع[2].

ويمكن تعريفه على" أنه الأساس لفهم المشاكل القياسية في السياسة، التي تتكون جميع مشاكلها من جانبين هما؛ الجانب القياسي والجانب التجريبي"، وينقسم الفكر السياسي لثلاثة مجالات دراسية؛ الأول: يبحث في تاريخ الفكر السياسي، والثاني: هو الفلسفة السياسية، أما الثالث: فهو الأيديولوجيا السياسية، ولكل منها محاور خاصة لكنها جميعًا تهدف لمقاربة العلاقة بين الفكر السياسي والواقع[3]. والفكر السياسي الإسلامي هو أحد المفاهيم التي ظهرت وانتشرت في العصور الوسطى ضمن الحضارة الإسلامية، حيث بُني على أساس فكري وحضاري متين، حيث جاء هذا الفكر بناءً على المبادئ الإسلامية، ووضح كيفية بناء الدولة الإسلامية، وترك بعض التفاصيل للفقهاء والمفكرين المسلمين على أن تكون اجتهاداتهم منطقية[4].

كما يمكن تعرف الفكر السياسي الإسلامي هو" ذلك النشاط العقلي الذي يضم الآراء والمبادئ والأفكار لمجموعة بشرية معينة هم المسلمين منذ أن نشأ لهم مجتمع سياسي وتكونت للإسلام دولة منذ عهد النبي (ﷺ) حتى عصرنا الحالي بما يعني أن هذا الفكر له مراحله وله تاريخ يشمل هذه المراحل ويضم الكتابات حول الأفكار والمبادئ والنظريات التي تخص حياة وأهداف المسلمين السياسية والقواعد التي تحكم وتنظم وما يطلق عليه سياسي ويخص المسلمين كأمة ومجتمع سياسي. أنه حقل معرفي ينطوي على دلالات معرفية هي خلاصة مفهوم مركب من ثلاثة مفاهيم فرعية: الموصوف وهو الفكر والصفتان له: السياسي والإسلامي وكل مفهوم منها تختلف تعريفاته بقدر ما تتشابه وتتنافر بقدر ما تتجاذب"[5].

(1) صلاح، رزان(2017)، مفهوم الفكر السياسي، متاح على موقع/. https://e3arabi.comrdm

(2) عتوم، رند(2020)، ما هو الفكر السياسي، متاح على الموقع الالكتروني/https// e3arabi.com:

(3) الزغبي، هديل (2020)، مفهوم الفكر السياسي، https://hyatok.com

(4) صلاح، مصدر سابق: ص1

(5) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، د. ت: ص3. للمزيد انظر: مصطفى، د. نيفين عبد الخالق(1997)، مدخل في الفكر السياسي الاسلامي، ط، مكتبة ملك فيصل الاسلامية، السعودية.

4. **الدولة.**

الدولة في اللغة: قال ابن فارس: الدال والواو واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واسترخاء. والدَّولة و الدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وقال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّوْلةُ الفعل والانتقال من حال إلى حال، وفي "الصحاح في اللغة": الدُولَةُ والدَوْلَةُ لغتان بمعنىً. وأَدالَنا الله من عدوّنا من الدَوْلَةِ، والإدالَةُ الغلبةُ. يقال: اللهم أَدِلْني على فلان وانصرني عليه، ودالَتِ الأيّامُ، أي دارت، والله يُداوِلُها بين الناس، وتَداوَلْتُهُ الأيدي، أي أخذَتْهُ هذه مرّةً وهذه مرّةً[1]. كما جاء لفظ الدولة في اللغة بعدة معان هي: الاول: التحول والانتقال[2]. وفي هذا المعنى جاءت في القران الكريم كما في قوله تعالى(كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)[3].والثاني: بمعنى الملك[4]. والثالث بمعنى الغلبة[5].

اما الدولة اصطلاحا: فهناك عدد كبير جدا من التعاريف الموضوعة للدولة والتي تختلف حسب الاساس الذي ينطلق منه من يعرفها، بالإضافة الى ذلك هي مصطلح حديث نسبيا لم يستخدم في ما قبل العصر الحديث ليدل على معناه الحالي حيث كانت تستخدم مصطلحات مثل امارة ,ملكية، امبراطورية، وخلافة. حاليا هنالك عدة تعاريف للدولة تتنوع من اعتباره يدل على كل ''كيان سلطوي'' الى نفي هذه الصفة أي ''الدولة'' عن كل الكيانات السلطوية ما قبل الدولة الحديثة المعاصرة، تتنوع تعريفات (الدولة) وتختلف في شكل الصياغة او حتى في المضمون، ونكتفي هنا بعرض مجموعة من التعاريف للمفكرين العرب والاسلاميين والغربيين فهي مثلا: عند" ايسمان"(التشخيص القانوني لأمة ما).عند "بونار"(وحدة قانونية دائمة تحوي هيئة اجتماعية لها حق ممارسة سلطات معيّنة في مواجهة أمّة مستقرّة على إقليم محدّد). أما "آدم سميث" فيلخص مهام الدولة" بحماية المواطنين، والإشراف على تنفيذ القانون، وتحقيق العدالة، والقيام بالأعمال والخدمات"[6].

بينما يرى" لينين" أن (الدولة هي نتاج التناقضات الطبقية التي لا يمكن التوفيق بينها، والحل يكمن بالثورة و انشاء دولة البروليتاريا التي وبعد ان تنتهي من حسم صراع الطبقات واجتثاث بقايا البرجوازية، تقوم بحل نفسها لصالح انشاء المجتمع الشيوعي). لكن ما اتفق عليه معظم الباحثين هو ان الدولة كيان يجب ان يتوافر على أركان ثلاثة، وهي: الارض: بمعنى نطاق

(1) الشريف، احمد ابراهيم(1964)، مكة والمدينة في الجاهلية وعه الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة.

(2) أبن المنظور، مصدر سابق: ص252.

(3) سورة الحشر:7.

(4) الطبرسي، الفضل بن الحسن(1995)، مجمع البيان في تفسير القران،ج9، ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص429

(5) ابن المنظور، مصدر سابق: ص252. للمزيد انظر: علون، د. بتول حسين(2011)، مفهوم الدولة واركانها في الفكر الاسلامي السياسي المعاص، مجلة العلوم السياسية، العدد(43)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

(6) ابا ظلي، قيس الرشيد(ب. ت)، مدنية الدولة في الاسلام، سلسلة محاضرات يوم العودة التي تقيمها منظمة زيتون، متاح على موقع/ https:// syrianvoicos.Wordpress.com

جغرافي او اقليم بحدود ثابتة معروفة او متغيرة. الشعب(المجتمع): هي المجموعة البشرية القاطنة على هذه الارض. السلطة: والتي هي مجموعة الافراد و الهيكليات والاجراءات التي تدير الموارد وعلاقات الشعب الداخلية بما يحقق هيمنتها عليهم[1].

في حين يعرفها دكتور(ابراهيم شيحا) بانها: "مجموعة من الافراد يمارسون نشاطهم على اقليم جغرافي محدد ويخضعون لتنظيم معين"[2]. بينما يعرفها الشيخ (حسن البنا) بانها:" شكل انتظام الامة في سلطة، لها دستورها وشكل نظام للحكم خاص بها، والدستور هو القانون الاساس للدولة، وامة الاسلام دستورها القران"[3]. ويعرفها(السيد محمد باقر الصدر) بانها: "المظهر الاعلى للوحدة السياسية التي توجد بين جماعة من الناس، ولابد ان تكون وحدتها انعكاسا لوحدة عامة قائمة بين الجماعة"[4]. في حين عرفها(السيد محمد الشيرازي) بانها: "ارقى التشكيلات لإدارة امور جماعة كبيرة في مختلف شؤونها"[5]. بينما عرفها الشيخ (محمد على التسخيري) بانها: " المجموع الكلي المكون من شعب، ونظام يسير علية الشعب، وحكومة تدير هذه المسيرة"[6]. واخيرا عرفها(السيد هاشم الموسوي) بانها: "كيان سياسي ذات شخصية اعتبارية، يتعامل معها القانون، كجهة صالحة، لتحمل الواجبات، وكتساب الحقوق"[7].

5. المدنية

الإنسان مدني بالطبع عبارة عن نسبة الإنسان إلى المدينة، والمدينة لغة: المقام من مدن بالمكان إذ أقام به. قال صاحب المستدرك، تمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدن وانتقل من حالة الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة، والمدينة عند الفلاسفة موضع اجتماع الناس [8]. قال الفقيه ابن العربي:(لما كان الإنسان مدنيا بالجبلة)،بينما قال ابن تيمية:(إذ كان الإنسان مدنيا بالطبع، لا تتم مصلحته إلا ببني جنسه، يعاونونه على جلب المنفعة ودفع المضرة) ويقول أيضا: (الإنسان مدني بالطبع لا يستقل بتحصيل مصالحه، فلا بد لهم من الاجتماع للتعاون على المصالح) وقال ابن القيم:(إن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس). ويقول الفخر الرازي عند قوله تعالى:(والنهار مبصرا):(اعلم أن الإنسان مدني بالطبع، ومعناه أنه ما لم يحصل مدينة تامة لم تنتظم مهمات الإنسان)[9].وقال التهانوي: السياسة المدنية من أقسام الحكمة العملية، وتسمى بالحكمة

(1) اباظلي، المصدر السابق: ص1-2

(2) الطهراوي، هاني علي(2007)، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة، عمان،الاردن،ص72.

(3) البنا، حسن(1984)، الى أي شي ندعو الناس- في مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا، المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، لبنان، ص48.

(4) الفضلى، عبد الهادي(2000)،الاسس الاسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من اصول للدستور الاسلامي، مجلة المنهاج، العدد(17)، دار الغدير، بيروت، لبنان،ص318.

(5) الشيرازي، محمد الحسيني(1401هـ)،الفقه السياسية،ج1،مطبعة سيد الشهداء، قم،ايران،ص153.

(6) التسخيري، محمد على(1994)،الدولة الاسلامية دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية،ط1،منظمة الاعلام الاسلامي، كتاب التوحيد، العدد/1،السنة الاولى، قم،ايران،ص15.

(7) الموسوي، هاشم(2000)،الثقافة السياسية الاسلامية،ط1،مؤسسة الهدى للنشر، طهران ايران،ص50.

(8) قاموس الضاد(2020)، الانسان مدني بالطبع، متاح على موقع
web.archive.org//https:

(9) الموقع اعلم ان الانسان مدني بالطبع(2020),www.islam-web.net

السياسية، وعلم السياسة، وسياسة الملك، والحكمة المدنية، وهو علم تعلم منه أنواع الرئاسة، والسياسات، والاجتماعات المدنية، وأحوالها، وموضوعه المراتب المدنية، وأحكامها[1].

المدنية: كمصطلح منفرد كان لها عدة دلالات مختلفة منذ ان قال ابن خلدون(الانسان مدني بطبعه)، حيث استخدمه الباحثون احيانا بالمعنى المقابل للبداوة، واحيانا بالمعنى المقابل للعسكرة او بالمعنى المقابل للحالة الدينية، واستخدما ايضا عند بعض الباحثين كترجمة لكلمة (civilization)، عندما كان مصطلح الحضارة يستخدم كترجمة لكلمة(culture)، اما بالمتداول الشعبي، فيعبر هذا المفهوم عن حالة من التسامح وقابلية التفاعل المهذب بين الافراد. فالدولة المدنية:" هي دولة تحافظ وتحمي كل اعضاء المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم القومية او الدينية او الفكرية". هناك عدة مبادئ ينبغي توافرها في الدولة المدنية والتي ان نقص احدها فلا تتحقق شروط تلك الدولة اهمها: ان تقوم تلك الدولة على المساواة بين الحقوق والواجبات وعلى السلام والتسامح وقبول الاخر، وان لا تخضع اي فرد فيها لانتهاك حقوقه من قبل الفرد اخر او اطراف اخرين، وجود سلطة عليا هي سلطة الدولة والتي تلجأ اليها الافراد عندما يتم انتهاك او تهديد حقوقهم[2].

6. **السياسة.**

لغويا كلمة السياسة: مصدر للفعل "ساس" ومضارعة "يسوس"، واستخدم "لسائس"، فالمعنى اللغوي لكلمة السياسية هو رعاية الشؤون، واستخدم الاسلام هذا اللفظ لمعناه مضيفا اليه ضوابط الرعاية ومجالها، والاساس الذي تستند عليه، فاصبح المعنى الشرعي لكلمة(السياسة) رعاية شؤون الامة داخليا وخارجيا بحسب احكام الاسلام، وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى في حديث الرسول(ﷺ) الي يقول فيه" لقد كان من قبلكم تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، الا انه لا نبي بعدى....". وعرّف السياسة لغةً بأنها عبارة عن معالجة الأمور، وهي مأخوذة من الفعل ساسَ ويسوس، وهي على مصدر فعالة[3].

تعريف السياسة في اللغة العربية هي مصدر الفعل ساس يسوس، ومعنى ساس: أمرَ ونهى ودبَّرَ، يقال: ساسَ الناسَ أي حكمهم وتولى قيادتهم وإدارة شؤونهم، وساسَ الأمو رأي دبّرها وأدارها وقام بإصلاحها، وساسَ الدواب: روَّضها واعتنى بها[4]. وبهذا المعنى أنشدت الحُرَقَة بنت النعمان بن المنذر تقول: فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ والأَمْرُ أَمْرُنَا، إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ[5]. أقول: السياسة لغة مصدر على وزن فِعالة من ساس يسوس وساس الأمر سِياسة، ولسياسة فعل السائس، والوالي يسوس رعيته، وسُوِّس فلانٌ أمر بني فلان أي كُلِّف سياستهم. وسست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها[6].

(1) الموقع المدني(2020), www.arabiclexicom. hawramani.com

(2) اباظلي، مصدرسابق: ص5. وللمزيد ينظر: السلفي، ابو فهر(2011)، الدولة المدنية مفاهيم واحكام، دار عالم النوادر، مصر.

(3) خليف، سميحة ناصر(2019)، مفهوم السياسة لغة واصطلاحا، متاح علة موقع/ https:mawdoo3.com

(4) عمر، رمضان(2015)،الفكر السياسي في عصر النبوة- قراءة في منهج المصطفى(ﷺ) في بناء الدولة، شبكة الالوكه، متاح على موقع/www.alukah.net

(5) الجوهري، مصدر سابق: ص4-1434

(6) العقيلي، ميثم (2018)، مفهوم السياسة،16-06-2018، https://shafaq.com

ولم ترد كلمة السياسة بهذا اللفظ في القرآن الكريم، ولكن وردت مرادفاتها مثل: الحكم والملك والتمكين والاستخلاف، فقد وردت بكثرة في آياته الكريمة، كقوله تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ)[1]. وقوله تعالى: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)[2] و[3].

وقد عُرف استخدام الفعل ساس يسوس ومشتقاته في السنة النبوية وآثار الصحابة باعتباره معنىً معروفًا في اللغة العربية، أما استخدام كلمة السياسة بصيغة المصدر بمعنى الحكم وإدارة شؤون الدولة[4]، فقد يكون أول نصٍّ وردت فيه هو حوار عمرو بن العاص مع أبي موسى الأشعري، وذلك في واقعة التحكيم في صفين وهو يصف معاوية بن أبي سفيان بقوله: "إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير"[5].

وفي السنّة النبوية استخدم الفعل يسوس بمعنى الحكم، فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ)، أنه قال: "كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي، وسَيَكونُ خُلَفاءُ فَيَكْثُرُونَ قالوا: فَما تَأْمُرُنا؟ قالَ: فُوا ببَيْعَةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ، أعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فإنَّ اللَّهَ سائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعاهُمْ"[6].

وردت كلمة السياسة كثيرًا في كتب الفقه والتاريخ والسير، وقد ألف بعض الفقهاء المتقدمين كتبًا متخصصه في هذا الموضوع، ومنها كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والأحكام السلطانية للماوردي، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء وغيرها، وقد تنوعت عبارات الفقهاء في تعريف السياسة، وخلاصتها أن السياسة في الإسلام هي: "تنظيم أمور الدولة والعناية بمصالح وشؤون الرعية، داخل الدولة وخارجها"[7].

أما اصطلاحاً فتعرف بأنها" رعاية كافة شؤون الدولة الداخلية، وكافة شؤونها الخارجية"، وتعرف أيضاً بأنها" سياسة تقوم على توزيع النفوذ والقوة ضمن حدود مجتمع ما". وتعرف كذلك بأنها" العلاقة بين الحكام والمحكومين في الدولة"، وعرفت أيضاً بأنها" طرق وإجراءات مؤدية إلى اتخاذ قرارات من أجل المجتمعات والمجموعات البشرية"، وقد عرفها هارولد بأنها "عبارة عن دراسة السلطة التي تقوم بتحديد المصادر المحدودة"، وعرفها (ديفيد إيستون) بأنها عبارة عن "دراسة تقسيم الموارد الموجودة في المجتمع عن طريق السلطة"، أما الواقعيّون فعرفوها بأنها "فنٌّ يقوم على دراسة الواقع السياسي وتغييره موضوعيا"[8].

(1) سورة المائدة:49

(2) سورة النساء:54

(3) متولي، عاطف ابراهيم(2011)، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، مزروعة الناشر، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القران، كلية العلوم الاسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص138.

(4) مجموعة مؤلفين(د.ت)، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية،ط2، دار سلاسل، الكويت،ص595.

(5) الطبري، أبو جعفر(د.ت)، تاريخ الطبري،ص68

(6) صحيح البخاري، الحديث:3455. وللمزيد ينظر: طعمه، تمام(2021)، تعريف السياسة في الاسلام، https://sotor.com

(7) السامرائي، د. نعمان عبد الرزاق(2000)، النظام السياسي في الإسلام، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، رياض،ص11.

(8) خليف، مصدر سابق: ص3

بينما عرّف "ابن خلدون" مفهوم السياسة على أنّها (صناعة الخير العام)، أما "روبير" فقد عرفها على أنّه (فنّ المجتمعات الإنسانيّة)، فيما أورد "ديفيد أيستون" تعريفاً آخر لهذا المفهوم حيث قال إنّ السياسة هي (التوزيع السلطوي للقيم من أجل المجتمع)، ويقصد به قيام السلطة السياسيّة من خلال توزيع كافة القيم الإنسانيّة والماديّة المرتبطة بحياة الإنسان[1]. ويمكن تعريفها أيضاً على أنّها" دراسة أو ممارسة توزيع السلطة داخل مجتمع معين بشرط أن يمتلك مجتمعاً سكنيّا ًذا تنظيم هرمي"[2] والسياسة هي علاقة بين حاكم ومحكوم وهي السلطة الأعلى في المجتمعات الإنسانية، حيث السلطة السياسية تعني" القدرة على جعل المحكوم يعمل أو لا يعمل أشياء سواء أراد أو لم يرد". وتمتاز بأنها عامة وتحتكر وسائل الإكراه كالجيش والشرطة وتحظى بالشرعية. تعرف السياسة أيضا بأنها: "كيفية توزيع القوة والنفوذ ضمن مجتمع ما أو نظام معين"[3].

في حين عرف علم السياسة بتعاريف كثيرة ومنها: أولاً: انها "دراسة الدولة وما له علاقة بها كحكومة والمؤسسات الرسمية المتفرعة عنها أو المتصلة بها". ثانياً: "علم السلطة أين وجدت وحيثما كانت وعلى أي مستوى". ثالثاً: "علم حكم الدولة أو دراسي المبادئ التي تقوم عليها الحكومات والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالدول الأخرى". رابعاً:" دراسة عملية التوزيع السلطوي للقيم في المجتمع". خامساً: "دراسة الحكومات ودراسة عملية الممارسة السياسية ودراسة المؤسسات والسلوك السياسي". سادساً: "العلاقة بين الطبقات والاشتراك في شئون الدولة وتوجيه الدولة وتحديد أشكال ومهام ومضمون نشاط الدولة". سابعاً: "دراسة الحكومات والمؤسسات والسلوك والممارسة السياسيين". ثامناً: "علم دراسة حكم المجتمعات الإنسانية". تاسعاً:" العلم الذي يهتم بدراسة التوزيع السلطوي الإلزامي للقيم في المجتمع". عاشراً:"علم دراسة الظواهر السياسية بمنهج علمي تجريبي". أحد عشر:" فن الممكن"[4].

منهجية البحث.

استخدم الباحث عدة انواع من مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لتوظيفها من اجل وصول الى غايته لخدمة بحثه، وهي المنهج الوصفي التحليلي وذلك لجمع المعلومات الازمة حول الموضوع من اجل دراستها وتحليلها للوصول الى حقيقة الفكر الاجتماعي والسياسي للنبي محمد(ﷺ) في بناء الدولة المدنية، فضلا عن ذلك تم استخدم المنهج التاريخي لاستقصاء الماضي او سجل الخبرات الماضية لاستخلاص القوانين عامة حول ظاهرة من خلال مقارنة اشكال هذه الظاهرة عبر التاريخ من اجل معرفة علمية لأحداث الماضي.

فرضية البحث.

ينطلق البحث من الفرضية اساسية مفادها(ان الفكر الاجتماعي والسياسي للرسول(ﷺ) في المجتمع الاسلامي منذ بدايته ادت الى ضرورة وجوب دولة المدنية بمفهومها الشمولي).

(1) الحلايقة، غاد(2017)، ماهي الدولة المدنية، https://mawdoo3.com

(2) العقلة، إحسان(2015)، مفهوم السياسة – دراسة الظواهر السياسية بمنهج علمي تجريبي، متاح على موقع/ https://mawdoo3.com

(3) ويكيبيديا، د. ت.

(4) العقيلي، مصدر سابق: ص5.

حدود البحث.

تتراوح الحدود الزمانية والمكانية لهذا البحث بفترة العهد النبوي في المكة والمدينة المنورة(يثرب).

ثانيا: نماذج من الجهود العلمية السابقة

دراسة حافظ احمد عجاج المعنونة" الادارة في عهد الرسول" جاءت هذه الدراسة لتستوضح ممارسة الادارة ووظائفها المختلفة في مراحل الدعوة الإسلامية، وقد بينت الدراسة مفهوم الادارة وفقا للرؤية الاسلامية، متناولة المفاهيم الادارية المتمثلة في التخطيط، والتنظيم، وادارة المال، وادارة العلاقات الدولية، والعديد من الامور ذات الصلة بالسياسات العامة في الدولة[1].

دراسة عبد الاله بلقزيز المعنونة" تكوين المجال السياسي الاسلامي- النبوة

والسياسة" استهدفت الموضوع دراسة المشروع السياسي للنبي والقائد العظيم (ﷺ)، وخاصة تجربة بناء دولة المدنية في عهد النبي(ﷺ)، وقد امتدت لتشمل قيام الجماعة السياسية في الاسلام، وخاصة بعد وفاة النبي(ﷺ)، وقد ركز الباحث في تناوله للمشروع النبوي على الناحية السياسية، وهي محاولة للباحث لان يصل في ترشيد التفكير في المسالة السياسية، وذلك من خلال ارجاعها الى اصولها التأسيسية[2].

دراسة علاء سعد حسن المعنونة" دولة النبي(ﷺ)" حاول الباحث وصف دولة النبي(ﷺ) في المدينة المنورة، ويقع دراسته الى عدة فصول منها الدولة بين التصور الاسلامي والفكر الغربي، فضلا عن ذلك تناولت الدراسة الدولة اسس النظريات العقد الاجتماعي ونظم الحكم في الاسلام، بالإضافة الى ذلك جاء الفصل الاخير يتناول فيه سمات دولة النبي(ﷺ). وتوصل من كل ذلك بان دولة النبوة هي مرحلة مفصلية من مراحل سيرته العطرة[3].

دراسة د. جبر الهلول المعنونة" الاسس التي قامت عليها دولة المدينة المنورة" حاول الباحث تحليل اهم اسس الوحدوية التي قامت عليها بناء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة من بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار، ووثيقة المدينة او دستور دولة الاسلام الاولى. وتوصل الباحث الى عدة نتائج منها: قد مكن الرسول(ﷺ) من ان يرسى اسس الدولة وان يصنع نواة الامة الاسلامية الموحدة التي اخذت تتوسع وتنتشر مع مرور الزمن، فضلا عن ذلك بدأ رسول(ﷺ) بإقامة مجتمع جديد يقوم على نظام عادل واخذ يرسى دعائم دولة موحدة تقوم على سيادة القانون الالهي الذي لا يأتيه الباطل، وليس على سيادة أهواء قبيلة او

(1) عجاج، حافظ احمد(2007)،الادارة في عهد الرسول،ط2، دار السلام، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة.

(2) بلقزيز، عبدالله(2005)، تكوين المجال السياسي الاسلامي- النبوة والسياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط، بيروت.

(3) حسن، علاء سعد(2011)، دولة النبي(ﷺ)، شبكة الالوكة، متاح على موقع الالكتروني/ www.alukah.net

عشائرية او ما شابه ذلك، كما كان في السابق في عهد الرسول والسائدة في الجزيرة العربية من النزعة الفردية والفوضى التسلطية القبلية والا قانون[1].

دراسة الشيخ محمد توفيق المقداد المعنونة" ادارة الدولة في عهد النبي" هدفت الدراسة التعرف على ابراز قدرة النبي محمد (ﷺ) في ادارة الدولة، وتوصل الباحث الى ان هناك انجازات ضخمة قد تحققت في زمن النبي(ﷺ)، وخاصة بعد حركة الهجرة وتأسيس المجتمع الاسلامي الاول، وما احدثه من تغييرات جذرية في المسيرة البشرية بشكل عام، اثبت بان النبي(ﷺ) كان رجل دولة من الطراز الاول، بل هو في الدرجة الارفع عبر التاريخ والعصور، ولهذا فان هذا الاقتدار النبوي على تحويل حركة الواقع السلبي في زمانه الى حركة وعي في ضمير الفرد والامة لإبراز القابليات الانسانية والدفع بها لبناء الحياة على ضوء النموذج الاسلامي الالهي ويعتبر الانجاز الاعظم الكاشف عن الخبرة الرفيعة والراقية في ادارة شؤون المجتمع الناتج عن الفهم الواعي والدقيق لأوضاع الناس، ولقيادتهم ورعايتهم والسير بهم نحو كمالهم[2].

دراسة الشيخ د. على مشاعل المعنونة" اسس الدولة الاسلامية الاولى "استهدف الباحث توضيح اسس وخطوات بناء الدولة الاسلامية الاول "صدر الاسلام" وتوصل الباحث بان اولى الخطوات كانت بناء المسجد وبعدها المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، واخيرا وثيقة تنظم العلاقة مع غير المسلمين[3].

دراسة السيد مراد سلامة المعنونة" اسس بناء المدينة الفاضلة من خلال الهجرة النبوية" استهدفت دراسته بالتأكيد على ان هجرة النبي(ﷺ) يعد انعطافا ومنهجا ودستورا فريدا لبناء المدينة الفاضلة التي تقوم على الايمان والعدل والتضحية والفداء، مدينة جسدت فيها القيم والاخلاق والمثل في اشخاص رباهم النبي(ﷺ)، وتوصل الباحث بان اهم اسس المدينة الفاضلة من خلال هجرة النبوية هي: اساس العقيدة،والتضحية بالنفس والزوجة والاولاد والمال، واساس الصلة بالله، والاخوة والمحبة، واخيرا اساس التعايش السلمي مع المخالف[4].

دراسة د. موفق سالم نوري المعنونة" منهج النبي(ﷺ) في اقامة الدولة" استهدفت الدراسة الى التعرف على المعطيات السيرة النبوية في سعيه لإقامة الدولة ليكون الاسلام هو القوة الحاكمة المتقلدة للأمور، الامر الذي يمهد الطريق لإقامة نظام الحياة على وفق التصور الاسلامي لها، وتوصل الباحث ان ما حصل في المدينة بعد الهجرة اليها يمكن وصفه بانه انقلاب سياسي او تغيير سياسي تم بصورة متدرجة الت فيها مقاليد الزعامة الى النبي(ﷺ)، وقد تم ذلك بصورة سلمية، بحسب ما اتاحته الظروف في حينها غير ان هذا التصور لا يقلل من شان العمل الدعوى والتربوي في اجراء عملية التغيير، من دون الاستغراق اللانهائي واللامحدود في هذا العمل[5].

(1) الهلول، جبر(د. ت)،المنهج النبوي في تنظيم دولة المدينة، المعرفة والمواجهة، متاح على الموقع/ doc. garb- alhallul.blogspost.com
(2) المقداد، الشيخ محمد توفيق (2016)، ادارة الدولة في عهد النبي، مركز اشعاع الاسلامي، على موقع الالكتروني/www.islam4u.com
(3) مشاعل، د. الشيخ علي(1435هـ)، اسس الدولة الاسلامية الاولى، حلب، سوريا، متاح على الموقع الالكتروني/www.khutabaa.com
(4) سلامة، السيد مراد(2017)، اسس بناء المدينة الفاضلة من خلال الهجرة النبوية، متاح على موقع الالوكه الالكتروني/ www.alukah.net
(5) نوري، مصدر سابق: ص28-30

دراسة د. محمد عمر شاهين المعنونة" اسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة" استهدفت الدراسة معرفة اسس تكوين الدولة الاسلامية في المدينة المنورة، وما تضمنته من وجود المجتمع السياسي المتمثل بالحاكم والمحكوم، فضلا عن وجود اقليم وتوافر عنصر السيادة، وكان من اهم نتائج الدراسة التي تمخضت عنها هو حركة الهجرة النبوية الى المدينة هو انشاء اول حكومة اسلامية "دولة اسلامية" اخضع لإدارة الرسول وإشرافه التام في ذلك الجزء الصغير من بلاد العرب وتأخذ على عاتقها مهمة نشر الدعوة الاسلامية[1].

دراسة سناء الدويكات المعنونة" مراحل قيام الدولة الاسلامية في عهد الرسول" هدفت الدراسة الاشارة الى مراحل قيام الدولة الاسلامية في عهد الرسول، بالإضافة الى ذلك ابراز البناء الداخلي للمجتمع الاسلامي في مكة وتامين الحماية للمسلمين في مكة، وقيام الدولة المسلمة في المدينة المنورة، وتوصلت الباحثة الى ان من اهم الاسس التي اقامت عليها الدولة الاسلامية في عهد الرسول (ﷺ)هي: بناء المسجد،والمؤاخاة بين الانصار والمهاجرين، وعقد المعاهدات بين المسلمين وسكان المدينة من اليهود، واخير فرض الجهاد[2].

ثالثا: سيرة الرسول(ﷺ) العطرة.

يتضمن هذا المحور بعض من شمائل الحبيب المصطفى(ﷺ) منها.

نسبه الشريف.

هو رسول الله(ﷺ) مُحمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر (قريش) بن مالك بن نَضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان، وينتهي نسبه الشريف الى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام[3].

تاريخ ومكان ولادته.

ولد عام الفيل صبيحة يوم الاثنين سنة (571) ميلادية في مكة المكرمة وبقي فيها قرابة الثلاث وخمسين سنة ومن ثم هاجر إلى المدينة[4]، نبي الإسلام، خاتم النبيين وأحد الأنبياء أولي العزم، ويُعدّ القرآن الكريم معجزته التي تحدّى بها الأمم والشعوب، مركّزاً دعوته على التوحيد ومكارم الأخلاق وتنظيم حياة الإنسان، ويذكر التاريخ بأنه (ﷺ) ظهر كحاكم مقنّن ومُصلح اجتماعي وقائد

(1) الشاهين، د. محمد عمر(2009)،اسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، العدد(2)،المجلد(4)، لسنة (4)، كركوك، العراق، ص97-106.

(2) الدويكات، سناء(2018)، مراحل قيام الدولة الاسلامية في عهد الرسول، متاح على موقع/ mawdoo3.com www.

(3) هارون،عبد السلام(1985)، تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، ط1و ط14، الكويت، ص17و26و47. للمزيد انظر: العازمي، موسى بن راشد (2013)، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، دار الصميعي، ط1، جزء 1، الرياض، ص68-69.

(4) هارون، عبد السلام، المصدر نفسه، ص 17و26و47. للمزيد انظر: العازمي، مصدر سابق، ص 68-69.

عسكريّ في الوقت نفسه. كانت ولادته في مجتمعٍ اتّسم بـالشرك وعبادة الأصنام، ولكنه لم يعبد صنماً قط، ولم يشرك بـالله شيئا، واجه مع أصحابه أقسى أنواع التعذيب والتنكيل والتهجير والنهب، وحينما بلغ عمر الدعوة الإسلامية ثلاثة عشر عاماً هاجر من مكة إلى يثرب والتي سمّيت بمدينة النبي لاحقاً[1]

امهاته.

أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب:" أمه ولادة"، ولما بلغ السادسة وثلاثة أشهر من عمره وقيل الرابعة من عمره، رافق أمّه آمنة في رحلته إلى يثرب (المدينة) لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار، وفي مسـير عودتهم إلى مكة توفيت آمنة في منزل الأبواء، ودفنت هناك، وكانت خير امرأة في قريش نسباً وموضعاً من أسرة تعتبر من أشرف القبائل العربية وأشرفها سلالة، وحليمة السعدية:" أمه رضاعة"، بينما كانت بَرَكة ثعلبة (أم أيمن): "أمه حضانة"، في حين كانت فاطمة بنت أسد الهاشمية:" أمه تكريماً"، وهي زوجة عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبي طالب، وأم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[2].

ازواجه واولاده الكرام.

تزوج النبي محمد من خديجة وهو في الخامسة والعشرين من عمره[3]، وعاش معها 25 عاماً، حيث توفيت خديجة في السنة العاشرة للبعثة. وبعدها تزوج النبي من عدة زوجات هنّ: سودة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت خزيمة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وجويرية، وصفية، وميمونة، ومارية القبطية[4].

اما اولاد النبي (ﷺ)،القاسم: وفاة: قبل البعثة، عبدالله: وفاة: قبل الهجرة، رقية:(20 ق هـ – 2 هـ)، زينب:(23 ق هـ – 8 هـ)، أم كلثوم:(19 ق هـ – 9 هـ)، إبراهيم: (8 هـ – 10هـ)، فاطمة:(5 للبعثة – 11 هـ)، ولد له من خديجة: القاسم وعبد الله وهما الطّاهر والطيّب، وأربع بنات، زينب ورقيّة وأُمّ كلثوم وهي آمنة وفاطمة (ع) وهي أُمّ أبيها، ولم يكن له ولد من غيرها إلاّ إبراهيم من مارية القبطية ولد بعالية. ويقال: ولد بالمدينة سنة 8 هـ ومات بها، وله سنة وعشرة أشهر وقبره بـالبقيع، ولم يبق من أولاده سوى فاطمة (ع) التي كانت ذرية رسول الله (ﷺ) منها. أمّا زينب فقد توفيت في السنة 8هـ في المدينة، وتوفيت رقية في سنة 2 هـ في المدينة أيضاً، فيما توفيت أمّ كلثوم في سنة 9 هـ في المدينة، وتوفي عبد الله بعد البعثة مباشرة في مكة المكرمة[5].

(1) الندوي، أبي الحسن (1425)، كتاب السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط12، دمشق، ص 157. للمزيد انظر: ابن قنفذ (1984)، كتاب وسيلة الإسلام بالنبي(ﷺ) دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، ص 44.

(2) البغدادي، لابي جعفر بن حبيب(245هـ)،امهات النبي(ص)،تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم.

(3) المباركفوري، صفي الرحمن(د.ت)، الرحيق المختوم، دار الهلال، ط، بيروت ص434-435. للمزيد انظر: الياسمين، شذى (2005) في فضائل أمهات المؤمنين، مبرة الآل والأصحاب، ط1، الكويت ص 23-42.الطبري، محب الدين(د.ت)، السّمط الثّمين في مناقب أمّهات المؤمنين، دار الكتب العلمية، بيروت،ص 13-15.

(4) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل (د.ت)،السيرة النبوية،ج1، بيروت، ص299.

(5) العجلي، بو الحسن (1984)، الثقات، دار الباز،ط1، مكة المكرمة، صفحة 532. للمزيد انظر: الجمل، إبراهيم محمد حسن (د. ت)، أبناء النبي، القاهرة: دار الفضيلة، صفحة 71. غاوش، أحمد(2004)، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة،ط1، بيروت، ص169. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ج 10، ص 736. الزركلي، خير الدين (2002)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15،ج3، بيروت، ص 67.

نبوته.

في الأربعين من عمره الشريف، نزل عليه أمين الوحي جبريل عليه السلام و هو في غار حراء حيث بلّغه رسالة ربه عز و جل و كان ذلك في رمضان(سنة 13) قبل الهجرة الموافق تموز سنة (610 م)[1].

بعثته وهجرته.

بعث إليه في الأربعين من عمره في مكة وبقي فيها ثلاث عشـــرة ســـنة بعد البعثة ثم هاجر إلى المدينة المنورة، فكانت هجرته هذه منطلقاً لتاريخ جديد وانعطافه كبرى في حياة الرســالة الإســلامية، حيث انتقل الصــراع بعدها ما بين المشــركين والمؤمنين إلى المواجهة العسكرية والصدامات المسلحة التي انتهت بانتصار معسكر الإسلام فمكث فيها عشر سنوات تقريباً[2].

وفاته.

في الثالث والستين من عمره توفاه الله تعالى وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وكان ذلك يوم الاثنين سنة(11 هجرية) وكان وفاته وقبره الشريف في المدينة المنورة[3].

كنيته.

يكنّى بأبي القاسم وأبي إبراهيم[4].

القابه.

ومن ألقابه: الحليم، والمختار، والأمين، والميمون، وأحمد، وحبيب الله، وصفي الله، ونعمة الله، وعبد الله، وخيرة الله، وخلق الله، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين[5]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا محمد، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ به الكفر، وأنا الحاشِــرُ الذي يُحشــر الناس على قدمي، وأنا العاقِب الذي ليس بعده نبي "[6]، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً متفق عليه، وكان رسول الله(ﷺ) يُسمي لنا نفسه أسماء فقال: (أناالمقفّي: آخر الأنبياء، ونبي التوبة، ونبي الرحمة)[7].

(1) ابن هشام عبد الملك، السيرة النبويّة، ج 1، ص 209.

(2) السقا، محمد (1427ه)، فقه السيرة، دار القلم،ط1، دمشق، صفحة 165-181.

(3) المباركفوري، مصدر سابق، ص431.للمزيد انظر: العسقلاني، نزار (2013)، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأظلمت المدينة، دار المنهاج، ط2، بيروت، ص39-56.

(4) الطبرسي، الفضل بن الحسن(1417ه)، إعلام الورى بأعلام الهدى،ج1، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم،ص43.

(5) ابن شهر آشوب، محمد بن علي(1956)، مناقب آل أبي طالب،ج1، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف،ص122.

(6) ابن الفوطي، كمال الدين (1416)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، ط1،ج5، ايران، ص172 و242 و199. السلمي، محمد (2010)، صحيح الأثر وجيل العبر من سيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم، مكتبة روائع المملكة، ط1، جدة، ص 303.

(7) صحيح المسلم، رقم حديث 1731.

رابعا: المعطيات والمنطلقات الفكرية لدى رسول (ﷺ) في بناء الدولة الاسلامية.

فالمنهج النبوي في تنظيم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة تناول جميع النواحي المؤثرة في حياة الدولة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك لأهميتها في إحداث التغيير الشامل نحو بناء دولة الحق والإيمان، وان الحديث عن واقع التجربة الفكرية في عصر النبوة لا تنقصه الادلة، بيد اننا سنكتفي بالحديث عن بعض من جوانبه الفكرية التي رتب جملة العلاقات الاجتماعية والسياسية المشكلة لواقع الحياة في مكة اولا، وفيما بعد الهجرة الى المدينة، حيث بدأت دولة الاسلام تبني اركانها، بقيادة النبي الانسان، وكان في المدينة تعدد فكري وعقدي واجتماعي، فما كان من النبي الا ان وازن بين هذه التنوعات، وتعامل معها بواقعية سمحت له بتوقيع اتفاقيات وابرام عقود، وسن قوانين تحكم طبيعة العلاقة بين هذا المجتمع المتباين[1]، وعليه في هذا الصدد يمكن الاشارة في هذا المحور الى بعض الجوانب الفكرية لرسول الله(ﷺ)، في بناء الدولة الاسلامية وبالتحديد التركيز على جانبين الاجتماعي والسياسي، منها:

جانب من فكره الاجتماعي.

دخل النبي (ﷺ) المدينة، وقد استقرت عزيمته على بناء الدولة من كل النواحي ولا يتم ذلك إلا عن طريق التغيير الشامل، وبناء منهج نبوي قويم من الناحية الاجتماعية، لما هو موجود في المدينة من الفساد المستشري في أوضاعها، وإزالة المعالم التي من شأنها أن تثير الأحقاد بين سكانها، وإرساء قواعد جديدة للأمة التي يريد تكوينها، وذلك لكي تستطيع حمل أمانة الرسالة[2]. لذلك أخذ النبي(ﷺ) في بناء هذا المجتمع الإسلامي باتباع عدة الخطوات ليزيل جميع الروابط الجاهلية من الطبقية والعصبية والإقليمية، التي تشكل عقبة في بناء أمة موحدة تتعاون على البر والتقوى وتنبذ الخلاف والإثم والعدوان، وأصبح المسلمون في المدينة يشكلون قوة أخذت قريش تخشاها وتحسب لها حساباً كبيراً[3].

زيادة على ذلك التخلص من الأخلاق الذميمة التي تحط من مكانة المجتمعات وتعوق نموها كالنزعة الفردية، والأنانية، والحسد، والبغضاء، والحقد، وإحلال مكانها الشعور بالجماعية، وحب الخير للآخرين، ومشاركتهم أفراحهم، وأتراحهم وتفقد أحوالهم، وذلك لكي تزداد اللحمة بين أبناء الأمة الذين هم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وهم متساوون في الحقوق والواجبات في دولة الإسلام كأسنان المشط. وقد استطاع النبي(ﷺ)أن يبني مجتمع المحبة والصدق والإخلاص، مجتمع السلام والاستقرار، مجتمع تسوده الفضيلة بدل الرذيلة، مجتمع أقدر على التفاعل والتعاون من أجل البناء والازدهار[4].

فضلا عن ذلك قام النبي(ﷺ) بإرساء دولة العدل والنظام وذلك بإحلال القصاص بدل الانتقام والثأر، ليشعر الجميع بالطمأنينة والاستقرار، وكذلك وإرساء نظام دعائم الأسرة لأنها تشكل اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، وعلى قدر صلاحها

(1) عمر، مصدر سابق: ص4.

(2) الوكيل، محمد مختار(1989)، المدينة المنورة عاصمة الاسلام الاولى،ج2، دار المجتمع، جدة، السعودية،ص19.

(3) عاشور، فايد حماد وسليمان واخرون (1989)، تاريخ دولة الاسلام الاولى في عهد الرسول(ﷺ) والخلفاء الراشدين، ط1، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ص112.

(4) المصدر نفسه، ص210.

يصلح المجتمع المؤمن ويقوى لمواجهة كل التحديات التي تقف في طريق نموه وتقدمه، واخيرا انهاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. من خلال ما سبق نجد أن هذه الخطوات التي قام بها النبي(ﷺ)، والتي هي جزء من تعاليم الإسلام كان لها أثرها في البناء الاجتماعي للمسلمين حيث نقل الفرد من السيف إلى المسالمة، ومن القوة إلى القانون، ومن الثأر إلى القصاص، ومن الإباحية إلى الطهر، ومن النهب إلى الأمانة، ومن الحياة القبلية إلى المسؤولية الشخصية، ومن الوثنية إلى التوحيد، ومن امتهان المرأة إلى إجلالها، ومن نظام الطبقات إلى المساواة، والرسول(ﷺ) منذ اللحظة الأولى من رسالته، وجه كل عنايته على إيجاد النظام الاجتماعي السليم مسترشداً بهدي السماء في إطار من التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع الإسلامي حتى ينعم الجميع بالأمن والرفاهية[1].

فضلا عن ذلك بدأ الرسول الأكرم(ﷺ) لمّ شتات قبائل العرب وتلويناتها في إطار وحدة اجتماعية متماسكة، (فالمسلم أخو المسلم) في المدينة المنورة تعد عملية مثالية لم يعرف لها التاريخ صنواً، فكيف لأعرابي يرى كل من لا ينتمي لقبيلته أجنبياً، أن يتخذ له أخاً من قبيلة أخرى بعيدة، وهنا كان للمؤسسة الاجتماعية التي شيدها الرسول ((ﷺ)) الدور الأول في إرساء قواعد هذا التشكيل المجتمعي الجديد فكان المسجد الجامع أول مؤسسة (قانونية) شرعية تمثل رمز الدولة الإسلامية الحديثة[2].فضلا عن ذلك فقد تظافرت عدة جهود في إنماء المجتمع المدني في المدينة المنورة، أهمها شخصية قائد الدولة، فكان لشخصية الرسول الأكرم (ﷺ) وجو الحرية الذي أشاعه بين أفراد هذا المجتمع الجديد الدور الأول في تسريع عملية الإنماء الاجتماعي الحضري للدولة الإسلامية، ثم الفطرة البدوية التي تختزن العوامل الأخلاقية في أفراد الجزيرة وبالذات سكنة المدينة المنورة والتي تعد أحد أسباب اختيار النبي الأكرم (ﷺ) لها كمركز لإقامة دولته[3].

وظل الهدف الأسمى لهذه الدولة هو الإنسان في حريته، وضمان أمنه الاقتصادي والاجتماعي، فجاءت كنتيجة لعدالة هذه الدولة ورغبتها في خدمة المجتمع ولم يكن القائد أو من يعينه هو المسؤول الوحيد في الدولة والمجتمع بل إن الفرد أي فرد هو مسؤول بنص الحديث الشريف:(الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[4]، كما ان الغاية الأخلاقية للدولة لم تكن مستمدة من قانون ارتآه النبي الأكرم (ﷺ)، شخصياً بل هو تعليم سماوي في قوله تعالى:(وما ينطق عن الهوى) [5]. وقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ)[6].

لذا أراد النبي(ﷺ) صهر المسلمين من المهاجرين والأنصار في بوتقة واحدة بوتقة التآخي في الله وذلك ليذيب جميع عناصر التمايز العصبية والقبلية، ومن ثم جميع الفوارق الاجتماعية لاسيما أن المهاجرين كانوا يشكلون عنصراً جديداً في المدينة المنورة، فقد

(1) العربي، محمد ممدوح(1988)، دولة الرسول(ﷺ) في المدينة، ط1،الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ص202.

(2) موسى، عبدالله(2018)، ملامح المجتمع المدني في حكومة رسول(ص)، شبكة النبأ المعلوماتية، مجلة النبأ، العدد(58)، متاح على موقع/www.m.annabaa.org

(3) المصدر نفسه، ص6.

(4) مسند احمد، رقم7/138.

(5) النجم:3.

(6) سورة التوبة:71.

تركوا أهلهم وأموالهم في مكة، وهذا سيشكل عنصراً سلبياً في حياتهم الجديدة ويشعرهم بالغربة وتدني المستوى الاجتماعي لهم مع الأنصار الذين يعيشون وسط أهلهم وينعمون بالاستقرار النفسي والمادي، ولهذا جاء التآخي ليجعل من المهاجرين والأنصار وحدة اجتماعية متماسكة تسودها المحبة والتآلف وتكون القاعدة الصلبة لنواة الدولة الإسلامية[1].

وعليه نجد من ذلك ان مسالة توفير الأمن الاجتماعي لأهل المدينة مع النظام الإسلامي رسخ عملية (التسيير الذاتي) التي ضمنت سير العملية الاجتماعية بشكل مثالي رغم وجود المعارضة المتمثلة باليهود والتي احتفظت بحقوقها في ظل الدولة الجديدة كانت مهمة كبيرة لتعزيز الوحدة والتماسك الاجتماعي في المجتمع الجديد في المدينة المنورة.

جانب من فكره السياسي.

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى النبي(ﷺ) ليكون رسولاً ونبياً للعالمين، ومكلفاً بتبليغ رسالة الإسلام إليهم، وهذه المهمة الرسالية للنبي صبغت حكومته في المدينة بالصبغة الدينية إذ أصبح الدين دون الجنس المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والرعية ثم بين أفراد الشعب جميعاً[2]. وهذا لا ينفي عن حكومة النبي الصفة السياسية إلى جانب الصفة الدينية لأن النبي(ﷺ)،كانت له مهمة قيادية من خلال الشرع الإسلامي فقال تعالى:(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)[3]. فكان لابد من منهج للنبي من الناحية السياسية، وهذا ما نصت عليه وثيقة المدينة[4].

ويشمل هذه الوثيقة اليهود وجميع رعايا الدولة الذين عليهم الإقرار بقيادة الرسول(ﷺ)، والرجوع إليه في الأمور التي لها أهميتها في شؤون الدولة. لذا لا تناقض بين الصفة الدينية والصفة السياسية بالنسبة للرسول(ﷺ)، الذي كان يمثل الزعامة السياسية بأرفع معانيها، لاسيما إذا كانت هذه السياسة تمثل أرقى سياسة عرفتها البشرية لأنها عملت على بناء أمة قيادية متحضرة تربطها فيما بينها المحبة والتآخي ويسودها العدل وتتمتع بالحرية التي تجعل من جميع رعايا الدول عنصراً فاعلاً في حركة الدول ونموها، وباعتبار أن النبي (ﷺ) قائد دولة المدينة، لذلك،كانت من أولى الواجبات الملقاة على عاتقه وعي الظروف التي تعيشها المدينة وإدراكها، لكي يستطيع من خلالها التعامل مع الواقع في سبيل تغييره إلى الأفضل[5]. ولذلك تجلت السياسة النبوية في تنظيم دولة المدينة من خلال توطيد دعائم الاستقرار السياسي، وبناء جبهة داخلية قادرة على الوقوف صفاً واحداً أمام أي عدو يهدد المدينة[6]، كذلك

(1) البوطي، محمد سعيد رمضان(1980)، فقه السيرة، ط8، دار الفكر، دمشق. والهلول، جبر(د. ت)، المنهج النبوي في تنظيم دولة المدينة، المعرفة والمواجهة، متاح على الموقع/ doc. garb- alhallul.blogspost.com

(2) العربي، مصدر سابق: ص185.

(3) سورة النساء:65.

(4) حميد الله، محمد (1985)، مجموعة الوثائق السياسية، دار النفائس، ط5، بيروت، ص62.

(5) عرموش، احمد راتب(1989)، قيادة رسول(ص)السياسية والعسكرية،ط1، دار النفائس، بيروت، ص186.

(6) قلعجي، محمد رواس(1988)، دراسة تحليلية لشخصية الرسول (ص) من خلال سيرته الشريفة،ط1،بيروت، ص211.

كان من دعائم الاستقرار الداخلي التي أرساها النبي(ﷺ) في المدينة أن وتتولى السلطة التنفيذية، محققاً بذلك العدل والمساواة والطمأنينة والسلام في المجتمع الإسلامي[1].

ولقد كان النبي (ﷺ)، يعلم أن مصدر القلق والاضطراب الذي يهدد المدينة يأتي من قبل اليهود لما كان لهم من دور بارز في حياة المدينة قبل الهجرة، وللحقد والكراهية التي يضمرونها له ولأتباعه، لذلك أخذ النبي(ﷺ) يتناول هذا الواقع بحكمة النبي، وحزم القائد، وحنكة السياسي، وخبرة المربي، ليضع الحل المناسب الذي يجنب المسلمين ما يتوقع من يهود من الشر، وتلخص هذا الحل في عقد معاهدة بين المسلمين من جهة، وبين اليهود من جهة أخرى، فالمعاهدة بين النبي(ﷺ)، واليهود تعد انتصاراً سياسياً باهراً للمسلمين، حيث كفت المسلمين شر اليهود فترة من الزمن تمكنوا فيها من تنظيم أوضاعهم[2].

وبناءً على هذا التوصيف المنطقي لطبيعة الرسالة التي يحملُها النبي الأمي(ﷺ) فإن تناول تجرِبة المدينة وَفْق مقتضياتِ العصر تقودُنا إلى معاينةِ نظام سياسي متكامل، أقامه محمد(ﷺ) وأتباعه في المدينة، نظام جمع بين ناحيتين: مادية وروحية، ثم تداخلت الناحيتانِ تداخلاً مَزْجيًّا ليُصبِحَ التكافل الاجتماعي في موضوع المؤاخاة مثلاً مندمجًا مع تكافل روحي رَعَتْه نصوص الشريعة، وحينما نقف على تفاصيل وثيقة المدينة نجد انفسنا أمام دستورٍ سياسي متكاملِ الأوجه والمواد التفصيلية. هذا الواقع السياسي الذي بدأت تتشكل معالمه في المدينة من خلال دور الرسول الحاكم لم يكن خروجًا له عمَّا ارتضاه له ربه بقوله:﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[3].

فنصوص الإسلام والوثائق السياسية التي أبرمها الرسول مع أهل المدينة وغيرهم تُثبِت أن واقعًا سياسيًّا أخذ يتشكَّل بشمولية ودقة، وهذا الذي حدث شيء من طبيعة الإسلام وخصائصه. يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إن نصوص الإسلام لو لم تَجِئ صريحة بوجوب إقامة دولة للإسلام، ولم يجئ تاريخ الرسول وأصحابه تطبيقًا عمليًّا لما دعت إليه هذه النصوص، لكانت طبيعة الرسالة الإسلامية نفسها تحتم أن تقوم للإسلام دولة أو دار، يتميز فيها بعقائده وشعائره، وتعاليمه ومفاهيمه، وأخلاقه وفضائله، وتقاليده وتشريعاته". وفي السياق ذاته نقرأ نص الغزالي: "الدنيا مزرعة للآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توئمان؛ فالدين حارس، والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان"[4].

ومن هنا كانت الفتوحات الإسلامية، التي بدأت في المدينة وغَدَت واقعًا مثيرًا للانتباه في عصره، كما إن عملية التآخي بين المهاجرين والأنصار جعلت منهم قوة كبرى لها أهميتها، يحسب لها أعداؤها من المشركين في مكة واليهود في المدينة حساباً كبيراً، ولهذا خطى النبي(ﷺ) هذه الخطوة لإذابة الفروقات والحساسيات بين أبناء الشعب الواحد ليصبح هذا الشعب نسيجاً مترابطاً

(1) العجلاني، منير(د.ت)،عبقرية الاسلام في اصول الحكم في فقه الاسلامي، مصر. ص45.
(2) الوكيل، مصدر سابق: ص31-33.
(3) فاطر:23.
(4) الغزالي، ابو حامد(د.ت)،احياء علون الدين-كتاب العلم،ج1. ص71.

واحداً لأن الأمة الموحدة هي القادرة على الوقوف على أقدامها. فالوحدة هي عنوان قوة وصحوة لكل أمة، وبالنسيج المتكامل تستطيع الأمة أن تخطو خطوات منتظمة إلى بناء حضارتها وتقدمها[1].

ومن هنا المتابع لسيرة المصطفى(ﷺ) يجد أن كلَّ خطوة عملية قام بها النبي المصطفى(ﷺ) في المدينة مثَّلت قرارًا سياسيًّا أسَّسَ لبناء دولة المؤسسات الحقيقية؛ فبنى المسجد ليكون مقرًّا للفعل السياسي، وكانت المؤاخاة لتحديد مفهوم الأمة والانتماء تحت سقف هذه الدولة الناشئة، ثم ما عُرِف بوثيقة المدينة لتحديدِ مجمل العَلاقات التي ستسود واقع الحياة السياسية في المدينة وما حولها، لكن دولة المدينة كانت مشروعًا عالميًّا لا رؤيةً إقليمية، وبالتالي استطاع النبي(ﷺ) أن يضمن بهذه الخطوة وحدة المسلمين وذلك ليكونوا قادرين على تحمل مسؤولياتهم تجاه دولتهم الناشئة وبناء دولة مدينة بكل ما للكلمة من معنى.

جانب من فكره العسكري.

ان النبي(ﷺ) هو المثل الاعلى في القيادة والشجاعة وعبقرية الراي الحكيم، علاوة على بعد النظر والحكمة لديه[2]، كما عرف عن الرسول(ﷺ) انه كان يمتلك تكتيكا استراتيجيا عاليا، لقيادة الحروب، فقد كان يتفنن في استعمال اساليب قتال سابقة لعصرة، لقد امتاز الرسول الاعظم(ﷺ) عن غيره من القادة في كل زمان ومكان، انه كان قائدا عسكريا عصاميا ومحنكا، وان المعارك التي يخوضها كانت لغرض حماية حرية نشر الاسلام، ولتوطيد اركان الاسلام، لا الاستغلال والاغتصاب والعدوان[3].

بالإضافة الى ذلك بعدما أصبح للمسلمين دولة يقودها النبي (ﷺ) من خلال المنهج النبوي من الناحية العسكرية، جاء الإذن من الله بالسماح للمؤمنين بالقتال في قوله تعالى:(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[4]. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل أن المسلمين في مكة لم ينتظموا في جماعة لها استقلالها وحريتها كما أصبحوا في المدينة التي أرسى النبي(ﷺ) دعائمها، وهذا الانتظام يتطلب الحماية والوقاية من الأخطار المحدقة به[5].

وكان هذا الإذن بالقتال بداية لتشريع الجهاد في سبيل الله وتنظيم أحكامه. إذ بعد ذلك جاء الأمر من الله بالسماح للمسلمين بقتال من يعتدي عليهم بقوله:(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[6]، ثم بعد ذلك جاء الأمر من الله تعالى بقتال المشركين كافة بقوله:(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)[7].

(1) العربي، مصدر سابق: ص164.

(2) محمد، مصدر سابق: ص10

(3) ريكان، عقيل عباس(2020)،الرسول الاعظم(ﷺ) قائدا عسكريا-رؤية قرآنية، بحث منشور في مجلة التربية الاساسية، العدد(106)،المجلد(26)، كلية التربية الاساسية، جامعة المستنصرية،ص563.

(4) سورة الحج: 39.

(5) الهلول، جبر، صدر سابق، ص1.

(6) سورة البقرة: 190

(7) سورة البقرة:193

وقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[1].

كما إن اهتمام الرسول(ﷺ) بإعداد المسلمين من الناحية القتالية، واعتبار ذلك من أولى أولويات دولة المدينة دليل على أهمية هذه الناحية بالنسبة لوجود الدول وبقائها[2]، ويمكن لنا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة أن نجمل وظائف الجيش الإسلامي في دولة المدينة، والتي هي وظائف الجيش الإسلامي إلى قيام الساعة، بالتالي: دفع الاعتداء عن دولة الإسلام، والدفاع عن الدعوة الإسلامية، وتأمين حرية انتشارها، وكذلك نجدة المستضعفين من الرجال والنساء المسلمين الذين يعيشون في كنف دول غير إسلامية، ومحاربة المرتدين، وتأديب ناكثي العهد، ولغرض منع الفتنة في الدين أي محاربة من يسعى لإفساد المسلمين من الداخل وعلى كل المستويات الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك[3].

فضلا عن ذلك فان المنهج النبوي في تنظيم دولة المدينة من الناحية العسكرية الذي هو جزء من الجهاد في سبيل الله له أهميته الكبرى في بناء الدولة الإسلامية لاسيما أنه السبيل إلى أخذ بأسباب القوة الذاتية التي تمكن للإسلام وتجعل له الاستعلاء والسيادة والقيادة في العالم، ويكفينا أن تكون الغاية من الاهتمام بالجيش والاعتناء به. وبناءً على ذلك قام رسول الله(ﷺ) بتأسيس الدولة الاسلامية الاولى في المدينة المنورة بعد الهجرة اليها، ووجهة المسلمين الى ثلاثة اهداف، بناء الرجال، وفن القتال، والجهاد في سبيل الله "عقيدة رفيعة المستوى".

جانب من فكره الاقتصادي.

اهتم النبي(ﷺ) بالجانب الاقتصادي منذ وطئت قدماه أرض المدينة إذ لاحظ أن اليهود يحتكرون التجارة فيها ويستغلون أهلها الذين يعملون بشكل أساسي بالزراعة ويحتاجون إلى المال للإنفاق على أنفسهم، وليس لهم ذلك إلا عن طريق القروض الربوية من اليهود، وكانت ترهق كاهلهم وتجعلهم في المرتبة الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية في المدينة. أما بالنسبة للمهاجرين الذين تركوا أموالهم ومساكنهم وأهليهم في مكة فقد أصبحوا في المدينة يشكلون طبقة فقيرة تحتاج إلى متطلبات الحياة الجديدة وتأمين فرص العمل لها، لكي لا تشكل البطالة العنصر المعوق أمام بناء الدولة. لذلك كانت أولى الخطوات التي قام بها النبي(ﷺ) من أجل بناء اقتصاد قوي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وذلك في خطوة للقضاء على التفاوت بين الأنصار الذين كانوا يمثلون طبقة تمتلك الثروة وبين المهاجرين الذين لا يمتلكون شيئاً[4].

فضلا عن ذلك بهذا التآخي استطاع المهاجرون أن يأخذوا دورهم في المساهمة بتنشيط الحياة الاقتصادية للدولة الناشئة، واستطاعوا في فترة قصيرة أن يمتلكوا زمام تجارة المدينة ويبعدوها عن التأثير اليهودي، وبالتالي استطاعوا هم وإخوانهم الأنصار ربط

(1) سورة التوبة:5

(2) الهلول، مصدر سابق: ص2

(3) المصدر نفسه: ص3-4

(4) الموسوي، محسن(1990)، دولة الرسول،ط1، دار البيان العربي، بيروت، ص210-211.

الإنتاج بالتجارة، وكأنها حلقة واحدة تنمي الاقتصاد وتقويه وتحرره من التابعية والعناصر المؤثرة، وبذلك استطاع النبي(ﷺ)،أن يرسى القاعدة الأساسية للاقتصاد الإسلامي القائم على التعاون، والتكافل بين العناصر المشتركة في العملية الاقتصادية[1].

وفضلا عن ذلك فقد جاء تحريم الربا ليجعل من الاقتصاد الإسلامي اقتصاداً قائماً على أسس إسلامية خالياً من الأمراض الجاهلية التي كانت تجعل من المال عنصراً مستغلاً لجهود وعرق الآخرين بدل من أن يكون أداة في إسعادهم. لذلك جاء الإسلام ليعالج مشكلة التفاوت والفقر في المجتمع الإسلامي بإعادة توزيع الثروة توزيعاً عادلاً، وذلك بطرق عديدة تساهم كلها في إتاحة الفرصة للفقراء للحصول على المال، وعدم استغلال عرقهم فحرم الغش، والاحتكار، وأكل المال بالباطل، وجعل لهم نصيباً من زكاة المال[2].

كما ان للتآخي بين المهاجرين والأنصار كان لها بعداً اقتصادياً ذا تأثير كبير في حياة دولة الإسلام الأولى، إذ حقق هذا التآخي التوازن الاقتصادي بين المهاجرين والأنصار، وذلك عن طريق جعل حق الميراث منوطاً بهذا التآخي من دون حقوق القرابة والرحم، بل دفع هذا التآخي الأنصار إلى اقتسام أموالهم وأهليهم مع المهاجرين[3].

فقد استطاع النبي عن طريق التآخي أن يعالج مشكلة كبيرة كانت من الممكن أن تهدد الوحدة الاقتصادية في الدولة الناشئة وتجعل فيها أزمة اقتصادية تؤدي إلى إضعافها وانهيارها، لذلك لم يكن أمام النبي(ﷺ) إلا هذا التآخي الذي دمج فيه الأنصار والمهاجرين في حلقة اقتصادية واحدة جعلت الأوسي والخزرجي يزرع والمهاجر يبيع أو يعمل بالأرض بالإيجار، وكان هذا إلغاء لدور اليهود الاقتصادي في المدينة وتهميشه[4]، وبتلك الخطوة جعل من القوة الاقتصادية بيد المسلمين لتكون الأداة الفاعلة والقوية في بناء الدولة الإسلامية الموحدة[5].

من ذلك كله نجد أن اهتمام رسول الله(ﷺ) بالناحية الاقتصادية دليل على أهمية هذا الجانب في حياة الدولة، إذ بقدر ما تمتلك الدولة من القوة الاقتصادية بقدر ما ينعكس ذلك على مجمل نواحي الحياة فيها حيث يعم الرخاء، والازدهار، وتصبح أكثر قدرة على امتلاك القوة الحقيقية التي تجعلها في مأمن من كل الأخطار التي تتعرض لها. بناءْ على ما تقدم يمكن اعتبار المنهج النبوي، وفكره في بناء، وتنظيم الدولة الاسلامية في المدينة المنورة جاء بناءْ على المنهج الرباني مبني على كتاب الله "القران الكريم"، وتوجيهات النبي (ﷺ)، حيث تناولت جميع النواحي المؤثرة في حياة الدولة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وذلك لأهميتها في احداث التغيير الشامل نحو بناء دولة الحق والايمان.

خامسا: مراحل بناء الدولة الاسلامية في عهد الرسول(ﷺ) لإرساء اسس الدولة المدنية.

(1) المصدر نفسه: ص184.
(2) قلعجي، مصدر سابق: ص216-217.
(3) البوطي، مصدر سابق:ص202.
(4) الموسوي، مصدر سابق: ص183-184.
(5) الهلول، مصدرسابق: ص7-8.

يمكن التعرف على نشـــأة الدولة الاســـلامية من خلال بعض المواقف لدعوة النبي(ﷺ) في المكة المكرمة التي حددت قواعد الفكر السياسي للدولة قبل تكوينها وبروز قاعدتها بالمدينة المنورة حيث مرت بمرحلتين هما.

اولا: مرحلة العهد المكي(الفترة القديمة في صدر الاسلام الاولى).

تعد الدولة الاســـلامية في عهد النبوة بعهديها "المكي والمدني "هي امتداد لدعوة الانبياء والرســـل في منهجهم، ودعوتهم الى عبودية الله ســـبحانه وتعالى في جميع مناحي الحياة، فدعوة الانبياء، والرســـل اتت لتخرج الناس الى عبادة الله تعالى وحده، وجعل منهج الحياة في جميع مجالاته خاضعا لحكم الله تعالى[1]، ونوضح اهم الاعمال الذي قام بها رسول(ﷺ) في هذه المرحلة، هي:

عرض رسول الله (ﷺ) نفسه على القبائل:

هذا العمل يعد من ابرز الاعمال في العهد المكي وهو محاولة لتوسـيع نطاق الدعوة وإيجاد ملاذٍ آمن لها روى سـالم عن جابر بن عبدالله (رضـى الله عنه) قال:كان رسـول الله (ﷺ) يعرض نفسـه على الناس في الموقف، فقال" ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قُريشـاً قد منعوني أن أُبَلِّغَ كلام ربي"[2]، وهذ العمل من النبي (ﷺ)، يعد صـورة واضـحة تؤكد بحثه عن مكان امن في ارض العرب حتى تؤدي رسـالة ربه، بل ان يطالب النصـرة والمنعة من القبائل تعد محاولة منه لإيجاد منطلقات امنة للدعوة الاسـلامية، ومن اهم هذه المنطلقات ايجاد الارض، او ما يُعرف بالتعبير السـياسـي المعاصـر: "المحيط الإقليمي" الذي يكون السـلطان السـياسـي فيه للمسلمين، ويقيمون عليه دولتهم فيتفرغوا إلى الدعوة لدينهم والجهاد في سبيله[3].

التفرقة بين العهدين المكي والمدني.

ان الاتجاه السـياسـي في العهدين المكي والمدني يجب ان يفرق فيه بين وجود الدولة الاسـلامية ككيان مادي عندما هاجر الرسول(ﷺ) الى المدينة وبين وجود المنهج السياسي الاسلامي الذي صاحب هذه الدعوة من بعثة رسول(ﷺ)، وكذلك يفرق بين نزول بعض التشـريعات في الاسـلام عندما قامت الدولة الاسـلامية في المدينة وبين اصـول ومبادئ ومنطلقات النظام السـياسـي في عهـد المكي، ولـذلـك يقـال: ان العهـد المكي لم تكن فيـه دولـة من حيـث الكيـان المـادي بمفهومهـا الـذي وقع في المـدينـة، ويمكن اعتبارها ما حصـل من اعمال سـياسـية في العهد المكي مقدمات قيام الدولة التي قامت بالفعل بمعالمها الحقيقية السيادية في العهد المدني[4].

الهجرة الى الحبشة.

(1) عبد السلام، شادية عبد الفتاح(2018)، الدولة الاسلامية في عهد النبوة، متاح على الموقع/https://shms.as

(2) سنن الترمذي، رقم: 2925، كتاب فضائل القران/2.

(3) العصيمي، ايمان(د. ت)، نظام الحكم في الاسلام، متاح على الموقع/ https// :drive.ugn.edusa

(4) العصيمي، المصدر نفسه: ص11. والسعيد، د. زينب احمد(2012)،النظام الساسي في عهد النبوة، منتدى انصار السنة، قسم حوار العام: ص2029.

كانت الهجرة الاولى الى الحبشة في رجب (سنة 5) من البعثة، وهذه الهجرة لم تكن الا إجراءً مؤقتاً قُصد به حماية الأفراد المسلمين من أذى قريش، وبغيها الذي لم يكن رسول الله (ﷺ) قادرا في تلك الفترة على منعه[1].هذا الهدف القريب من جهة، كما كان لذلك أهدافا بعيدة لها آثار تنعكس على الجانب السياسي من جهة اخرى.

بيعة العقبة الاولى والثانية.

وقد كان ما تم إنجازه عبر البيعتين الأولى والثانية، أثره الواضح في بناء الأسس التي ستقوم عليها دولة المدينة؛ حيث مثَّلت الهجرة التي كانت واحدة من أهم منجزات تَلك البيعتين، نقطةَ التحوُّل الأساسية لبناء عهد جديد، فمن الناحية الشكلية بدأت تتشكل معالِم الحركة الإسلامية الوليدة؛ حيث تحوَّل مسار هذه الحركة من حركة دعوية سرية في مكة إلى حركة تبحث عن موقعيه، وتسعى لبناء مجتمع منظَّم، على قواعد سياسية، تحت قيادة محمد(ﷺ)، إذ يمكن الحديث هنا عن تحول دراماتيكي في حياة هذه الجماعة الناشئة، تحوُّل من مثالية التجرِبة النظرية في عرض الفكرة، إلى واقعية التطبيق العملي لها، كما يعد تشكل بيعتا العقبة الاولى والثانية اساس انبثاق الدولة في المدينة المنورة، اذ يمكن اعتبار ما اقرته تلك البيعتان من بنود على انها المبادئ التأسيسية لتشكيل الدولة[2].

وتعد ايضا هاتان البيعتان ما هما الا ثمرة من ثمار العمل السابق " عرض الرسول (ﷺ) نفسه على القبائل ". ونجد انه بإسلام الانصار برز اول تجمع اسلامي مستقر في جزيرة العرب، وبهذه البيعة انطلقت الدعوة من عقالها بعد معاناة التي كابدها الرسول(ﷺ) وصحبه، ولقد رسمت هذه البيعة امورا كثيرة اهمها: الاستجابة لدعوة التوحيد، ورسم الاصول التي سيقوم عليها المجتمع الاسلامي، والالتزام والطاعة لرسول الله(ﷺ) فيما يتامر به، وفيما ينهي عنه. فقد كانتا اساس قيام الدولة الاسلامية في المدينة والبذرة الاولى لها، وبالأخص بيعة العقبة الثانية، بايع فيها رسول الله (ﷺ) الأنصار على الإيمان بالله ورسوله والطاعة في المعروف. بعد معاهدة الالتزام في بيعة العقبة الثانية اذن الرسول(ﷺ) للصحابة بالهجرة الى المدينة، حتى لحقت بهم وبهجرته الى المدينة تكاملت اركان الدولة الاسلامية، عندما وجدت الامة اقليما تستقر عليه ووجدت السلطة التي تتولى شؤون الامة وتنظم امورها وقد وضع النبي(ﷺ) ميثاقا للمجتمع كان بمثابة دستور، يحفظ فيه مصالح المجتمع والدولة وفق تعاليم الوحي الالهي الذي ساوى بين افراد المجتمع، يدين الولاء المطلق لله والطاعة لرسوله فيما يأمر به[3]. وعليه كان للفكر الاجتماعي والسياسي للرسول (ﷺ) التي تشكلت بهيكلها التنظيمي في المدينة المنورة كان نتاج البيعتين السالفتين، وعدوا الاخيرة بمثابة حجر الزاوية في بناء الدولة الاسلامية.

الهجرة الى المدينة.

(1) عبد السلام، مصدر سابق: ص1.

(2) الصويان، محمد(2009)، السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة، العبيكان للنشر،ج1، ط3، الرياض،السعودية، ص173.

(3) العصيمي، مصدر سابق: ص13.

كان الامر بالهجرة الى المدينة نتيجة ثمرة للعمل السابق (بيعتي العقبة الأولى والثانية) التي تحددت فيها أرض الدولة الإسلامية، ومما ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي(ﷺ) قال" رأيت في المنام أني أُهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب "[1]. كانت هجرة النبي(ﷺ) من مكة الى المدينة بداية الفترة الثانية من عهد النبوة والتي عرفت بالعهد المدني[2].

فقد تكونت بهذه الهجرة الدولة الاسلامية واصبح لها كيان دولي، ومست الحاجة الى التشريع العلمي على اتم صورة، وعلى ذلك فالفترة المكية كانت بمثابة المرحلة التمهيدية فقد تكونت في مكة المجتمع الاسلامي من افراد قلائل وتكونت وتقررت فيها قواعد الاسلام الاساسية، اما في الفترة الثانية وهي الفترة المدنية فقد فصل ما اجمل من قواعد الاسلام في الفترة الاولى، ونزلت التشريعات التي احتاجت اليها الدولة الاسلامية الجديدة في الشؤون العامة والخاصة على حد سواء[3].

ثانيا: مرحلة العهد المدني(المدينة المنورة).

كان العصر النبوي بقسميه مرحلة تأسيس، وبناء لكيان الامة الاسلامية، ووضع الاسس العامة التي سوف تحكم مسيرة هذه الامة على طول التاريخ.قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، في إدارتها وسياستها وحربها وسلمها وصِلاتها بالأفراد والجماعات فقد تكونت بهذه الهجرة الدولة الاسلامية واصبح لها كيان دولي، ومست الحاجة الى التشريع العملي على اتم صورة، وعلى ذلك فالفترة المكية للدعوة كانت لمثابة المرحلة التمهيدية للفترة المدنية بل والتأسيس لها، فقد تكونت فيها نواة المجتمع الاسلامي من اولئك الافراد القلائل وتقررت فيهم قواعد الاسلام الاساسية، اما في الفترة الثانية وهي الفترة المدنية فقد فصل ما اجمل من قواعد الاسلام في الفترة الاولى، ونزلت التشريعات التي احتاجت اليها الدولة الاسلامية الجديدة في الشؤون العامة، والخاصة على حد سواء[4].

سادسا: المرتكزات الاساسية التي قام بها النبي(ﷺ) في المدينة المنورة(يثرب) لبناء الدولة المدنية.

بناء المسجد.

شرع النبي(ﷺ) منذ وصوله المدينة ببناء المسجد في المكان الذي بركت فيه ناقته، وعمل النبي(ﷺ) في بنائه ليرغب المسلمين في العمل فيه من المهاجرين والانصار، ووضع من خلاله ارقى الاسس واقواها في كيفية صناعة الامة وتوحيدها دينيا ودنيويا[5]،

(1) رواه البخاري:3352ومسلم:4217.

(2) أبو الحسن الندوي (2004)، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط12، دمشق، ص225-241. للمزيد انظر: إبراهيم العلي (1995)، صحيح السيرة، دار النفائس، ط1، عمان، ص119-129. محمد أبو زهرة (2008)، المرجع في السيرة النبوية: خاتم النبيين، دار الفكر العربي،ج2، القاهرة، ص 479-500.

(3) السعيد، مصدر سابق، ص4.

(4) السعيد، مصدر سابق: ص6.العصيمي، مصدر سابق: ص13-14.

(5) عاشور، مصدر سابق: ص106

كذلك عمل النبي(ﷺ) منذ دخوله الى المدينة على تثبيت اركان الدولة الاسلامية على اسس راسخة فكان بناء المسجد على راس اولويات الرسول(ﷺ) بوصفه اللبنة الاولى للبناء الاجتماعي والديني للدولة الجديدة، وقد امر الرسول(ﷺ)،المسلمين بالمساعدة في بناء المسجد وعمل هو بنفسه في البناء[1]، وقد وفر بناء المسجد للمؤمنين مكانا يجتمعون ويتشاورون في امورهم ويتفهمون في دينهم ويعقدون العقود ويتخذون القرارات[2].

وهكذا اصبح المسجد مركز الدولة الجديدة ومقرا للمشاورات في الشؤون العامة الى جانب كونه محلا لعباداتهم[3]، ليكون عنوان هذه الامة ورمز انتصاراتها فكان أول ركن ظاهر تقوم دولة الإسلام عليه ومن أجله هو الصلاة[4].قال تعالى:(الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتَوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)[5]. وهكذا فكان لقيام المسجد النبوي وإعلان التوحيد في المدينة الخطوة الاولى في قيام الدولة الاسلامية لأنه وفر مركزا للدولة الاسلامية ومقرا لأداء الصلاة وسماع توجيهات ومواعظ الرسول (ﷺ) فتحقق الغرض من تأسيسه دينيا وسياسيا.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

كانت خطوة الرسول(ﷺ) التالية في المدينة المنورة هي اعلان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، في دار انس بن مالك[6].

على الحق والمساواة والميراث[7]. كما ان عملية التأخي بين الانصار والمهاجرين جعلت منهم قوة كبرى لها اهميتها، يحسب لها اعداؤهم من المشركين في مكة واليهود في المدينة حسابا كبيرا[8]، وقد اراد الرسول(ﷺ) من عقد المؤاخاة زيادة التلاحم بين المهاجرين والانصار وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي اخذت تواجهه المهاجرين بعد وصولهم الى المدينة المنورة[9]، فقال الرسول(ﷺ) للمهاجرين والانصار "تأخوا في الله اخوين أخوين" [10]،فالمؤاخاة هما عملية تكييف اجتماعي لأولئك الذين هاجروا من مكة تاركين اهلهم الى بيئة جديدة تأكيدا للتضامن الاجتماعي وتعزيزا للمودة وانكارا للذات، وهي كلها صفات تقرب بين الناس وتزيد من تماسكهم، ولم تقتصر المؤاخاة على المقاسمة في السكن والمال بل امتدت الى نواحي الحياة كافة[11]، وكانت المؤاخاة من الاسس المهمة لتأكيد المساواة والتكافل بين المسلمين الدولة الاسلامية حيث عالج الرسول(ﷺ)، من خلالها الوضع

(1) ابن كثير، مصدر سابق: ص400

(2) الحديثي، نزار عبد الطيف(1987)،الامة والدولة في سياسة النبي(ﷺ) والخلفاء الراشدين، بغداد، ص142.

(3) خليل، عماد الدين(1983)، دراسات في السيرة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل،ص149.

(4) السعيد، مصدر سابق: ص5

(5) سورة الحج: 41

(6) ابن سيد الناس، محمد(1356هـ)،عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،ج2،القاهرة،ص247.

(7) ابن حبيب، ابو جعفر(1361هـ)، المحبر، بيروت، ص72.

(8) العربي، مصدر سابق: ص164

(9) الملاح، هاشم يحي(2002)،حكومة الرسول" ﷺ"، مطبعة المجمع العلمي بغداد،ص56.

(10) ابن هشام، عبد الملك (د.ت)،السيرة النبوية،ج3،بيروت.ص36

(11) الحديثي، مصدر سابق: ص143

الاقتصادي للمهاجرين[1]، وهكذا عدت المؤاخاة تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي حيث ضرب الرسول(ﷺ) فيها مثلا على مرونة الاسلام وانفتاحه في الظرف المناسب على اشد اشكال العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلا[2].

بما ان تجانس شعب اي دولة من دول هو سبب استقرارها السياسي وكان من منه على رسوله ان الف بين قلوب المسلمين فقال الله تعالى:(وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)[3]. كانت بين المهاجرين والأنصار، وكانت أيضاً بين الأوس والخزرج من الأنصار في الاشارة الى ضرورة الترابط بين ابناء المجتمع الاسلامي، وقد ضرب الانصار اروع الامثلة في الكرم والايثار، حيث استقبلوا اخوانهم المهاجرين بالفرح والسرور، وبذلوا الغالي والنفيس في مواساتهم ونصرهم[4]. ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشُدُّ أزر بعضهم ببعض وقد خلّد الله تعالى ذكر موقف الأنصار العظيم في كتابه العزيز، حيث قال:(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[5].

صحيفة المدينة(وثيقة المدينة أو دستور المدينة).

بعد بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار اخذ رسول (ﷺ) يعمل على تنظيم العلاقات بين سكان المدينة المنورة من جهة وتثبيت اركان الدولة الجديدة من جهة اخرى فقد قام الرسول(ﷺ)، بإعلان وثيقة المدينة او الصحيفة[6]، وقد عدها البعض دستورا للمسلمين لتنظيم الحياة العامة في المدينة وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانه ويدل هذا الدستور على مقدرة فائقة من الناحية التشريعية وعلى علم كبير بأحوال الناس وفهم ظروفهم[7]، ولا ريب ان اسلوب الوثيقة(الدستور) ينم عن اصالتها فنصوصها مكونة من جمل قصيرة غير معقدة التركيب وان اغلب نصوصها كتب على نمط واحد وهي تستعمل تعابير وكلمات تلائم روح العصر[8] وكان الدستور ركنا اساسيا في بناء الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة[9]، وقد تالف الدستور من حوالي خمسين فقرة تنظم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية بين مختلف الفئات التي يتكون منها اهل المدينة وبين الرسول(ﷺ) بصفته رسولا ورئيس دولة[10].

(1) اليوزيكي، توفيق سلطان(1988)، دراسات في النظم العربية الاسلامية، دار الكتب للطباعة، الموصل، ص40.
(2) خليل، مصدر سابق: ص56
(3) الانفال:63
(4) الدويكات، مصدر سابق: ص1
(5) سورة الحشر: 9.
(6) ابن هشام، عبد الملك (د.ت)، السيرة النبوية،ج2، بيروت، ص124.
(7) الشريف، مصدر سابق: ص409
(8) اليوزيكي، مصدر سابق: ص41
(9) ابن هشام، مصدر سابق: ص124
(10) المصدر نفسه: ص120

جاء في كتب المغازي والسير وغيرها أن النبي(ﷺ) حين قدم المدينة كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم، وشرط لهم واشترط عليهم، وان النظر في بنود صحيفة المدينة يؤكد ان دولة المدينة لم تعتبر احادية الاعتقاد شرطا في المواطنة، ولم تفصل بين الدين والدولة بل ميزت بينهما، وذلك تجلى في تميزها الواضح بين امة المؤمنين" المهاجرين والانصار" وامة الوطن كل سكان المدينة قاطبة[1].وتعد وثيقة المدينة اذا دليلا قاطعا على انتفاء الصفة الدينية عن الدولة في التصور السياسي الاسلامي، اذا هي دولة مدنية تتعدد فيها الاطياف الدينية وتتعايش في ظلها تحت عنوان المواطنة الكاملة الاتي لا تشترط الاعتقاد اساسا لها[2].

فضلا عن ذلك فان ما ورد في وثيقة المدينة من معايير الحكم والدولة يعد من اهم اسس يقام عليها المجتمع الاسلامي الموحد، فقد مكن الرسول(ﷺ)من ان يرسي بتلك الاسس قواعد الدولة، وان يصنع نواة الامة الاسلامية الموحدة التي اخذت تتوسع وتنتشر مع مرور الزمن، وبدأ رسول(ﷺ) بإقامة مجتمع جديد يقوم على النظام العادل واخذ يرسي دعائم دولة موحدة تقوم على سيادة القانون الالهي الذي لا يأتيه الباطل، وليس على سيادة اهواء قبلية او عشائرية او ما شابه ذلك[3]. وعليه تظهر اهمية ما قام به النبي(ﷺ) من عمل من تأمل الاوضاع العامة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية حيث النزعة الفردية والفوضى التسلطية القبلية واللاقانون، هكذا كان الدستور وثيقة اجتماعية وسياسية واقتصادية بالغة الاهمية عبرت عن قيام الدولة في المدينة المنورة ووحدت شكل الامة ويسرت فهم الحوادث التي نشأت بعدها.

تنظيم الدولة الاسلامية وابراز معالمها السياسية.

كان من اهم النتائج التي تمخضت عن حركة الهجرة النبوية الى المدينة هو انشاء اول حكومة اسلامية(دولة اسلامية) تخضع لإدارة الرسول(ﷺ) واشرافه التام في ذلك الجزء الصغير من بلاد العرب، وتأخذ على عاتقها مهمة نشر الدعوة الاسلامية، ودولة الاسلام هذه مختلفة عن كل الامم التي قامت من قبل لأنها لم تكن دولة او قبيلة او مملكة تخضع لأمر الشيخ او نزوات الملك وانما تعمل بأوامر الله التي يبلغها رسوله. بدأ النبي(ﷺ) يكون دولة اسلامية يدخلها الناس بصرف النظر عن قبائلهم واجناسهم واديانهم والانتساب الى هذه الدولة لا يتطلب نسبا معينا او ثروة خاصة وانما ايمان بالرسالة والالتزام بمبادئها والتضحية في سبيلها، وهكذا بدا الرسول(ﷺ) منذ دخوله المدينة يعمل على تثبيت اوضاع الدولة الاسلامية على اسس راسخة من خلال انشاء بعض المؤسسات والتنظيمات التي تساعده على ذلك[4].في ذلك الجزء من الجزيرة العربية كان رسول الله(ﷺ) يتولى تلك المهام بنفسه أو بواسطة قادة سراياه وبعوثه، ونُظِّمت موارد الدولة المالية بتنظيم الزكاة وطرق جبايتها، وعقدت المعاهدات، وأُنفذت السفارات إلى العالم الخارجي، فتكونت بذلك أسس العلاقات الدولية للدولة الإسلامية.

(1) لمباركفوري، صفي الر حمن(2007)، الرحيق المختوم، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، قطر، ص192.

(2) الانصاري، احمد ابو عشرين(2014)، مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والاسلامي، سلسلة دراسات المركز العربي للبحاث ودراسة السياسات، دوحة، قطر،ص25.

(3) الهلول، جبر(2016)،الاسس التي قامت عليها دولة المدينة المنورة، متاح على موقع/www.slideshare.net

(4) الشاهين، مصدر سابق:ص99. للمزيد انظر: الموسوي، د. جواد مطر(2011)،مقومات دولة مدينة– المدنية، بيت الحكمة، بغداد.

بناء الجيش.

يرتبط انشاء الجيش المنظم بوجود الدولة، ولم يكن للقبائل العربية جيوش بالمعنى الدقيق للكلمة وانما كانت القبيلة بأجمعها هي الجيش تقاتل وتهاجم وتدافع لذلك كانت حياتهم تكاد تكون حربا دائمة وقدراتهم القتالية واقدامهم في الحرب جعلت منهم مقاتلين مثاليين[1]، وقد حاول الاسلام الاستفادة من حب القتال عند العرب وتدريبهم العسكري وعمل على تنظيمها واستخدامها لأعلام كلمة الله وتعزيز الدولة وحماية المجتمع[2].

وقد عبر ابن خلدون عن طبيعة الحروب وانواعها وعد الجهاد الشكل الوحيد من الحروب الجائزة، اما ما عداها فهي حروب بغي وعدوان[3]، والجهاد في الاسلام يعني قتال اعداء الدين وقد تطور اوضاع المسلمين اذ يتجلى فيه اول الامر الطالع الدفاعي عندما كان المسلمون ضعفاء والهجومي عندما اصبح المسلمون اقوياء[4].وقد اصبحت الحروب الاسلامية جزءا من السياسة العامة للدولة وتأثر بطابعها حيث السيادة لله والسلطة للرسول(ﷺ) الذي يجب طاعته وتنفيذ اوامره، وبهذا كان الرسول(ﷺ) القائد الاعلى الذي يجب طاعته وكان المنظم لشؤون الحرب وباعتبار الرئيس السياسي[5]، ولم يكن الجيش الاسلامي في عهد الرسول(ﷺ) مؤسسة دائمة من حيث افرادها وتنظيمها ومؤسساتها ولم يتحدد الجيش بفئة معينة وانما كان يشمل المؤمنين بالإسلام كافة شبابا وشيوخا وحتى النساء وفرض الاسلام المشاركة في القتال للقادرين عليه فاصبح كل مسلم جندي عليه المشاركة في الدفاع عن الاسلام ونشره، وكان الرسول(ﷺ) هو القائد هذه الجماعة المؤمنة[6].

واصبح القتال فرضا على المسلمين قال تعالى:(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)[7] وقد عمل النبي على تعليم اتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح وحث القران على ذلك بقوله تعالى:(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)[8]، وقد قام الرسول(ﷺ) بنفسه بقيادة الحملات في حوالي ثلاثين معركة ولكنه كان احيانا يندب من يتولى قيادة الحملات، وقد بلغ عدد هذه الحملات حوالي خمس وثلاثون، وتسمى المعارك التي قادها الرسول(ﷺ) بنفسه الغزوات والمعارك التي ندب لها قادة السريا[9].وهكذا بدأت الدولة الاسلامية لها جيش قوي، وبشكل منظم يدافع عن رسالة المحمدية، ويقوم بالغزوات والمعارك وعن المسلمين، ودولته الفتة من الاعتداء حتى مكنهم الله سبحانه بالنصر المؤازر في فتح المكة.

(1) اليوزبكي، مصدر سابق: ص151

(2) العلي، صالح احمد(1988)،الدولة في عهد الرسول" ﷺ "، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،ص204.

(3) أبن خلدون، عبد الرحمن (د. ت)،المقدمة، بيروت،ص271.

(4) الشاهين، مصدر سابق: ص101.

(5) العلي، مصدر سابق: ص 206.

(6) اليوزبكي، مصدر سابق: ص152.

(7) سورة البقرة:216.

(8) سورة الانفال:60.

(9) العلي، مصدر سابق: ص207.

سابعا: مؤشرات السياسية الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة(ﷺ) ومبادئها.

بدأت الدولة الاسلامية تتخذ طابعها، وتتشكل تشريعاتها السياسية في شؤونها الداخلية، وعلاقاته الخارجية، صاحب السلطة فيها رسول الله(ﷺ)، وصحابته وجاء الشرع بما ينظم شؤون الانسان في كل المجالات، ومن ذلك ما يتعلق بالسياسة في كل مجالاتها الداخلية والخارجية، يحدد العلاقة بين الحاكم والامة، وبين افراد الشعب مع بعضهم، يحدد لكل مسئولياته ويعرفه واجباته، فجاءت النصوص الشرعية من الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، بيان هذه السياسة، ومنها:

اولا: السياسة الداخلية للدولة الاسلامية في عصر النبي(ﷺ).

لقد كان رسول الله(ﷺ) يستمد سياسة الداخلي لهذه الدولة من وحي الله سبحانه تعالى وبعض من جوانب السياسة الداخلية للرسول(ﷺ)، وعلى النحو التالي.

كان يقوم بمهمة الابلاغ والدعوة في الاسلام فكان يتلقى الوحي ويبلغه للناس.

كان يستشير أصحابه فيما يستجد من امور في جميع النواحي الحياة، وفي امور الدين والدولة.

كان يستخلف على المدينة حين غيابه من ينوب عنه او يؤمر على السرايا وغيرها[1].

انه حرص على توزيع مهام او واجبات الدولة توزيعا دقيقا،وكان هناك الكتاب" كناب الوحي، وكتاب الرسائل، وكتاب العهود والصالح والمواثيق" وكان هناك صاحب الختم وغير ذلك.

جعل تحقيق الامن الداخلي وحماية المسؤولية على كل فرد من افراد الرعية[2].

ثانيا: مظاهر السياسة الخارجية للدولة الاسلامية في عصر النبي(ﷺ).

كان من ملامح السياسية الخارجية للدولة الاسلامية في عهد الرسول محمد(ﷺ) يقوم على النحو التالي:

الدعوة والجهاد.

ونعني به الدفاع عن الدولة الاسلامية لحمايتها من العدوان الخارجي، او القضاء على الفتن والقلاقل الداخلية، وقد بين القران الكريم والسنة النبوية احكام الجهاد وشروطه، واهتم به المسلمون الاوائل، للدفاع عن حوزة الاسلام، ونشر الدعوة الى دين الله،اي لتكون كلمة الله هي العليا[3]. كانت العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية مع غيرها من الدول مبنية على اساس الدعوة الى الله سبحانه وتعالى، ولم يكن من سياسة الدولة الإسلامية اللجوء إلى الحرب إلا بعد عدة مراحل. فكان من السياسة تحقيق الهدف

(1) عبد السلام، مصدرسابق: ص4.

(2) السعيد،مصدر سابق: ص8.

(3) عليان، ابراهيم خليل(2012)،الدولة الدينية والدولة المدنية، بحث مقدم الى مؤتمر بيت المقدس الثالث، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين،ص13.

بأدنى حد من الخسائر حتى في صفوف العدو"[1]. وقال رسول الله(ﷺ)،وهو يوصي اصحابه من القادة وامري الجيش في المعارك: " اغزوا باســـم الله في ســـبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغلُوا ولا تغدِروا ولا تَمثُلوا ولا تقتلوا وليداً... "[2]، ولهذا قال النبي(ﷺ):" لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وحديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله(ﷺ): "لاتزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم حتى يقاتل اخرهم المسيح الدجال"[3].

ولقد شغلت آيات الجهاد حيزاً كبيراً في القرآن الكريم يكاد أن يبلغ نصف المدني وفي هذا دليل على أن هذا الموضوع كان من أهم مواضيع أو اهتمامات الرسول صلى الله عليه وسلم بل إن السيرة النبوية في العهد المدني تضمنت حيزاً عظيماً من الجهاد ووقائعه[4]. ولهذا كان النبي(ﷺ) يدعو إلى الجهاد ويعبئ الجيش ويقوده بنفسه ويشرف على ترتيبه وخططه، في وقت كان المسلمون جميعاً يشكلون جيش دولة الإسلام الأولى الذي كان في حالة تعبئة عامة باستثناء من أعفاه القرآن الكريم من الخروج كالمريض والضعيف ومن كان فيه عجز جسديا[5].

الرسل والرسائل بين الملوك.

ومن العلاقات الخارجية ما كان يبعث به رسول الله(ﷺ) مع بعض صحابته من الرسائل الدعوية إلى الملوك والامراء وغيرهم خارج الجزيرة العربية، ومنها ما يلي:

عمرو بن أميّة الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.

حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر.

عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس.

دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم.

العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين.

سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة.

شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق.

عمرو بن العاص إلى ملك عُمان جيفر وأخيه[6].

العهود والمواثيق.

(1) العصيمي، مصدر سابق: ص16

(2) صحيح مسلم:1731.

(3) رواه ابو داود، رقم الحديث 2486،2125.

(4) عاشور واخرون، مصدر سابق: ص116

(5) للمزيد انظر: ريكان، عقيل عباس، مصدر سابق، ص565.

(6) الميانجي، الاحمدي(1998)، مكاتيب الرسول،ج1،ط1،الناشر ردمك. للمزيد انظر: المباركفوري، مصدر سابق، ص320-330.

إنّ احترام المواثيق، والوفاء بالعهود، شرط ضروري لاستقرار الحياة الاجتماعية واستقامتها، إذ الثقة المتبادلة ركن أساسي لهذه الحياة، ولا تتحقّق هذه الثقة المتبادلة إلّا بالوفاء بالعهود، والاحترام المتقابل للمواثيق والوعود، ولهذا، أمر الله سبحانه وتعالى بلزوم الوفاء بالعهد، وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤولا)[1]. ويقول عن صفات المؤمنين: (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)[2]. وتبلغ أهميّة ذلك، أنّ القرآن كما يمدح الموفين بالعهد، ويقول: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الميثَاقَ)[3]، يذمّ في المقابل الناقضين للعهود، ويقول عنهم: (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ)[4]. بل يشبّه الناقض للعهد بالمرأة الناقضة لغزلها، بعد أن تعبت على صنعه، إشارة إلى ما يتركه نقض العهد من اختلال في الحياة الاجتماعية، فيقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً)[5].

فضلا عن ذلك فقد تضافرت الأحاديث على التأكيد والإصغاء بهذا الأمر، فقد قال رسول الله (ﷺ): "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليف إذا وعد"[6]. وقال أيضاً:« أقربكم منّي غداً في الموقف، أصدقكم في الحديث، وأداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد»[7]إنّ نقض العهد والميثاق خير دليل على فقدان الوازع الديني، وانعدام الشخصية الدينية، ولهذا قال النبيّ الأكرم (ﷺ):" لا دين لمن لا عهد لهُ"[8]. إنّ الذي لا يرتاب فيه أحد، هو أنّ المشركين واليهود أشدّ الناس عداوةً للمؤمنين، كما صرّح القرآن بذلك، قائلاً: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)[9]. ومع ذلك، نجد القرآن الكريم يصرّح بلزوم احترام المواثيق والمعاهدات المعقودة مع المشركين، فيقول:(وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المشْرِكِينَ)[10]. حيث، أجاز الإسلام قتال المشركين إذا نكثوا إيمانهم وخالفوا عهودهم مع المسلمين، ولذلك قال سبحانه: (وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ)[11].

ولأجل أهميّة العهود والمواثيق المعقودة بين المسلمين وغيرهم من الحكومات والأطراف، أوصى الإمام عليّ (عليه السلام) واليه الأشتر باحترام المواثيق، إذ كتب في عهده المعروف: "وإن عقدت بينك وبين عدُوّك عُقدةً أو ألبستهُ منك ذمّةً، فحُطْ عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنّةً دون ما أعطيت، فإنّهُ ليس من فرائض الله شيء الناسُ أشدّ عليه اجتماعاً مع

(1) سورة الإسراء:34
(2) سورة المؤمنون:8
(3) سورة الرعد:20
(4) سورة الرعد: 25
(5) سورة النحل: 91 -92
(6) المازندراني، مولي محمد صالح(2000)، شرح اصول الكافي، تحقيق الميرز ابو الحسن الشعراني،ج10، مطبعة ردمك الناشر، ص24
(7) العلامة المجلسي، محمد باقر(1414ه)،بحار الانوار، ج74، مطبعة مؤسسة وفاء، بيروت ص150
(8) العلامة المجلسي، محمد باقر(1414ه)،بحار الانوار، ج 81،مطبعة مؤسسة وفاء، بيروت،ص252.
(9) سورة المائدة: 82
(10) سورة التوبة: 3- 4
(11) سورة التوبة: 12

تفرّق أهوائهم، وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود"[1]. ومن نماذج التزام النبيّ (ﷺ) بمواثيقه وتعهّداته صلح الحديبية الذي اجراه رسول الله(ﷺ) مع كفار قريش، الذي سماه الله سبحانه وتعالى فتحا، كما جاء في قوله تعالى:(انا فتحنا لك فتحا مبينا)[2]. وبناءْ على ما سبق نجد احترام النبي(ﷺ) جميع المعاهدات والمواثيق، ويؤكّد أهميّة العهد والميثاق، وممّا يندرج تحت هذا الأصل على اختلاف مقاصدها ومحتوياتها، كالمواثيق التجارية والعسكرية والسياسية، إذا كانت في صالح المسلمين حدوثاً وبقاءً، بهذا اكملت رسول الله(ﷺ) اركان الدولة الاسلامية حتى اصبحت هذه الدولة هي اداة لتنفيذ الاحكام والتعاليم التي جاء بها الاسلام، سواء اكانت احكاما تنظيمية تتعلق بحياة الافراد والجماعات، او تعاليم عقائدية تنظم العلاقة بين الخالق وعباده.

ثالثا: اسس العلاقات الدولية في الاسلام في عهد الرسول(ﷺ).

العدالة.

العدل مبدا اصيل في الاسلام، فقد جعل له الاسلام مكانة سامية لم تجعلها له اية شريعة سابقة، وليس ادل على ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة، فقد حضت على العدل وامرت به امرا مجملا وشاملا للشؤون كلها، وفي بعض الآيات امرا مفصلا خاصا ببعض الامور التي يتوقع فيها الحيف والظلم[3]، ففي القران الكريم يقول عز وجل: "ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها،واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما بعظكم به، ان الله كان سميعا بصيرا"[4]. لكافة الأطراف، وعدم الجور على طرف فيها من جراء هذا الاتفاق أو تلك المعاهدة. فالعدل حق للأعداء كما هو حق للأولياء[5].قال تعالى:(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)[6].

المساواة.

كان مبدأ المساواة اهم المبادئ التي جذبت قديما نحو الاسلام الكثير من الشعوب الاخرى، وكان مصدرا من مصادر القوة للمسلمين الاولين، وذلك فيما اقره بعض المشرقين، فقد كانت الامم والقبائل والشعوب تتفاخر بالأعراق والاجناس، فجاء الاسلام هادما لهذا كله، بل ان الله عز وجل اقر التمايز كوسيلة للتعارف وليس للتفاخر والتباهي، لقد قرر وامر الله بين البشر بشكل موضوعي لا يختلف من انسان الى اخر، وانما يحقق المساواة بينهم[7]، استنادا الى وحدة الاصل الانساني لقوله تعالى:" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم"[8].

(1) كاظم، عمار(2019)،الاسلام واحترام العهود والمواثيق، متاح على موقع/www.balagh.com

(2) الفتح: 1

(3) صبح، محمد علي(2011)، ادارة الدولة في الاسلام- دراسة تأصيلية لمفهوم ادارة الدولة في الفكر السياسي الاسلامي، رسالة ماجستير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،ص12.

(4) سورة النساء:58

(5) رجو، عبد الرحمن(2018)، قاعدة اعتبار مالات الافعال واثرها في الاحكام الشرعية، هيئة الشام، متاح على موقع/www.islamicsham.org

(6) سورة المائدة: 8

(7) ارنوك، توماس(1947)،الدعوى الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم واخرون، ص246. وحسن، مصدر سابق:ص76

(8) سورة الحجرات:13.

فإذا توافرت الفرص المتســـاوية أمام الجميع يكون التفاوت بينهم بعد ذلك راجعاً إلى ما يبذلونه من جهد وعمل، وإلى ما يحققونه من إنتاجية متميزة، وإلى ما يملكونه من قدرات على التحصيل العلمي. يفرض على الدولة الإسلامية في سياستها الخارجية ألا تقبل أي، وضع ينتقص من مصالحها أو حقوقها الأساسية، فالإسلام يحث قال تعالى:(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم)[1]، قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحســن)[2].حســب موقفهم من الإســلام وأهله، فالمسالمين لهم أحكام خاصة ومميزة ليست لغيرهم من الحربيين.

الحرية.

لقد كانت الحرية من القواعد الاساسية التي جاء بها النظام السياسي في الاسلام، وقد اقرت الشريعة الاسلامية الحريات العامة على اختلاف انواعها للأفراد والجماعات، فقد نص الاســلام على الحرية الدينية، وحرية الراي، والحرية الســياســية والاجتماعية[3]. والحرية هي شــريعة الاســلام الكبرى، وهي حرية العقل، وحرية الضــمير، وحرية الارادة[4]فان القران الكريم قد تضــمن مبدا الحرية الدينية في عدة آيات، منها:(لا اكراه في الدين)[5].كما ان الإقرار بسـياسـة الأبواب المفتوحة لأنها تتيح فرصـاً متسـاوية وعلاقات متكافئة للأفراد والجماعات والشعوب، وبطلان الأوضاع التي تنشأ نتيجة للقسر والإكراه.

مراعاة المصلحة العامة للدول الاسلامية.

أي تحقيق المنافع ودرء المفاسـد، فيجب على أولي أمر المسـلمين من أمراء وعلماء أن يراعوه في قراراتهم الحربية والسـلمية، وفق ضوابط المصلحة المرعية في الشريعة الإسلامية. قال ابن جُزي المالكي:(وإن علم المسلمون أنهم مقتلون فالانصراف أولى، وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم في نكاية العدو وجب الفرار)[6]. وقال أبو المعالي:(لا خلاف في ذلك)،وقد نبه العلماء على أن الجهاد(الحرب) فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أهم الأمور التي تجب مراعاتها فيه أن لا يكون إنكار المنكر مؤدياً لحصول منكر أكبر، لا بد من تصور العواقب والنظر في النتائج المتوقعة على المدى البعيد للقرار[7]. يقول الشاطبي:(النظر في ما آلات الأفعال معتبر ومقصود شرعاً)[8].

(1) سورة الممتحنة:8.

(2) سورة العنكبوت:46.

(3) صبح، مصدر سابق: ص96

(4) النجار، حسن فوزي(1969)،الاسلام والسياسة،ط1،مطبوعات الشعب، القاهرة،ص110.

(5) سورة البقرة:256.

(6) الظاهري، عبد الرحمن بن صالح(2008)، تحقيق الامام ابن جزي من خلال دراسة كتابة التسهيل لعلوم التنزيل، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الاسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

(7) بن يوسف، ابي المعالي عبد الملك بن عبدالله(478هجرية)،البرهان في اصول الفقه، تحقيق: د. علد العظيم الديب، دار الانصار، القاهرة.

(8) العلامة الشاطبي، ابي اسحاق ابراهيم بن موسى(790هـ)،الموافقات، تقديم فضيلة الشيخ العلامة بكر بم عبدالله، تحقيق: ابو عبيدة مشهور بن حسن ال سلمان، بيت الاسلام.

ثامنا: مقومات ادارة الدولة المدنية للنبي(ﷺ) في المدينة المنورة.

عندما ظهر الاسلام في مكة واجه الرسول(ﷺ) واصحابه مقاومة شديدة من رجال الملأ، ودفع ذلك بالرسول(ﷺ) للهجرة الى المدينة المنورة(يثرب) بعد ان رحب اهلها بالرسول(ﷺ) واعلنوا البيعة له، ومن هنا قدر للدولة الاسلامية ان تنشأ في المدينة المنورة، ومن هنا يمكن ان نحدد اهم سمات او خصائص الدولة الاسلامية في عهد الرسول(ﷺ)، ومنها:

العقيدة والايمان.

ان اول اساس تؤسس عليه المدينة الفاضلة التي اسسها محمد(ﷺ)هي اساس العقيدة التي تمنح صاحبها قوة وصلابة ومحبة الاخرين، انه اساس الذي بدونه تنهار الامم وتنهار الحضارات، انه الاساس الذي تبنى عليه الامجاد وتعز به الامم والشعوب[1]، والعقيدة التي هي اول دعوة للرسل قال تعالى:(وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)[2]،العقيدة التي تصنع الاعاجيب. ومهما كانت للعقيدة من القوة والضعف فان لها دورا اجتماعيا تؤديه من خدمات عظيمة في بناء الوحدة الاجتماعية وتماسكها، فالعقيدة اثر في اجتماع الافراد داخل اي مجتمع وتؤدي للتماسك والتلاحم فيه[3]، فضلا عن ذلك فان النظام السياسي الاسلامي حددته تلك القواعد الكلية الواردة في القران الكريم والسنة النبوية، سواء بآيات قطيعة الدلالة، او مستنبطة من الآيات القرآنية والسنة النبوية، فقد وردت آيات كريمة في القران الكريم توضح علو ما جاء به الرسول(ﷺ) من احكام على ارادة المجتمع الاسلامي كله، وهذا يدلل وبشكل واضح ان السيادة في الدولة الاسلامية هي للشرع وحده فيما يقوم عليها نظام الحكم في المجتمع الاسلامي[4].اي انها ادارة احتكمت الى العقيدة والايمان، وعلى هذه الاسس قامت الدولة المدنية والتي اعتبرت خير نموذج للدولة العادلة.

التضحية بالنفس.

ان الاساس الثاني الذي اسس عليه النبي(ﷺ) دولته اسسها على الحب، ووجوب التضحية، والفداء فأي امة لا تضحي، ولا يضحي ابناؤها امة هباء لا مجد ولا تاريخ لها، وانما هم رعاع، ولقد ظهرت تضحية اصحاب النبي(ﷺ)، واضحة جلية في مواقفهم وفي انشراح صدورهم لتلك التضحيات فيها لنرى كيف كانت تضحيتهم بالنفس، وبالزوجة والولد، والمال[5].من اجل بناء نواة الاولى للدولة الاسلامية في مدينة يثرب.

الصلة بالله ومراعاة القيم والمعايير.

(1) سلامة، مصدر سابق: ص2.

(2) الانبياء:25

(3) الحديثي، صبحي(1979)، دور الدين في المجتمع، مطبعة الامة، بغداد،ص31.

(4) طعيمة، صبار(2005)، الدولة والسلطة في الاسلام،ط1،مكتبة مدبولي، القاهرة،ص219.

(5) سلامة، مصدر سابق: ص2

ان اول عمل قام به الرسول في قباء كان بناء مسجد، واول عمل قام به الرسول في المدينة كان بناء المسجد، وهذا الامر لم يكن على سبيل المصادفة، ولم يكن مجرد اشارة عابرة، هذا منهج اصيل، فلا قيام لامة اسلامية بغير المسجد، او لا قيام لامة اسلامية بغير تفعيل دور المسجد في المجتمع[1]. بالإضافة الى ذلك فقد راعى النبي (ﷺ) مراعاة القيم والمعايير في عمله لأنها ادارة قامت ووضعت برامجها ووزعت ادوارها وادارت مواردها بشكل يؤدي الى تحقيق وانجاز اعمالها على اساس تكامل وتوافر مجموعة قيم ومعايير مرجعية في علاقاتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية[2].

مبدأ الشورى.

ان الشورى هي احدى الاسس التي يقوم عليها النظام السياسي الاسلامي، لما لها من اهمية في دعم الحكم الاسلامي، ولقد مارس الرسول(ﷺ) الشورى تنفيذا لأمر الله، وما يعنينا في هذا السياق هو تبيان وتناول موضوعة الشورى كأحد قواعد النظام السياسي الاسلامي من عدة جوانب، ان الشورى في القران الكريم هي النهج اللازم لأمر المؤمنين العام لقوله تعالى:" والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم "[3].

والشورى في الاسلام، ليس لها قالب او صيغة خاصة او طريقة ملزمة في كيفيتها ومستوياتها وإجراءاتها، للوصول الى افضل الآراء، وفي ذلك كثير من المرونة والحركة لاستيعاب كل صيغة صالحة تحقق الغاية المنشودة من الشورى، وتعمل على تلبية الحاجات والمتطلبات المستجدة دون حجر او تضيق على الاجيال في الاعتماد على كل صورة ملائمة لتحقيق الاهداف والغايات[4]. انها ادارة شورية، قامت على العدل والمساواة وحرية المعتقد والراي بعيدا عن فظة الاستبداد واستغلال السلطة.

توحيد الجماعية (الاخوة والمحبة).

كان من اولويات عمل الرسول(ﷺ)،توحيد المسلمين وجمع شملهم في المدينة المنورة بعد الهجرة فقرب بذلك بين النفوس، خاصة وان المهاجرين هم من الذين لا تربطهم بالأوس والخزرج من اهل المدينة اية رابطة من دم او عشيرة او ما شابه من الروابط المعروفة عندهم آنذاك، ليكون ذلك التوحيد اشعارا بان الاسلام هو الذي يجمع ويوحد ويؤالف، ولهذا نجد ان الله سبحانه قد امتدح نبيه(ﷺ)على جمعه للمسلمين ونشر المحبة والتآخي بين كل أولئك الفرقاء المتنازعين[5].

(1) المصدر نفسه: ص3

(2) الصعيدي، مصدر سابق: ص132 وحسن، مصدر سابق:ص77.

(3) سورة الشورى: 38 وحسن، المصدر نفسه:ص59.

(4) ضميرية، عثمان جمعة(2007)،النظام السياسي والدستوري في الاسلام،ط1،جامعة الشارقة، الشارقة، الامارات العربية المتحدة.ص222

(5) المقداد، مصدر سابق: ص3.

كما قال سبحانه وتعالى:(واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)[1]. انها ادارية جماعية، لم تسقها الاهواء الفردية، ولا الحسابات الحزبية، وكان الهدف والغاية ايجاد مجتمع تنظيمي موحد، تحكمه مشروعية الحقوق والواجبات، وهذا اجلى عبر لقاءاته وموادعاته، ومؤاخاته وخطبه وإنشائه للوظائف المجتمعية وبنائه للمؤسسات الادارية[2].

فضلا عن ذلك كان من اسس بناء الدولة كما ذكرناه سابقا يتمثل في المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين، فقد اخى رسول(ﷺ) بين المهاجرين والانصار وجعل منهم اخوة متحابين تعاونوا وتحابوا بروح الله فاصبحوا متعاونين على البر والتقوى، لدرجة ان هذه المؤاخاة لم يقف امرها عند حد المؤاخاة فحسب بل اصبحوا بها يتوارثون كما يتوارث الابناء من ابائهم حتى نزل قول الله تعالى:(واولو الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله)[3]، وكان من ثمرة هذه المؤاخاة ما تميز به الانصار من ايثار غيرهم على انفسهم، ومن الدايات الدالة على فضل الاخوة وانها سبب لتماسك المجتمعات، قوله تعالى(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[4].

راعي المسؤولية.

لقد قرر الاسلام مبدأ مسؤولية الخليفة على اوسع نطاق، وابعد مدى، ابعد مما هو معروف من الانظمة الديمقراطية[5].فالحاكم في الاسلام مسؤول عن اعماله جميعا، وهذه المسؤولية يستدل عليها من الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، ففي قوله تعالى: "ولا تطيعوا امر المسرفين، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون"[6] فضلا عن ذلك وفي هذا المجال برزت قدرة النبي(ﷺ)على عدم التهاون في تطبيق الاحكام الاسلامية على المخالفين لها من دون مراعاة للمكانة او المنزلة الاجتماعية او اي ميزان من الموازين المتعارفة بين الناس، لان التهاون في هذا الامر لن يكون الا على حساب الدولة والاسلام وهذا مما لا يمكن ان يسمح له رسول(ﷺ)[7]، حتى وانه ورد عنه قوله(لو سرقت فاطمة بنت محمد(ﷺ) لقطعت يدها)[8]. انها ادارة راعية وذات مسؤولية عالية، تؤمن بان الولاية امانة واجب اداؤها، وان الوظيفة الادارية ليست مكانة تشريفية ولكنها تكليف، ولا تعطى لمن يكبيها وانما هي التي تطلبه او يختار وفقا لقواعد الكفاءة والامانة.

التعايش السلمي والتسامح واللين.

ان من اهم منطلقات قيام الدولة الاسلامية الاولى هي ما قام به الرسول(ﷺ) مع الاخر المختلف هو تلك المعاهدة التي عاهد فيها المسلمين وغيرهم من اليهود والمشركين فشرط لهم وشرط عليهم وهي تعتبر اول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الانسان

(1) سورة ال عمران: 103.
(2) صبح، مصدر سابق: ص131
(3) سورة الانفال:75.
(4) سورة ال عمران:103.
(5) الصعيدي، حازم عبد العال(1984)،الاسلام والخلافة في العصر الحديث،ط1،مكتبة الآداب، القاهرة،ص167.
(6) سورة الشعراء:150،151
(7) المقداد، الشيخ محمد توفيق،مصدر سابق، ص5.
(8) صحيح البخاري، الصفحة او الرقم:3475.

والتعايش السلمي، وهذه المعاهدة تفحم بعض الذين يتشدقون بان في الاسلام عصبية او ان فيه عنصرية فكانت اسس الهجرة تحمل اوضح الدلائل على التسامح والتعايش في الاسلام[1]. فضلا عن ذلك فان صفة التسامح واللين مع الامة كانت بارزة في شخصية النبي(ﷺ) لعبت دورا مهما في جذب الكثيرين الى الاسلام او تثبيت المؤمنين به، وقد امتدح الله هذا الخلق النبوي الكريم في العدد من الآيات كما في قوله تعالى:(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)[2].

وهذا التسامح كان نابعا من الحكمة النبوية في استيعاب الامور الصغيرة من سيئات الناس والقضايا التي ينم التجارة عنها لما فيه من مصلحة للإسلام، ولعب هذا الاسلوب الحكيم من التسامح واللين دورا ايضا في تقوية الروابط بين المسلمين ورصت صفوفهم اكثر، وقد تجلى هذا الامر بعد فتح مكة حيث كان المشركين خائفين على ارواحهم بسبب ما اقترفوه من الجرائم ضد الاسلام والمسلمين من القتل والصد والتعذيب وتهب الاموال وسلب الممتلكات، وكان على راس هؤلاء (ابو سفيان) الذي حارب النبي(ﷺ) بلا هوادة، ومع ذلك عند فتح مكة سامحهم رسول الله(ﷺ)[3].

تحصين مجتمع المدينة المنورة.

ان النواة الاولى للدولة الاسلامية التي قادها الرسول (ﷺ) وتشكلت في المدينة كانت تحتاج الى اجواء هادئة ولو لمرحلة معينة لتنظيم شؤون تلك الدولة وهذا ما استدعى تحصين المدينة بطريقة تمنع الاختراقات او تمنع استغلال بعض الناس من غير المسلمين كاليهود والذين كانوا يسكنون المدينة واطرافها وعمل الرسول معهم بمبدأ التعاون وحرية الاعتقاد والدفاع عن المدينة لوجه كل الطامعين وخاصة قريش وحلفائها الذين كانوا ما زالوا في غيهم[4].

ادارة قضايا الحرب والسلم.

بعد اطمئنان النبي(ﷺ) الى سلامة مجتمع المدينة ولو نسبيا وضمان عدم الاختراق من غير المسلمين، انصرف الى الاعداد والتهيئة والتفرغ لقتال قريش من ضمن جدول الاولويات على مستوى الاهداف الرئيسية باعتبار انها تمثل الرمز الاول الذي بسقوطه تتغير كثير من الظروف والاوضاع، وقد اذن الله لنبيه بالقتال. وبالرجوع الى السيرة المتضمنة لذكر تفاصيل غزوات النبي(ﷺ) ومعاركه نجد التنظيم الدقيق والهادف والتخطيط الواعي للحركة الجهادية التي قام بها، كما في بدر وأحد و الخندق وغيرها من المعارك الكبيرة التي كان المسلمون يخرجون منها في كل مرة وهم اقوى مما كانوا عليه، مما زاد من تمسكهم بالإسلام وتقوية معنوياتهم، وفي هذا المجال لا يمكن اغفال الاهمية الكبرى لصلح الحديبية، وبذلك الصلح توقف الحروب والمعارك، مما سنح لحركة

(1) سلامة، مصدر سابق: ص8.

(2) سورة الفتح: 29

(3) المقداد، مصدر سابق: ص5.

(4) المقداد، مصدر سابق: ص3. وللمزيد انظر: بن ادريس، عبدالله عبد العزيز(1982)،مجتمع المدينة في عهد الرسول(ﷺ)،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

الاسلام بالانتشار السريع في العامين المتصلين بالحديبية، باعتبار ان حركة الدعوة صارت امنة بذلك الصلح[1]. حتى ان الله سبحانه قد اكد هذه الحقيقة بقوله تعالى:(انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)[2].

ومع هذا نجد الرسول الاعظم(ﷺ)عند فتح مكة يقول:(من دخل دار ابي سفيان فهو امن،ومن القى سلاحه فهو امن، ومن دخل داره واغلق عليه بابه فهو امن)، ثم قال كلمته المشهورة، لأهل مكة وهم الذين فعلوا به ما فعلوا(اذهبوا فانتم الطلقاء)،ان هذا الخلق الكريم هو من اهم المواصفات للقيادة التي تريد الخير والسلام لآنها، لا تستعمل القوة التي تحت يدها للبطش والقتل، بل للرحمة والعفو والمغفرة مع القدرة على فعل الخلاف[3].

تاسعا: اراء بعض المستشرقون في اقامة دولة النبوة(ﷺ).

حيث أقام رسول محمد(ﷺ) دولة الايمان في القلوب، ودولة السياسة في واقع الحياة، من خلال منظومة فكرية اجتماعية وسياسية متكاملة تتحرك على الارض، وتسير امور الناس، وتحدد كافة الاسس والعلاقات التي تربط وجودهم بما حولهم، وفي هذا السياق نورد بعض اقوال المستشرقين عن بناء دولة رسول الله (ﷺ) ما يلي: وفي هذا يقول المستشرق (فتزر جرالد Fitzgerald): ليس الإسلام دينًا فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضًا. ويقول الأستاذ (نللينو) (C.A. Adllino): (لقد أسَّس (محمد) في وقت واحد دينًا (A Relgion) ودولة (A state)، وكانت حدودُهما متطابقةً طوال حياته).ويقول الدكتور (شاخت) (Dr.schacht): (على أن الإسلام يعني أكثر من الدين، إنه يمثِّل أيضًا نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول أنه نظام كامل من الثقافة، يشمل الدين والدولة معًا). ويقول الأستاذ (ستروثمان) (R.Strothmann):(الإسلام ظاهرة دينية وسياسية؛ إذ إن مؤسِّسه كان نبيًّا وكان سياسيًّا حكيمًا، أو "رجل دولة")[4].

ويقول الأستاذ (ماكدونالد) (D.B.Macdonald): (هنا – أي: في المدينة تكوَّنت الدولة الإسلامية الأولى، ووُضِعت المبادئ الأساسية للقانون الإسلامي).ويقول السير (توماس آرنولد) (Sir.T.Arnold): (كان النبي في نفس الوقت رئيسًا للدين ورئيسًا للدولة). ويقول الأستاذ (جب): (عندئذٍ صار واضحًا أن الإسلام لم يكن مجرَّد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل، له أسلوبه المعيَّن في الحكم، وله قوانينه وأنظمته الخاصة به)[5]. نستنج من ذلك الآراء عظمة فكر الرسول(ﷺ) وما قدمة للإنسانية من عطاء ثر اغني البشرية بالحق والعدالة والمساواة في نشر دعوته السمحاء، القائم على المبادئ الانسانية والاخلاق

(1) المقداد، مصدر سابق: ص6

(2) سورة الفتح:2

(3) المقداد، مصدر سابق: ص6.

(4) عمر، مصدر سابق: ص4-5.

(5) الريس، د. محمد ضياء الدين(1976)، النظريات السياسية الاسلامية، ط7، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص28-29.

يســـمو على البشـــرية جمعاء لأنها منهج رباني وكما قال تعالى(وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي)[1]. وكما قال الله تعالى(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[2].

فضـــلا عن ذلك فان الاقتدار النبوي على تحويل حركة الواقع الســـلبي في زمانه الى حركة وعي في ضـــمير الفرد والامة لإبراز القابليات الانسـانية والدفع بها لبناءْ الحياة على ضـوء النموذج الاسـلامي الالهي يعتبر الانجاز الاعظم الكاشـف عن الخبرة الرفيعة والراقية في ادارة شـؤون المجتمع الناتج عن الفهم الواعي والدقيق لأوضـاع الناس، ولقيادتهم ورعايتهم والسـير بهم نحو كمالهم. كما ان النظر الى ضـخامة الانجازات التي تحققت زمن النبي(ﷺ)، وخاصـة بعد حركة الهجرة وتأسيس المجتمع الاسـلامي الاول، وما احدثه من تغييرات جذرية في المسيرة البشرية بشكل عام، وبالخصوص بعد فتح مكة وانهاء عبادة غير الله عز وجل، وصيرورة الاسلام هو روح الامة ومحركها[3].

وبناءْ على ما تقدم يمكن ان نســـتنتج بان النبي(ﷺ) كان رجل دولة من الطرز الاول، بل هو في الدرجة الارفع عبر التاريخ والعصـور، وليس هذا الكلام من باب التعصـب لان الذي شـهد بذلك هم غير المسـلمين، ويكفي للدلالة على ذلك ان صـاحب كتاب اعظم مئة رجل في التاريخ قد جعل النبي محمدا(ﷺ) صـــاحب المرتبة الاولى من عظماء التاريخ الذين لعبوا مميزا في المســـيرة الانسانية.

(1) سورة النجم: 3-4.

(2) سورة الانبياء:.107

(3) المقداد، مصدر سابق: ص8.

الخاتمة

ان الفكر الاجتماعي والسياسي الاسلامي يؤكد على التلازم الوثيق بين التصور الاعتقادي وطبيعة البنية الاجتماعية في المجتمع الاسلامي. لان المسلم يتلقى موجهاته الفكرية والسلوكية من خلال العقيدة التي يؤمن بها، فتتأسس على ضوئها المؤسسات الاجتماعية في مجالات الحياة المختلفة، كما تعد عالمية المجتمع الاسلامي وانسانيته واحد من اهم خصائصه فهو مفتوح لجميع البشر اي انه مجتمع لا يقوم على اساس عنصري، ولاطائفي، ولا طبقي بل هو مجتمع يقوم على اساس العقيدة الاسلامية موجهة من الله سبحانه وتعالى الى العالمين كافة.

لذلك تحدثنا في هذا البحث عن اهم جوانب في الحياة الرسول الكريم(ﷺ) الذي كان ومازال المعلم والمثل الاعلى الذي نقتدي به، فضلا عن ذلك تناولنا الجانب الفكر الاجتماعي عند الرسول(ﷺ)الذي كان ينبع من صفاته وخصائله الحميدة في افشاء السلام واقامة المحبة والمودة بين الناس وكان خير الناس على اهله كما قال في حديثة النبوي الشريف(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم الأهلي)[1]، فضلا عن ذلك تحدثنا عن الجانب السياسي في فكره و حياته وتبين مدى براعة الرسول الكريم في كسب الاخرين لكي يعتنقوا الاسلام وكانت رسالاته تدل على ذلك التي بعثها الى جبابرة وطواغيت العصر وكانت مؤثرة جدا لان الرسول(ﷺ) لا ينطق عن الهوى بل بتوجيه رباني وكان كل من يعتنق الاسلام من السادات يولى على الارض التي يحكمها. وعليه توصل الباحث الى استنتاجات عديدة منها:

1. اظهر البحث بان الرسول الاكرم (ﷺ)،كان ابا ومربيا ومعلما للأجيال والعالم الاسلامي باسره ولم يبقى حتى اصغر الامور علمها للناس من خلال الجانب الاجتماعي، لكونه نبي الرحمة للعالمين.
2. ان اشكالية الدولة المدنية في العهد النبوي ناتجة بالأساس عن الصفة الدينية لمحمد(ﷺ) باعتباره نبيا مرسلا من عند الله تعالى للعالمين كافة، كما جاء في قوله تعالى:(وما محمد الا رسول)[2].
3. ان واقع التجربة السياسية في عصر النبوة في بناء اللبنة الاولى للتأسيس للدولة الاسلامية لا تنقصه الادلة بقيادة النبي(ﷺ)،لأنها كشفت مدى فهم والمعنى السياسي الحقيقي للدولة بعيدا عن الزيف السياسي، والاحتيال، والنفاق، وبيان مدى براعة الرسول الكريم في ادارة الدولة والمجتمع.
4. لقد دلت فكر الرسول (ﷺ) بان الاسلام قد وضع الاطار العام لقيام الدولة بمعناه الشامل، وذلك بتشريع الخصوصيات والعموميات، لان نظام الحكم في الاسلام ليس نظاما ملكيا ولا وراثيا، بل يتولاه من تبايعه الامة بالرضى والاختيار.
5. جاء الرسول في زمن لم يكن يوجد اي مبدأ من مبادئ المدنية، وخاصة البيئة التي ظهر منها هذا النور كان بيئة مظلمة ومقيمة على ظهر العبيد وقتل النساء واقتصاد مبني على مصالح اشخاص، وكان القرار السياسي بيد قلة قليلة من اسياد قريش.
6. تشكل وثيقة المدينة العقد الاجتماعي الاول في تاريخ المسلمين وحتى في تاريخ البشرية، والتي شكلت احدى اهم مرتكزات دولة النبوة، لأنه رتبت جملة العلاقات المشكلة لطبيعة الحياة في المدينة بين المجتمع متباين ومتعدد فكريا وعقائديا واجتماعيا.

(1) رواه الترمذي وابو ماجة عن عائشة رضى الله عنها.
(2) سورة ال عمران: 144.

7. عرف عن الرسول(ﷺ) انه كان يمتلك تكتيكا استراتيجيا عاليا لقيادة الحروب، فقد كان يتفنن في استعمال اساليب قتال سابقة لعصره، فضلا عن اهتمامه بالشؤون الادارية للمعارك وتنظيم ميادين الحروب، والاختيار المناسب للمقاتلين ممن يتمتعون بأيمان حقيقي بالدين الاسلامي.
8. ان هجرة الرسول الكريم (ﷺ) من مكة الى المدينة لم يكن قرارا عشوائيا وانما جاء نتيجة دراسة وتحميص، فبعد ان اصبح من الميؤوس منه اقامة دولة او نواة لدولة اسلامية في مكة بسبب موقف زعماء قريش المتسلطين على الوضع في مكة.
9. اعد الدين الاسلامي في عهد الرسول(ﷺ) بان التغيير الاجتماعي من السنن الاجتماعية العامة، وهو ليس عرضا طارئا انما هو صفة الوجود، وقانون الحياة حيث لا يبقى شيء على حاله.
10. لقد تميز المجتمع في عهد النبي(ﷺ) في التصور الاسلامي عن غيره من المجتمعات على مراعاة العدالة الاجتماعية واعتمادها في تنظيم شؤون الحياة حتى اصبح بحق نموذج الذي يحتذى به.

وبناءً على تلك الاستنتاجات نقترح بعض التوصيات والمقترحات منها:

1. تفعيل دور وسائل الاعلام المختلفة في نشر الثقافة المحمدية السمحاء النابعة من مدرسة رسول الله(ﷺ) للرد على أعداء الاسلام ممن يسول له نفسه الاساءة لنبينا(ﷺ).
2. اقامة مؤتمرات عالمية ودولية ومحلية وورش عمل في الجامعات والمؤسسات الدينية لبيان دور الرسول محمد(ﷺ) في اقامة دولة الحق والعدل والمساواة في المدينة المنورة " يثرب".
3. تدريس منهاج النبوة في المدارس والجامعات والمؤسسات الدينية بطرق معتدلة بعيدا عن الغلو التطرف والاساءة للأخرين.
4. فتح جامعة او مؤسسة او صرح علمي باسم المصطفى (ﷺ) ليكون مدرسة تنهل منها كل المسلمين وغير المسلمين من العلم والاخلاق في بعض دول الاسلامية للتعرف على عظمة هذا الدين ونبيه.
5. تعلم النشأ على التنشئة الاسلامية الصحيحة من خلال التربية الاسلامية والقيم الاخلاقية الحميدة الذي ارساها النبي محمد(ﷺ) وغرسها في نفوس الافراد بالمجتمع الاسلامي المدني ابتداءً من الاسرة ومرورا بكافة المؤسسات التعليمية وخاصة رياض الاطفال ليكون اللبنة الاساسية، والقوية لبناء المجتمع
6. الدعوة الى تطبيق مبادئ الدين الاسلامي الحنيف، وتعاليم نبينا الكريم، وما جاء به من قوانين دينية ودنيوية في حياتنا اليومية لكي تسمو هذه الامة وترجع الى زهو ماضيها.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

اولا: الكتب العربية.

1. إبراهيم العلي (1995)، صحيح السيرة، دار النفائس، ط1، عمان، ص119-129.
2. ابن الفوطي، كمال الدين (1416)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، ط1،ج5، ايران، ص172 و242 و199.
3. ابن حبيب، ابو جعفر(1361هـ)،المحبر، بيروت.
4. أبن خلدون، عبد الرحمن (د.ت)،المقدمة، بيروت.
5. ابن سيد الناس، محمد(1356هـ)،عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،ج2،القاهرة.
6. ابن شهر آشوب، محمد بن علي(1956)، مناقب آل أبي طالب،ج1، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف.
7. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل (د.ت)،السيرة النبوية،ج1،بيروت.
8. ابن قنفذ (1984)، كتاب وسيلة الإسلام بالنبي(ﷺ) دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
9. ابن منظور(1977)، لسان العرب، دار صادر، المجلد الخامس،ط3،بيروت.
10. ابن هشام، عبد الملك (د. ت)،السيرة النبوية، ج1وج2 وج2، بيروت.
11. أبو زهرة، محمد (2008)، المرجع في السيرة النبوية: خاتم النبيين، دار الفكر العربي،ج2، القاهرة.
12. البغدادي، لابي جعفر بن حبيب(245هـ)،امهات النبي(ﷺ)،تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم.
13. بلقزيز، عبدالله(2005)،تكوين المجال السياسي الاسلامي- النبوة والسياسة، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،بيروت.
14. بن ادريس، عبدالله عبد العزيز(1982)،مجتمع المدينة في عهد الرسول(ﷺ)،مطابع جامعة الملك سعود، رياض.
15. بن يوسف، ابي المعالي عبد الملك بن عبدالله(478هجرية)،البرهان في اصول الفقه، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، دار الانصار، القاهرة.
16. البنا، حسن(1984)، الى أي شي ندعو الناس- في مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا، المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، لبنان.
17. البوطي، محمد سعيد رمضان(1980)، فقه السيرة، ط8، دار الفكر، دمشق.
18. التسخيري، محمد على(1994)،الدولة الاسلامية دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية،ط1،منظمة الاعلام الاسلامي، كتاب التوحيد، العدد/1،السنة الاولى، قم،ايران.
19. الجمل، إبراهيم محمد حسن(د. ت)، أبناء النبي، دار الفضيلة، القاهرة.
20. الجوهري، اسماعيل بن حماد(1975)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحضارة العربية، بيروت.

21.الحديثي، صبحي(1979)، دور الدين في المجتمع، مطبعة الامة، بغداد.

22.الحديثي، نزار عبد الطيف(1987)، الامة والدولة في سياسة النبي(ﷺ) والخلفاء الراشدين، بغداد.

23.رفوري، محمد سليمان المنصور(د.ت)، رحمة للعالمين، دار السلام،ط1،الرياض.

24.رواة الترمذي وابو ماجة عن عائشة رضة الله عنها.

25.رواه ابو داود، رقم الحديث:2125، 2486.

26.رواه البخاري:3352ومسلم:4217.

27.الريس، محمد ضياء الدين(1976)،النظريات السياسية الاسلامية،ط7،مكتبة دار التراث، القاهرة.

28.الزركلي، خير الدين (2002)، الأعلام، دار العلم للملايين،15ط،ج3، بيروت، ص 67.

29.السامرائي، د. نعمان عبد الرزاق(2000)، النظام السياسي في الإسلام، ط2،مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، رياض.

30.السعيد، د. زينب احمد(2012)النظام الساسي في عهد النبوة، منتدى انصار السنة، قسم حوار العام.

31.السقا، محمد (1427ه)، فقه السيرة، دار القلم،ط1، دمشق، صفحة 165-181.

32.السلفي، ابو فهر(2011)،الدولة المدنية مفاهيم واحكام، دار عالم النوادر، مصر.

33.السلمي، محمد (2010)، صحيح الأثر وجيل العبر من سيرة خير البشر(ﷺ)، مكتبة روائع المملكة، ط1، جدة، ص 303.

34.سنن الترمذي، رقم2925، كتاب فضائل القران/2.

35.الشريف، احمد ابراهيم(1964)، مكة والمدينة في الجاهلية وعه الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة.

36.الشيرازي، محمد الحسيني(1401ه)،الفقه السياسية،ج1،مطبعة سيد الشهداء، قم،ايران.\

37. صحيح البخاري،الصفحة أو الرقم:3455.

38.صحيح البخاري، الصفحة او الرقم:3475.

39. صحيح المسلم، رقم حديث 1731.

40.الصعيدي، حازم عبد العال(1984)،الاسلام والخلافة في العصر الحديث،ط1،مكتبة الآداب، القاهرة.

41.الصويان، محمد(2009)،السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة، العبيكان للنشر،ج1، ط3،الرياض،السعودية.

42.ضميرية، عثمان جمعة(2007)،النظام السياسي والدستوري في الاسلام،ط1،جامعة الشارقة، الشارقة، الامارات العربية المتحدة.

43.الطبرسي، الفضل بن الحسن(1995)، مجمع البيان في تفسير القران،ج9، ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

44.الطبرسي، الفضل بن الحسن(1417ه)، إعلام الورى بأعلام الهدى،ج1، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

45. الطبري، أبو جعفر(د.ت)، تاريخ الطبري.

46.الطبري، محب الدين(د.ت)، السّمط الثّمين في مناقب أمّهات المؤمنين، دار الكتب العلمية، بيروت.

47.طعيمة، صبار(2005)، الدولة والسلطة في الاسلام،ط1،مكتبة مدبولي، القاهرة.

48.الطهراوي، هاني علي(2007)،النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة، عمان،الاردن.

49. العازمي، موسى بن راشد (2013)، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، دار الصميعي، ط1،ج3،الرياض، ص 68-69.

50.عاشور، فايد حماد وسليمان، مصلح الو عزت(1989)،تاريخ دولة الاسلام الاولى في عهد الرسول(ﷺ) والخلفاء الراشدين، ط1، دار قطري بن الفجاءة، قطر.

51.عجاج، حافظ احمد(2007)، الادارة في عهد الرسول،ط2، دار السلام، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة.

52.العجلاني، منير(د.ت)،عبقرية الاسلام في اصول الحكم في فقه الاسلامي، مصر.

53.العجلي،بو الحسن(1984)، الثقات، دار الباز،ط1، مكة المكرمة، ص 532.

54.العربي، محمد ممدوح(1988)، دولة الرسول(ﷺ) في المدينة، ط1،الهيئة المصرية للكتاب، مصر.

55.عرموش، احمد راتب(1989)، قيادة رسول(ﷺ)السياسية والعسكرية،ط1، دار النفائس، بيروت.

56. العسقلاني، نزار (2013)، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأظلمت المدينة،، دار المنهاج، ط2، بيروت.

57.العلامة الشاطبي، ابي اسحاق ابراهيم بن موسى(790هـ)، الموافقات، تقديم فضيلة الشيخ العلامة بكر بم عبدالله، تحقيق: ابو عبيدة مشهور بن حسن ال سلمان، بيت الاسلام.

58.العلامة المجلسي، محمد باقر(1414هـ)، بحار الانوار،ج74 و81، مطبعة مؤسسة وفاء، بيروت.

59.العلي، صالح احمد(1988)،الدولة في عهد الرسول" ﷺ "، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد.

60.غاوش، أحمد (2004)، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة، ط، بيروت.

61.الغزالي، ابو حامد(د.ت)،احياء علون الدين-كتاب العلم،ج1.

62.المازندراني، مولي محمد صالح(2000)، شرح اصول الكافي، تحقيق الميرز ابو الحسن الشعراني،ج10،مطبعة ردمك الناشر.

63.المباركفوري، صفي الر حمن(2007)،الرحيق المختوم، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، قطر.

64.المباركفوري، صفي الرحمن (د. ت)، الرحيق المختوم، ط1، دار الوفاء، جزء 1، بيروت.

65. محمد أبو زهرة (2008)، المرجع في السيرة النبوية: خاتم النبيين، دار الفكر العربي،ج2، القاهرة.

66.مسند احمد، رقم7/138.

67.مصطفى، نيفين عبد الخالق(1997)،مدخل في الفكر السياسي الاسلامي،ط1، مكتبة ملك فيصل الاسلامية، السعودية.

68.الملاح، هاشم يحي(2002)، حكومة الرسول" ﷺ"، مطبعة المجمع العلمي بغداد.

69.الموسوي،هاشم(2000)،الثقافة السياسية الاسلامية،ط1،مؤسسة الهدى للنشر، طهران ايران.

70.الموسوي، جواد مطر(2011)، مقومات دولة مدينة- المدنية، بيت الحكمة،بغداد.

71.الموسوي، محسن(1990)، دولة الرسول،ط1، دار البيان العربي، بيروت.

72.الميانجي، الاحمدي(1998)، مكاتيب الرسول،ج1،ط1،الناشر ردمك.

73.النبهاني، تقي الدين(2002)، الدولة الاسلامية، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

74.النجا، حسن فوزي(1969)، الاسلام والسياسة،ط1،مطبوعات الشعب، القاهرة.

75.الندوي، أبي الحسن (1425)، كتاب السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط12، دمشق، ص 157.

76.النوري، قيس، والحسني، د. عبد المنعم(1985)، النظريات الاجتماعية، دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل، العراق.

77. هارون، عبد السلام(1985)، تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، ط1وط14، الكويت.
78. الوكيل، محمد مختار(1989)، المدينة المنورة عاصمة الاسلام الاولى،ج2، دار المجتمع، جدة، السعودية.
79. الياسمين، شذى (2005)، في فضائل أمهات المؤمنين، مبرة الآل والأصحاب، ط1، الكويت.

ثانيا: الكتب الاجنبية.

1. ارنوك، توماس(1947)، الدعوى الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم واخرون.
2. ماج، جارلس(1990)، المجتمع في العقل، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

ثالثا: الاطاريح والرسائل الجامعية.

1. صبح، محمد علي(2011)، ادارة الدولة في الاسلام- دراسة تأصيلية لمفهوم ادارة الدولة في الفكر السياسي الاسلامي، رسالة ماجستير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
2. الظاهري، عبد الرحمن بن صالح(2008)، تحقيق الامام ابن جزي من خلال دراسة كتابة التسهيل لعلوم التنزيل، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الاسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
3. متولي،عاطف ابراهيم(2011)، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، مزروعة الناشر، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القران، كلية العلوم الاسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

رابعا: الدوريات.

1. ريكان، عقيل عباس(2020)، الرسول الاعظم(ﷺ) قائدا عسكريا-رؤية قرآنية، بحث منشور في مجلة التربية الاساسية،العدد(106)، المجلد(26)،كلية التربية الاساسية، جامعة المستنصرية.
2. الشاهين، محمد عمر(2009)، اسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، العدد(2)،المجلد(4)، لسنة (4)،كركوك،العراق.
3. علوان، بتول حسين(2011)، مفهوم الدولة واركانها في الفكر الاسلامي السياسي، مجلة العلوم السياسية، العدد(43)،كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد.
4. الفضلى، عبد الهادي(2000)، الاسس الاسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من اصول للدستور الاسلامي، مجلة المنهاج، العدد(17)، دار الغدير، بيروت، لبنان.
5. نوري، موفق سالم(1427هـ)، منهج النبي(ﷺ) في اقامة الدولة، مجلة الرباط، مؤسسة الفيضي الشهيد للتربية والتعليم والثقافة الاسلامية، السنة الرابعة، العدد(30)،الموصل، العراق.

خامسا: البحوث والمقالات.

1. الانصاري، احمد ابو عشرين(2014)، مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والاسلامي، سلسلة دراسات المركز العربي للبحاث ودراسة السياسات، دوحة، قطر.

2. حميد الله، محمد (1985)، مجموعة الوثائق السياسية، دار النفائس، ط5،بيروت.
3. خليل، عماد الدين(1983)، دراسات في السيرة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل.
4. عليان، ابراهيم خليل(2012)، الدولة الدينية والدولة المدنية، بحث مقدم الى مؤتمر بيت المقدس الثالث، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
5. قلعجي، محمد رواس(1988)، دراسة تحليلية لشخصية الرسول(ﷺ)من خلال سيرته الشريفة،1، بيروت.
6. اليوزبكي، توفيق سلطان(1988)، دراسات في النظم العربية الاسلامية، دار الكتب للطباعة، الموصل.
7. سادسا: القواميس والموسوعات.
8. 1الحسن، احسان محمد الحسن(1999)، موسوعة علم الاجتماع، دار العربية للموسوعات، بيروت.
9. الحنفي، عبد المنعم(1975)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي،ج1،القاهرة.
10. صليبا، جميل(1979)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب البناني،ج2،بيروت.
11. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي،ج10، ص 736.
12. مجموعة مؤلفين(د.ت)، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية،ط2، دار سلاسل، الكويت.
13. مصطفى، ابراهيم واخرون(ب. ت)، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية،ج2، طهران.
14. ويكيبيديا(د.ت).
15. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة(د.ت).

سابعا: المواقع والروابط الالكترونية.

1. ابا ظلي، قيس الرشيد(ب. ت)، مدنية الدولة في الاسلام، سلسلة محاضرات يوم العودة التي تقيمها منظمة زيتون، متاح على موقع/https:// syrianvoicos. Wordpress.com
2. حسن، علاء سعد(2011)، دولة النبي(ﷺ)، شبكة الالوكة، متاح على موقع الالكتروني/ www.alukah.net
3. الحلايقة، غاد(2017)، ماهي الدولة المدنية، https://mawdoo3.com
4. خليف، سميحة ناصر(2019)، مفهوم السياسة لغة واصطلاحا، متاح علة موقع/ https:mawdoo3.com
5. الدويكات، سناء(2018)، مراحل قيام الدولة الاسلامية في عهد الرسول، متاح على موقع/ mawdoo3.com//https
6. رجو، عبد الرحمن(2018)، قاعدة اعتبار مالات الافعال واثرها في الاحكام الشرعية، هيئة الشام، متاح على موقع/www.islamicsham.org
7. الزغبي، هديل (2020)، مفهوم الفكر السياسي، https://hyatok.com
8. نعمان، ساجد صبري (2014)، "مفهوم العلم في الفكر الاسلامي، www.iasj.net
9. سلامة، السيد مراد(2017)، اسس بناء المدينة الفاضلة من خلال الهجرة النبوية، متاح على موقع الالوكه الالكتروني/ www.alukah.net

10.صلاح، رزان(2017)، مفهوم الفكر السياسي، متاح على موقع/. https://e3arabi.comrdm

11.طعمه، تمام(2021)، تعريف السياسة في الاسلام، https://sotor.com

12.عبد السلام، د. شادية عبد الفتاح(2018)، الدولة الاسلامية في عهد النبوة، متاح على موقع/www.shms.sa

13.عتوم، رند(2020)، ما هو الفكر السياسي، متاح على الموقع الالكتروني/https// e3arabi.com:

14.العصيمي، ايمان(د. ت)، نظام الحكم في الاسلام، بدون تاريخ النشر، متاح على الموقع/ https// drive.ugn.edusa:

15.العقلة، إحسان(2015)، مفهوم السياسة – دراسة الظواهر السياسية بمنهج علمي تجريبي، ٧ ديسمبر ٢٠١٥، https://mawdoo3.com

16.العقيلي، ميثم (2018)، مفهوم السياسة،2018-06-16، https://shafaq.com

17.عمر، رمضان(2015)، الفكر السياسي في عصر النبوة- قراءة في منهج المصطفى(ﷺ) في بناء الدولة، شبكة الالوكه، متاح على موقع/www.alukah.net

18.قاموس الضاد(2020)، الانسان مدني بالطبع، متاح على موقع https// web.archive.org:

19.كاظم، عمار(2019)، الاسلام واحترام العهود والمواثيق، متاح على موقع/www.balagh.com

20.محمد، عيسى امين(2007)، قيادة الرسول(ﷺ) والفكر العسكري الحديث، متاح على موقع/.https //midad com:

21.مشاعل، د. الشيخ علي(1435هـ)، اسس الدولة الاسلامية الاولى، حلب، سوريا،متاح على الموقع الالكتروني/www.khutabaa.com

22.المقداد، الشيخ محمد توفيق (2016)، ادارة الدولة في عهد النبي، مركز اشعاع الاسلامي، على موقع الالكتروني/www.islam4u.com

23.موسى، عبدالله(2018)، ملامح المجتمع المدني في حكومة رسول(ص)،شبكة النبأ المعلوماتية، مجلة النبأ، العدد(58)،متاح على موقع/www.m.annabaa.org

24.الموقع اعلم ان الانسان مدني بالطبع (2020)/www.islam-web.net

25.الموقع المدني(2020)/ aeabiclexicon.hawramani.com//https:

26.الهلول، جبر(2016)، الاسس التي قامت عليها دولة المدينة المنورة، متاح على موقع/www.slideshare.net

27.الهلول، جبر(د. ت)، المنهج النبوي في تنظيم دولة المدينة، المعرفة والمواجهة، متاح على الموقع/ doc. garb- alhallul.blogspost.com

الثقافة المقاصدية لفلسفة الاقتصاد الإسلامي ودورها في معالجة الأزمات الاقتصادية

أ.م.د. أياد كامل الزيباري

دكتوراه في الفقه وأصوله – جامعة زاخو / فاكولتي العلوم الإنسانية /قسم الدراسات الإسلامية

ayad.kamil@uoz.edu.krd

الملخص

إن هذا البحث يعد إسـهاماً متواضـعاً في دراسـة الثقافة المقاصـدية لفلسـفة الاقتصـاد الإسـلامي ودورها في معالجة الأزمات الاقتصـادية، وذلك في توجيه الأفراد والمؤسـسـات المالية والاقتصـادية إلى قواعد الكسـب الحلال، وطرق استثمار المال القائمة على القواعد الشرعية، لأن فلسفة الاقتصاد في الإسلام مرتبطة ومحددة بجملة المقاصد الشرعية، فإن إعمال فقه المقاصد واستحضاره هو مما يعمل على حل المعضـلات الاقتصـادية المعاصـرة وتكييف القضـايا المستجدة، وإن المقصـد الأعظم الذي أثبتته الشـريعة في مجال المعاملات المالية والاقتصـادية هو تحقيق وظيفة الاسـتخلاف في الأموال، مما يقتضـيه هذا المبدأ في الاقتصـاد الإسـلامي حفظ المال وإقامة العدل والتداول في المعاملات المالية، لأن ذلك ما يكفل دوام أحكام الشريعة وصلاحها لكل زمان ومكان.

Summery

This study is a modest contribution to the study of the purposeful culture of the Islamic economic philosophy and its role in dealing with economic crises by guiding individuals and financial and economic institutions to the rules of halal gain and the methods of investing money based on Shari'ah rules, because the philosophy of economics in Islam is linked and limited to some legitimate purposes. The realization of the jurisprudence of the purposes is to solve the current economic dilemmas and adapt the emerging issues, and the greatest purpose proven by the Sharia in the field of financial and economic transactions is to achieve the function of fragmentation of funds. it is a principle in the Islamic economy which has to preserve money, administer of justice and deliberate in financial transactions as this ensures the continuation of the provisions of the law and its validity for all times and places

.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فإن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وتكمن صلاحيتها في قدرتها على مواكبة حياة الناس وإيجاد الحلول لمشاكلهم المستجدة وتقديم البديل لكل ما يواجههم، وتكفل بتحقيق مصالح العباد في كل زمان ومكان.

تكتسب الشؤون الاقتصادية، وقضايا المال ونظام المعيشة، أهمية خاصة في الشريعة الإسلامية، وفي الفكر والثقافة الإسلامية، لأهميتها في حياة الإنسان، واستقرار المجتمع، وتطور المجالات الحياتية الأخرى، لذا حددت الرسالة الإسلامية أسس المذهب الاقتصادي في الإسلام، وثبّتت معالمه وأخلاقيته من خلال القوانين والأحكام، والمفاهيم والأخلاق المتعلقة بالعمل والإنتاج والإنفاق والاستهلاك، والتعامل مع المال والثروة.

واعتبرت الشريعة الإسلامية العمل والإنتاج من مهام الإنسان الأساسية، وعدته واجباً لتحقيق المستوى اللاّئق من العيش، ولتوفير مستلزمات الحياة الخاصة للفرد والمجتمع، ووضعت الشريعة الإسلامية أسساً وقيماً لتنظيم الإنتاج والتوزيع والادخار والاستهلاك والإنفاق للحفاظ على استقرار اقتصاد الفرد والمجتمع والدولة، وتجنب المخاطر السياسية، والأمنية والصحّية والاجتماعية. وذلك لأن للاقتصاد دوراً مهماً في استقرار الأمم والمجتمعات، ومستوى دخلها ومعيشتها، والناظر إلى خريطة العالم الجغرافية يجد أنه يوجد فيه أنظمة اقتصادية مختلفة كالنظام الرأسمالي أو اقتصاد السوق كما يسميه البعض وغيرهم،وهي كلها أنظمة اقتصادية من اجتهاد البشر، قابلة للتغيير والتعديل بل والزوال، بخلاف النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يستمد أصوله ومبادئه من الدين الإسلامي الذي هو العاصم الوحيد لأمتنا عندما تتمسك به من التردي في هاوية النظم الاقتصادية الهدامة، ويضمن لها في الوقت نفسه التقدم والتنمية والاستقلال الاقتصادي المنشود ووضع الحلول لمعالجة الأزمات الاقتصادية وهو خال من الربا والاستغلال والتسلط.

أهمية الموضوع:

1. تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعالج موضوعاً هاماً أدى إلى حدوث انهيارات كبيرة في اقتصاديات العالم وارتفاع نسبة البطالة.
2. رغب الإسلام في أن يبذل الإنسان جهد جهيد وعمل مستمر ومثابرة إلى إنتاج الطيبات حتى يعيش حياة رفاهية كريمة في الدنيا ويهنئ بها في الآخرة، ولأن العمل والإنتاج من مهام الإنسان الأساسية وعدته الشريعة الإسلامية واجباً لتحقيق المستوى اللائق من العيش.
3. راعى الاقتصاد الإسلامي كل القيم الأخلاقية والمبادئ في تنمية الاقتصاد، وهو يستمد أصوله ومبادئه من الدين الإسلامي الحنيف.

4. الاقتصاد قوام الحياة الإنسانية وبه تكون عمارة الأرض واستخلافها، لأن الاقتصاد الإسلامي يقوم على أمور يفقدها غيره من الأنظمة الأخرى، وفيه حرية اقتصادية منضبطة بالقيم والأخلاق الشرعية،ويقوم على التكافل الاجتماعي بما شرعه من مجالات الإنفاق الواجبة أو المستحبة.
5. تكتسب الشؤون الاقتصادية وقضايا المال ونظام المعيشة أهمية خاصة في الشريعة الإسلامية وفي الفكر والثقافة الإسلامية، لأهميتها في حياة الإنسان، واستقرار المجتمع، وتطور المجالات الحياتية الأخرى.
6. تختلف رؤية الإسلام لمشكلة التنمية الاقتصادية عن رؤية الأفكار الواضحة الأخرى، لأن الله قد سخر الموارد الكافية للإنسان ولكن المشكلة تكمن في ظلم الإنسان لنفسه وكفرانه بالنعمة الإلهية من خلال سوء التوزيع وإهمال استثمار الطبيعة.
7. أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ترشدنا إلى طريق الصواب وحل أي مشكلة اقتصادية مالية يتعرض لها اقتصادنا.
8. لقد حددت الرسالة الإسلامية أسس المذاهب الاقتصادية في الإسلام، وثبتت معالمه وأخلاقيته من خلال القوانين والأحكام والمفاهيم والأخلاق المتعلقة بالعمل والإنتاج والإنفاق والاستهلاك والتعامل مع المال والثروة.
9. وضعت الشريعة الإسلامية أسساً وقيماً لتنظيم الإنتاج والتوزيع والادخار والاستهلاك والإنفاق للحفاظ على استقرار اقتصاد الفرد والمجتمع والدولة، وتجنب المخاطر السياسية والأمنية والصحية والاجتماعية.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ولكل ميادين ومجالات الحياة، وفيه حل لكل المعضلات، والاقتصاد الإسلامي جزء أساسي منها، وشرع الإسلام أروع النظم الاقتصادية يتبادل الناس بها جميع أنواع العقود المباحة.
2. بيان رؤية فلسفة الاقتصاد الإسلامي الواضحة لحل مشكلة الأزمة المالية وتنمية الاقتصاد من خلال الضوابط الشرعية التي وضعها الشريعة الإسلامية، ولأن المال قوام الأبدان وسبباً لبقاء الأجسام وحياة البشر، وسر رفاهيتهم ووسيلة لجلب مصالحهم.
3. بيان وكشف أسباب الأزمة المالية ومعالجتها من خلال منظور فلسفة الاقتصاد الإسلامي ومقاصدها المعتبرة.
4. الدولة الإسلامية واجبة عليها كفالة الفقراء والمحتاجين من خزينة الدولة وبيت مالها، ومبدأ الكفالة والضمان ثابتة في الشريعة الإسلامية، ويتحمل أفراد المجتمع الإسلامي مسؤولية التضامن فيما بينهم لمواجهة الفقر والحاجة.

أهداف الموضوع:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان فلسفة الاقتصاد الإسلامي ومكوناتها الأساسية.
2. التعرف على مفهوم الأزمة المالية وأسبابها وعلاجها من خلال معالم المشروع الإسلامي الاقتصادي البَناء.
3. إثبات أن تشريعنا المالي الإسلامي قد وضع الأسس لأعدل سياسة مالية ونقدية يمكن أن تنتهجها الدولة ولا حاجة بنا أن نستورد أفكاراً ونظريات مالية مخالفة لشريعتنا.

4. بيان مكانة المال في الشريعة الإسلامية وأنه يعد أحد كليات مقاصد الشريعة الخمس الضرورية، والتي قصدت الشريعة الإسلامية تحقيقها في الأموال والمعاملات المتعلقة بها عدة أمور منها: رواج المال ووضوحه وحفظه وثباته والعدل فيها، وذلك لتحقيق المقصد الأعظم من تسخير الأموال وهو مقصد الاستخلاف فيها.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، حيث أشرت في المقدمة إلى أهمية الموضوع وسبب اختياري له وأهداف الموضوع.

إما المبحث الأول: يعد مدخلاً لدراسة الموضوع ببيان مدلولاتها، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الثقافة المقاصدية.

المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الثالث: مفهوم الأزمة المالية.

المبحث الثاني: فلسفة ومبادئ السياسيات الاقتصادية الإسلامية ومكوناتها، ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: نشأة وفلسفة الاقتصاد الإسلامي

المطلب الثاني: مبادئ وخصائص الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الثالث: مصادر وأخلاقيات الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الرابع: السياسيات الاقتصادية ومكوناتها في الإسلام.

المبحث الثالث: الأزمات الاقتصادية أنواعها وأسبابها وسبل معالجتها من خلال معالم المشروع الإسلامي الاقتصادي، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: أنواع الأزمات الاقتصادية.

المطلب الثاني: أسباب الأزمات الاقتصادية.

المطلب الثالث: المشروع الإسلامي لحل الأزمات الاقتصادية.

المبحث الرابع: الثقافة المقاصدية للسياسات الاقتصادية في الشريعة الإسلامية، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم المقاصد وأنواعها ومدى ارتباطها بالأموال.

المطلب الثاني: نظرية مقاصد الشريعة للمال وحفظه.

المطلب الثالث: مقاصد الشارع للعدل والتداول والاستخلاف للأموال.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها أثناء كتابة البحث.

المبحث الاول

يعد مدخلاً لدراسة الموضوع ببيان مدلولاتها، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول

مفهوم الثقافة المقاصدية

عبارة المقاصدية هنا هي نسبة إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، ومقاصد الشريعة هي غايات الشريعة وأهدافها وحِكمها وأسرارها [1] المبثوتة في النصوص والأحكام ومختلف القرائن والمعطيات الشرعية. ومثال ذلك إجمالاً وعموماً مقصد حفظ الأمن والسلم، ومقصد التعاون والتعارف بين الناس، ومقصد حفظ أموال الناس.

وتنظم هذه المقاصد ضمن مجموعة من القواعد والضوابط والوسائل والكيفيات والمستلزمات التي تشكل ما يصطلح عليه بعلم مقاصد الشريعة، ويكون الوعي بهذه المقاصد والإلمام بمسائلها وتفاصيلها مُشَكِّلاً لزاد معرفي ولرصيد تجريبي يمكن أن نطلق عليه اسم الثقافة المقاصدية، أي أن الإنسان العارف بغايات الشريعة وأهدافها المتنوعة وبأسرار أحكامها، يمكن أن نطلق عليه عبارة المثقف المقاصدي أو الحائز لمعرفة لا بأس بها في مجال مقاصد الشريعة الإسلامية [2].

المطلب الثاني

مفهوم الاقتصاد الإسلامي

1- الاقتصاد في اللغة: مأخوذ من القصد وهو استقامة الطريق والعدل، والقصد في الشيء خلاف الإفراط؛ وهو ما بين الإسراف والتقتير [3]، قال تعالى ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [4]، أي توسط فيه بين الدبيب والإسراع [5]، وقال تعالى ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [6]، أي من أهل الكتاب أمة معتدلة فليست غالية ولا مقصرة [7].

(1) د.نور الدين الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، ص77.

(2) المصدر نفسه، ص77.

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص354؛ والفيروز آبادي، والقاموس المحيط، ص396.

(4) سورة لقمان:الآية (19).

(5) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص424.

(6) سورة المائدة:الآية (66).

(7) ينظر: تفسير البغوي ج3، ص424.

وهذا المعنى " أي التوسط في الأشياء والاعتدال فيها " هو مضمون علم الاقتصاد وجوهره، والهدف الذي يقصد إليه، وهو ما نصت عليه الآيات القرآنية في العديد من المواضع. كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [3].

2-وفي الاصطلاح: الأحكام والقواعد الشرعية التي تنظم كسب المال وإنفاقه وأوجه تنميته [4].

وقيل مجموعة الأصول الاقتصادية العامة التي نستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر [5] وقد يُعرَّف بحسب غايته وهدفه ومن ذلك تعريفه بأنه: العلم الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه [6].

ونستطيع القول بأن أنسب التعريف للاقتصاد الإسلامي هي مجموعة الأحكام والقواعد والسياسيات الشرعية التي تنظم كسب المال وإنفاقه وتنميته وتصرف الإنسان فيه.

المطلب الثالث

مفهوم الأزمة المالية

بالرغم من عدم وجود تعريف محدد للأزمة المالية إلا أن معظم التعاريف تتفق على أنها اختلالا واضـــطراباً ومفاجئاً في بعض التوازنات الاقتصادية، يتبعها انهيار في المؤسسات المالية.

وعرف الأزمة المالية بأنها اضطراب حاد ومفاجئ في أسعار نوع أو أكثر من الأصول سواء كانت مادية أو مالية أو حقوق ملكية للأصول المالية (المشتقات المالية) [7]، أو هي التدهور الحاد في الأسواق المالية لدولة ما أو مجموعة من الدول [8].

وقيل في تحديد ماهية الأزمة المالية هي حالة تمس أسواق البورصة وأسواق الائتمان لبلد معين أو مجموعة من البلدان، وتكمن خطورتها في آثارها على الاقتصاد مسببة بدورها أزمة اقتصادية تم انكماش اقتصادي عادة ما يصاحبها انحصار القروض أزمات السيولة والنقدية وانخفاض في الاستثمار وحالة من الذعر والحذر في أسواق المال [9].

(1) سورة الفرقان:الآية (67).
(2) سورة الإسراء:الآية (29).
(3) سورة الأعراف:الآية (31).
(4) د.مسفر علي القحطاني، النظام الاقتصادي في الإسلام، ص1.
(5) د.محمد العربي، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، ج1، ص14.
(6) د.محمد الفنجري، المذهب الاقتصادي في الإسلامي، ص300.
(7) يوسف وكاظم حسين الأسدي، تحليل ظاهرة الأزمات المالية وسبل الإحاطة منها، ص 28.
(8) عرفات تقي الحسني، التمويل الدولي، ص200.
(9) د.الداوي الشيخ، الأزمة المالية العلمية انعكاساتها وحلولها، ص3.

المبحث الثاني

فلسفة ومبادئ السياسيات الاقتصادية الإسلامية ومكوناتها، ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول

نشأة وفلسفة الاقتصاد الإسلامي

أولاً: نشأة علم الاقتصاد الإسلامي: من المقرر أن الإسلام نظم حياة الأفراد بما يحقق لهم مهمة الاستخلاف، وعبودية الله عز وجل في الأرض ولم يدع مجالاً من مجالات الحياة إلا وبيّن ما يحتاجه الإنسان من أحكام وتصورات تحقق الكثير من المصالح الدنيوية والأخروية. ومن ذلك تنظيم احتياج الناس لكسب المال وتوفير الاحتياجات الحياتية الخاصه بهم.

وقد كانت حياة النبي (ﷺ) هي الأنموذج الأمثل لتطبيق هذا التشريع الاقتصادي وكذلك حياة الخلفاء الراشدين. إلا أن الحياة والمشكلات الاقتصادية في الصدر الأول كانت محدودة لأمرين:

فقر البيئة وتواضع الأنشطة الاقتصادية (كالرعي والتجارة المحدودة – والزراعة القليلة).

قوة الوازع الديني في النفوس فلا تجد غشاً ولا تدليساً ولا غبناً ولا احتكاراً. ولكن مع توسع المعاملات بين الناس وازدهار التجارة والصناعة، وانفتاح المجتمعات والدول على بعضها البعض، وضعف الوازع الديني والإيمان بالله، وظهور الحيل والخديعة في معاملات الناس، استجدت قضايا اقتصادية تختلف تماماً عما عاشه سلف الأمة؛ كالشركات الحديثة وبيوع الأسهم والبورصات والمعاملات المصرفية وغيرها، إضافة إلى الحاجة لضبط معاملات الناس وعقودهم لكي لا تفضي إلى النزاع والخلاف، مما أدى إلى اهتمام العلماء بدراسة هذا العلم وبحث قضاياه ومعالجة مشكلاته [(1)].

وفي بداية القرن العشرين ظهرت مذاهب اقتصادية تبنتها دول عظمى تريد الثروة واستعمار خيرات الشعوب أشهرها النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي. أما النظام الإسلامي فقد تضعفت بسبب هيمنة الدول الأجنبية على بلاد المسلمين، وإقصائهم للشريعة الإسلامية من التطبيق والتحكيم في شؤون الحياة. أما النظام الاشتراكي فقد تلاشى نفوذه وانتهى إلى غير رجعة لأنه كان يحمل عوامل فنائه في داخله وما زال النظام الرأسمالي يحتل السيطرة على اقتصاد أكثر دول العالم في الفترة الراهنة وقد لا تطول هذه الفترة بسبب تهديد الأزمات الاقتصادية المتفجرة من حين لآخر [(2)].

ثانياً: فلسفة الاقتصاد الإسلامي: تقوم فلسفة الاقتصاد الإسلامي على الأسس الآتية [(3)].

---

(1) د.مسفر علي القحطاني، النظام الاقتصادي في الإسلام، ص2.

(2) ينظر: د.عبد الله عبد المحسن الطريقي، الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف، ص 21-25؛و د. محمد أحمد العساد ود. فتحي أحمد عبد الكريم، النظام الاقتصادي في الإسلام (مبادئه وأهدافه)، ص-15.

(3) د.علي محي الدين القره داغي، حقيبة طالب العلم الاقتصادية، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص139-145.

1. أن ملكية وسائل الإنتاج بما فيها الإنسان هي في حقيقته لله تعالى، فالكل مخلوق لله تعالى وحده، ومملوك له ملكية مطلقة، وملكية القدرة على التصرف المطلق، فالكون كله بموارده الطبيعية وطاقاته ملك لله تعالى، وإنما الإنسان مستخلف أعطاه الله تعالى حق الملكية والتصرف لتحقيق التعمير.
2. أن الله تعالى الخالق المالك قد خلق هذا الكون للإنسان، وسخره له، لذلك أذن له بالتصرف فيه، وفي موارده وطاقاته، وفي سمائه وفضائه.وهذا يترتب عليه أمران:

أ- إتاحة الفرصة للجميع دون تفرقة، وذلك من عدل الله تعالى.

ب-إن درجات التفاوت في التسخير والتمكين والرفاهية تعود إلى من يأخذ بسنن القوة والنصر، والتسخير والتمكين أكثر من غيره من حيث العلم والعمل والقدرة على فك رموز الكون.

3. أن الهدف والغاية والحكمة من خلق الإنسان هو تحقيق العبودية لله تعالى، بمعناها الشامل لكل عمل صالح يراد به تعمير الكون على ضوء منهج الله، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1]، أي أن مقاصد خلقه في نظر الإسلام هي أن يكون عبداً صالحاً لله تعالى ومصلحاً ونافعاً غير مفسد ولا ضار.
4. أن رسالة هذا الإنسان المخلوق على أحسن تقويم-الذي خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه-هي الاستخلاف والاستعمار فقال تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2]، وقال تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [3].
5. توجيه العقيدة والعبادات والشعائر نحو تغيير السلوك، والتأثير إيجابياً في تفكير الإنسان، ودفعه نحو الاقتصاد والتنمية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية.
6. إن نعم الله تعالى-بما فيها النعم المادية أو ما يسمى بالموارد الطبيعية-كافة بل هي كثيرة لا تعد ولا تحصى.
7. إن الأصل في جميع الأشياء والأعيان الإباحة، فقد قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [4]، بل إن مقتضى التسخير الإباحة والتمكين من كل ما في الكون إلا ما دل دليل خاص من الكتاب والسنة الصحيحة على حرمته.
8. السعي الحثيث لتحقيق ما هو أوسع من مفهوم الرفاهية في الاقتصاد الوضعي. وهو ما يسميه الإسلام بحسنتي الدنيا والآخرة، والحسنة والخير، والزينة والطيبات، والسعادة في الدنيا، إضافة إلى سعادة الآخرة، فقال تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [5]، وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [6].

(1) سورة الزاريات: الآية (56).
(2) سورة البقرة: الآية (30).
(3) سورة هود: الآية (61).
(4) سورة الجاثية: الآية (13).
(5) سورة البقرة: الآية (201).
(6) سورة الأعراف: الآية (32).

9. الوســـطية والتوازن بين الدنيا والآخرة، وبين الحرية والتقييد، كما عبر عن ذلك قوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [1].

10. تحقيق التكافل الاجتماعي والإنساني والاقتصادي للجميع.

هذه الأسس العشرة هي التي بحق تجسيد رؤية الاقتصاد الإسلامي وفلسفته، تماماً وتجعله اقتصاداً مميزاً.

المطلب الثاني

مبادئ وخصائص الاقتصاد الإسلامي

أولاً: مبادئ الاقتصاد الإسلامي:

1. الملكية المزدوجة، الخاصـــة والعامة: الأصـــل في الملكية التامة أنها لله فهو الله الخالق، لا شـــريك له في ملكه، الرازق الواهب المانح المانع، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [2]، وقال تعالى ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [3]، وقال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [4].

فالمالك عز وجل استخلف البشر في ماله، وجعل لهم حق المنفعة والتصرف.وهذا الحق جُعِل في بعض الأموال للأفراد، وهو ما يعرف بالملكية الخاصة، وفي بعضها الآخر جعل للجماعة أو الدولة، وهو ما يعرف بالملكية العامة.

2. التكافل وضـمان الكفاية: قال الرسـول (❐) (مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةً فَلْيَتَزَوَّجْ أَوْ خَادِمًا فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا أَوْ مَسْـكَنًا فَلْيَتَّخِذْ مَسْكَنًا أَوْ دَابَّةً فَلْيَتَّخِذْ دَابَّةً) [5].

وهذا يتأول على وجهين: أحدهما: أنه أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التي هي أجرة مثله، والوجه الآخر: أن للعامل السكنى والخدمة، فإن لم يكن له مسكن ولا خادم استؤجر له من يخدم فيكفيه مهنة مثله، ويُكترى له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله [6].

وقد نجد من الأعمال ما لا يحقق عائداً لصـــاحب العمل يمكنه من إعطاء العامل أجراً يفي بتمام كفايته هو ومن يعول، وهنا يأتي دور الدولة، فعليها أن تضمن للعامل تمام الكفاية إذا كان أجره العادل لا يكفيه، والعاجزون عن العمل لهم أيضاً تمام كفايتهم، ويكون هذا من نفقات الأقارب الواجبة، وإلا فمن الزكاة أو بيت المال.

---

(1) سورة القصص: الآية (72).

(2) سورة البقرة: الآية (29).

(3) سورة النور: الآية (33).

(4) سورة التوبة: الآية (103).

(5) أحمد، المسند، رقم الحديث (18017).

(6) د. علي أحمد السالوس، القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، ص32.

3. الحرية المقيدة: الحرية مبدأ من المبادئ الهامة في الاقتصاد الإسلامي، فالمسلم حر في اختيار العمل الذي يناسبه، وطرق الكسب التي يستريح لها، والتملك الذي يفضله، والإنفاق الذي يشبع رغباته.

وهذه الحرية التي تتعارض تماماً مع النظام الماركسي، ليست مطلقة كالنظام الرأسمالي الحر، وإنما هي مقيدة في حدود مبدأ الاستخلاف، وتضبطها أحكام التشريع الإسلامي من الحلال والحرام.

فالمسلم الوكيل يتصرف في الحدود التي يسمح بها الموكل، فليس من حق المسلم أن ينتفع بالمال أو يتصرف فيه إلا بما شرعه مالك المال حقيقة، وهو الله عز وجل الذي استخلفه في هذا المال، وإذا لم يراقب الله فمنع حقاً أو ارتكب حراماً، جاء دور الشق الثاني من الرقابة المزدوجة، الرقابة البشرية التي تقوم بها الدولة المسلمة [1].

ثانياً: خصائص الاقتصاد الإسلامي:

1. أنه ربانية المصدر والمرجعية: حيث أخذ أصوله وغاياته من الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، والإجماع الصحيح، وقال ابن تيمية استقرأنا موارد الإجماع فوجدناها كلها منصوصة، وكثير من العلماء لم يعلم النص، وقد وافق الجماعة، كما أنه قد يحتج بقياس وفيها إجماع ولم يعلمه فيوافق الإجماع [2].

ومع هذه المرجعية فإن مجال الاجتهاد في الاقتصاد علماً ونظاماً ونظرية واسع جداً، سواء كان الاجتهاد مبنياً على القياس، أم المصالح المرسلة، أم الاستحسان، أم العرف، ومراعى فيه مقاصد الشريعة.

2. الجمع بين ربانية المصدر وبشرية الاجتهاد بضوابط: وبذلك تجعل الاقتصاد الإسلامي اقتصاداً له ثوابته التي لا تتغير، وبالتالي يكون لها الاستقرار والالتزام بالمنظومة العقدية والقيم الأخلاقية السامية وبالمبادئ والغايات السامية، كما يكون له التطور والحداثة والازدهار، فهو اقتصاد رباني في مصدره ومرجعيته، واجتهاد بشري منضبط بضوابط الشرع في معظم فروعه ومسائله، وجزئياته، وفي آلياته ووسائله. وبالتالي فهو يجمع بين الثوابت والمتغيرات وبين الأصالة والمعاصرة وبين القديم الصالح والجديد النافع، كما أنه اقتصاد مرن قابل للتطوير، واستيعاب جميع الأفكار الصالحة للتعمير، وجامع بين الاعتماد على الوحي في مبادئه وأسسه وأحكامه وبين العقل الذي له دور فعال [3].
3. ارتباطه بالقيم الأخلاقية: فالاقتصاد الوضعي قد انفصل منذ قرون عن القيم الروحية والأخلاقية، وبني على المصالح المادية الفردية أو الجماعية، واما النظام الإسلامي في مجال الاقتصاد استهدافه لأهداف أخلاقية بدلاً من هدف الإنتاج، والربح المادي، وجعل الدوافع الأخلاقية والإنسانية محركات للنظام، وتوليد شعور أخلاقي يساعد على حسن تنفيذ النظام [4].

(1) المصدر نفسه، ص33.
(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج19، ص196.
(3) د.علي محي الدين القره داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ص151.
(4) محمد مبارك، كتاب الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، ص157.

4. الوسطية والتوازن: والوسطية في مآلاتها هي التوازن، وهو التوازن بين المثالية والواقعية، وبين المادية والروحية، حيث يجمع بينهما، وبين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ومصلحة الدولة، وبين مصلحة الأغنياء ومصلحة الفقراء، فالاقتصاد الإسلامي ليس اقتصاد الأغنياء دون الفقراء كما هو الحال في الاقتصاد الرأسمالي الحر ولا اقتصاد الفقراء ضد الأغنياء كما في الاقتصاد الشيوعي، بل هو اقتصاد لمصلحة الطرفين في الدنيا والآخرة في توازن مبدع، وانسجام بديع، وتكامل رائع، وحركة رائدة، كما أنه هو التوازن بين الثبات والتطور، والأصالة والمعاصرة [1].

المطلب الثالث

مصادروأخلاقيات الاقتصاد الإسلامي

أولاً: مصادر الاقتصاد الإسلامي: إن الاقتصاد الإسلامي علماً ونظاماً ونظرية وتطبيقاً قد أُخذ ويؤخذ ويستنبط من الكتاب والسنة، ومن الاجتهاد الشامل للقياس والمصالح المرسلة والاستحسان والعرف وسد الذرائع والاستصحاب، وإن معظم مسائله اجتهادية، يقول إمام الحرمين (فإن معظم الشريعة أي الفقه صدر عن الاجتهاد) [2]، وإن في ذلك رحمة للعباد حتى يكون هناك سعة في دائرة الاجتهاد، وبذلك يتحقق أكبر قدر ممكن من المرونة والتطور مع الثوابت والأصالة.

ثانياً: أخلاقيات الاقتصاد الإسلامي: يمتاز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من الاقتصاديات الوضعية على تأكيد على أمر الخلق في كافة المعاملات التجارية والمالية بل جعلها سبب معنوياً لنمو الاقتصاد ففي سورة نوح جعل الله سبحانه وتعالي الإنابة إليه واستغفاره سبب للمدد والفتح الإلهي فقال سبحانه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [3].وجعل تقوى الله سببا للفرج والرزق فقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [4] وجعل سبحانه أن ارتكاب الموبقات والمعاصي سبب لمحق الرزق وإذاقة الناس الخسارة والبوار فقال سبحانه وتعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [5].ومن قرأ سيره الحبيب المصطفي (ﷺ)، يجدها مليئة بالأحاديث التي تقرر هذا المبدأ وتأكده منها قوله (ﷺ)، (إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ) [6].وأمرنا بالسماحة في البيع والشراء بقوله (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) [7].وقوله (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ

(1) ينظر: د.علي محي الدين القرده داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ص156؛ود.علي أحمد السالوس، القضايا الفقهية المعاصرة، ص24-25.
(2) الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج2، ص37.
(3) سورة نوح: الآية (10-12).
(4) سورة الطلاق: الآية (2).
(5) سورة الروم: الآية (41).
(6) مسلم، المسند الصحيح، كتاب البيوع، باب النهي عن الحلف في البيع الْبَيْعِ، رقم الحديث (4133)
(7) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء، رقم الحديث (2076)

عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) [1]، وقوله (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) [2] متفق عليه. وكل هذه أشياء لا يدركها الماديون الذين لا يفهمون إلا بالمحسوسات ومثلهم كمثل الطفل لا يستطيع أن يدرك إلا ما رأته عينيه.

المطلب الرابع

السياسيات الاقتصادية ومكوناتها في الإسلام.

أولاً: تعريف السياسة الاقتصادية هي: التدابير الاقتصادية التي تختارها الدولة لتحقيق أهداف النظام الاقتصادي للدولة [3].

ثانياً: المكونات الأساسية للسياسات الاقتصادية في ظل الاقتصاد الإسلامي: إن السياسيات الاقتصادية في الإسلام تلتزم بالقيم السامية، والأخلاق والسلوكيات المستقيمة، والمبادئ الأساسية، ولكنها تبنى على مجموعة من السنن والحقائق، والعناصر والتدابير المؤثرة، ومن أهمها [4].

1. التخطيط السليم القائم على وضع الخطط الإستراتيجية والمرحلية والقائمة على الدراسات العميقة والبحوث الدقيقة، والإحصائيات الشاملة للسكان، ولكل ما يتعلق بالموضوع، وعلى مستلزمات النجاح.
2. الوسائل التي تستعملها الدولة في سبيل الوصول إلى الأهداف المتوخاة، والتدابير والإجراءات القانونية والفنية لتحقيق مقاصد الشريعة من الضروريات والحاجيات والتحسينات.
3. وضع الأهداف الإستراتيجية والمرحلية التي يراد تحقيقها، مثل زيادة الإنتاج، أو تحقيق التنمية الشاملة وغير ذلك.
4. فقه الموازنات والأولويات من خلال التوازن بين أنواع السياسات الصناعية والزراعية والتجارية، ثم التوازن بين الآثار السلبية والآثار الإيجابية، ودراسة العقبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ونحوها، ووضع الحلول الناجعة لكل عقبة، والاستفادة من تجارب الآخرين.
5. عدم التوقف عند مرحلة معينة، بل ضرورة السعي الدائم للوصول إلى الأحسن في كل شيء.
6. العناية بالموازنات المالية للدولة، ووضع الميزانية المناسبة لإنفاقها وحاجياتها، إذ ليس هناك عمل ناجح دون ميزانية مناسبة، تتوافر فيها الدقة والضبط، يضعها الخبراء، ويشرف على تنفيذها المخلصون الأكفاء.

(1) الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، رقم الحديث (2344)

(2) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم الحديث (2067)

(3) د.علي محي الدين القرده داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص423.

(4) ينظر: د.علي محي الدين القرده داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص427-446؛ ود.عوف محمود الكفراوي، السياسة المالية والنقدية في ظل الاقتصاد الإسلامي، ص182-209.

المبحث الثالث

الأزمات الاقتصادية أنواعها وأسبابها وسبل معالجتها من خلال معالم المشروع الإسلامي الاقتصادي، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول

أنواع الأزمات الاقتصادية

هناك أزمات مالية كثيرة ومن أهمها [1]:

1-الأزمات المصرفية: وتتخذ شكلان: أزمة السيولة: تحدث أزمة السيولة عندما يفاجئ بنك ما بزيادة كبيرة في طلب سحب الودائع، وبما أن البنك يقوم بإقراض أو تشغيل معظم الودائع لديه ويحتفظ بنسبة بسيطة لمواجهة طلبات السحب اليومي، فلن يستطيع بطبيعة الحال الاستجابة لطلبات المودعين إذا ما تخطت تلك النسبة، وبالتالي تحدث الأزمة، وإذا امتدت إلى بنوك أخرى، تصبح تلك الحالة أزمة مصرفية.

وأزمة الائتمان: وتحدث لما تتوافر الودائع لدى البنوك وترفض تلك البنوك منح القروض خوفاً من عدم قدرتها على الوفاء بطلبات السحب تحدث أزمة في الإقراض.

2-أزمات أسواق المال حالة الفقاعات: يحدث هذا النوع من الأزمات في أسواق المال بسبب ما يعرف اقتصادياً بظاهرة (الفقاعة) أي عندما ترتفع أسعار الأصول بحيث تتجاوز قيمتها العادلة، على نحو ارتفاع غير مبرر، وهو ما يحدث عندما يكون الهدف من شراء الأصل هو المضاربة على سعره وليس شراء من أجل الاستثمار لتوليد الدخل، وهنا يصبح انهيار أسعار هذه الأصول مسألة وقت فقط، حيث لما يكون هناك اتجاهاً قوياً لبيع تلك الأصول تبدأ أسعارها في الهبوط، ومن ثم تبدأ حالات الذعر في الظهور فتنهار الأسعار ويمتد هذا الأثر نحو أسعار الأصول الأخرى في ذات القطاع أو في القطاعات الأخرى.

3-أزمات العملات: وتحدث هذه الأزمات لما تتخذ السلطات النقدية قرار بخفض سعر العملة نتيجة عمليات المضاربة، مما يؤثر بشكل كبير على قدرة العملة على أداء مهمتها كوسيط للتبادل أو كمخزون للقيمة، ويكون هذا التدهور أكثر من الحدود المعقولة التي يتم اعتبارها في الغالب ما فوق 25%2 كما تسمى أيضاً هذه الأزمة بأزمة ميزان المدفوعات.

(1) د.الجوزي جميلة، أسباب الأزمة المالية وجذورها، ص2.

المطلب الثاني

أسباب الأزمات الاقتصادية

رغم أن لكل أزمة خصائصها وأسبابها إلا أن هناك عوامل مشتركة توجد في معظم الأزمات ألا وهي:

1-نقص الشفافية: ويقصد بها عدم دقة المعلومات عن أداء الكثير من الشركات والمؤسسات الاقتصادية، خاصة فيما يتعلق بالكشف عن الحجم الحقيقي للاحتياطات الدولية من العملات الأجنبية، مما يؤدي إلى فقدان الثقة وهروب رؤوس الأموال إلى الخارج [1].

2- نقص أو انعدام الرقابة على المؤسسات المالية: يقول الغزالي: في الوقت الذي انخفضت فيه أسعار العقارات، ومن ثم غرق المواطنون في الديون، وأصبحت المؤسسات النقدية على مشارف الإفلاس، وساعد على هذا الوضع المتأزم أربعة عوامل: الأول يتمثل في شبه غياب الرقابة من قبل السلطات النقدية على العمل المصرفي، والثاني يتركز في المضاربات المحمومة في "وول ستريت"، والثالث يدور حول انتشار استخدام أدوات مالية مبتكرة يرفضها شرعُنا الحنيف، وهي المشتقات، والرابع ينحصر في فساد الإدارة العليا في كثير من هذه المؤسسات؛ مما جعلها لا تهتم كثيرًا بالقواعد المصرفية قدر اهتمامها بالمرتبات الخيالية التي كانت تتقاضاها؛ فمثلاً بلغت مرتبات ومكافآت رئيس بنك "ليمان براذرز" (486) مليون دولار عن عام 2007م [2]. ومما لا شك فيه أن سياسات التحرير المالي ساهمت في زيادة حدة هذه المشكلة.

3-انتشار الفساد الأخلاقي مثل: الاستغلال والكذب والشائعات المغرضة والغش والتدليس.

4- نظام جدولة الديون بسعر فائدة أعلى، أو استبدال قرض واجب السداد بقرض جديد بسعر فائدة مرتفع وهذا يلقي أعباء إضافية على المقترض المدين الذي عجز عن دفع القرض الأول بسبب سعر الفائدة الأعلى [3].

5- التوسع في الإنفاق الاستهلاكي.

6- التوسع في منح بطاقات الائتمان (credit card) بدون رصيد.

7- تدفق رؤوس أموال ضخمة للداخل والتي يرافقها توسع مفرط وسريع في الإقراض دون التأكد من الملاءة الائتمانية للمقترضين، مما يعمل على زيادة حجم القروض المشكوك في تحصيلها لدى البنوك المحلية، وعندها يحدث انخفاض اسمي في قيمة العملة المحلية إزاء العملات القيادية، وهذا ما يؤدي إلى موجة من التدفقات الرأسمالية نحو الخارج [4].

8-وجود خلل في تطبيق السياسات النقدية والمالية الكلية الملائمة، خاصة إذا تزامن ذلك مع انعدام الشفافية والفساد والتلاعب في البيانات والقوائم المالية في المؤسسات التي تكون المبعث الأول للاضطراب [5].

---

(1) عرفان الحسني، الاقتصاد السياسي لأزمة أسواق المال الدولية، ص15.

(2) عبد الحميد الغزالي، الأزمة المالية العالمية التشخيص والمخرج، موقع سوالف نت http://www.swalif.net

(3) بلقاسم زايري، الأزمة المالية المعاصرة الأسباب والدروس المستفادة، ص7-9.

(4) قدري عبد المجيد الأزمة الاقتصادية الأمريكية وتداعياتها العالمية،

(5) بلوافي أحمد، أزمة عقار أم أزمة نظام، حوار الأربعاء بمركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي.

9- على صعيد القطاع المصرفي: عندما تتجمّع رؤوس الأموال في المصارف الربوية، فإنها تلجأ إلى ابتكار أساليب ربوية لإيقاع قطاع المستهلكين في الإقراض بالربا، والتي منها أمن منزلك، أمن سيارتك، أمن جهاز الكومبيوتر،..وقسط على عدة سنوات، وهي بذلك تدفع ضعاف الإيمان إلى الاقتراض منها، مع عدم تقديم الضمانات الكافية، كما حصل في الولايات المتحدة، حيث شهدت القروض السكنية الموجهة لضعيفي الملاءة طفرة خلال الأعوام الأخيرة.

10- على صعيد القطاع الأهلي: نتج عن الدعوات الإعلانية التي قام بها قطاع المصارف، وتوجه بها إلى القطاع الأهلي (الأسر) تأثر الكثير من أفراده بتلك الدعوات، فلو أعطينا مثالاً عن شاب تخرج من الجامعة حديثاً، ثم وجد عملاً يدر عليه دخلاً معيناً، فإنه يستطيع براتبه هذا أن يشتري منزلاً وسيارةً و.. من خلال القرض الربوي من المصرف دون النظر إلى مدى إمكانية قيام هذا الراتب بتسديد قروضه إلى الجهة التي أقرضته، ودون النظر أيضاً إلى ما قد يطرأ من أزمات مستقبلاً قد تؤثر على القوة الشرائية لراتبه، كما هو الحال بالنسبة للتضخم النقدي الذي أصاب معظم العملات النقدية لدول العالم، بسبب موجة الغلاء العالمي الحالي. وإن من يقدم على تلك الخطوة من القطاع الأهلي يجد نفسه بمرور الزمن عاجزاً عن تسديد دينه، الأمر الذي ينعكس سلباً على القطاع المصرفي، ويسهم في تفاقم الأزمة الاقتصادية [1].

11- على صعيد البورصة: إن هناك مخاطر جمة ناتجة عن الاستثمار في سوق الأوراق المالية (البورصة) حيث يصار إلى تداول الأسهم والسندات وإبرام الصفقات التجارية المرتبطة زراعية أو صناعية [2].

المطلب الثالث: المشروع الإسلامي لحل الأزمات الاقتصادية.

يمتاز المشروع الاقتصادي الإسلامي عن المشاريع الاقتصادية الأخرى بتوزيع الحلول للأزمة الاقتصادية بين كل من القطاع العام والقطاع الخاص، فلكل منهما دوره في إدارة الأزمة الاقتصادية [3]:

1- ضخ السيولة النقدية في الأسواق المالية: وتأتي هذه الخطوة لمقابلة السحوبات النقدية من المودعين، وتوفير السيولة النقدية للمصانع والشركات التي تحتاج إلى تمويل من البنوك لتمويل عملياتها الإنتاجية، إن كان لها مخاطرها على التضخم النقدي.

2- إلزام البنوك بالتوقف عن بيع الديون، بيع الديون محرم في الشريعة الإسلامية، ووضع سياسة مالية محكمة قادرة على ضبط السوق والمؤسسات المالية ضبطاً متوازناً.

3- إلزام البورصات بالتوقف عن المخالفات الشرعية، والتي منها البيع على الهامش والبيع على المكشوف والعمليات الآجلة الباتة وبيع السندات الربوية، وهذه جميعها تندرج ضمن صور المعاملات المالية المحرمة، وإحلال سياسة نقدية تقوم على الإنتاج والنمو والربح بدل الفائدة.

(1) د.حسن محمد الرافعي، دور الفكر الاقتصادي الإسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة، ص4-5.

(2) قدري عبد المجيد الأزمة الاقتصادية الأمريكية وتداعياتها العالمية.

(3) ينظر: د.حسن محمد الرفاعي، دور الفكر الاقتصادي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة، ص9؛ ود.محمد البلتاجي، مقدمات من الاقتصاد الإسلامي لمواجهة الأزمة المالية العالمية، ص10؛ود.علي محي الدين القرده داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج1، ص107؛ود.عبد الحميد البعلي، ما بعد تفكك النظام الرأسمالي، ص63.

4- إلزام المؤسسات المالية باستخدام صيغ التمويل الإسلامي وهي التي تعتمد في المصارف الإسلامية من مرابحات ومشاركات واستصناع وما شابهها من صيغ التمويل المشروعة البعيدة عن الربا.

5- إيجاد جهاز رقابي فاعل لمراقبة الأسواق.وتفعيل رقابة البنوك المركزية على البنوك التجارية.

6- نشر ثقافة الاقتصاد الإسلامي والتي منها الدعوة إلى التزام ضوابط الاستثمار والإنتاج والتوزيع والاستهلاك وفق مبادئ وقيم الشريعة الإسلامية، وترسيخ القيم الأخلاقية وتفعيلها في الأنشطة الاقتصادية والمعاملات.

7- 7إعادة النظر في هياكل النظام الاقتصادي العالمي مالياً ونقدياً ومصرفياً، وإصلاحها إصلاحاً جذرياً وفق برنامج شامل للإصلاح.

8- تصحيح العلاقات بين المتعاقدين، بحيث تقوم في المشاركات على أن الغنم بالغرم، وفي العقود الناقلة للملكية لا بد أن تقوم على التملك والتمليك الحقيقيين، وفي عقود التبرع أن تقوم على أساس التبرع دون استغلالها للاسترباح والفائدة.

أما المشروع الإسلامي المتكامل فهو يتكون من عنصرين [1]:

العنصر الأول: موقف الإسلام من أسباب هذه الأزمة واحداً واحداً، حيث يحرم كل أسباب الربا، وبيع ما لا يملكه الإنسان، والغرر والمقامرة، والمغامرة، والعقود الصورية والمارجن، والاختيارات، والمستقبليات، والسندات، والتورق ونحوها.

العنصر الثاني: يتمثل في تقديم مشروع متكامل بآلياته عن الاقتصاد الإسلامي، وحلوله العملية للركود، والتضخم، والبطالة، ومعالجة الأزمات.

(1) د.علي محي الدين القرده داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج1، ص107.

المبحث الرابع

الثقافة المقاصدية للسياسات الاقتصادية في الشريعة الإسلامية، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول

مفهوم المقاصد و أنواعها ومدى ارتباطها بالأموال

أولاً: مفهوم المقاصد: يطلق على المقاصد مقاصد الشارع، ومقاصد الشريعة، والمقاصد الشرعية، وهي كلها بمعنى واحد، نسبة إلى الشريعة الإسلامية التي أثبتتها وراعتها.

تعرض العلماء السابقون والمعاصرون للمقاصد وتكلموا فيها، إلا أن السابقون لم يضعوا لها تعريفاً محدداً بل تكلموا في آثارها وأحكامها، ويرجع ذلك إلى أن المعاني كانت حاضرة في أذهانهم وتسيل على ألسنتهم دون كد ولا تعب، ومع ذلك فقد اختلفت عبارات الباحثين في تعريفاتهم لها على النحو الآتي.

1- فقد عرفها بعضهم بأنها: (المحافظة على مقصود الشارع بدفع المفاسد عن الخلق) [1].

2- وعرفها بعضهم بأنها: (المحافظة على مصالح الناس في الدنيا والآخرة) [2].

وأما الباحثون المعاصرون فيميلون إلى التعميم في التعريف، ومن هذه التعريفات:

1- تعريف العلامة الطاهر بن عاشور، يرى بأنها: (هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص بكونها في نوع خاص من أنواع الشريعة) [3].

2- وعرفها علال الفاسي: (المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها (الشريعة)، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها) [4].

3- وذهب الصابوني إلى أنها: (الأهداف الكبرى التي ترمي إليها أحكامها العامة ومبادئها الكلية، وقد جاءت لتحقيق الرحمة والعدالة ومصالح الناس) [5]، ومعنى ذلك أن مقاصد الشريعة هي جلب المصالح ودفع المفاسد في الدنيا والآخرة، وهي عبادة الخالق وإصلاح المخلوق [6].

---

(1) الشوكاني محمد بن علي بن محمد، ت إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج2، ص 184.

(2) د. مصطفى الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ص78.

(3) ابن عاشور، محمد بن طاهر، مقاصد الشريعة، ص183.

(4) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص 111.

(5) عبد الرحمن الصابوني، مذكرات في مصادر التشريع الإسلامي وطرق استنباط الأحكام، ص511.

(6) د.نور الدين مختار الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، ص40.

وهذه التعريفات وإن اختلفت في ألفاظها، إلا أنها ترمي إلى أمر واحد وهو بيان أن للشريعة أحكاماً عامة ومبادئ كلية تهدف إلى تحقيق مصالح الناس في العاجل والآجل، ومع هذا فإن ما ذكره الصابوني كان أوضح من غيره في بيان المراد [1].

ثانياً: أنواع المقاصد: تنقسم المقاصد إلى عدة أقسام وأنواع تبعاً لعدة اعتبارات تتحكم في تنوعها:

1- باعتبار تعلقها بمجموع الأحكام أو بباب من أبوابها، أو باعتبار أثرها، فهي تتنوع إلى:

عامة: وهي الكليات الخمس التي اجتمعت عليها جميع الأدلة أو أغلبها، وعلمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد، مثل حفظ النفس التي نجد النهي عن قتلها وجعل قتلها سبباً للقصاص ومتوعداً عليه ومقروناً بالشرك، ووجوب سد الرمق على الخائف على نفسه ولو بأكل الميتة [2].

وخاصة: وهي المقاصد التي تختص بباب معين أو بأبواب متجانسة من الشريعة أو مجموعة متجانسة من أحكامها، مثل معرفة قصد الشارع من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك.

وجزئية: وهي الأسرار والحِكم والعلل المقصودة من الشارع في تشريع كل حكم من الأحكام الفرعية، إذ ليس في الشريعة كما قال ابن القيم الجوزية حكم واحد إلا وله معنى وحكمة يعقله من يعقله ويخفى على من خفي عليه [3].

2- باعتبار القوة والضعف، تتنوع إلى:

مقاصد قطعية: فيحصلها العالم البصير من العمومات الواردة في أدلة التشريع، والمتكررة في القرآن أو السنة تكراراً يفيد معنى يقطع به الناظر فيها، وينتفي عنده عن هذا المعنى أي احتمال لقصد غيره [4].

ومقاصد ظنية: يستطيع المجتهد أن يحصل عليها من استقراء بعض تصرفات الشارع، وليس من الضروري أن يستقري كل تصرفاته، فإن استقراء بعضها يكسب العالم البصير ظناً راجحاً بما يراعيه الشارع في تصرفاته وما يصطلح عليه [5].

ومقاصد وهمية: وهي التي يتخيل فيها الخير والصلاح، ولكن بالتأمل والتحقيق نجد فيها الفساد أرجح، إما لخفاء ضرره وإما لكون الصلاح مغمورا بفساد.

3- باعتبار مراعاة حفظ المكلف فيها تنقسم إلى:

مقاصد أصلية: وهي المقاصد التي لا حظ فيها للمكلف وهي: الضرورات المعتبرة في كل ملة، وإنما هي لا حظ فيها للعبد من حيث هي ضرورية، لأنها قيام بمصالح عامة مطلقة، لا تختص بحال دون حال، ولا بصورة دون صورة، ولا بوقت دون وقت، وهي

(1) د.إلياس دردور، محاضرات في مقاصد الشريعة، ص 262.
(2) المصدر نفسه، ص263.
(3) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2، ص51.
(4) د.مصطفى ديب البغا، بحوث في مقاصد التشريع الإسلامي، ص45.
(5) المصدر نفسه، ص44.

بدورها مقاصد ضرورية عينية ومقاصد ضرورية كفائية، ومثال المقاصد الأصلية كون النكاح مشروعا للتناسل على القصد الأول، والجهاد مشروع لحفظ الدين كمقصد أصلي [1].

ومقاصد تابعة: هي المقاصد التي رُوعي فيها حظ المكلف، فمن جهتها يحصل له مقتضى ما جُبل عليه من نيل الشهوات والاستمتاع بالمباحات وسد الخلاف، فمن المقاصد التبعية في النكاح مثلا التعاون على المصالح الدنيوية والأخروية، والاستمتاع بالحلال [2].

ثالثاً: مراتب المقاصد:

وأما مراتب المقاصد الشريعة ليست في مرتبة واحدة، بل هي على ثلاث مراتب اتفق عليها الشرع:

1- مرتبة الضروريات: فهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا للجماعات وللأفراد بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، وإذا انخرمت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة وآلت حالة الأمة إلى فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، وهي أصول الدين وقواعد الشريعة وكليات الملة، وهذه الضروريات تنحصر في كليات خمس على الترتيب وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وفي ذلك يقول الغزالي: ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم [3].

مرتبة الحاجيات: فهي كل ما تحتاج إليه الأمة والأفراد من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة من غير أن يبلغ مبلغ الفساد المتوقع، لكن تكون حياتهم على حالة غير منتظمة [4]، وأنها جارية في العبادات والعادات والمعاملات والعقوبات.

مرتبة التحسينات: فهي الأخذ بمحاسن العادات وما تقتضيه المروءات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وإذا فقدت لم تختل حياة الناس كما في فقد الضروريات، ولا يصيبهم الحرج والمشقة كما في فقد الحاجيات، غير أن حياتهم تصبح مستهجنة في تقدير أهل العقول الراجحة [5].

المطلب الثاني: نظرية مقاصد الشريعة للمال وحفظه.

(1) جميلة قارش، البعد المقاصدي لدور المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي، ص181.
(2) المصدر نفسه، ص181.
(3) أبو حامد الغزالي، المستصفى، ج1، ص174.
(4) الشاطبي، الموافقات، ج2، ص21.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص22.

أولاً: مفهوم المال.

1- في اللغة: ما ملكته من جميع الأشـياء [1]، قال ابن الأثير هو ما يملك من الذهب والفضـة، ثم أطلق على كل ما يقتني ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب عللا الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم [2].

2- وفي الاصطلاح: عرف العلماء بتعريفات عدة منها: ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة [3]، وعرف بعض أخر بأنه ما يباح نفعه مطلقاً أو اقتناؤه بلا حاجة [4].

ثانياً: نظرية الشريعة للمال.

1- ملكية الله للمال: إن ما يروج من الأموال في أيدي الناس يعود في أصل ملكيته لله سبحانه وتعال، والخلق منزّلون فيه منزلة الوكلاء والنواب [5]، حيث قال تعالى﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [6]، وقال (❐) (يا أيها الناس ابتاعوا أنفسكم من الله من مال الله يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْتَاعُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ مَالِ اللهِ) [7].

وأصـل هذه الملكية يرجع إلى أن الله هو خالق المال ومنشئه وميسـر لأسـباب اكتسـابه، ومن ثم فهو الذي مولهم إياه وخولهم الاستمتاع به، وجعلهم خلفاء في التصرف فيه حيث قال تعالى﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [8].

وقد عرفه بعض المعاصـرين بتعريف يتفق مع مسـلك الجمهور وهو: ما كان له قيمة مادية بين الناس، وجاز شـرعاً الانتفاع به في حال السعة والاختيار [9].

ولا تتعارض هذه الحقيقة، وما جاء من الآيات والأحاديث التي تنص ظواهرها على إضـــافة المال للأفراد أو للأمة حيث قال تعالى﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ [10]، وقال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [11]، وقوله (❐) (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام) [12]، وغيرها من النصوص، لأن نسبة ملكية المال لله تعالى نسبة حقيقية، ونسبته للأفراد

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص550.
(2) مبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج4، ص373.
(3) ابن نجيم زين الدين إبراهيم محمد، البحر الرائق، ج5، ص277.
(4) تقي الدين محمد بن أحمد ابن النجار، منتهى الإرادات، ج2، ص255.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص338.
(6) سورة الأعراف: الآية (128).
(7) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث (4570).
(8) سورة الحديد:الآية (7).
(9) د.عبد السلام العبادي، الملكية في الشريعة الإسلامية، ج1، ص179.
(10) سورة النساء:الآية (2).
(11) سورة النساء:الآية (29).
(12) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، رقم الحديث (1741).

نسبة إضافية، والإضافة هنا لا تتعلق بأصل الملكية وإنما هي إقرار من الشريعة بأن المال حق للذي اكتسبه بطريق من الطرق الصحيحة شرعاً [1]، لأن حق الاكتساب للمال يخول المرء حيازته والاستبداد به عن الغير فلا يباح إلا بإباحته، ويمنع بمنعه، ولا يتصرف في جزء منه إلا بإذنه، فأصبحت له سلطة على ما اكتسبه، صار معها حق الله تابعاً لحقه.

ومقصد الشريعة في نسبية الملكية للمال تتمثل فيما يأتي [2]:

أ- إن إضافة ملكية المال لله تعالى تعد ضماناً وجدانياً لتوجيه المال إلى ما ينفع عباده الذين خلق لأجلهم، وإضافته للعباد جاء توجيهاً للملاك إلى الانتفاع بما يملكونه من أموال في الحدود المشروعة لهم دون تعد عليها.

ب-أن تكون مسؤولية البشر في المال الذي سخره الله لهم وأودعه بين أيديهم وأعطاهم حق التصرف فيه مسؤولية شائعة غير محدودة فعمد الشارع الحكيم إلى إقرار الملكية الخاصة بعد غرس معنى الخلافة ليسأل كل فرد عن الحصة التي بين يديه من مال الله الذي آتاه عن حق الجماعة فيه.

ج-التمشي مع ما فطر عليه الإنسان من توقه لتملك الأشياء وحبه للمال حباً جماً.

2- المال وسيلة لا غاية: إن المال ضروري من ضرورات الحياة لا غنى لأي كان عنه في إقامة حياته وإصلاح معاشه وقضاء حاجته ومن ثم جاء اهتمام القرآن والسنة به اهتماماً خاصاً، وأن أغلب النصوص التي ذكر فيها المال يكون مقروناً فيها إما بالأنفس أو بالأولاد مما يبين أن مكانته تضاهي مكانتهما في الشريعة [3].

وعليه فإن مقصد الشارع من تسخير المال للإنسان هو إقامة مصالحه وتحصيل منافعه، من خلال مهمة الاستخلاف التي كلف بها، حتى يكون المال مما سخره الله لمجموع خلقه تسهيلا للغاية العظمى وهي العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى، وبذلك كان تحقيق نظرة الاستخلاف في المال هو من أعظم مقاصد الشريعة في تسخيرها.

ثالثاً: مقاصد الشريعة لحفظ المال: حفظ المال مقصد شرعي أساسي، لأن الشريعة جعلت من المال كلية من كليات الخمس المنصوص على أهميتها وصيانتها، وإن من أهم مقاصد الشريعة الكلية التي سعت إلى تحقيقها هي حسم مادة الضرر قال (ﷺ) (لا ضرر ولا ضرار) [4]، ومنها: إبعاد الضرر عن الأموال: فالأموال من أعظم أبواب الشريعة خطراً وأكثرها غرراً، حرصت الشريعة على إبعادها عن جميع أنواع الضرر قطعاً لأسباب المنازعات، وسداً لباب الخصومات، وذلك مثل حسم مادة الضرر في التصرفات المالية، فحيثما وقع الضرر على الآخرين امتنع، وكذلك منع الإضرار بأموال الغير، فكل شيء منع منه الإنسان لحق نفسه فهو ممنوع منه في حق غيره، ومن ثم فإن المرء لما كان ممنوعاً من إلحاق الضرر بماله كيفما كانت طبيعته فهو ممنوع من ذلك في حق

(1) محمد طاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص190-191.
(2) د.عز الدين بن زغيبة، مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، ص65.
(3) المصدر نفسه، ص66.
(4) أحمد، المسند، رقم الحديث (2865).

أموال غيره، وحرصت الشريعة على جبر الضرر اللاحق بالأموال والتعوض عنه والعقاب عليه وشرع باب الضمان.وأيضاً من مقاصد الشريعة لحفظ الأموال منع أكل الأموال بالباطل، والنهي عن إضاعته بكل صوره.

المطلب الثالث

مقاصد الشارع للعدل والتداول والاستخلاف للأموال.

أولاً: مقصد العدل: إن من مقاصد الشريعة في نظام المعاملات المالية مقصد العدل، فإن المراد بالعدل في الأموال والمعاملات المتعلقة بها في الجملة أربعة أمور: أولها وضع الأموال في موضعها الذي خلقت من أجله وأمر به الشارع، وثانيها تحري الحق في كسبها من خلال الطرق المشروعة والمعاملات المباحة، وثالثها التوسط في إنفاقها وتنميتها، ورابعها العدل في توزيعها بين أفراد الأمة.

ثانياً: مقصد التداول: وأما مقاصد الشارع في تداول الأموال هو جعل المال متداولاً بين الناس جميعاً ومتحركاً في شكل استهلاك أو استثمار [1]، وعليه فتداول الأموال هو دورانه بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق [2]، وذلك بإتيان الطرق والسبل التي تسمح برواجه بين الناس، فرواج الأموال أو تداولها هو بنفس المعنى.

واللافت في قوله تعالى﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [3]، أن القرآن الكريم أكد على سنة التداول المالي دون غيرها من حالات التداول الممكنة، مما دل على خطر المال ووظيفته الأساسية في الحياة، ذلك أن قاعدة التداول تمثل قاعدة التنظيم الاقتصادي، باعتبارها جانبا كبيرا من أسس النظرية الاقتصادية الإسلامية، وعليه كان لا بد من تنظيم المعاملات المالية وفق منهج يمنع كون المال دولة بين فئة محددة في المجتمع، ولعل تشريعات الإسلام لتحقيق ذلك أكثر من أن تحصى، كما أن اختراق سنة التداول المالي، لا بد وأن يتمخض عنها النظام الربوي الذي يمثل أبشع صور الاستغلال والظلم [4].

لذلك إن من أهم ما سعت الشريعة الإسلامية إليه في نظام المعاملات المالية هو ضمان مقصد تداول المال بين أفراد المجتمع، لأنه من خلاله يتم تحقيق التوازن المنشود، والعدل المرغوب، هذا المقصد الذي أقرته الآية القرآنية كأحد أصول الاقتصاد الإسلامي وقواعده الكبرى في قوله تعالى﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [5]، لذلك كان كل تعامل في الاقتصاد الإسلامي، وكل وضع فيه ينتهي إلى أن يكون المال بين الأغنياء وحدهم، أو في يد طبقة أو فئة بعينها دون غيرها، هو وضع مخالف للنظرية الاقتصادية في الإسلام [6].

(1) يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص497.

(2) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص175.

(3) سورة الحشر: الآية (7).

(4) سفيان بن الشيخ الحسن، سنن الله في الخلق بين السنن الاجتماعية والسنن الكونية، ص104-107.

(5) سورة الحشر: الآية (7).

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3525.

ويبرز اهتمام القرآن وتأكيده على سنة التداول المالي دون غيرها من حالات التداول الممكنة، من خلال كون المال للمجتمع هو بمثابة الدم للإنسان، فهو عصب كل المعاملات الاقتصادية، وتوقفه عن الدوران يصيب المجتمعات كما الأفراد بأضرار فادحة، مثله مثل انسداد الشرايين التي تسمح بدوران الدم المستمر واستمرار الحياة للإنسان، ولذلك وجدنا الله سبحانه وتعالى توعد الذين يكنزون المال، ويمنعونه من تحقيق وظيفته في الحياة بدورانه بين أكبر عدد من الأفراد [1]، بعذاب أليم، قال تعالى﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [2]، فهذه الآية دعوة قرآنية صريحة إلى محاربة الاكتناز، كأحد أهم أسباب تعطيل الأموال عند وظيفتها الطبيعية في المجتمع، حيث تنحصر في طبقة معينة، لا تسمح بتداولها ودورانها حتى تصل غيرهم، لذلك وجه الشرع الحنيف في مقابل منع هذا الأسلوب دعوة إلى استثمار هذه الأموال بالطرق المشروعة، لأن ذلك هو سبيل تحقيق تداول الأموال ورواجها، ودورانها دورتها الطبيعية في الحياة [3].

وانطلاقاً من ذلك فقد شرع الشارع الحكيم من الأحكام والتشريعات ما يكفل تحقيق هذا المقصد، ودوام تدفق المال إلى كل أفراد المجتمع وعدم بقائه دولة بين فئة منهم، وفي أهمية هذا المقصد بقول ابن عاشور: إن قوام الأمة دورانُ أموالها بينها، وإن من أكبر مقاصد الشريعة الانتفاع بالثروة العامة بين أفراد الأمة على وجوه جامعة بين رعى المنفعة العامة، ووعي الوجدان الخاص وذلك بمراعاة العدل، وهذا المقصد من أشرف المقاصد، إذ لا توجد شريعة جعلت لتنويل أفراد الأمة حظاً من الأموال التي بين أيدي أهل الثروة، مثلما فعلت الشريعة الإسلامية، فإنها تصرفت في نظام الثروة العامة تصرفا عجيباً، أقامته على قاعدة توزيع الثروة بين أفراد الأمة، كما كان من مقاصد ألا تبقى الأموال متنقلة في جهة واحدة أو عائلة، أو قبيلة من الأمة بل المقصد دورانها [4].

ثالثاً: مقصد الاستخلاف: وأما مقصد الاستخلاف للمال فهو تعمير الأرض عمارة شاملة صالحة تشمل استخراج كل ما فيها من خيرات وكنوز، واستغلاله واستثماره لصالح الإنسان [5]، يعد المقصد العام للشريعة الإسلامية، فقال تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [6].

وإذا كان الاستخلاف مقصدا عاما في الشريعة الإسلامية، فلا بد من تحقيق معنى العمارة بتسخير ما في الكون من أجل تلبية حاجات الإنسان وفقا للمراتب الثلاثة للمقاصد: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، وبناء على ذلك كان تحقق معنى الاستخلاف والعمارة في الكون يقوم على أساسين هامين: أحدهما عقدي يتمثل في تحقيق العبودية لله عز وجل، والثاني مادي

(1) د.عمر سليمان الأشقر، الربا وأثره على المجتمع الإنساني، ج2، ص221.
(2) سورة التوبة: الآية (34-35).
(3) جميلة قارش، البعد المقاصدي لدور المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي، ص248.
(4) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص44-45.
(5) د.علي قره داغي، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص439.
(6) سورة هود: الآية (61).

وهو عمارة الأرض، أو ما يعبر عنه في عصرنا الحاضر بالتنمية، فعمارة الأرض تعد الهدف الثاني من الاستخلاف بعد عبادة الخالق سبحانه وتعالى، لذلك فهي لا بد أن تكون عمارة وتثميرا وفقا لأوامر الله عز وجل ومقاصده في كل ميدان ومجال [1].

وإن قاعدة الاستخلاف تُعد من أهم القواعد التي يُبنى عليها نظام المعاملات المالية في الإسلام، وهي من المقاصد والمبادئ الثابتة التي لا تتغير مهما تغيرت الظروف والأزمنة والأمكنة، كما تعد حجر الزاوية في نظرة الإسلام إلى المال في دورته الاقتصادية منذ تملكه وإنتاجه إلى تداوله وتوزيعه واستهلاكه، كما يعد هذا المقصد أهم ما يتميز به الاقتصاد الإسلامي عن غيره من النظم الأخرى، وذلك حين جعل المال كله ملكا لله أصالة، وما الإنسان إلا مستخلف فيه، في حين جعلته غيره من النظم ملكا للإنسان حين يكتسبه، وله الحرية المطلقة في التصرف فيه، دون الخضوع لأي ضوابط أو توجيهات من أي قوة خارجية عن الإرادة الإنسانية سواء في تملكه أو إنفاقه أو تداوله، وبذلك فقد أقر الإسلام القاعدة المقاصدية المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، تحقيقا للنظرة المتوازنة للمال [2].

من هنا كان مقصد الاستخلاف في المال هو المقصد الأعظم في كل المعاملات المالية، باعتبار أنه تندرج ضمنه المقاصد الشرعية الخاصة، والتي راعتها الشريعة الإسلامية في الأموال ومعاملاتها كمقصد العدل والحفظ والتداول لهذه الأموال، إذ لولا دعوة الإنسان إلى عمارة الأرض وتثميرها من خلال وظيفة ودور الاستخلاف الذي أنيط به، لما قام هناك تملك أساسا، يتبعه إنتاج وتثمير وتوزيع يتطلب عدلا وتداولا وحفظا للأموال [3]، ولعل هذا التلازم هو مدلول قول ابن خلدون (أيها الملك إن المُلْكَ لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل) [4].

(1) أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادية، ص41.
(2) محمد بن صالح حمدي، نظرية الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، ص44.
(3) البعد المقاصدي لدور المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي، جميلة قارش ص203.
(4) المقدمة، ابن خلدون عبد الرحمن، ج1، ص305.

الخاتمة

بعد أن تم هذا البحث بحمد الله وشكره على هذه الصورة لا بد لي أن أسجل خاتمة أبين فيها أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها:

1. مقاصد الشريعة الكلية من الخلق خمسة أشياء وهي حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم، وقد نال كُلّي المال من تلك المقاصد قسطاً وافراً، فإليه تُرجع أحكام المعاملات، ولأن المال قوام الأديان والأبدان.
2. الاقتصاد الإسلامي هو مجموعة الأحكام والقواعد والسياسيات الشرعية التي تنظم كسب المال وإنفاقه وتنميته وتصرف الإنسان فيه.
3. الأزمة المالية هي حالة تمس أسواق البورصة وأسواق الائتمان لبلد معين أو مجموعة من البلدان، وتكمن خطورتها في آثارها على الاقتصاد مسببة بدورها أزمة اقتصادية تم انكماش اقتصادي عادة ما يصاحبها انحصار القروض أزمات السيولة والنقدية وانخفاض في الاستثمار وحالة من الذعر والحذر في أسواق المال.
4. فلسفة الاقتصاد الإسلامي تقوم على أسس تجسد رؤيتها وفلسفتها الاقتصادية تماماً وتجعله اقتصاداً مميزاً، منها مثلاً أن ملكية وسائل الإنتاج بما فيها الإنسان هي في حقيقته لله تعالى، فالكل مخلوق لله تعالى وحده، ومملوك له ملكية مطلقة، وملكية القدرة على التصرف المطلق، فالكون كله بموارده الطبيعية وطاقاته ملك لله تعالى، وإنما الإنسان مستخلف أعطاه الله تعالى حق الملكية والتصرف لتحقيق التعمير.
5. إن الاقتصاد الإسلامي علماً ونظاماً ونظرية وتطبيقاً قد أُخذ ويؤخذ ويستنبط من الكتاب والسنة، ومن الاجتهاد الشامل للقياس والمصالح المرسلة والاستحسان، والعرف وسد الذرائع والاستصحاب.
6. إن السياسيات الاقتصادية في الإسلام تلتزم بالقيم السامية، والأخلاق والسلوكيات المستقيمة، والمبادئ الأساسية، ولكنها تبنى على مجموعة من السنن والحقائق، والعناصر والتدابير المؤثرة.
7. المشروع الإسلامي لحل الأزمات المالية يتمثل في تحريم كل أسباب الربا، وبيع ما لا يملكه الإنسان، والغرر والمقامرة، والمغامرة ونحوها، و تقديم مشروع متكامل بآلياته عن الاقتصاد الإسلامي، وحلوله العملية للركود، والتضخم، والبطالة،.
8. مقصد الشارع الحكيم من تسخير المال للإنسان هو إقامة مصالحه وتحصيل منافعه، من خلال مهمة الاستخلاف التي كلف بها، حتى يكون المال مما سخره الله لمجموع خلقه تسهيلا للغاية العظمى وهي العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى، وبذلك كان تحقيق نظرة الاستخلاف في المال هو من أعظم مقاصد الشريعة في تسخيرها، وحفظ المال مقصد شرعي أساسي، لأن الشريعة جعلت من المال كلية من كليات الخمس المنصوص على أهميتها وصيانتها.
9. إن من مقاصد الشريعة في نظام المعاملات المالية مقصد العدل، وذلك وضع الأموال في موضعها الذي خلقت من أجله وأمر به الشارع، وتحري الحق في كسبها من خلال الطرق المشروعة والمعاملات المباحة، والتوسط في إنفاقها وتنميتها وتوزيعها وجعلها متداولاً بين الناس جميعاً ومتحركاً في شكل استهلاك أو استثمار، وتعمير الأرض عمارة شاملة صالحة تشمل استخراج كل ما فيها من خيرات وكنوز، واستغلاله واستثماره لصالح الإنسان.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أحمد ابن حنبل، (ت241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1420هـ- 1999م
2. أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادية، دار الثقافة-مصر، ط1، 1990م.
3. الأشقر، د.عمر سليمان، الربا وأثره على المجتمع الإنساني، من كتاب بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة، دار النفائس-الأردن، ط1، 1418هـ-1998م.
4. د.إلياس دردور، محاضرات في مقاصد الشريعة، دار ابن حزم-بيروت، ط1، 1436هـ-2015م.
5. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير ناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ-2001م.
6. البغا، د.مصطفى ديب، بحوث في مقاصد التشريع الإسلامي، دار المصطفى-دمشق، ط1، 2430هـ-2009م.
7. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1420هـ.
8. البلتاجي، د.محمد، مقدمات من الاقتصاد الإسلامي لمواجهة الأزمة المالية العالمية، (الموقع الإلكتروني للدكتور البلتاجي).
9. بلقاسم زايري، الأزمة المالية المعاصرة الأسباب والدروس المستفادة، الملتقى الدولي الثالث حول إدارة المخاطر في المؤسسات الآفاق والتحديات، جامعة شلف 2005م.
10. بلوافي أحمد، أزمة عقار أم أزمة نظام، حوار الأربعاء بمركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي –جدة، 22 أكتوبر 2008م.
11. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: ممد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت ط1، 1410هـ.
12. الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيوت.
13. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية-السعودية، 1416هـ-1995م.
14. جميلة قارش، البعد المقاصدي لدور المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كليلة العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة باتنة، 1430هـ-2009م.
15. ابن الجوزي جميلة، أسباب الأزمة المالية وجذورها. الموقع http: //iefpedia.com
16. الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.
17. الجويني، عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبو المعالي الملقب بإمام الحرمين (ت 478هـ)، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418 هـ - 1997 م.

18.د.حسن محمد الرافعي، دور الفكر الاقتصادي الإسلامي في إدارة الأزمة الاقتصادية الراهنة، بحث مقدم إلى مؤتمر الأزمة المالية العالمية وكيفية معالجتها من منظور النظام الاقتصادي الغربي والإسلامي، جامعة الجنان-طرابلس، 1430هـ-2009م.

19.الخادمي، د.نور الدين أبحاث في مقاصد الشريعة، مؤسسة المعارف-بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.

20.ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ط2، 1417هـ-1996م.

21.د.الداوي الشيخ، الأزمة المالية العلمية انعكاساتها وحلولها، جامعة الجنان-طرابلس، 2009م.

22.الزحيلي د.مصطفى، أصول الفقه الإسلامي، مؤسسة الوحدة– دمشق، (د.ط)، 1402هـ-1982م.

23.السالوس، د.علي أحمد، القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، مكتبة دار القراءات -مصر، ط12، 1431هـ-2010م.

24.سفيان بن الشيخ الحسن، سنن الله في الخلق بين السنن الاجتماعية والسنن الكونية، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، (د.ط.س).

25.سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط15، 1988م.

26.الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان-القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م.

27.الشوكاني محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي-بيروت، ط1، 1419هـ-1999م.

28.الصابوني، د.عبد الرحمن، مذكرات في مصادر التشريع الإسلامي وطرق استنباط الأحكام، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية – دمشق، ط1، 1384هـ- 1965م.

29.ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، دار سحنون-تونس، 1984 هـ.

30.ابن عاشور، محمد طاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام الشركة التونسية.

31.ابن عاشور، محمد بن طاهر، مقاصد الشريعة، دار النفائس-الأردن، ط1، 1420هـ-1999م.

32.عبد الحميد الغزالي، الأزمة المالية العالمية التشخيص والمخرج، الموقع http: //www.swalif.net

33.د.عبد السلام العبادي، الملكية في الشريعة الإسلامية، مكتبة الأقصى-الأردن، ط1، 1975م.

34.د.عبد الله عبد المحسن الطريقي، الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف، مؤسسة مكتبة الملك فهد-الرياض، ط11، 1430هـ-2009م.

35.عرفات تقي الحسني، التمويل الدولي، دار مجدلاوي، 1999م.

36.عرفان الحسني، الاقتصاد السياسي لأزمة أسواق المال الدولية، مجلة المال والصناعة –الكويت، العدد25، 2007م.

37.د.عز الدين بن زغيبة، مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، دار النفائس-الأردن، ط1، 2010م.

38.علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، تحقيق: إسماعيل الحسني، دار السلام-القاهرة، ط1، 1432هـ-2011م.

39.د.عوف محمود الكفراوي، السياسة المالية والنقدية في ظل الاقتصاد الإسلامي، مكتبة الإشعاع –مصر، ط1.

40.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.

41.الفيروس آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط8، 1426هـ-2005م.

42.قدري عبد المجيد الأزمة الاقتصادية الأمريكية وتداعياتها العالمية.

43.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العربية-القاهرة، 1387هـ-1967م.

44.القره داغي د.علي محي الدين، حقيبة طالب العلم الاقتصادية، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.

45.مبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت، 1399هـ - 1979م

46.د.محمد أحمد العساد ود. فتحي أحمد عبد الكريم، النظام الاقتصادي في الإسلام (مبادئه وأهدافه) مكتبة وهبة- القاهرة، ط2، 1397هـ -1977م.

47.محمد بن صالح حمدي، نظرية الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، جمعية التراث –الجزائر، ط1، 2014م.

48.د.محمد شوقي الفنجري، المذهب الاقتصادي في الإسلامي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي، مكة المكرمة، 1396هـ - 1976م.

49.د.محمد عبد الله العربي، الاقتصاد الإسلامي في تطبيقه على المجتمع المعاصر مكتبة المنار بالكويت د. ت.

50.محمد مبارك، كتاب الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، دار الفكر –بيروت، ط3، 1972.

51.د.مسفر علي القحطاني، النظام الاقتصادي في الإسلام، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، 1423هـ - 2002م.

52.ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر-بيروت، (د- س).

53.ابن النجار، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي (972هـ)، منتهى الإرادات،، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1419هـ-1999م.

54.ابن نجيم، زين الدين إبراهيم محمد زين الدين (ت870هـ)، البحر الرائق، البحر الرائق،، دار المعرفة-بيروت.

55.النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت 261هـ)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل- بيروت – ودار الآفاق الجديدة- بيروت.

56.يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث –مصر، (د.ط.س).

57.يوسف وكاظم حسين الأسدي، تحليل ظاهرة الأزمات المالية وسبل الإحاطة منها، ضمن أبحاث منشورة في كتاب - الأزمة المالية العالمية والآفاق المستقبلية، محمد يوسف القريوتي وآخرون، عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ,ط1، 2010م.

ظاهرة الطلاق في محافظة ديالى الاسباب والمعالجات

أ. م. د. بكر عباس علي حسين

كلية القانون والعلوم السياسية – جامعة ديالى

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على نبينا محمد وآله وصــحبه أجمعين وبعد: فإن هذا البحث يتناول مفهوم البعث، ومعرفة المنهج الذي سلكه القرآن لإثبات عقيدة البعث، وما فصّل فيه لتقريره وإقامة الحجة الواضحة البرهان الساطعة، وقد جاءت الدراسة في ثلاثة محاور، في الأول منه: ناول مفهوم البعث في القرآن الكريم، والثاني: منهج القرآن الكريم في الاستدلال على عقيدة البعث وفي المحور الأخير: أشار إلى القيم الإيمانية لهذه العقيدة وأثره في حياة الإنسان، وخلص على النتائج أهمها ما يلي:

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the universe, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions as a whole

This research deals with the concept of resurrection, and knowledge of the approach taken by the Qur'an to prove the doctrine of the Resurrection, and what was detailed in it for its report and establishing a clear and bright proof argument. In the inference of the doctrine of the Resurrection and in the final study: He referred to the faith values of this belief and its impact on human life, and concluded on the results, the most important of which are the following:

المقدمة

عرف الفقهاء الطلاق بعدة تعاريف تدور كلها على معنى واحد هو رفع القيد الثابت بالنكاح في الحال أو المآل بلفظ مخصوص ووفقا لقانون الأحوال الشخصية العراقي رقم 188لسنة 1959 يقع الطلاق من الزوج أو الزوجة أذا وكلها الزوج أو فوضها طلاق نفسها أو بارادة الزوجين بالخلع أو بقرار القاضي في التفريق القضائي وقد يوقع الزوج طلاقه خارج المحكمة على أن يسجله في المحكمة المختصة خلال فترة العدة ثم تقوم المحكمة بالنظر في دعوى الطلاق و أصدار حكم نهائي به ولما كان الطلاق هو رصاصة الرحمة في ألأسرة بكافه مكوناتها من ألأبوين والأبناء أصولا وفروعا مما ينعكس على جميع أفراد المجتمع بالأضافة ألى الآثار السلبية للأفراد على المستوى المالي والعلمي والعملي لهذه الأسباب وغيرها صار لزاما على المختصين بالشأن الشرعي والاجتماعي والمالي والقانوني والنفسي والأمني وحتى السياسي أن يعقدوا الندوات والدورات للوقوف على أسباب كثرة حالات الطلاق وأيجاد الحلول الناجحة للقضاء على هذه ألآفة التي نخرت مجتمعاتنا حتى أصبح يؤرق حتى العوائل المستقرة لهذه الاسباب وغيرها تحتم علي أن اهتم بدراسة عن أسباب انتشار ظاهرة الطلاق في محافظة ديالى وطرق علاجها دراسة ميدانية وان كنت قليل البضاعة والحرفة ولكن الفقير على ألأجواد محمول علهم يقبلوا بضاعتي مع بضاعتهم وأكون عند حسن ظنهم وقد جعلت بحثي ميدانيا اعتمدت على مقابلات مع مطلقين ومطلقات مع استفادة من تقارير ومقابلات أعدها طلبة كلية القانون والعلوم السياسية في جامعة ديالى وقد قسمت البحث الى مقدمة ذكرت فيها الاسباب التي دفعتني الى الكتابة في هكذا موضوع والمعوقات التي واجهتني اثناء كتابة البحث والمنهج التي اتبعته في الكتابة وخطة البحث أما المبحث الأول بعنوان ماهية الطلاق والمبحث الثاني حكم الطلاق والحكمة منه والمبحث الثاني فكان بعنوان أسباب الطلاق في ديالى وطرق علاجها بواقع مطلبين المطلب الأول أسباب الطلاق دراسة ميدانية والمطلب الثاني طرق علاج حالات كثرة الطلاق في المحافظة وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت أليها وفي آخر البحث كتبت الهوامش والمصادر التي اعتمدتها في كتابة البحث وأخيرا أسأل الله أن يعينني في الوصول ألى معرفة أسباب انتشار ظاهرة الطلاق وطرق علاجها في محافظة ديالى لنساهم في حل هذه المشكلة التي أرقتنا كثيرا وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

ماهية الطلاق و انواعه وحكمه والحكمة منه

وفيه مطلبان

المطلب الاول ماهية الطلاق و انواعه

اولا تعريف الطلاق لغةً

الطلاق لغةً: قال الفراهيدي في (كتاب العين): (...أطلقت الناقة وطَلَقَتْ هي: أي حَلَلْتَ عِقالَها فأرسلتها) (١).

وقال الجوهري في كتابه (الصحاح): (... وبعير طُلُق وناقة طلق... أي غير مقيَّد... وحُبِسَ فلان في السجن طُلُقاً، أي بغير قيد) (٢)

وقال ابو السعادات في كتابه (النهاية): (وطلاق النساء لمعنيين: أِحدهما: حَلّ عقد النكاح، والآخر بمعنى: التخلية والإرسال)(3)

وقال ابن منظور في كتابه (لسان العرب): (إنّه حلّ القيد ويطلق على الإرسال والترك، يقال: ناقة طالق أي مرسلة ترعى حيث تشاء، وطلّقت القوم إذا تركتهم) (4)

وقال فخر الدين الطريحي (أقرب الموارد): (طَلقَتِ المرأة من زوجها طلاقاً: بانت فهي طالق وهنّ طوالق« وطُلُقت الناقة: انحلَّت من عقالها... طلّق المرأة: خلاَّها عن قيد الزواج... أطلق المواشي: سرّحها وأرسلها إلى المرعى) (5) وقال السفاريني في كتابه (المجمع): (وطلاق المرأة يكون لمعنيين، أحدهما: حلّ عقدة النكاح، والآخر بمعنى: الترك والإرسال، من قولهم طلّقت القوم: إذا تركتهم)(6).

والحاصل: أنّ الطلاق لغةً بمعنى حلّ القيد وربّما يستعمل بمعنى الإرسال والترك.

تعريف الطلاق اصطلاحاً:

عرف الفقهاء الطلاق بعدة تعريفات منها:

1. إزالة قيد النكاح بصيغة طالق وشبهها (٧)
2. زوال قيد الزوجيّة بألفاظ مخصوصة (٨)

تعريف الطلاق في قانون الاحوال الشخصية العراقي رقم 188 لسنة 1959

عرف المشرع العراقي في المادة 34 من قانون الاحوال الشخصية بتعريفه للطلاق)بانه رفع قيد الزواج بإيقاع من الزوج او الزوجة ان وكلت به او فوضت به او من القاضي،ولا يقع الطلاق الا بالصيغة المقررة لو شرعا(9)

واقسام الطلاق من حيث اثره في انهاء العلاقة الزوجية ينقسم الى نوعين: طلاق رجعي وطلاق بائن بينونة (صغرى وكبرى).

عرفت الفقرة 1 من المادة 38 من قانون الاحوال الشخصية الطلاق الرجعي بأنه ماجاز للزوج مراجعة زوجته قبل انتهاء عدتها بدون عقد.

وعرفت الطلاق البائن بينونة صـــغرى: وهو ما أجاز للزوج أن يعقد على زوجتهِ بعد طلاقها بمهر وعقدٍ جديدين من غير حاجة إلى أن تتزوج بزوج آخر

اما الطلاق البائن (بينونة كبرى) هو الذي لايملك الزوج فيه مراجعة زوجته او اســتئناف الحياة الزوجية وهذا ما نصــت عليه الفقرة 2 من المادة 38 من نص القانون وهو ما حرم فيه الزوج من التزوج بمطلقته التي طلقها ثلاثا متفرقات ومضــت على عدتها كذلك فان الفقرة 3من المادة 37 من نفس القانون بين الطلقات على ان (الطلقات ثلاثا متفرقات تبين من زوجها بينونة كبرى)(10).

المطلب الثاني

حكم الطلاق والحكمة منه

اولا: اتفق الفقهاء على أن الطلاق ينطبق عليه الأحكام التكليفية الخمسة، وهي:

الوجوب، والندب، والإباحة، والكراهة، والتحريم، وذلك بحسب الظروف التي وقع فيها الطلاق، وبيان ذلك على النحو الآتي:

1. الواجب: يكون الطلاق واجباً في حق الزوج المولي، والإيلاء: هو حلف الزوج على عدم إتيان زوجته أكثر من أربعة أشــهر، فإن مضت المدة ولم يأتي زوجته أُمر بالطلاق، فإن رفض طلّق القاضي عليه طلقةً واحدةً، أو ثلاثاً، أو فسخ بينهما.
2. المندوب: يكون الطلاق مندوباً إذا فرّطت الزوجة في أداء حقوق الله –تعالى– عليها؛ كالصلاة والعفّة، أو لوقوع الشِّقاق بينهما، ويُسنّ للمرأة أن تخلع زوجها إن ترك حقاً لله تعالى. ويستحب ايضا لدفع للضرر، كأن تتضرر المرأة باستدامة النكاح فيستحب لإزالة الضرر عنها.
3. المباح: يكون الطلاق مباحاً إذا دعت إليه الحاجة، كأن تكون الزوجة سيّئة الخُلق، أو لسوء عشرتها، أو لكون الزوج لا يُحبها.
4. المكروه: يكون الطلاق مكروهاً إذا لم توجد حاجةٌ تدعو له؛ لحديث النبي صــلى الله عليه وســلم: (أبغضُ الحلالِ إلى اللهِ الطلاقُ).(11)
5. المحرم: يكون الطلاق محرّماً إذا كان في مدّة حيض الزوجة، أو كان طلاق الزوج زوجته في فترة طُهرٍ جامعها فيه، وهو يُســمّى بالطلاق البدعيّ.(12)

ثانيا: الحكمة من مشروعية الطلاق

لقد أحل الله تعالى الطالق للتوسيع على الناس ولم يشرع الطلاق إلا لحكمة منه سبحانه وتعالى، ولكن من الناس من استغل هذه النعمة بأن جعلها سلاحا يسلطه على من تحت يده ويستغل هذه النعمة فيما ليس هو بحاجة اليه. وقد اجاز الله سبحانه وتعالى الطلاق في حالة مخصوصة للتخلص من الوقوع في الحرج في الدين والدنيا، ولم يشرعه إلا للضرورة والعجز عن إقامة العيش بينهما لاختلاف الأخلاق و التربية، أو للأضرار الذي يترتب على بقائها زوجته، بأن عرف أن العيش معها سوف يسبب له فساد دينه ودنياه، فتكون المصلحة في الطلاق.وكما يكون الطلاق للخلاص من المكروه يكون كذلك لتأديب الزوجة إذا ما نشزت على الزوج وقصرت بحقوقه الزوجية، فيصبح الطلاق علاجاً لها، فإذا طلقها الطلاق الرجعي، وذاقت مرارة الفرقة والهجر، فأنها قد تتأدب وتتراجع وتعود الى بيتها. ولها فأن ما يحدث بين الزوجين من المشاكل والنزاعات، ما يجعل الطلاق ضرورة او حاجة لازمة، ووسيلة ناجعة لتحقيق الاحترام بين الزوجين، ولاستقرار العائلة، فقد يتزوج الرجل من أمرأة، ثم يتبين أن بينهما اختلافا في الأخلاق، وتنافر في الطباع، فيرى كل من الزوجين نفسه غير مناسب للآخر، نافراً منه، وقد يرى أحدهما من صاحبه بعد الزواج ما لا يعجبه، ولا يرضى من خلق، أو عيب، او عاهة مزمنة أو أن يكون أحدهما سيئ الخلق وقد يظهر أن المرأة عاقر لا يتحقق معها أسمى مقاصد الزواج وهو النسل، إلى غير ذلك من الأسباب والمنغصات، التي لا توجد معها المودة والرحمة بين الازواج ولا يتحقق معها التعاون على شؤون الحياة، والقيام بالواجبات الزوجية كما أراد الله؛ لذلك يكون الطلاق دواء لا بد منه للتخلص من العلاقة الزوجية التي أضحت لا تحقق المقصود منها، والتي لو ألزمنا الزوجان بالبقاء عليها، قد يؤدي الى ان يفكر احد الزوجين بقتل الآخر او الانتحار وقد يعصم الله تعالي الزوج و الزوجة عن الوقوع في الفواحش في حال عدم قبول كل منهما للآخر فيفسق الزوج ويقع منه الزني او تفسق الزوجة ويقع منها الزني لهذا شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وسيلة لدرء المفاسد، وليستبدل كل منهما زوجه بزوج آخر، يجد معه ما افتقده مع زوجه الأول، فيتحقق مراد الله سبحانه وتعالى(13). قال الله تعالى في سورة النساء ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾. سورة النساء(14)

المبحث الثاني

اسباب الطلاق وعلاجه وفيه مطلبان

المطلب الاول

اسباب الطلاق

تتعدد الأسباب التي قد تؤدي إلى انهاء العلاقة الزوجية وهي كما يأتي:

1. الزواج المبكر: يعد من اهم الأسباب الرئيسية لانتشار ظاهرة الطلاق، حيث أن الزواج في عمر اقـــل من ١٨ سنة يسبق عملية النمو الجسـدي والاجتماعي والنفسـي والثقافي للفتى والفتاة فكلاهما غيـــر مستقرين نفسيا أو اجتماعيا فيتم الانتقال من مرحلة المراهقة إلى الحياة الزوجية (15)
2. العقم: مما لا شـك فيه إن وجود الأطفال يعتبر عاملا هاما في المحافظة على الحياة الزوجية واسـتقرا رها والحيلولة دون انهيارها، لان وجودهم يزيد من الترابط بين الزوجين من ناحية ويشعرهما بمسؤوليتهم ا تجاه الأطفال من ناحية أخرى، كما يجعل كلا الطرفين أكثر مرونة في معالجة المشاكل الزوجية التي تعترضهما دون اللجوء إلى الطلاق، وعلى العكس من ذلك إن عدم أنجاب الأطفال يعرض حياة الأسرة إلى الانهيار، فكثيرا من الأزواج لا يستطيعون الاستغناء عن الأطفال فيكون عقم الزوجة مسوغا للزواج من زوجة ثانية وسببا لطلاق الزوجة الأولى التي لم تنجب، فوجـود الأطفـال يـدعو كـلا الزوجين إلى الحرص على التصرف بروية وتعقل في حل المشاكل الأسرية وعدم اللجوء إلى الطـــلاق منهما على مستقبل أطفالهما، ولقد ثبتت من الدراسات الاجتماعية إن هناك علاقة عكسية بين عدم وجود الأطفال وارتفاع معدلات الطلاق (16).
3. الخيانة الزوجية: يحدث الطلاق بسـبب الخيانة الزوجية من طرف الزوج لعدم التجاوب من قبل زوجتـــــه ولإهمالها مظهرها وعدم مشاركتها أحاسيسه ومشاعره وهذا مما يدعو إلى تعلق بـــامرأة أخـــرى يجـــد عندها ما نقص في زوجته، فهذه العلاقة في كثير من الأحيان تؤدي إلى الانفصال دائم أو مؤقـت أو إلى الطلاق بين الأزواج، ومن جانب أخر فان للشك والريبة والغيرة المرضية واتهـام احـد الـزوجين الأخر دون دليل مقنع يكون سببا في فساد العلاقة الزوجية وتوترها واضطرابها، فكثير من الآراء تتفـق حول استحالة استمرار العلاقة الزوجية بعد حدوث الخيانة الزوجية ولا سيما في حالة المرأة الخائنة، أما في حالة خيانة الرجل فتختلف الآراء وتكثر التبريرات التي تحاول دعم استمرار العلاقة (17)
4. تدخل الأهل: يعد تدخل الأهل في خصوصية الحيـاة الزوجيـة دورهـا الـسلبي المـؤثر فـي مـدى استمراريتها بل تعد واحدا من الأسباب المهمة التي تؤدي إلى الكثيـر مـن حـالات الطـلاق فـي مجتمعاتنا حيث مازال الخضوع للقيم والعادات والتقاليد التي ت حدد التصرفات العائليـة وتؤكـد أهميـة خضوع الابن أو البنت للأهل حتى بعد بلوغهم، فتدخل الأهل في شؤونهم الخاصة منها مـا يتعلق بإنجاب الأطفال وتربيتهم وهناك أمور تتصل بتدبير شؤون المنزل والتدخل في الشؤون المالية إلى جانب تنظيم العلاقات ببقية

شؤون الأسرة، فالتدخل في شؤون الزوج والزوجة يمكن إن يؤدي إلى خلق حالة من التوتر والاضطراب داخل البناء الأسري الذي سرعان ما يتعرض إلى الانهيار إذا استمر التدخل في شؤون كلا الزوجين (18)

5. العوامل الاقتصادية: يلعب العامل الاقتصادي دورا مباشرا في استقرار الحياة الزوجية حيث إن انتظام العمل وتوفير المدخرات وسد احتياجات الأسرة يعني الاستقرار، وعلى العكس فأن انخفاض الدخل هي الحالة التي تعني عجز الزوج عن تلبية حاجاتها بسبب ضعف حالته الاقتصادية والذي من شأنه يخلق المشاحنات والصراعات المستمرة مع زوجته بسبب عجزه عن توفير متطلباتها الأساسية أو حتى الكمالية فتحدث بعض المشاكل بين الأزواج ولا يخفى إن مثل هذه الظروف تؤثر تأثيرا كبيرا على معنويات الزوج وحياته السيكولوجية مما يعرضه إلى الإمراض العصبية والنفسية التي غالبا ما تكدر حياته وحياة عائلته، ففقدان القدرة على الكسب من العوامل التي تخلق التوترات والتي تؤدي في كثير من الحالات إلى زيادة مشكلات الأسرة وحدوث الشقاق الأسري الذي يصل ببعض الأسر إلى الطلاق، لذلك نرى إن نسب الطلاق قد ترتفع عند أصحاب الدخول المنخفضة وذلك بسبب الصعوبات الاقتصادية التي تواجه الأسرة وعجزها عن توفير مستلزماتها الضرورية، الأمر الذي يؤدي إلى قيام المنازعات وظهور المشاكل بين الزوجين وتؤدي بالتالي إلى تفكك الأسرة وانهيارها، في حين تقل نسبة الطلاق بالنسبة للعاملين في مهن عليا (19)

6. تعدد الزوجات: ويعني في الغالب مشاركة أكثر من زوجة في منزل واحد إلي يلغي إمكانية استقلالية المرأة في بيتها، ويزداد الوضع سوءا بزيادة الأولاد ومحاولة كل زوجة أن تأخذ النصيب الأوفر لها ولأبنائها، هذا من شانه يثير المشاكل والخلافات التي تؤدي إلى التوتر الأسري نتيجة عوامل متعددة وأخطاء يرتكبها الزوج كتفضيله زوجة على أخرى أو إيثار بعض الأولاد بالعطف دون البعض الأخر، وعدم الوفاء بمطالب الأسرة وعجزه عن توفير احتياجاته اليومية، مما يؤدي إلى قيام المنازعات والمشكلات بين الزوجين لأبسط الأسباب وتنعكس هذه الأوضاع على الأسرة التي لا يمكنه الاستمرار في التماسك والمحافظة على كيانها إذا لا تلبث المنازعات أن تؤدي بها إلى الانهيار نتيجة الصراع الذي يحدث داخل البناء الأسري بين أطراف العلاقة الأمر الذي ينتهي بالطلاق إما لرغبة الزوج في التخلص من المشاكل أو بناء على طلب إحدى الزوجات لعدم تحملها الاستمرار في حياة زوجية مضطربة(20).

7. عدم التوافق بين الزوجين في مجالات عديدة منها عدم التوافق الجنسي فتعد المشاكل الجنسية التي يشكو منها الأزواج سببا في عدم التوافق بين الزوجين، حيث يلعب العامل الجنسي دورا هاما في تكييف العلاقات الزوجية، وقد يكون عدم التوافق الجنسي تعبير عن سوء التكيف في مجالات أخرى من الحياة الزوجية، على إن الصراع الذي يدور حول الجنس ما هو إلا مظهرا للصراعات والخلافات بين الزوجين مما يؤدي إلى امتداد الخلاف في دائرة الجنس والحياة العاطفية إلى مظاهر أخرى أكثر الطلاق أهمية في صميم الحياة العائلية، فالمشكلات الجنسية يمكن أن تتحول إلى بؤرة للاستياء أو مسوغا لاحقا للطلاق، وهذا ما أثبتته الدراسات التي تشير إلى أن عدم التوافق الجنسي كان سببا في حوالي ٧٥ % من حالات الطلاق إلا انه نادرا ما يذكره الزوجان انه السبب كان وراء طلاقهم بل يختلقون أسبابا أخرى(21).

8. عدم التوافق الثقافي: فأن لعدم التوافق الثقافي بين الزوجين المرتبط بتدني المستوى التعليمي والثقافي له تأثيره الواضح في طبيعة العلاقة الزوجية، حيث أن الاختلاف في المستوى الثقافي والعلمي بين الزوجين يعد عاملا هاما في المدى القصير أو الطويل في حل الرابطة الزوجية والسبب يعود في ذلك إلى إن الثقافة التي يكتسبه الفرد تؤثر على أفكاره ومعتقداته وميوله واتجاهاته وقيمه

ومقاييسه، فالشخص المثقف يختلف عن غيره في نظرته للحياة ونظمها، لذلك نجد أن اختلاف المستويات الثقافية بين الزوج والزوجة لها اكبر الأثر في حدوث الصراعات التي تؤدي إلى الطلاق، خصوصا وان الأسرة وهي جماعة تقوم على التعاون المتبادل فهي لا تستمر طويلا في البقاء مع وجود فوارق وصراعات يعيشها الزوجان باستمرار. فالتماثل في الأصول الثقافية من العوامل الايجابية الأساسية في التوافق بين الزوجين، كما يعد التباين الشديد من العوامل السلبية، ويمكن التنبؤ إلى درجة كبيرة من الصحة بتولد ا لصراع في زواج يجمع بين شخص ينتمي إلى بيئة تحكمها القيم الدينية والاتجاهات المحافظة وشخص ينتمي إلى بيئة تحملها أفكار متحررة وعادات وآراء طليقة، ومن المحتمل أن يكون الزوجان أكثر يسرا أذا كان الزوجان ينتميان إلى أصول اجتماعية متماثلة كما يمكن تأكيد الاستقرار في الحياة الزوجية وتحقيق النجاح إذا كان الزوجان يحملون من القيم القوية ضد الطلاق أو غيره من أشكال التصدع الأسري فما نلاحظه إن فشل الزواج يعود إلى تباين الزوجين في المستوى الثقافي وفي إدراك أو انعدام هذه النواحي من كلا الزوجين فتسيطر العواطف على العلاقة الزوجية بدلا من الفكر والتعقل ولهذا نجد أن زواج العواطف يكون قويا في الأيام الأولى لكنه يبدأ بالفتور مع فتور العواطف وينشأ التباعد بين الزوجين بسبب انعدام الترابط الفكري والثقافي بينهما. ومن ناحية عدم التوافق(22).

9. الاختلاف في الخلفية الاجتماعية بين ا لزوجين: فقد يكون التباين في الخلفية الاجتماعية لكلا الزوجين عاملا هاما في تصعيد حدة التوترات العائلية وتهديد الرابطة الزوجية بالانهيار أجلا أم عاجلا، حيث أن الأسرة لا يمكن أن تستمر في أداء رسالتها والمحافظة على كيانها مع وجود الفوارق العميقة في الخلفية التي يحسها الزوجان باستمرار، فاختلاف الكبير في الأذواق والميول والرغبات لكل من الزوجين من شأنه أن يتسبب في قيام المشاكل وتؤدي إلى عدم الانسجام والاتفاق بينهما، كما أن الفوارق في الميول والاتجاهات السياسية بين الزوجين بينهما تؤثرا تأثيرا كبيرا على وقوع الخلافات بينهما، فالزوج قد يعتقد بفكرة سياسية معينة إلا أن هذه الفكرة تختلف عن الفكرة السياسية التي تحملها زوجته وهذا دائما ما يثير الجدل والمناقشات السياسية العميقة بينهما، وقد ينتهي بشجار مفتوح يعكر صفو حياتهما الزوجية ويؤدي إلى انهيارها عن طريق الانفصال أو الطلاق(23).
10. سوء اختيار الشريك: فسوء الاختيار سواء كان من الزوج أم من الزوجة لا سيما في الحالات التي لا تربط بين الزوجين صلة قرابة ففي فترة الخطوبة لا يسأل الخاطب عن خطيبته بشكل جيد ليتحقق من صفاتها ويعرف أخلاقها وطباعها أما بسبب النقل غير الصحيح والمدح المبالغ به عن حالها سواء من الأم أو الأخت أو ممن كان سبب ذكرها للزواج، أي السرعة في الاختيار وعدم دراسة شخصية الشريك فضلا عن إن بعض الشباب يضعون اعتبارات لا تمت للحياة الزوجية بصلة كالبحث عن الغنى والحسب والتغاضي عن الصفات التي يمكن أن تسعد الزوجين، أي لا يلتزمون بالضوابط الشرعية المبنية على المعايير الدينية والأخلاقية عند اختيار شريك حياته، تلك المعايير التي حثنا عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):"تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك "، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم):" إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير". فالاختيار الصحيح هو الذي يقوم على أساس الدين والأمانة والخلق، ولا بأس أن يأتي بعد ذلك الجمال والمال والحسب، لكن المرفوض أن يكون المعيار في الزوج والزوجة هو المال أو الجمال أو الحسب على حساب الدين، لا ن كل ذلك عرضة للتحول أو الزوال، فضلا عن ذلك فقد يكون سوء الاختيار ناتجا عن إكراه الأهل

أبناءهم أو بناتهم بأشـــخاص لا يرغبـــون فـــيهم فتقوم الخلافات بعد الزواج والتي يكون سببها عدم التوافق والجنسي والثقافي بين الزوجين مما يؤدي إلى الطلاق(52).

11. السـكن المشـترك: يمكن اعتبار عدم توفر دارا مسـتقلة لسـكن العائلة هو أحد الأسـباب الرئيسـية في وصـول الزوجين إلى مرحلة الطلاق، حيث إن الزوجة تكون مقيدة في بيت أهل زوجها إضافةً إلى تدخل الأهـــل في الحياة الزوجية، وهذا حتما سيؤدي إلى قيام الخلافات والنزاع بينهما بسبب التدخل الذي يمارسه أهل الزوج أو الزوجة في شؤونهما بصورة مباشرة أو غير مباشرة وهكذا تبدأ المشاكل تتعقد نتيجة المواقف التي يتخذها أهل الزوج من الزوجة وتدخلهم في شؤونهم الخاصة في الوقت الـذي تطمـح الزوجـة أن تكون سيدة بيتها فينشأ بسبب ذلك الخلاف ويشتد الصراع بين الزوجين نتيجة اختلاف وجهـــات النظـــر بالنسبة لكثير من الأمور، حيث أن الزوجين ينتميان إلى جيل لاحق يختلف عن جيل إبائهما، الأمر الذي يودي إلى تضـــخيم المشـــاكل اليومية إلي كان من الممكن أن تكون مجـرد مواقـف عـابرة فـي حيـاة الزوجين كما إن مشاركة أهل الزوجة السكن من العوامل المؤثرة في ارتفاع نسبة الطلاق، فالزوجة فـي هذه الحالة تحاول فرض سيطرتها على شؤون الأسرة نتيجة الدعم الذي توفره لها الظروف المحيطة بها مما يولد شعورا بالنقص لدى الزوج الذي يعمد إلى التغيب عن البيت في اغلب الأحيان هربا من المشاكل التي تعترض حياته الزوجية في مثل هذه الحالة، فالتدخل الذي تمارسه والدة الزوجـة لـصالح ابنتها الأمر الذي يزيد من حدة الصراع بين الزوجين ويؤدي بالتالي إلى حدوث الطلاق(26).

12. عمل المرأة:- بعدما نالت المرأة قسطا ملائما من التعليم وتحررت من القيـود التـي فرضـها عليهـا المجتمع ووضعها في م رتبة ثانوية، فنزلت إلى ميدان العمل الخارجي وحققت لنفسـها اسـتقلالا اقتصـاديا نسـبيا، لذلك أصـبح الزواج لتحقيق الأمن الاقتصـادي اقل إلحاحا بل من اجل تكوين الحياة العائلية الاجتماعية التي تجلب الغبطة والسرور والسعادة، لذلك أصبح الطلاق اقل صعوبة لأنها حققـت استقلالا ماديا يجعلها تشعر بإمكانها أن تستقل وتعيش من دون الرجل كما أدى نزولها إلى ميـدان العمل إلى تطور مركزها الاجتماعي وشعورها بشخصيتها المستقلة إلى ذلك فان حصولها علـى اجـر ثابت بقدر اجر الرجل هذا مما أدى إلى تدعيم مركزها الاجتماعي والـوظيفي فـي المجتمـع بحيـث أصبحت لا تتحمل الأوامر والضغوط والمطالب الكثيرة التي يفرضها الرجل الأمر الـذي يسبب في تعكير العلاقات الزوجية وقيام الخلافات حول الأدوار داخل الأسرة وإثارة المشاكل المستمرة بين الزوجين والتي لا يمكن حلها إلا عن طريق الطلاق(27).

13. الإدمان على المسكرات والمخدرات: يعد الإدمان على تناول المسكرات واحدا من الأسباب التـــي تـــؤدي إلـــى انهيار العلاقات الزوجية ويحدث الطلاق، لان إدمان الزوج على تناول المسكرات ينعكس على سـلوكه وتصرفاته الزوجية بصورة سلبية فيفقد العقل فيؤدي إلى تعرض الزوجة إلى الأهانة والاعتداء بالضـرب المبرح لفقدانه السـيطرة والوعي في تلك اللحظة هذا مما يجعل الزوجة تلجأ إلى طلب الطلاق هـذا مـن جانب، إلى جانب ذلك إن تناول المسكرات والإدمان عليها تجعل من مكانة الزوج مثلا سيئا لأبنائه فتقل قيمته واحترامهم له، فضـلا عن التقصـير في توفير متطلبات الأسـرة وعدم تحمله المـــسؤولية لان جـــزء كبير من المال يتم استقطاعها من دخل الأسرة على تناول المسكرات فمثل تلك الأوضاع لابد أن تختـــل العلاقات الزوجية ويتصدع كيانها فتنتهي بحدوث الطلاق (29).

14. العامل الاقتصادي: يعد العامل الاقتصادي من العوامل الأساسية في تحقيق مبدأ الاستقرار الأسري واستمرار الحياة الزوجية بشكلها الطبيعي، فقد يعجز بعض من الأزواج تحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة التي يواجهونها وخصوصا الذين يمتهنون مهن بسيطة تدر عليهم دخلا لا يكفي لسد متطلبات الزوجة الكثيرة التي لا تقف عند حد معين فتحاول ممارسة الضغط على زوجها وتحميله ما لا طاقة له به منها ما يتعلق بالحاجيات الخاصة بها أو أبنائها أو أمور تتعلق بالمنزل من خلال ما تراه من مظاهر عند الأخريات غير متوفرة عندها ومحاولة سعيها إلى مضاهاتهن في ذلك دون مراعاة الحالة المادية لزوجها وظروف وطبيعة عمله وقدرته على توفير مثل تلك المتطلبات، فتبدأ المشاكل والخلافات تنتهي بالطلاق (30).

15. الخيانة الزوجية: واحدة من الأسباب التي يمكن أن تحطم كيان الأسرة فيحدث الطلاق فهناك من الأزواج من يلجأ إلى إقامة علاقات مشبوهة من خلال وجود التقنيات الحديثة التي دخلت مجتمعنا مؤخرا وسهلت مثل هذه الأمور ومنها الموبايل والذي كان له تأثيرا سلبيا في ازدياد الشكوك بين المتزوجين ومن ثم حدوث المشاكل، فضلا عن الانترنيت وغرف الدردشة والمواقع الجديدة والتي يتم منها تبادل الصور الشخصية والأفكار والرسائل وتنمي الشكوك، فمثل تلك الوسائل التي سخرت لخدمة الإنسان فقد كانت سببا للعديد من حالات الطلاق من خلال إثارة الشك والريبة بين الزوجين وخصوصا في حالة انعدام المصارحة والثقة بينهما(31).

16. التنشئة الأسرية الغير صحيحة: فمن الإشكاليات التي يواجهها اغلب المتزوجين مسالة التنشئة الأسرية التي عاشوها فكثير ما نجد إن هناك من المتزوجين يتصفون ببعض الصفات منها الإهمال والاتكالية واللامبالاة والتعلق الشديد بالأهل وخاصة من جانب الزوجة، كما أن الدلال الزائد في بيت أهلها فضلا عن عدم تربيتها على الأخلاق الإسلامية السامية التي تدعو التي احترام زوجها وتقديسها الحياة الزوجية وطاعة الزوج في العديد من الأمور يمكن أن يخلق لها العديد من المشاكل لعدم قدرتها على الاستقلالية في تحمل الحياة بمفردها فتؤدي بالنهاية إلى فشلها، وكذلك الحال بالنسبة للرجل فنجد كثيرا من الأزواج من تربى على مفاهيم خاطئة تضخم له دوره وتبرر له الأخطاء التي يرتكبها فهذا يؤدي إلى تفكيك الروابط العائلية والأسرية بل إلى حدوث الطلاق (32).

17. عمل المرأة: هناك بعض من الزوجات بفعل استقلالها ماديا أدى إلى إهمالها إلى رعاية أسرتها وأطفالها وزوجها، كما أصبحت تنظر إلى الزواج ليس لكونه وسيلة لتحقيق الضمان الاقتصادي بل أصبح اقل حاجة بفعل عملها الذي مكنها من توسيع إدراكها وأضفى عليها شخصية أفضل إلى جانب ذلك سمح لها في أمكانية التفكير بدون زوج بفعل استقلالها ماديا، فضلا عن ذلك نجد من بعض الزوجات من تنظر نظرة دونية إلى زوجها خصوصا إذا طالبها بالمساهمة براتب ها فأما أن تساهم أو تحمله المنة والتكلف، كما أن هناك من الزوجات نتيجة عملها تحاول أن تتسلط على أمور المنزل فتصبح الآمرة الناهية في شؤونه فيحدث الخلاف الذي ينتهي إلى حدوث الطلاق(33).

18. اعتماد الزوج على عمل الزوجة:هناك بعض من الأزواج من يكون عاطل عن العمل فيعتمدون على زوجاتهم خصوصا في حالة عمل الزوجة فيصبح الزوج اتكالي لان المسؤولية الإنفاق على شؤون البيت والأبناء تقوم بها الزوجة فقد تحدث الخلافات خاصة عند شعور الزوجة باعتماد الزوج عليها والتماهل في مسالة البحث عن عمل وهذا يمكن أن يؤدي إلى توتر العلاقات بينهما وانهيارها(34).

19. السكن المشترك: يعد واحدا من الأسباب في زيادة حدة الصراع والخلاف بين الـزوجين نتيجـة التدخل أهل الزوج في حياة ابنهم الخاصة في الوقت الذي تطمح الزوجة أن تستقل وان تكون سيدة منزلها بعيدا عن المشاكل التي يمكن أن تحدث في حالة مشاركتها السكن مع أهل زوجها، لاختلاف فـي وجهات النظر وفي طريقة الحياة فهناك من أهل الزوج قد يتحاملون على الزوجة ويحرضـون الزوج عليها إلى أن يتأثر بها ويخضع لرائهم وهذا بسبب ضعف شخصيته هذا مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة بينهما، كما أن السكن عند أهل الزوجة ليس حلا صحيحا فكثير من الأحيـان تكـون أم الزوجـة غيـر حكيمة عند حدوث أي مشكلة بين ابنتها وزوجها فتحاول أن تتدخل لنصرة ابنتها والوقوف بجانبها حتى لو لم تكن على صواب، وكذلك الحال بالنسبة لأب الزوجة الذي قد يكون غير ناصح وأمين فـي حـل الخلاف و تضخيم المشاكل اليومية التي كان من الممكن أن تكون مجرد مواقف عابرة في حياة الـزوجين فتدخلهم يمكن أن يؤدي إلى انهيار علاقة ابنتهم بزوجها ووصولها إلى الطلاق.(35)

20. عدم الاحترام ما بين الزوجين: هناك بعض من الأزواج وخاصة من جيل الشباب مـن لا يقـدر معنى الحياة الزوجية، فلا توجد حياة خالية من المشكلات الاجتماعية اليومية إلا أن هناك من يستخدم العنف ضد زوجته كالاهانة أمام الأبناء أو أمام أهله والشتم بل الضرب بشكل مستمر واستعمال النابية بين الزوجين يؤدي إلى فقدان الحب وتأزم الأمور وبالتالي يكره الواحد منهما الأخـر هـذا مما يكون سببا لحدوث الطلاق(36).

21. الإعلام: فكثير ما يكون للإعلام واحدا من الأسباب التي أدت إلى حدوث الطلاق وخـصوصا مـا تبثه بعض القنوات الفضائية للمسلسلات التركية المدبلجة التي لا تتلاءم مع الواقع الاجتمـاعي وثقافـة التقليد الخاطئ فتقدم الزوج والزوجة في صورة مغلوطة لطريقة حياتهم الزوجية من خلال المشاهد الخيالية وغالبا ما يحاول كلا الزوجين عقد المقارنة الغير العادلة بين ما يرونه وما يعيشونه من واقع مما يكون سببا في إثارة المشاكل بينهما.(37)

22. الإهمال العاطفي: يعد من الأسباب التي يمكن أن تحدث الخلافات والمشكلات بين الزوجين الـذي يكون مصدره سوء الانسجام ما بين الزوج والزوجة فهناك من الأزواج من يعانون من هـذه المـشكلة خصوصا عندما تتجاوز الزوجة سن الأربعينات وقد تعبت من مسؤولية تربية الأبناء فلا تميل إلى الاهتمام بهذا الجانب مما يثير غضب الزوج واستيائه فتكثر المشاحنات بينهما والتي تؤدي به إلى اللجوء إلى البديل والتي يمكن أن يكون سببا إلى حدوث الطلاق(38).

23. فيروس كورونا المستجد وتأثيره على العلاقة الزوجية والطلاقفإن التباعد الاجتماعي لمكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد يتسبّب ببعض التحديات الخطيرة.

وينحصر الأزواج في مساحات صغيرة، مع القليل من الراحة أو ربما عدم الراحة. ويجب عليهم الموازنة بين الحياة العملية والحياة الشخصية، 24 ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع. أضف إلى ذلك الأطفال الصغار (أو حتى المراهقين)، ويمكن أن يكون الوضع عبارة عن "كارثة"، أو أسوأ من ذلك، الطلاق.

وبعد ذكر كل هذه الاسباب وهي اسباب يذكرها كل المحاكم والباحثين الاجتماعيين وحتى المطلقين والمطلقات واسرهم الا انه من حيث الواقع كلها اسباب لا تؤدي الى هذه الزيادة في نسب الطلاق وهي اسباب تقليدية منذ مئات السنين فموضوع الزواج المبكر في العقود السـابقة كان التزويج اكثر مبكرا وكذلك موضـوع تعدد الزوجات والحالة الاقتصـادية والسـكن المشـترك والفوارق

الاجتماعية والثقافية والبرود العاطفي بل حتى الخيانة الزوجية والمسكرات وغيرها المشكلة اذا المشكلة ليست بهذه الاسباب انما الموضوع اصبح اكثر خطرا فبالامس كان الطلاق يهدد الاسر واليوم يهدد منظومة المجتمع والسلم المجتمعي ولم يعد تنفع المواعظ والتوجيهات لذلك لابد من اتخاذ خطوات اكثر عملية وجدية للخروج من هذه الازمة تتمثل بتدخل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية لحل هذه المعضلة.

المطلب الثاني

الطرق العلاجية والوقائية للحدِ من الطلاق

1. حسن الاختيار للرجل والمرأة، يشهد لذلك قوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس وهذه الخطوة تعد اللبنة الاساس في بناء الاسرة ولم شملها حيث يمثل اختيار شريك الحياة خطوة بالاتجاه الصحيح نحو اسرة اكثر استقرارا وامنا وحتى اذا اراد الطلاق فسوف يراجع نفسه باعتبار ان هذا الشريك هو الذي اراده واصر عليه بخلاف اذا كان الاختيار من الام او الاب

2. الكفاءة في الزواج معتبرة لأنها تساعد على استقرار الحياة الزوجية ونجاحها، كما أنها تساهم في تجنب الزوجين لكثير من المشاكل والصعوبات، وتحفظ الحياة الزوجية من الفشل والإخفاق. وقد حث النبي على تزوج الأكفاء في قوله: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ». والكفاءة جعلها بعض الفقهاء شرط لنفاذ عقد الزواج وتكون الكفاءة في الدين والعلم والحسب والجمال وليس من حق الولي التنازل عن هذه الكفاءة

3. التأهيل للحياة الزوجية والأسرية، وذلك عن طريق التعلم والتفقه في أحكام الأسرة والحياة الزوجية وتربية الأولاد ومعرفة ان الزوج راعي لهذه الاسرة ومسؤول عن رعيته ولذلك عليه ان يكرس جل جهده لاسرته وزوجته وكذلك الزوجة عليها ان تتحمل مسؤولية البيت وتبعاته ولتعلم انها في بيت زوجها لا بيت ابيها او امها.

4. التدريب على الطاعة وتحمل المسؤولية والتضحية فليس بيت الزوجية قفصا ذهبيا كما يصفونه بل بيت مملوء بالمسؤولية والاعباء والواجبات.

5. عقد دورات تدريبية وتأهيلية للمقبلين على الزواج وتتولى الجامعات ذات الاختصاص مسؤولية تدريب وتأهيل المقبلين على الزواج.الاهتمام بالإعلام السمعي البصري بتوظيفه لخدمة الأسرة والمجتمع الإسلامي.

الخاتمة

النتائج

1. ان تطور التكنلوجيا والاتصالات ادى الى زيادة عدد حالات الطلاق والتناسب يكون طرديا
2. الحالة الاقتصادية توثر بصورة مباشرة على العلاقة الزوجية لا سيما في ظل ازدياد طلبات الزوجات واحتياجاتهم
3. السكن المستقل وعدم تدخل اهل الزوج واهل الزوجة يعتبر عامل استقرار في الاسرة وغالبا ما يكون تدخلهم سلبيا

التوصيات

1. على السلطة التشريعية ان تاخذ دورها في تشريع القوانين التي من شئنها ان تحد من زيادة حالات الطلاق
2. على المحاكم والسلطات التنفيذية ان تكون حازمة في تنفيذ القرارات التي من شئنها ان تحد من ظاهرة الطلاق.
3. اعتبار الخيانة الزوجية جريمة بحد ذاتها يعاقب عليها القانون
4. اعانة المتزوجين برواتب ومنح وسكن لتقليل حالات الطلاق

الهوامش

(1) كتاب العين ٥: ١٠١مادة طلق.

(2) انظر: لسان العرب ٨: ١٨٨. ١٩٠. مادة طلق.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ١٣٥مادة طلق.

(4) الصحاح ٤: ١٥١٨مادة طلق.

(5) أقرب الموارد ١: ٧١٣مادة طلق

(6) مجمع البحرين ٥: ٢٠٧. ٢٠٨. مادة طلق.

(7) انظر ابن عابدين (1992)، رد المحتار على الدر المختار (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الفكر، صفحة 226، جزء 3. بتصرّف. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1993)، الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الأولى)، مصر: دار الصفوة، صفحة 8-25، جزء 29. بتصرّف. منصور البهوتي، الروض المربع شرح زاد المستقنع، بيروت: دار المؤيد- مؤسسة الرسالة، صفحة 559-591. بتصرّف.

(8) الاحوال الشخصية ص 123

- ينُظر: القاضي نبيلٌ عبد الرحمن، بغداد، المكتبة القانونةٌ، قانون الاحوال الشخصيةٌ المرقم 188لسنة 1959 وتعديلٌاته، سنة 2011،ص 48

(9) ينُظر:د.احمد الكبيسيٌ، شرح قانون الاحوال الشخصيةٌ في الفقه والقضاء والقانون، الزواج والطلاق واثارها، مطبعة الارشاد،بغداد، الجزء الاول1970،ص 15، وانُظر: قانون الاحوال الشخصيةٌ،الفقرة3المادة38.

- رواه ابن الملقن، في خلاصة البدر المنير، عن عبدالله بن عمر الرقم: 218/2، إسناده صحيح. رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب، الصفحة أو الرقم: 3512، صحيح أبو بكر الكاساني (1986)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 98/ 3.

(10) انظر ابن عابدين (1992)، رد المحتار على الدر المختار (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الفكر، صفحة 226، جزء 3. بتصرّف. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1993)، الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الأولى)، مصر: دار الصفوة، صفحة 8-25، جزء 29. بتصرّف. منصور البهوتي، الروض المربع شرح زاد المستقنع، بيروت: دار المؤيد- مؤسسة الرسالة، صفحة 559-591. بتصرّف.

(11) ينظر الاحوال الشخصية محمد ابو زهرة ص28 الاحوال الشخصية احمد الكبيسي ص https://ujeeb.com › ما-الحكمة-من-الطلاق حكمة إباحة الطلاق:| نداء الإيمان http://www.al-1eman.net › i582&d920377&c&p الحكمة من الطلاق ومقاصده

(12) سورة النساء: الآية 130

(13) . الأسباب المؤدية إلى الطلاق من وجهة نظر المطلقين والمطلقات في محافظة غزة، المركز الفلسطيني للديمقراطية وحل النزاعات، قسم المعلومات، سلسلة الدراسات الميدانية، ٢٠٠٣،ص٣. www.pcdcr.org/arabic/esdar/book/1267617126.pdf

(14) حسان المالح، الطلاق أسبابه وطرق الوقاية منه، http://www.hayatnafs.com/mohkelat/divorce.htm.

(15) التقرير الفقهي، العددان ٦و٧،٢٠٠٨،ص١٩..http://www.ibnidrees.com

(16) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٤٦.

(17) عائدة سالم الجنابي، المصدر السابق، ص٢١٠.

(18) عائدة سالم الجنابي، المصدر السابق، ص٢١١.

(19) محمد بن عبد الله بن محمد الشمري، الطلاق أسبابه وآثاره على المجتمع، ٢٠٠٩،ص١٧.

(20) أيمن الشبول، المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظ اهرة الطلاق/دراسة انثروبولوجية في بلدة الطرة، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٦، العدد ٣و٤،٢٠١٠،ص٦٨.

(21) عائدة سالم الجنابي، المصدر السابق، ص٢٠٤-٢٠٥.

(22) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٣٩.

(23) التقرير الفقهي، المصدر السابق، ص١٣٩.

(24) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٣٧.

(25) أيمن الشبول، المصدر السابق، ص٦٨.

(26) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٢٥،١٢٣،١٢١.

(27) التقرير الفقهي، المصدر السابق، ص٧.

(28) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٢٤،١٢٠.

(29) الأسباب المؤدية إلى الطلاق من وجهة نظر الم طلقين والمطلقات في محافظة غزة، المصدر السابق، ص٣.

(30) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٣٥،١٣٤.

(31) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٤٣. م. هناء جاسم السبعاوي (20

(32) إيمان عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٥٦.

(33) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٤٣.

(34) عائدة سالم الجنابي، المصدر السابق، ص٢١٠

(35) أيمن الشبول، المصدر السابق، ص٦٨٠.

(36) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٦٦،١٦٥.

(37) المصدر نفسه، ص١٦٢.

(38) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(39) إيمان عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٥٨. ٥٢ -المصدر نفسه، ص٥.

(40) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٣٤،١٣٣،١٣١.

(41) المصدر نفسه، ص١٥٥،١٥٤. ٥٥ -التقرير الفقهي، المصدر السابق، ص٤.

(42) وسيلة عاصم الباشا، المصدر السابق، ص١٥٦،١٥٥.

(43) تعدد الزوجات.. الطريق إلى الطلاق مفروش بـ"النوايا الطيبة" -https://al-ain.com › article › polygamy-divorce

(44) البحث عن أسباب الطلاق يقود للعلاج - فكر وفن – البيان https://www.albayan.ae › culture

(45) 16سـبباً لارتفاع نسـب الطلاق في الدولة..و7 حلول لتفاديه https://www.alkhaleej.ae › ..تحقيقات-وحوارات › أخبار-الدار.

(46) الطلاق بسبب الخيانة الزوجية والانفصال عن الزوج – حلوها https://www.hellooha.com › ...› الخيانة الزوجية

(47) التنشئة الأسرية السيئة للمراهقين ودورهـ doc4 › bitstream › jspui › http://193.194.80.37

(48) كشف أسباب ارتفاع حالات الطلاق في العراق-Elaph33 – https://elaph.com › Web › News › 2019/05

زواجٌ بلا احترامْ يُحْكَمُ عليهِ بالإعدام https://www.aljazeera.net › blogs › 2016/12/25 › زواج...-

(50) تقارير وتحقيقات (سياسية - ثقافية) - المركز الاسلامي...› https://www.iicss.iq

العراق: ارتفاع عدد دعاوى الطلاق - العربي الجديد https://www.alaraby.co.uk › society › العراق-ارتفاع-عد...

(52) إهمال الزوج لزوجته والتعامل مع الزوج المهمل - حلوها https://www.hellooha.com › ...› قضايا اسرية

مؤرّخو بيوتات دمشق العلمية وإسهاماتهم الحضارية خلال المدّة من القرن (6 - 10) للهجرة

أ. م. د. رياض سالم عواد

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة كركوك – العراق

riadawad90@uokirkuk.edu.iq

الملخص

تسعى الدراسة في رحلتها بين المصادر التاريخية إلى تحقيق جملة من الأهداف في مقدّمتها بيان أهمية علم التاريخ ووقعه في نفوس المسلمين، وإظهار دور الاسر الاسلامية وحرصها على دعم وتطوير هذا العلم، وديمومة ازدهاره من خلال انجابها علماءً كرّسوا جهوداً جليلة خدمة لعلم التاريخ على اختلاف مجالاته من جهة، فضلاً عن اسهاماتهم في العلوم الاخرى كالعلوم الدينية، والإنسانية، والعقلية من جهة أخرى، إلى جانب ما تركه هؤلاء العلماء من بصمات حضارية وهّاجة تمثّلت في دعمهم للنظم السياسية، والقضائية، والإدارية؛ مع بيان دور المدينة التي احتضنت مؤرّخو ألمع البيوتات العلمية خلال المدّة محور الدراسة وهي مدينة دمشق.

الكلمات المفتاحية: بيوتات، مؤرخون، دمشق، رياض سالم

Abstract

The study on their journey between the historical sources seeking to achieve a number of objectives at the beginning show the importance of science history and its impact on the hearts of Muslims, And to show the contribution of Islamic families and their emphasis on supporting and developing this science, And the continuity of its prosperity through the birth of scientists dedicated great efforts to serve the science of history in various disciplines this is by, As well as their contributions to other sciences such as religious, human, and mental sciences on the other hand, In addition to what these scientists left the fingerprints of civilization and represented in their support of political systems, Judicial and administrative; The city that received the most brilliant historians during the period of study.

Keywords: Houses, Historians, Damascus, Riad Salim

المقدمة

تُعد الحقبة الممتدّة من القرن السادس إلى القرن العاشر للهجرة واحدة من أزهى الحقب الاسلامية التي شهدت تطوّراً حضارياً ملموساً لا سيما في الجانب العلمي للدولة العربية الإسلامية حينذاك، وذلك لما شهدته من إزدهارٍ ملحوظ في مختلف العلوم كالعلوم الدينية (علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف، والفقه ومذاهبه)، والعلوم الانسانية (اللغة العربية، والتاريخ، والجغرافية، وغيرها)، والعلوم العقلية (الطب، الرياضيات، الفلك، الفلسفة،...ألخ)، وما يهمّنا هنا هو التطوّر الذي طرأ على علم التاريخ إبّان المدّة محور الدراسة، إذ زخرت مكتبات العالمين الإسلامي والأوربي بأشهر الموسوعات التاريخية العربية الإسلامية المصنّفة في تاريخ السير والمناقب، أو مجال التاريخ العام، والتراجم والطبقات، وتاريخ المدن، وغيرها.

فمن بين الأسئلة المطروحة التي تحاول الدراسة الإجابة عنها في هذا البحث هي: لماذا هذا التطوّر في علم التاريخ؟، وما هي العوامل التي مهدّت الطريق لتطوّره؟، فتبيّن بعد التقصّي والدراسة أن أهم عامل من عوامل تطوّر علم التاريخ هي الأسرة، إذ برزت العشرات من الأسر العلمية الإسلامية وقتذاك، والتي امتدّ تاريخها لقرون، خلّفت بين أجيالها كبار أعلام التاريخ الذين تربّوا وترعرعوا في كنف تلك البيوتات، ثم يأتي العامل الآخر الذي ساهم في تطوّر علم التاريخ متمثلاً بمدينة دمشق، أهم صروح الحضارة العربية الإسلامية، إذ حفلت هذه المدينة بالمئات من المدارس الإسلامية توّزعت بين مساجد، ودور للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فضلاً عن المدارس الفقهية، فخلق ذلك بيئة علمية رصينة ساهمت في إنجاب العديد من البيوتات العلمية الدمشقية، الى جانب اجتذابها بيوتات علمية أخرى وفدت إليها من مختلف

البلدان الإسلامية هذا من جانب، ومن جانب آخر كان علم التاريخ من بين أهم العلوم التي دُرّست في تلك المدارس، ممّا لعب ذلك دوراً رئيساً في تطوّر وازدهار هذا العلم.

عنوان الدراسة:

تم وسم الدراسة بعنوان (مؤرّخو بيوتات دمشق العلمية وإسهاماتهم الحضارية خلال المدّة من القرن "6 – 10" للهجرة) فالمقصود ببيت العلم هي الاسرة العلمية التي انحدر علماؤها من صلب رجل واحد، أمّا مدلول بيوتات دمشق فهي البيوتات ذات الاصل الدمشقي، أو التي رحلت إلى مدينة دمشق فاكتسبت النسب الدمشقي برحلتها إليها، والمؤرّخ بيت العلم هو سليل تلك الأُسر، وقد نال صفة المؤرّخ لإهتمامه بعلم التاريخ، أمّا الاسهامات الحضارية فالمراد بها اسهامات ذلك المؤرّخ في العلوم الاخرى غير التاريخ، فضلاً عن دوره السياسي والقضائي، والإداري في مدينة دمشق، وتمّ تحديد الاطار الزمني للدراسة من القرن السادس حتى العاشر الهجريين وذلك لامتداد أجيال تلك البيوتات الى عدّة قرون ومن المحال حصرها في مدّة تقل عن قرن واحد أو تزيد عليه بقليل.

أهداف الدراسة:

ان غاية الدراسة في وطئها هذا الميدان الحضاري تحقيقها أهدافاً عديدة أهمّها:

01 تأصيل هوية التراث التاريخي الإسلامي، وإبراز دور المسلمين في دعم أصالته، ودفع دولاب إزدهاره الى الأمام.

02 بيان مراحل تطوّر وتنوّع التدوين التاريخي لدى المسلمين.

03 إظهار دور مدينة دمشق كحاضرة للتراث الاسلامي ابّان المدّة مدار البحث.

04 التعريف بأثر الأُسر الاسلامية في إنجاب أجيال رواد الحركة العلمية الاسلامية.

05 شد الانتباه الى الأبحاث ذات الطابع الجمعي، بالتركيز على اسم البيت العلمي، أكثر من اسم أبرز علماءه.

06 التعرّف على ألمع البيوتات العلمية، وتتبّع جذور أصولها ان كانت دمشقية، أو أكتسبت النسب الدمشقي بالرحلة إليها.

07 استحضار الإسهام التاريخي لهذه البيوتات، في خطوة لإلقاء النظرات على تاريخ تراثنا التاريخي، وجرّ الشاردة منها إليه، إعتزازاً منّا بأصالة هويته الاسلامية.

08 الاستشهاد بدور البيوتات العلمية الدمشقية وغيرها في إثراء خزانة التراث الاسلامي بأجل الموسوعات التاريخية وغيرها وقتذاك.

09 بيان أن زمام أمور الدولة الإسلامية، وهيكلها التنظيمي السياسي والقضائي والاداري كان يسلّم بيد العلماء المسلمين الأخيار.

خطة الدراسة ومنهجيتها:

ارتبطت خطّة الدراسة ارتباطاً وثيقاً بالأهداف الرئيسة الموضوعة للبحث، فإنها توزّعت على أربعة مباحث، أختصّ المبحث الأول منها بعرض إسهامات مؤرّخو بيوتات دمشق في تاريخ السير والمناقب، في حين تناول المبحث الثاني إسهاماتهم في مجال التاريخ العام، بينما سلّط المبحث الثالث الضوء على دور مؤرّخي الاسر العلمية في تأليف كتب التراجم والطبقات والأنساب، أمّا المبحث الرابع فإنه بيّن إهتمامات شيوخ البيوتات العلمية بتاريخ المدن، ثمّ أختتمت الدراسة بجملة من النتائج المستخلصة منها فضلاً عن مجموعة من التوصيات.

أمّا منهجية وأسلوب عرض ترجمة بيوتات العلم ومؤرخيها، وإسهاماتهم الحضارية في دمشق، فإنها كالآتي:

01 تقديم ذكر اسم بيت العلم على عالمه، حرصاً على بيان دور الأسرة كوحدة اجتماعية اساسية لبناء المجتمعات.

02 ترتيب عرض أسماء البيوتات العلمية داخل المطلب الواحد على أساس الحروف الهجائية للاسم الذي اشتهر به بيت العلم.

03 ثم ذكر اسم المؤرّخ الذي أنجبه بيت العلم، وعرض اسهاماته الحضارية، مبدوءة بدوره في علم التاريخ وبحسب عنوان المبحث، ثم التطرّق لإسهاماته العلمية الاخرى في العلوم الدينية، والإنسانية، والعقلية، ثم عرض دور المؤرّخ في الجوانب الحضارية الاخرى كالجوانب السياسية، والقضائية، والادارية.

المبحث الأول

إسهامات مؤرخو بيوتات دمشق العلمية في تاريخ السير والمناقب:

نال علم التاريخ إهتمام وعناية الاوائل من المسلمين، وكانت بدايات اهتماماتهم تتمثل بتناقل الاخبار والروايات التاريخية بينهم شفاهاً، ولكن بتقادم القرون الاسلامية أخذت العناية بهذا العلم شكلاً منظماً مستندة على اسس علمية رصينة، متمثلة بإقدام العلماء المسلمين على تدوين السيرة النبوية الشريفة وفق معايير المنهج العلمي السليم، ومثّل ذلك مرحلة من مراحل تطوّر التدوين التاريخي لدى المسلمين، فظهرت المؤلّفات التاريخية التي تعنى بتدوين تاريخ سيرة ومغازي الرسول الاعظم محمد ﷺ، فضلاً عن تصنيف كتب شمائل ودلائل النبوّة عن الرسول الكريم ﷺ، في حين أقدم بعض المؤرّخين المسلمين بتصنيف مؤلّفات مثيلة لسابقتها ولكنها تطرّقت الى سير الصحابة والتابعين والسلف الصالح، متناولة مناقبهم الجليلة، وقد تصدّت بيوتات دمشق العلمية لهذه المهمّة بإنجابها خيرة المؤرّخين الذين سطرت أقلامهم أجل المؤلفات في تاريخ السير والمناقب منها:

01 بيت ابن الجزري:

من بيوتات العلم العريقة الوافدة الى دمشق، أصله من جزيرة عمر قرب الموصل[1]، أنجب خيرة العلماء الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في مختلف الميادين بدمشق، ففي ميدان العلوم برز من هذا البيت المقرئ، والمفسّر، والمحدّث، والفقيه، والشاعر والنحوي، والخطيب، أمّا في مجال التاريخ فقد لمع منه الشيخ المؤرّخ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي (ت833هـ/ 1429م)[2]، صاحب التصانيف المشهورة، منها في تاريخ السير والمناقب ككتاب (ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء)، وكتاب (التعريف بالمولد الشريف)، ومختصره (عرف التَّعْرِيف)، وكذلك مؤلف (الحصن الْحصين من كَلَام سيد الْمُرْسلين)، و(أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب)[3]، وتحلّى شمس الدين ابن الجزري بحميد الصفات، فقد كان مثرياً، بليغاً، فصيحاً، وشكلاً حسناً، ولفضله وغزير علمه كان له أثراً في ثقل حظوته لدى الملوك والسلاطين أينما حل، جدّ في طلب علم القراءات حتى ذاع صيته فيه، فأضحى شيخ المقرئين في زمانه وحامل لوائهم، ونال العلوم الاخرى وبرع فيها، فمن تصانيفه الاخرى بهذه العلوم كتاب (النشر في القرآآت العشر)، و(فضائل القرآن)، و(مفتاح الحصن الحصين)، و (تقريب النشر في القرآآت العشر) وغيرها[4].

(1) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت: د.ت): 11/ 239.

(2) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العَكري (1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (بيروت: 1986م): 9/ 298.

(3) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15 (د.م: 2002م): 7/ 45.

(4) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية (د.م: د.ت): 2/ 247؛ الزركلي، الاعلام: 7/ 45.

أما اسهاماته العلمية الاخرى بدمشق أنه عمّر فيها داراً للقرآن الكريم، كما تصدى للإقراء بِجَامِع بني أُميَّة[1]، ودرّس العلوم في المدرسة العزية البرانية، والمدرسة الصالحية (تربة ام صالح) التي تولى فيها مشيخة الاقراء الكبرى، فضلاً عن توليه مشيخة العادلية، ولعلمه وفضله عُيّن نائباً للقاضي الشافعي بدمشق، ثم تولى قضاء القضاة فيها استقلالاً[2].

02 بيت ابن حمزة الحسيني:

بيت علم دمشقي جليل، خلّف علماءً كبار كانت لهم حظوة ومكانة عاليتين لدى عوام دمشق وخواصها، إذ تبوّء شيوخه أجل المناصب الدينية والإدارية فيها كمنصب القضاء، وافتاء دار العدل، ونقابة الأشراف، ومشيخة المؤسسات التعليمية، ورئاسة المؤذنين وغيرها[3]، أمّا إسهاماتهم العلمية فقد خاض علماؤه مضامير العلوم الدينية والإنسانية على حد سواء، وخصوصاً في مجالات التاريخ ومنه تاريخ السير والمناقب كالشيخ المؤرخ المقرئ الحافظ الفقيه شمس الدَّين ابو المحاسن محمد بن علي بن حمزة الحسيني (ت765هـ/1363م)، ولد ونشأ في دمشق، وجدّ في طلب العلم ورحل لأجله، منها مصر حيث تتلمذ على يد خيرة شيوخها، فبرع وتميّز في علومه، نال رضى واستحسان من عاصروه لنبيل أخلاقه، فقد كان ثقة ثبتاً رضي النفس طيب السجيّة، أفاد العلم بمختلف فروعه، ونسخ الكثير من الكتب، وألف العديد منها ففي مجال تاريخ السير والمناقب ألف كتاب (رياض الزاهدين فِي مناقب الخلفاء الراشدين)، أمّا مصنفاته الاخرى منها كتاب (الكشاف في معرفة الأطراف) في الحديث، و(الإلمام بآداب دخول الحمّام)[4]، وقد تولّى تدريس ومشيخة دار الحديث البهائية في دمشق، كما عمل شاهداً للمواريث وكاتباً للقضاء في دمشق[5].

03 بيت الحافظ ضياء الدين المقدسي:

بيت العلم والزهد والرواية، مقدسي الاصل هاجر علماؤه الى دمشق فزادوها رونقاً وجلالة بفضلهم وعلمهم، خلّف العديد من كبار شيوخ الاقراء والتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ والطب، وأصرّوا على التفرّغ للعلم دون غيره فزهدوا عن مناصب الدنيا، فمن مؤرخي هذا البيت الشيخ المفسّر المقرئ الفقيه اللغوي الأديب الحافظ ضياء الدّين أَبُو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسيّ الحنبلي (ت643هـ/1254م)، كبير علماء هذه الأسرة واليه تُنسب، صاحب العلوم والتصانيف الجليلة[6]، ولد

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات: 9/ 298.

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (د.م: 1990م): 1/ 8، 245، 425.

(3) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد: 1972م): 5/ 313؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 9/ 202.

(4) ابن فهد، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد الهاشمي العلويّ (ت871هـ)، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (د.م: 1998م): ص 100.

(5) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي (ت851هـ)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب (بيروت: 1986م): 3/ 129.

(6) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: 2000م): 4/ 48.

في بيت المقدس، فجدّ في طلب العلوم والترحال له، وجاب البلاد منها مَكَّة المكرّمة ومصر وبغداد وهمذان واصبهان وحلب وحرّان والموصل ودمشق التي عاد إليها بِعلم عظيم فتح الله به عليه هبة ونسخاً وَشِرَاءً، ثمّ أكبّ على التصنيف والنسخ، ولا سيما في تاريخ السير والمناقب ككتاب (الهجرة إلى أرض الحبشة)، و(دلائل النبوة)، و(مناقب جعفر بن أبي طالب)، و(مناقب أصحاب الحديث)، و(سبب هجرة المقادسة إلى دمشق وكرامات مشايخهم) نحو عشرة أجزاء، والف لأكابرهم لكل واحد منهم سيرة في أجزاء في كتاب (سِيَر المقادسة)، منها (أحوال أبي عمر المقدسي)، وسيرة عن الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي عمر بن قُدامة (ت620هـ/ 1223م) في جزين، ومن من مصنفاته أيضاً (الأحاديث المختارة) في ستة وثمانين جزءاً، و(صفة الجنة) ثلاثة أجزاء، و(صفة النّار) جزءان، و(الرّواة عن البخاري) وغيرها[1]، وقد إختار ان يجعل كتبه هذه صدقة جارية فوقفها في مدرسته التي أنشأها بدمشق عَلَى باب جامع الحنابلة، وجعلها داراً للحديث عرفت بالمدرسة الضيائية المحمدية[2].

04 بيت الحافظ عبد الغني المقدسي:

بيت المشايخ والأئمة والحفّاظ، بيت العمل والصلاح، شدّ علماؤه رحالهم من بيت المقدس الى دمشق ليدخلوا فيها مهلّلاً بهم من أهلها الذين هبّوا إليهم عندما علموا فضلهم في العلوم الدينية والإنسانية والعقلية، وقدّموهم للوظائف المهمّة في دمشق كالقضاء والحسبة ومشيخة ونظر وتدريس المؤسسات التعليمية فيها، فمن أبرز علماء هذا البيت سيّده الشيخ المؤرّخ المقرئ الفقيه الناسخ الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي(ت600هـ/ 1203م)، ولد بجماعيل في فلسطين، فقدم مع أفراد أسرته صغيراً إلى دمشق، فسكنوا بداية في مسجد أبي صالح، ثم انتقلوا إلى سفح قاسيون، فبنوا بيتاً كبيراً فيه عرف فيما بعد بدار الحنابلة[3]، فتتلمذ في دمشق على يد علمائها، ثم رحل طالباً للعلم إلى بغداد، ومصر واصبهان، وهمذان والموصل، وكان يقضي جميع وقته في التعلّم، فعاد بعلم غزير، وصار يقرأ الحديث في المسجد الاموي بدمشق في رواق الحنابلة، فاجتمع عليه الناس، فنال استحسانهم، لأنه كان سريع الدمعة ورقيق القلب، كما خصّص الكثير من وقته في التاليف فظهرت على يده العديد من المصّنفات على رأسها ما يختص بتاريخ السير والمناقب ككتاب (الدرة المضيّة في السيرة النبويّة)، و(فضائل خير البَرِيَّة) أربعة أجزاء، و(وفاة النَّبِيّ ﷺ)، و(أقسام النَّبِيّ ﷺ)، و(مناقب عمر بن عبد العزيز)، و(دُرر الأثر) تسعة أجزاء، و(محنة أحمد)، و(مناقب النساء الصحابيات)، و(زواج أبي العاص بزينب بنت الربيع)، ومن مصنفاته الأخرى كتاب (اليواقيت)، و(نهاية المراد في السنن)، و(الروضة)، و(الإسراء)، و(الذكر) وغيرها الكثير[4].

(1) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ)، تاريخ الإسلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د.م: 2003م): 14/ 472؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 7/ 387، 390.

(2) الصفدي، الوافي: 4/ 48؛ النعيمي: الدارس: 2/ 71.

(3) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السَلامي البغدادي (ت795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان (الرياض: 2005م): 190/3؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 1/ 49.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام: 12/ 1203؛ الزركلي، الأعلام: 4/ 34؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): 5/ 275.

05 بيت الغَزّي:

بيت علم فلسطيني من غزة، وفد علماؤه الى دمشق فصاروا من رؤساء العلم فيها، وكبراء أقوامها، ذاعت شهرتهم في الأوساط الدينية والإدارية فضلاً عن العلمية، انجب أشهر شيوخ التفسير، والإقراء، والوعظ، والحديث، والاصول، والعربية والبيان والمعاني والنحو والشعر والطب والمنطق والجدل، أمّا علم التاريخ فقد علوا بلوائه شاهقاً[1]، إذ برز منه خيرة مؤرخي ذلك العصر منهم الشيخ المؤرّخ الفقيه رضى الدّين أَبُو البركات محمد بن احمد بن الغزي الدمشقي الشافعي (ت864هـ/ 1459م)، ولد وَنَشَأ بدمشق فحفظ القرآن الكريم، ثم ذهب الى القاهرة واصطف في مجالس علمها، فعلى نجمه وَصَارَ أحد أَعْيَان الشافعية في عصره، درّس وأفتى، واخذ عنه طلبة العلم، كان قوي الاستحضار في الدرس مَعَ خفَّة وسرعَة حركة، أمّا دوره في التصنيف في تاريخ السير أنه ألّف كتاب في سيرة الظاهر جقمق، وقد أعتلى منبر التدريس في المدرسة الكلاسة بدمشق، فضلاً عن توليه منصب نائب القاضي الشافعي فيها[2].

ومن مؤرّخي بيت الغزي الشيخ العلّامة المفسّر المقرئ المحدّث الواعظ الشاعر النحوي المنطقي الجغرافي شيخ الإسلام بدر الدّين أبو البركات محمد بن محمد بن الغزي الدمشقي الشافعي (ت984هـ/ 1576م)، كبير علماء هذا البيت، أحسن والده تنشأته، فقرأ القرآن العظيم بالروايات العشرة، ثم طلب الحديث الشريف والفقه والعربية والمنطق، ولبس خرقة التصوّف، واتجه إلى مصر فأخذ عن مشايخها، وبعد عودته، تصدّى للإفادة تدريساً والإفتاءً وتصنيفاً نهاراً مع ليل في حياة مشايخه فقرّت أعينهم به، حيث ألتف عليه طلبة العلم وهو ابن سبعة عشرة عاماً، أمّا تصانيفه التاريخية في السير والمناقب فهي (منظومة في خصائص النّبي ﷺ)، و(منظومة في موافقات سيدنا عمر للقرآن العظيم وشرحها)، ومن مؤلفاته الاخرى التي بلغت قرابة المائة وبضعة عشر مؤلفاً كتاب (المنثور)، و(فصل الخطّاب في وصل الأحباب)، و(شرح التّوضيح) لابن هشام، و(شرح شواهد التلخيص) وغيرها الكثير، أمّا دوره التعليمي والإداري بدمشق فانه تولّى تدريس المدرسة العادلية، ثم الفارسية، والشاميتين الجوانية البرّانيّة، والمقدّميّة، والتّقويّة، فضلاً عن مشيخة القرّاء في المسجد الأموي[3]، ومن شعره[4]:

إله العالمين رضاك عنّي... وتوفيقي لما ترضى منـاي

فحرماني عطائي إن ترده... وفقري إن رضيت به غناي

(1) المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي الدمشقي (1111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر (بيروت: د.ت): 2/ 309، 315.

(2) السخاوي، الضوء: 6/ 313؛ النعيمي، الدارس: 1/ 343؛ الزركلي، الأعلام: 5/ 333.

(3) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): 3/ 3؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة (بيروت: د.ت): 2/ 252؛ كحالة، معجم المؤلفين: 11/ 270.

(4) **593**/ **10** .

06 بيت ابن قاضي شهبة:

بيت القضاء والرياسة، والإدارة والإحسان والكتابة، من كبار بيوتات دمشق العلمية، أهتم علماؤه بعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه، وعلوم اللغة العربية، فضلاً عن أسهاماتهم الجليّة في علم التاريخ، لاسيما في تاريخ السير والمناقب متمثلاً ذلك بالشيخ المؤرخ المفسّر المحدّث الخطيب الناسخ تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قَاضِي شهبة الدمشقي الشافعي (ت851هـ/ 1447م)، صاحب التداريس العديدة، والمناصب الجليلة، ولد بدمشق فنشأ وتعلّم بها، وسمع من أكابر عصره، تفقه حتى أضحى سيّد فقهاء الشافعية، بل انتهت إليه رئاسة المذهب فصار فقيه الشام ورئيسها وعالمها ومؤرخها، كما طلب الحديث، فسمعه وأسمعه في دمشق والقدس، وهمّ في تصنيف الكتب حتى أنه توفي فجأة وهو جالس يكتب ويكلّم أبنه بدر الدين، فمن مصنفاته في تاريخ السير ومناقب كتاب (مناقب الشافعي)، و(الكواكب الدرية) عن سيرة نور الدين محمود زنكي، وكراسة عن سيرة حياة (ست الشام)، أمّا كتبه الاخرى منها (تفسير القرآن الكريم)، و(كفاية المحتاج على المنهاج)، و(مدارس دمشق وحمّاماتها) وغيرها[1].

وقد درّس في أشهر مدارس دمشق منها المدرسة المسرورية، والظاهرية الجوانية، والمجاهدية، والناصرية، والأمجدية، والعذراوية، والتقوية، والأمينية، والاقبالية، والركنية الجوانية الشافعية، والطبرية، والشاميتين البرانية والجوانية، أمّا مناصبه بدمشق فهي نيابة القضاء، ثم قاضياً للقضاة، ونظر المارستان النوري، ومشيخة الخانقاه السميساطية، وخطابة الجامع الاموي[2].

ومن مؤرّخي بيت ابن قاضي شهبة الشيخ المؤرّخ المفسّر المحدّث الفقيه الفرضي بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر بن قاضي شهبة الاسدي الشافعيّ (ت874هـ/1469م)، مولده ونشأته في دمشق، فتتلمذ عل يد والده وبقيّة مشايخ عصره، كان من سروات رجال دمشق أصالة وسؤدداً، علماً وعراقة، ديانة وكرماً، مهابة وحزماً ولطافة، فهو فعلاً للشاميين فخراً، يشار إليه بالأصابع براعة في الفقه نقلاً واستحضاراً، أمّا جهوده في دعم تاريخ السير والمناقب فإنها تتمثل في كتاب (الدرّ الثمين) في سيرة حياة نور الدين محمود، و(تاريخ الملك الاشرف قايتباي)، كمّا ألّف في العلوم الاخرى منها كتاب (إرشاد المحتاج)، و(بداية المحتاج)، و(المواهب السنيّة) في الفرائض، كما تصدّر للتدريس في المدرسة الناصرية الجوانية، والتقوية، والقوصية، والشاهينية، والعذراوية، والعصرونية، والظاهرية والمجاهدية الجوانية، ونيَابَة التدريس في الشامية البرانية والفارسية وتصدير الجامع الأموي، فضلاً عن تولّيه منصب نيابة القضاء، وإفتاء دار العدل بدمشق فعكس ذلك مدى حجم إسهاماته الحضارية في هذه المدينة[3].

(1) سبط ابن العجمي، موفق الدين أبو ذر حمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت884هـ)، كنوز الذهب فى تاريخ حلب، دار القلم (حلب: 1996م): 2/ 206؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 9/ 392؛ الشوكاني، البدر: 1/ 164؛ ؛ شذرات الزركلي، الأعلام: 2/ 61؛ كحالة، معجم المؤلفين: 3/ 57.

(2) النعيمي، الدارس: 123/1، 152، 168، 198، 267، 289، 300، 307، 325، 346؛ نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية (بيروت: 1988م): 2/ 467.

(3) السخاوي، الضوء: 7/ 155؛ النعيمي، الدارس: 1/ 168، 223، 237، 289، 307، 325، 335، 355؛ الزركلي، الأعلام: 6/ 58؛ كحالة، معجم المؤلفين: 8/ 232، 9/ 105.

07 بيت ابن قدامة:

إن الكلام عن بيت ابن قدامة المقدسي الأصل، يعني الاسهاب عن أكثر من خمس وأربعين شيخاً وشيخة، وهو من المحال والغبن في ذات الوقت بحق هذه الاسرة الكبيرة أن تحصر بين سطور دراسة صغيرة، فإن بيت ابن قدامة تفرّع من حيث الشهرة إلى ثلاث أسر علمية وهي أسرة الشيخ ابي عمر، وأسرة الشيخ عبد الملك، وأسرة الشيخ عبد الهادي، وقد تسابقت كلها على إنجاب الألمع والأشهر والأبرز والأجل من العلماء في مختلف الاختصاصات الدينية والإنسانية والعقلية، فهو البيت الذي وُصف بأنه بيت العبادة والزهد، والعلم والعمل، والرواية والدراية، تولّى علماؤه مناصب القضاء والحسبة والمشيخة والنظر فضلاً عن التدريس، فإنهم أفادوا الناس بعلمهم وإفتائهم في دمشق، كما أناروا لباب طلبة العلم الذين رحلوا إليهم من الحجاز ونجد والعراق وبلاد الشام واليمن ومصر وغيرها، إذن هم بحق حُمّال مشعل الحضارة العربية الإسلامية، كما كثرت تآليفهم النافعة، لا سيما في مجال التاريخ متمثّلة بالشيخ المؤرّخ المفسّر المسند الفقيه الحاسب الفرضي الاصولي النحوي الأديب شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي عمر بن قُدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي (ت 620هـ/ 1223م)، هاجر مع عائلته وأقاربه إلى دمشق، طلب العلم في مكّة المكرمة، وبغداد، والموصل، فضلاً عن دمشق، كان حجّة وثقة، ورعاً نزيهاً عابداً غزير الفضل، أضحى امام الحنابلة في المسجد الأموي، ومفتي الامة، متواضعاً، طيب الاعتقاد، عليه وقار ونور، ومجلسه بالمحدّثين والفقهاء معمور، وهو الذي عمل له الشيخ المؤرّخ الحافظ ضياء الدّين محمد بن عبد الواحد المقدسيّ (ت643هـ/1254م) سيرة في جزئين كمّا سلف ذكره، أمّا ما اختطته أنامله في تاريخ السير والمناقب فهو كتاب (فضائل الصحابة) في جزئين، ومن مؤلّفاته الاخرى (القنعة فِي الغريب)، و(العمدة)، و(المتحابين)، و(مختصر العللِ للخلال) وغيرها[1].

ومن مؤرّخي بيت ابن قدامة الشيخ المؤرّخ المحدّث الفرضي شهَاب الدين احمد بن حسن بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت856هـ/ 1452م)، طلب العلوم فأجادها، ألف في السير كتاب (تعريف الغادي بفضائل أحمد بن عبد الهادي)، ومن كتبه أيضاً (شرح على الخرقي)، (والترشيح في فضل التسبيح)[2].

ومنهم الشيخ المؤرّخ المفسّر المحدّث الاصولي الفقيه النحوي الاديب جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي وَيعرف بابن المبرد (ت909هـ/ 1503م)، طلب العلوم، فتعلم على يد أبيه ومشايخ عصره، واشتغل بالتدريس والإفتاء والقضاء، وبرع في شتى المجالات العلمية، ولكن غلب عليه علم الحديث الشريف والفقه، وقد انهالت من تحت أصابعه العديد من المجلّدات لاسيما في تاريخ السير والمناقب وهي كتاب (الميرة في حل مشكل السيرة) شرح فيه المبهم من سيرة ابن هشام، و(الاقتباس) تعليق وشرح على سيرة بن سيد الناس، و(محض الشيد في مناقب سعيد بن زيد)، و(محض الصواب في

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام: 13/ 601؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر (د.م: 1986م): 13/ 99؛ الأدنه وي، أحمد بن محمد (ت ق 11هـ)، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم (السعودية: 1997م): ص 177.

(2) ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن الصالحي الحنبلي (ت909هـ)، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (المدينة النبوية: 2000م): 1/ 36.

فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)، و(إرشاد السالك إلى مناقب مالك)، و(محض الخلاص في مناقب سعد ابن أبي وقاص)، و(نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر)، أمّا مصنّفاته الاخرى فمنها كتاب (النهاية في اتصال الرواية)، و(الإتقان في أدوية اللثة والأسنان)، و(سير الحاث) عن الطلاق وغيرها الكثير[1].

08 بيت ابن كثير:

بيت الحديث والتاريخ، أصله من بصرى الشام، وفد شيوخه الى دمشق محدثين ومفسرين وفقهاء، مؤرخين ولغويين وشعراء، فضلاً عن محدثاته من النساء، فمن شيوخه الذي عنوا بعلم التاريخ أتم عناية الشيخ المؤرّخ المفسّر المسند النحوي الاديب الحافظ عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي الشافعي (ت774هـ/ 1372م)، أفصح مؤرخي الإسلام، قدم دمشق وهو ابن سبعة سنين، مع أخيه بعد موت أبيهم الشيخ الفقيه الخطيب شهاب الدين ابو حفص عمر (ت703هـ/ 1303م)، وُصف بجودة الاستحضار وندرة النسيان، سامعاً، جامعاً، ضابطاً، محرّراً، مصنّفاً، لامست فتاويه مسامع العباد، وتوقفت عنده رياسة علم التاريخ[2]، فمن أروع ما صنّفه في تاريخ السير والمناقب، كتاب (اختصار السيرة النبويّة)، وقد طبع تحت اسم (الفصول في اختصار سيرة الرسول)، وهو من الكتب القيّمة المختصرة في مجاله، تناول في قسمه الاول سيرة الرسول محمد باختصار نافع ومفيد للخاص والعام، في حين تطرّق الى أحواله وخصائصه وشمائله في القسم الثاني منه، الأمر الذي قرّبه إلى قلوب قارئيه، وكذلك ألّف كتاب (معجزات النبي)، وكتاب (قصص الانبياء)، في تاريخ سير الانبياء عليهم السلام، ومن كتبه الاخرى (شرح صحيح البخاري) و(تفسير القرآن الكريم) وغيرها، أمّا دوره في التدريس والادارة في دمشق فإنه تولّى مشيخة وتدريس دار الحديث الاشرفية، وتربة ام صالح، فضلاً عن تدريس المدرستين التنكزية، والنجيبية[3]، ومن شعره[4]:

تمرّ بنا الأيام تترى وإنّمـــــــــا... نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشّباب الذي مضى... ولا زائل هذا المشيب المكــدّر

(1) ابن المبرد، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، دار الكتب العلمية (بيروت: 1992م): ص3 – 4؛ محض الصواب: 1/ 32.

(2) ابن حجر العسقلاني: 1/ ص445.

(3) الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي (ت765هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، (د.م: 1998م): ص 38)؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (مصر: 1969م): 1/ 39؛ الزركلي، الأعلام: 1/ 320.

(4) ابن العماد الحنبلي، شذرات: 8/ 398.

المبحث الثاني

إسهامات مؤرخو بيوتات دمشق العلمية في التاريخ العام

ان التطوّر الذي طرأ على الدولة العربية الاسلامية في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية، وحتى الاجتماعية كان له أثراً ملموساً على تطوّر التدوين التاريخي لدى المسلمين، فمع بداية الفتوحات الاسلامية واتساع رقعة دولة الإسلام، وكثرة الحروب التي خاضها المسلمين على الجبهة الخارجية، فضلاً عن تبدّل السلطة السياسية الاسلامية وانتقالها بتقادم القرون، وما رافق ذلك من صراعات اسلامية ـــ اسلامية، وفّر ذلك مادة تاريخية غزيرة تناولتها أقلام المؤرّخين المسلمين في مجلدات ظلّت شاخصة حتى يومنا هذا، أمّا في فترات استقرار الدولة العربية الاسلامية وما صحبه من تطوّر سياسي وإداري متمثلاً بتدوين الدواوين على اختلافها، فضلاً عن كثرة المراسلات السياسية، وسهولة التنقّل بين أنحاء ولايات وأقاليم الدولة ممّا وفّر فرصة للمشاهدة والمشافهة إبّان تنقل المؤرخين وطلبة العلم بين تلك البلدان، كل هذا أجتمع فشكّل مصدراً مهمّاً من مصادر التدوين التاريخي لدى المسلمين، وقد كان لمؤرّخي بيوتات دمشق العلمية الاسهام الجلي في تأليف الكثير من كتب التاريخ العام بالاعتماد على هذه المعطيات السالف ذكرها، فمن هذه البيوتات:

01 بيت ابن حجر العسقلاني:

من بيوتات عسقلان العلمية بفلسطين، أنجب العلماء الأخيار في الحديث والفقه والتاريخ والأدب وغيرها، تاركين خلفهم الاسهامات الحضارية الجليلة في مختلف البلدان الاسلامية ومنها دمشق، فمن أشهر علماء هذا البيت الشيخ المؤرّخ الحافظ الفقيه الاصولي الاديب قاضي القضاة شيخ الاسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشَّافِعِي (ت852/ 1448م)، فريد وذهبي عصره، أمّا شهرته بابن حجر فهو لقب لبعض آبائه[1]، ولد في مصر على ضفاف نيلها، فنشأ في القاهرة، حيث حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات، فكان نادر الذكاء، وسريع البديهة[2]، وقد ولع بالأدب والشعر فكان فصيح اللسان، كما أهتم بعلم التاريخ فأضحى عالماً بأيام المتقدمين وعارفاً بأخبار المتأخرين، ثم حُبّب إِلَيْهِ علم الحَدِيث فانهال عليه كتابة وتعليقاً وتخريجاً وتصنيفاً حتى انفرد فيه، بعد أن جاب البلاد كالحجاز ودمشق واليمن وغيرها لسماع الشيوخ، فذاعت شهرته في الاطناب، وقصده الطلبة للنهل من علومه[3]، فصار موسوعي المعرفة خطّت انامله أروع المؤلفات في مختلف العلوم، حتى فاق عددها المائة وخمسين مؤلفاً، وقد انتشرت في حياته، وتدوالها الملوك والسلاطين، فمن مؤلفاته في التاريخ ومنها التاريخ العام كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر) طُبع في عدّة مجلّدات، وهو أثمن ما أُلّف في الحوليات خلال العصر المملوكي، ابتدأه من تاريخ

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت874هـ)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب (مصر: د.ت): 15/ 532؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتي، المكتبة العلمية (بيروت: د. ت): ص 45.

(2) محيسن، محمد محمد سالم، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، دار الجيل (بيروت: 1992م): 2/ 39.

(3) الشوكاني، البدر الطالع: 1/ 87.

ولادته سنة (773هـ/ 1371م) حتى عام (850هـ/ 1446م)، وتضمنت بعض سنواته على يوميات مفصّلة، وأراد ابن حجر أن يجعل الكتاب من حيث الحوادث ذيلاً على ذيل تاريخ العماد ابن كثير، حيث أنهى الأخير ذيله إلى سنة (773هـ/ 1371م)، وهي السنة التي بدأ منها ابن حجر تدوين أنباءه، أمّا مصنّفاته في العلوم الأخرى منها كتاب (المجالس)، و(الديباجة) في الحديث، و(تغليق التعليق) ستة أجزاء منها في الحديث، و(ديوان خطب)، و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام) شرحه في كتاب (سبل السلام في شرح بلوغ المرام) و(إتحاف المهرة بأطراف العشرة) في الحديث، وغيرها الكثير، أمّا دوره في مجال التعليم فإنه أعتلى كثير من منابر العلم المصرية كتدريس الحَدِيث بالشيخونية، وبالجمالية، وبالبيبرسية، وبجامع القلعة، وتدريس الْفِقْه بالمؤيدية وبالشيخونية وَولي مشيخة الصلاحية بجوار مشْهد الإِمَام الشَّافِعِي، ومشيخة الشُّيُوخ بالبيبرسية، فضلاً عن توليه منصب قَضَاء القضاة بالديار المصرية ثم اعتزل[1]، وَمن شعره[2]:

ثَلَاث من الدُّنْيَا إِذا هِيَ حُصلت... لشخص فَلَنْ يخْشَى من الضّر والضير

غنى عَن بنيها والسلامة مِنْهُم:... وَصِحَّة جسم ثمَّ خَاتِمَة الْخَيْر

02 بيت ابن حمويه:

بيت الامرة والرياسة، أصله من جوين بنيسابور[3]، وفد شيوخه الى دمشق، أشتهروا بالعلوم الدينية والانسانية والعقلية، فضلاً عن إسهاماتهم الإدارية والعسكرية، فمن مؤرخيه الذين ساهموا في مجال التاريخ العام الشيخ المؤرّخ المحدّث الفقيه الجغرافي الأديب المهندس الطبيب شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن حمويه الجويني الصّوفي ويسمى أيضا عبد السلام (ت642هـ/ 1244م)، كان شيخاً متواضعاً نزيهاً فقيه النفس عالي الهمّة، ملمّاً بالعلوم، ومن مصنّفاته في التاريخ العام كتاب (السياسة الملوكية)، و(عطف الذيل قي التاريخ) كتبه للملك الكامل صاحب مصر، أمّا كتبه في العلوم الاخرى فمنها كتاب (أمالي وتخاريج)، و(المؤنس في أصول الأشياء)، وقد تولّى التاج ابن حمويه مشيخة الصوفية في الخانقاه السميساطية بدمشق[4].

ومن مؤرخي بيت ابن حمويه المؤرّخ المحدّث الشاعر شيخ الشيوخ سعد الدين الخضر بن عبد الله بن حمويه الجويني الصوفي ويدعى مسعود (ت674هـ/ 1275م)، سمع على مشايخ دمشق وحدّث بها، وأهتم بالتاريخ العام حيث وُصف بجودة الإطلاع

(1) ابن فهد، لحظ الألحاظ: ص211؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 15/ 532؛ السيوطي، نظم العقيان: ص 45 – 53؛ الزركلي، الأعلام: 1/ 178؛ كحالة، معجم المؤلفين: 2/ 20.

(2) السيوطي، م.ن: ص 51.

(3) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 1992م): 17/ 317.

(4) ابن دُقْماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت809هـ)، نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام، المكتبة العصرية (بيروت: 1999): ص 157؛ الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني (ت832هـ)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: تكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية (بيروت: 1990م): 2/ 49)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 6/ 350.

على التواريخ وأيام الناس، وألّف في ذلك تاريخاً في مجلّدين، تولّى مشيخة الشيوخ بدمشق مشاركة مع أخيه شرف الدين عبد الله، وقد خدم جندياً في الجيش[1].

ومنهم المؤرخ المحدّث الزاهد شيخ خراسان صدر الدين ابراهيم بن محمد بن حمويه الجويني (ت722هـ/ 1322م)، كان حسن الشكل، جيّداً في القراءة، ديناً ذا وقار، أعتنى بالحديث أتم عناية فرحل إلى الحجاز ودمشق والعراق طالباً له، كما أهتم بتدوين الأخبار فألّف لها تاريخاً عاماً باللغة العجمية[2].

03 بيت السبكي:

بيت الحشمة والرئاسة والعلم، أصله من سبك بمنوفية مصر، رحل بعض علمائه إلى دمشق، فأغنوا حياتها العلمية والإدارية، تخرّج منه خيرة المقرئين والمفسّرين والمحدثين، وكبار علماء العربية والأدب فضلاً عن التاريخ، منهم الشيخ المؤرّخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي الشافعي (ت744هـ/ 1343م)، كان شاباً حسن المظهر صاحب أدب وحشمة وحياء، ودود إلى الناس فقربهم إليه، سِمَته الذكاء والهمّة العالية في طلب العلوم فرحل الى مكة المكرّمة والمدينة المنورة والقاهرة وكذلك دمشق، فبرع في الاقراء والفقه والأصول والحديث والشعر والنثر والعربية فضلاً عن علم التاريخ، حيث ألّف تاريخاً عاماً لحوادث زمانه، أما دوره في التدريس فقد تميز بحسن العبارة في محاضراته، فمن المدارس التي درّس بها المدرسة الشامية الجوانية، والركنية الجوانية الشافعية، والشركسية بدمشق، الى جانب تصدير الجامع الاموي، كما ألقى الدروس إعادة في المشهد الحسيني والمدرسة السيفية بمصر فضلاً عن تصدير الجامع الطولوني، ويحكى أنه لم يأخذ معلوماً على هذه التداريس محتسباً الأجر على الله ، وكان لتمتعه بسدادة الرأي ورجاحة العقل وما يمتلكه من علوم اختير لمنصب نيابة القضاء بدمشق[3].

04 بيت الفزاري:

من البيوتات المرتحلة الى دمشق، أصله من مصر، خلّف كبار علماء التفسير، والإقراء، والحديث الشريف، وشيوخ اللغة العربية والتاريخ، منهم الشيخ المؤرّخ المسند الاديب فقيه الشام تاج الدّين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري المصري الدمشقي الشافعي (ت690هـ/ 1291م)، محاسنه كثيرة، لطيف الهيئة، أسمر قصير، مفركح الساقين فعُرف بالفركاح، وكان مفرطاً بالكرم، درّس وصنّف وناظر، انتهت إليه رياسة الفقه في الشام هو وذريته، فبلغ رتبة الاجتهاد، أمّا دوره في علم التاريخ أنه ألّف كتاباً في التاريخ العام وصفه الحافظ الذهبي بأن فيه عجائب، ومن كتبه (الإقليد لذوي التقليد)، و(شرح الورقات) لإمام الحرمين، و(شرح التنبيه)،

(1) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت726 هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار كتاب الإسلامي، ط2، (القاهرة: 1992م): 3/ 162؛ الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق (الطائف: 1988م): ص91.

(2) الصفدي، الوافي: 6/ 91؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر: د.ت): 1/ 155.

(3) الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت: 1998م): 4/ 519؛ النعيمي، الدارس: 1/ 190؛ كحالة، معجم المؤلفين: 10/ 193.

و(كشف القناع)، وقد تصدّر للتدريس في المدرسة الصارمية والمجاهدية والبادرائية ومشيخة وتدريس دار الحديث النورية، وإعادة الناصرية بدمشق[1].

05 بيت ابن كثير:

تقدّم تعريفه، أنجب المؤرّخين الذين خطّت أقلامهم تواريخاً عامّة على رأسهم مؤرّخ الشام والإسلام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ/ 1372م)، سبق ذكره، صاحب أشهر موسوعة في التاريخ العام وهي كتاب (البداية والنهاية) ابتدأه منذ بداية الخلق حتى سنة (767هـ/ 1365م)، ورتبه على الحوليات من بعد مبعث النبي محمد ﷺ[2].

ومن شيوخ بيت ابن كثير المؤرّخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن كثير البصروي الدمشقي (ت792هـ/ 1389م)، ابن الشيخ العماد ابن كثير، وكان دوره في التاريخ العام أن ألّف ذيلاً على كتاب أبيه (البداية والنهاية)، فضلاً عن دوره في نسخ تصانيف والده، وكان له دوراً عسكرياً بإرتداءه زي الجندية في الجيش الاسلامي [3].

ومنهم الشيخ المؤرّخ المحدّث بدر الدّين محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت803هـ/ 1400م)، أخو المتقدّم، كان متميّزاً ذا فضائل وحسن الخط، حُبّب إليه طلب الحديث الشريف، فسمعه في دمشق، ورحل لأجله الى مصر، وقد دوّن تاريخاً عامّاً عن أحداث عصره[4].

06 بيت ابن مفلح:

بيت العلم والقضاء والكتابة، والإسناد، والقراءة، والوعظ، والنحو، والتاريخ، أصله من رامين من أعمال نابلس بفلسطين، وفد علماؤه الى دمشق، وهو البيت الذي أنجب سرواة المؤرّخين، منهم الشيخ المؤرّخ المحدّث الفقيه القاضي أكمل الدين محمد بن إبراهيم بن مفلح الراميني المقدسي الدمشقي (ت1011هـ/ 1602م)، مولده ونشأته في دمشق، فأخذ فيها عن مشايخ عصره، كما رحل إلى القسطنطينية، وعُيّن على قَضَاء بعلبك وصيدا، ثمّ رجع إلى دمشق واستقرّ فيها بقصره الشامخ في الصالحية أمام دار الحديث الاشرفية، فضلاً عن إقامته في قاعته قرب المدرسة المقدمية، إمتاز بجودة الخط، صاحب أدب وإطلاع، كانت له اليد الطولى في علم التاريخ فألّف تاريخاً عاماً ابتدأه من تاريخ آدم عليه السلام إلى دولة الملك الأشرف قايتباي الجركسي، كما صنّف (رسالة في تواريخ الانبياء عليهم السلام)، و(رسالة في أخبار ملوك مصر)، وقد عمل بالشهادة في دار العدل بدمشق[5].

(1) تاريخ الإسلام ت بشار (15/ 660)؛ الوافي بالوفيات (18/ 58)؛ فوات الوفيات (2/ 263)؛ الأعلام للزركلي (3/ 293)

(2) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ: ص 38؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر: 1/ 445؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 8/ 397؛ الزركلي، الأعلام: 1/ 320.

(3) ابن حجر العسقلاني، إنباء: 1/ 404.

(4) ابن العماد الحنبلي، شذرات: 9/ 57.

(5) المحبي، خلاصة الأثر: 3/ 315؛ الزركلي، الأعلام: 5/ 303؛ كحالة، معجم المؤلفين: 8/ 211.

المبحث الثالث

إسهامات مؤرخو بيوتات دمشق العلمية في التراجم والطبقات والأنساب

لم تقف جهود المؤرّخين المسلمين عند حدود التأليف في تاريخ السير والمناقب، أو التاريخ العام فحسب، بل عمدوا على تجاوز تلك الحدود إلى تأليف كتباً أخذت منحى آخر، عكست تطوّر التدوين التاريخي الاسلامي وإنتقاله من مرحلة دراسة الفرد إلى مرحلة دراسة جماعات، ومن دراسة ذات طابع سياسي إلى دراسة ذات صبغة إجتماعية، وبالتالي شكّل ذلك مجالاً جديداً في علم التاريخ وهو علم التاريخ الإجتماعي، وهو أشمل من المجالات التاريخية الأخرى، لذلك ظهرت مصنّفات تاريخية تناولت تاريخ الصحابة والتابعين ومن تبعهم موزّعين على طبقات بحسب شهودهم للمعارك، أو السبق في الاسلام، أو موزّعين على أساس بلدانهم، في حين همّ بعض المؤرّخين بجمع وتدوين أخبار الافراد وتصنيفهم بحسب العلوم التي حملوها، فظهر على أثر ذلك مؤلفات أفردت القرّاء والمفسرين، ومصنّفات أخرى حصرت بين دفتيها المحدثين والرواة، او الشعراء والنحّاة، وفقهاء بحسب مذاهبهم أو رجالاً حسب وظائفهم وغير ذلك، بينما سار شطر ثالث من المؤرّخين على نهج آخر في التصنيف وهو تأليف كتبهم حسب أنساب المسلمين.

وممّا تقدّم لم تكن دمشق وبيوتاتها العلمية بمنئى عن إنجاب مؤرّخين ساهموا في تأليف كتباً في تاريخ التراجم والطبقات والأنساب منهم:

01 بيت البارزي:

من بيوتات العلم المشهورة حموي الأصل، ونسبتهم للبارزي لأن جدّهم مسلم سكن بباب أبرز في بغداد فعُرف بالبارزي، أنتقل علماؤه إلى دمشق فتولّوا فيها المناصب الدينية والإدارية[1]، فضلاً عن إسهاماتهم في العلوم ومنها التاريخ، متجسّداً ذلك بشيخهم المؤرّخ المقرئ المسند الفقيه اللغوي الناظم محمد بن محمد بن هبة الله البارزي الحموي الدمشقي الشافعي (ت875هـ/ 1470م)، ولد ونشأ بحماة فقرأ القرآن الكريم، ورحل الى حمص والقاهرة ودمشق طلباً للعلوم، ومن جهوده التاريخية أنه ألّف كتابين في التراجم والأنساب وهما (انشراح الصدر)، في كلام عشرة من الشعراء، و(الحسن الجميل من اخبار القيسين)، ومن كتبه أيضاً (الفائق من المصارع)، تولى تدريس المدرسة الخطيبية والقرناصية إلى جانب خطابة جامعها الكبير، كما اسندت له مناصباً عدّة وهي قضاء حماة وكتابة سرّها[2].

(1) ابن تغري بردي، النجوم: 15/ 186.

(2) السخاوي، الضوء: 10/ 24.

02 بيت ابن جماعة:

بيت الرئاسة والدين والعلم، بيت العلوم الدينية والانسانية والعقلية، شرُفت حماة فلسطين بإنجابه، وسُرّت دمشق باستقباله[1]، سالت نبال الاقلام عبقاً بذكر تراجم شيوخه منهم الشيخ المؤرّخ المفسّر المسند الاصولي الناظم الناثر بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الحموي الدمشقي الشافعي (ت733هـ/1332م)، صاحب التصانيف الجليلة، ولد ونشأ بحماة، فسمع بها وبمكة المكرّمة ومصر ودمشق، فتعلّم العلوم وبرع فيها، ذو رياسة وديانة وورع، كتب بخطّه العديد من المصنّفات النافعة منها في مجال التراجم والطبقات أرجوزتي (قضاة مصر) و(قضاة دمشق)، وثالثة عن (الخلفاء)، ومن كتبه الاخرى (تذكرة السامع والمتكلم)، و(الإسطرلاب)، وغيرها[2]، وقد تولّى تدريس المدرسة القيمرية، والعادلية، والناصرية والجوانية، والغزالية بدمشق، فضلاً عن تولّيه مشيخة الشيوخ وخطابة الجامع الاموي، كما أُسند له منصبي القضاء والخطابة بالقدس الشريف، ثم القضاء بمصر، ومنها إلى قضاء دمشق، ثم قضاء مصر مثواه الاخير[3].

03 بيت ابن حجر:

سلف ذكره، ترك شيخه الجليل المؤرّخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت852/ 1448م)، المذكور سابقاً، بصمةً مشهودة في تأليف الكتب العديدة المتخصصة بتاريخ التراجم والطبقات والأنساب ظلّت خالدة بمحتواها حتى يومنا هذا وهي كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) عدة أجزاء، و(الدرر في نفقة قليلة)، و(ألقاب الرواة)، و(لسان الميزان)، و(تقريب التهذيب)، و(تعجيل المنفعة)، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(طبقات المدلّسين)، و(تهذيب التهذيب) اثنا عشر مجلداً، و(رفع الإصر عن قضاة مصر)، و(تبصير المنتبه بتحرير المشتبه)، و(الإعلام في من ولي مصر في الإسلام)، و(نزهة الألباب في الانساب)، و(تحفة أهل الحديث)، و(المجمع المؤسس)، و(تحرير الميزان)، و(تعريف الاوحد)، و(تعريف الفئة)، و(توضيح المشتبه) فِي الأنساب، و(القصد الاحمد)[4].

04 بيت ابن حمزة الحسيني:

ورد آنفاً، من شيوخه الذين صنّفوا في التراجم والطبقات والأنساب الشيخ المؤرّخ شمس الدَّين محمد بن حمزة الحسيني (ت765هـ/ 1363م)، السالف ذكره، حيث ألف كتاب (ذيل تذكرة الحفاظ)، و(الاكتفاء في الضعفاء)، و(اختصار تهذيب الكمال)، و(الاكمال بِمن في مسند احمد)، و(تعليق على ميزان الاعتدال)، و(التذكرة في الرجال العشرة)، و(العرف الذكى فِي النّسَب الزكي)، و كذلك معجم لشيوخه[5].

(1) ابن حجر العسقلاني، الدرر: 5/ 6.

(2) الذهبي، معجم الشيوخ الكبير، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق (الطائف: 1988م): 2/ 130؛ نويهض، معجم المفسرين: 2/ 467.

(3) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 3/ 297؛ النعيمي، الدارس: 1/ 320، 352.

(4) السيوطي، نظم العقيان: ص 45؛ الشوكاني، البدر الطالع: 1/ 87؛ الزركلي، الأعلام: 1/ 178؛ كحالة، معجم المؤلفين: 2/ 20؛ محيسن، معجم حفاظ القرآن: 2/ 39.

(5) ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية: 3/ 129؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر: 5/ 313؛ الزركلي، الأعلام: 6/ 286؛ كحالة، معجم المؤلفين: 11/ 246.

ومن مؤرّخي بيت ابن حمزة الشـــيخ المؤرّخ المقرئ المحدّث الفقيه النحوي المنطقي الجغرافي النسّـــابة عز الدّين حمزة بن أحمد بن حمزة الحسيني الدمشـقي الشـافعي (ت874هـ/ 1469م)، ولد ونشـأ بدمشـق، فحظ القرآن الكريم، وأخذ الفقه عن والده بدر الدين أحمد، كما طلب النحو والأصـول فضـلاً عن الحديث فرحل إلى مكة المكرّمة والقاهرة، كان فَاضـلاً متواضـعاً، كثير التودّد، راجح العقل، عذب الكلام، ومن كتبه في التراجم والطبقات كتاب (طبقات النُّحَاة واللغويين)، و(الذيل على طبقات الشـــافعية) لابن قاضي شـهبة، و(المنتهى في وفيات أولى النَّهي) جمع لأهل المذاهب، وقد تولّى تدريس المدرسـة الأمجدية، والأمينية، والعمادية بدمشق، فضلاً عن تولّيه نيابة القضاء، وتصدير الجامع الأموي، ورئاسة المؤذّنين فيها[1].

05 بيت الزملكاني:

من بيوتات العلم المعروفة في قرية زملكا بغوطة دمشق، أنجب شيوخاً عنوا بعلوم الاقراء والتفسير والحديث، وعلوم الفقه، فضلاً عن علوم اللغة العربية وآدابها، وكذلك التاريخ، منهم الشـــيخ المؤرّخ المحدّث الفقيه فتح الدين أحمد بن عبد الواحد الزملكاني الدمشـقي الشـافعي (ت699هـ/ 1299م)، أهتم بعلم الحديث الشـريف فرواه في دمشـق، وله اليد الطولى بعلم تاريخ التراجم إذ الّف كتاباً فيه في نحو ثلاث مجلدات، وهو على غرار كتاب (وفيات الاعيان) لابن خلكان[2].

06 بيت السبكي:

تقدّم تعريفه، فمن مؤرّخيه الذين ألّفوا في التراجم والطبقات الشـــيخ المؤرّخ جمال الدّين الحســـين بن علي السّـــبكي المصـــري الدمشـقي الشـافعي (ت755هـ /1345م)، كان من الأذكياء، جيّد الاسـتحضـار، كريماً فَاضـلاً، ولد بمصـر ونشـأ على طلب العلوم، فتتلمذ على والده التقي السبكي وشيوخ بلده، ورحل طالباً للعلم إلى القدس الشريف ودمشق، أمّا عن إسـهامه في تاريخ التراجم والطبقات هو تأليفه كتاباً جمع فيه تراجم من أسمه الحســـين بن علي، و أمّا دوره في التدريس أنه درّس في عدّة مدارس دمشـــقية وهي المدرســـة الشـــامية البرانية، والعذراوية، والدماغية، وكان لما يحمله من علوم وخبرة ادارية وحميد الصـــفات أوكلت له المناصب الجليلة في دمشق وهي نظر النظار، والقضـاء نيابة عن والده القاضي تقي الدين، فضـلاً عن مناصـب اسـتيفاء الصـحبة وكتابة ديوان الانشاء ونظر الجيش والنظر الخاص في مصر[3]، ومن شعره[4]:

يا أيّها البحر علماً والغمام ندى... ومن به أضحت الأيّام مفتخره

أشكو إليك حبيباً قد كلفت بـــه... مورّد الخدّ سبحان الّذي فطره

(1) السخاوي، الضوء: 3/ 163؛ الزركلي، الأعلام: 2/ 276؛ كحالة، معجم المؤلفين: 4/ 77.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام: 15/ 925.

(3) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): 4/ 215؛ ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية: 3/ 22؛ النعيمي، الدارس: 1/ 179، 214، 286، ابن العماد الحنبلي، شذرات: 8/ 304.

(4) ابن العماد الحنبلي، م.ن: 8/ 304.

ومنهم الشيخ المؤرّخ خطيب الجامع الاموي تاج الدّين عبد الوهاب بن علي السّبكي المصري الدمشقي الشافعي (ت771هـ/ 1369م)، ولد بمصر وسمع بها، ثم قدم إلى دمشق مع والده وشيخه التقي السبكي، فسمع بها من جماعة، فحصّل العلوم، كالفقه والأصول، وكان ماهراً فيه، والحديث الشريف والأدب، فبرع فيهما، وُصف بجودة البديهة، ذا بلاغة وطلاقة لسان، ذكاؤه مفرط، وذهنه وقّاد، صنّف عدّة تصانيف في مختلف العلوم مع صغر سنه وكثرة أشغاله، حيث ألّف أربعة كتب تاريخية في مجال التراجم والطبقات وهي (طبقات الشافعية الكبرى)، و(الوسطى)، و(الصغرى)، و(معجم الشيوخ)، أمّا تآليفه في العلوم الاخرى منها كتاب (الترشيح)، و(جمع الجوامع) في أصول الفقه، شرحه في كتاب (منع الموانع) وغيرها[1]، وقد درّس في دمشق بالمدرسة العزيزية، والغزالية، والشاميتين البرانية والجوانية، والأمينية، والعذراوية، والناصرية، والعادلية الكبرى، والناصرية الجوانية، والمسرورية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية[2]، فضلاً عن تدريس الشافعي والميعاد بالجامع الطولوني، والشيخونية بمصر، كما انتهت إليه رئاسة المناصب منها أنّه تولّى نيابة القضاء عن أبيه بدمشق بعد وفاة أخيه جمال الدّين السابق ذكره، ثمّ أستقل بمنصب قاضي القضاة فيها[3].

07 بيت ابن الصابوني:

بيت الحديث والتاريخ والمشيخة والتصوّف، دمشقي الأصل، أنجب خيرة المحدّثين، أمّا دوره في التاريخ يتجسّد بشيخه المؤرّخ المحدّث النّاسخ الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن الصابوني المحمودي (ت680هـ/ 1282م)، مولده بدمشق، طلب الحديث فسمعه بمسقط رأسه، كما رحل طلباً له إلى حلب والقدس ومصر، كان إماماً مفيداً حافظاً، صحيح النّقل، حسن الخطّ، والأخلاق، أضحى من كبار العدول ومتميّزيهم، حدّث كثيراً في دمشق والقاهرة، وقد ساهم في التأليف في التراجم والطبقات متمثلاً بكتابه (تكملة إكمال الإكمال) ذيّل به على كتاب (إكمال الإكمال) لابن نقطة، كما تولّى تدريس ومشيخة دار الحديث النورية بدمشق[4].

(1) ابن قاضى شهبة، طبقات الشافعية: 3/ 104؛ ابن تغري بردي، النجوم: 11/ 108؛ ابن العماد الحنبلي، م.ن: 1/ 66، 8/ 378؛ كحالة، معجم المؤلفين: 6/ 225.

(2) النعيمي، الدارس: 1/ 28، 191، 214، 277، 286، 322، 350، 353.

(3) ابن العماد الحنبلي، شذرات: 1/ 66، 8/ 378.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام: 15/ 401؛ النعيمي، الدارس: 1/ 82 ؛ ابن العماد الحنبلي، م.ن: 7/ 580.

المبحث الرابع

إسهامات مؤرخو بيوتات دمشق العلمية في تاريخ المدن:

امتدّت إسهامات مؤرّخي بيوتات دمشق العلمية إلى ما بعد كتب السير والمناقب، ومصنّفات التاريخ العام، ومؤلّفات التراجم والطبقات والأنساب، لتصل هذه المرّة عند محطّة جديدة من محطّات تطوّر التدوين التاريخي لدى المسلمين وهي التأليف المتخصّص بتاريخ الأقاليم والمدن، فظهر ما يعرف بعلم الجغرافية التاريخية الذي رأى النور على يد البلدانيين من المؤرّخين، وكان إسهامهم هذا نابعاً من حبهم واعتزازهم بأقاليمهم وأمصارهم أو المدن الاسلامية الاخرى فألّفوا كتباً محلّية أوردت الروايات التاريخية الخاصة بهذه الأقاليم والمدن إلى جانب ذكر فضائلها، فمن البيوتات العلمية الدمشقية التي أنجبت مؤرّخي البلدان:

01 بيت ابن حمزة الحسيني:

سبقت ترجمته، ترك علماءً ساهموا في تأليف الكتب عن تاريخ المدن منهم الشيخ المؤرّخ البلداني عز الدّين حمزة بن أحمد بن حمزة الحسيني الدمشقي (ت874هـ/ 1469م) المتقدّم تعريفه، صاحب كتاب (فضائل بَيت المقدس)[1].

ومنهم الشيخ المؤرّخ البلداني المحدّث الفقيه الفرضي تاج الدين عبد الوهاب بن عمر بن حمزة الحسيني (ت875هـ/ 1470م)، ولد بدمشق ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم، ورحل الى القاهرة طلباً للعلم فبرع في الفقه والفرائض، كان خيراً بارعاً، خطّه حسن، ألّف كتاب (الروض المغرس في فضل بيت المقدس)، أمّا وظائفه فانّه تولّى قضاء حلب ونظر أوقافها، ثمّ عاد الى دمشق ولزم التدريس في الاتابكية، وكما تولّى نيابة القضاء بدمشق، وكانت خاتمة حياه مجاوراً في مكّة المكرّمة[2].

02 بيت ابن حمويه:

سبق ذكره، كان له دور في دعم وتطوّير تدوين تاريخ المدن متجسّداً ذلك في شيخه المؤرّخ البلداني تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن حمويه الجويني (ت642هـ/ 1244م) المترجم سلفاً، إذ ألف كتابين تناولا تاريخ المدن وهما (الرحلة المغربية)، و(المسالك والممالك)[3].

03 بيت الحافظ ضياء الدين المقدسي:

تقدّم عرضه، تمثّل دعمه لتاريخ المدن بالشيخ المؤرّخ ضياء الدّين محمد بن عبد الواحد المقدسيّ (ت643هـ/ 1254م)، السالف عرضه، ألّف كتاب (فضائل الشام) ثلاثة أجزاء[4].

---

(1) السيوطي، نظم العقيان: ص 106.

(2) السخاوي، الضوء اللامع: 5/ 106؛ كحالة، معجم المؤلفين: 6/ 227.

(3) ابن دُقْماق، نزهة الأنام: ص 157؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 7/ 371؛ كحالة، معجم المؤلفين: 6/ 96.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام: 14/ 472.

04 بيت الحافظ عبد الغني المقدسي:

سبقت ترجمته، كذلك ساهم شيخه المؤرّخ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت600هـ/ 1203م)، في دعم تاريخ المدن بتأليف كتاب (فضائل مكّة) في أربعة أجزاء[1].

05 بيت ابن عساكر:

بيت الحديث والتاريخ بلا منازع، دمشقي الأصل، ترك للأجيال نجوماً لمعت في سماء العلوم على اختلافها دينية كانت أم انسانية أو عقلية، كما خلّف الأكفّاء من الإداريين، فمن أشهر مؤرّخي هذه الاسرة الشيخ الفقيه البلداني مؤرّخ الشام ومحدّثها ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي (ت571هـ/ 1175م)، ولد بدمشق ونشأ بها طالباً للحديث الشريف فسمع من والده، وأخيه صائن الدين هبة الله وغيرهم، ورحل إلى بلدان كثيرة وبعيدة منها بغداد وأصبهان ونيسابور وهراة ومرو، فرجع حافظاً متقناً جمع بين معرفة الأسانيد والمتون، حاملاً لواء أهل الحديث في عصره، فضلاً عن إتقانه العلوم الاخرى فكان من أعيان الشافعية، ومن صفاته أنه كان غزير الفضل طيّب السّمت ديناً خيراً، أمّا دوره في تاريخ المدن أنه ألّف أوسع وأتقن كتاب عن مدينته دمشق وهو (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلداً، تناول فيه تاريخ هذه المدينة وفضائلها، فضلاً عن ذكره تراجم أعلامها الذين ولدوا فيها ومرّوا بها، وقد نال هذا الكتاب عناية المؤرّخين فعمدوا على وضع مختصرات عليه منها كتاب (مختصر تاريخ دمشق) لابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، و(مختصر تاريخ دمشق) للخطيب أبي الفتح بن عبد القادر (ت1315هـ/ 1897م)، و(تهذيب تاريخ ابن عساكر) لابن بدران (ت1346هـ/ 1927م)، كما ألف ابو القاسم ابن عساكر كتاب (الاربعون البلدانية) الذي تضمّن معلومات تاريخية جغرافية عن البلدان التي رحل إليها، ومن مصنّفاته في العلوم الاخرى كتاب (كشف المغطّا)، و(ذم ذي الوجهين واللسانين)، و(تعزية المسلم)، و(تبيين الامتنان)[2]، ومن شعره[3]:

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ الْمَشِيبُ... فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الْغَزَلْ؟

تَوَلَّى شَبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ... وَجَاءَ الْمَشِيبُ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

ومن مؤرّخي بيت ابن عساكر الشيخ المؤرّخ البلداني بهاء الدين القاسم بن علي بن عساكر الدمشقي الشافعي (ت600هـ/ 1203م)، كان ثقة في الحديث الشريف، مكرماً للغرباء، كتب الكثير بخطّه، من إسهاماته في تاريخ المدن كتاب (ذيل تاريخ دمشق)، ذيّل به على كتاب والده الحافظ أبو القاسم، وكتاب (فضائل المدينة المنورة)، كما ألّف في العلوم الاخرى وهي كتاب

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام: 12/ 1203.

(2) ابن نقطة، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر الحنبلي البغدادي (ت629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية (د.م: 1988م): ص 405؛ ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر المعري الكندي (ت749هـ)، تاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت: 1996م): 2/ 85؛ النعيمي، الدارس: 1/ 74؛ كحالة، معجم المؤلفين: 7/ 69.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية: 12/ 294.

(فضائل الجهاد)، و(فضائل الحرم)، وقد تولّى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق، كما اسمع الحديث الشريف بالجامع الاموي[1].

ومن بلدانيي هذه الاسرة الشيخ المؤرّخ تاج الامناء أحمد بن محمد بن عساكر (ت610هـ/ 1213م)، نشأ بدمشق على طلب الحديث، تميّز بالفصاحة، وصحّة النقل، محترماً جليلاً، تولّى المناصب الكبار، ديّناً مجاهداً في الغزوات، ومن مصنّفاته في تاريخ المدن كتاب (الانس في فضل القدس)، كما خرّج لنفسه مشيخة أورد مواليدها وأحاديثها[2].

06 بيت ابن قدامة:

سبق ذكره، تمثّلت اسهاماته في تاريخ المدن بشيخه المؤرّخ البلداني جمال الدين يوسف بن الحسن المعروف بابن المبرد (ت909هـ/ 1503م) تقدّمت ترجمته، فمن مؤلّفاته في تاريخ المدن كتاب (تاريخ الصالحية)،و(فضائل الشام)[3].

(1) ابن نقطة، التقييد: ص432؛ البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى، هدية العارفين، دار احياء التراث العربي (بيروت: 1951م): 1/ 828، 2/ ص163؛ كحالة، معجم المؤلفين: 8/ 106.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام: 13/ 230؛ تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 (د.م: 1992م): 7/ 70.

(3) ابن المبرد، بحر الدم: ص: 3.

الخاتمة

وفي خاتمة عرضنا لإسهامات مؤرّخي بيوتات دمشق العلمية في مجال التاريخ والعلوم الاخرى، فضلاً عن جهودهم في مجال التعليم والقضاء والإدارة، توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج، وخرجت بمجموعة من التوصيات أهمّها:

أولاً: النتائج

1. لعبت مدينة دمشق دوراً بارزاً في بناء صرح الحضارة العربية الاسلامية.
2. كانت الأوقاف الاسلامية حجر أساس ازدهار الحركة العلمية في دمشق0
3. حرصت الاسرة المسلمة خلال المدّة مدار البحث على إنجاب أعلاماً من المؤرّخين، خرجت على يدهم أشهر المصنفات التاريخية وغيرها المعروفة في الوقت الحاضر.
4. أضحت مدينة دمشق قبلة اتجهت إليها أبرز بيوتات العلم من مختلف البلدان الإسلامي.
5. كان لمؤرّخ البيت العلمي أكثر من إسهام في آن واحد، ولم يقف إسهامه عند الدور العلمي بل تعدّى إلى أدوار أخرى كالقضائي، والاداري معاً.
6. لم يقتصر إسهام مؤرّخو البيت العلمي الواحد في مجال معين من مجالات التاريخ، بل تعدّدت اسهاماتهم في مختلف المجالات التاريخية، كتأليف المؤرّخ في تاريخ السير والمناقب الى جانب تأليفه في التاريخ العام، فضلاً عن التراجم والطبقات وغيره في ذات الوقت.

ثانياً: التوصيات

1. يجب على كل اسرة أن تعي ما يقع عليها من مسؤولية كبيرة تجاه أفرادها، لأنها الاساس في بناء المجتمعات.
2. ان مستقبل الامّة العربية الاسلامية لا ينهض إلّا بإعادة إحياء مجد تراثها العريق.
3. على الباحثين العرب والمسلمين التركيز في بحوثهم على الجوانب الحضارية المشرقة للمسلمين، دون التركيز في البحث بتاريخ دهاليز السياسة المظلمة.
4. ان تاريخ البيوتات الاسلامية بحاجة إلى بحث جدّي، كون الدراسات السابقة سلّطت أضوائها بشكل عريض على الافراد، ولأن دراسة هذه البيوتات ستبيّن دور الأسرة من جانب، وتكتشف أعلاماً جديدة داخلها أغفلتها الدراسات التاريخية من جانب آخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

1. الأدنه وي، أحمد بن محمد (ت ق 1هـــ)، طبقات المفسرين تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1997م.
2. تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، د.م، 1992م.
3. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت874هـ):
4. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت.
5. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت.
6. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، د.م، د.ت.
7. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـــ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، يروت، 1992م.
8. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت852هـ):
9. إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1969م.
10. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر اباد، 1972م.
11. الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي (ت765هـــ)، ذيل تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، د.م، 1998م.
12. ابن دُقْماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت809هـ)، نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت، 1999.
13. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ):
14. المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م.
15. معجم الشيوخ الكبير، تح: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م.
16. تاريخ الإسلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، د.م.
17. ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السَلامي البغدادي (ت795هـــ)، ذيل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م.
18. سبط ابن العجمي، موفق الدين أبو ذر حمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت884هـ)، كنوز الذهب فى تاريخ حلب، دار القلم، حلب، 1996م.

19. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.

21. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

22. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764ه):

23. أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998م.

24. الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث،بيروت، 2000م.

25. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العَكري (1089ه)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م.

26. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

27. الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني (ت832هـ)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: تكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

28. ابن فهد، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد الهاشمي العلويّ (ت871هـ)، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية،د.م.

29. ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي (ت851هـ)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب،بيروت، 1986م.

30. ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن الصالحي الحنبلي (ت909ه):

31. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، 2000م.

32. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

33. المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي الدمشقي (1111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت.

34. المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

35. النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، د.م، 1990م.

36. ابن نقطة، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر الحنبلي البغدادي (ت629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن

والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، د.م، 1988م.
37. ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر المعري الكندي (ت749هـ)، تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
38. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت726 هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار كتاب الإسلامي، ط2،، القاهرة، 1992م.

ثانياً: المراجع الثانوية

1. البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، هدية العارفين، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1951م.
2. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، د.م، 2002م.
3. كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
4. محيسن، محمد محمد محمد سالم، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، دار الجيل، بيروت، 1992م.
5. نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988م.

دور الإعلام المعاصر في مواجهة ظاهرة الإلحاد

ا.م.د واثق عباس عبد الرزاق

كلية الإعلام – الجامعة العراقية

المقدمة

أصبح الحديث عن الإلحاد مادة متداولة بكثرة في وسائل الإعلام العربية التقليدية، ومنصات التواصل الاجتماعي المختلفة إذ يتراوح الحديث عنها بين من يراها ظاهرة متفشية، ومن يراها حالات فردية تكثر في بعض المناطق وتقل في مناطق أخرى.

ونظرا "لغياب أرقام دقيقة أو دراسات علمية فإنه من الصعب الحكم على مدى انتشار الإلحاد في العالم العربي أو التنبؤ باتجاهاته المستقبلية". لا يخفى عن أحد في العالم العربي والإسلامي الزيادة المضطردة في ظاهرة الإلحاد خاصة في فئة الشباب. وسواء تمت معرفة أعداد الملحدين بدقة أم لا داخل العالم الإسلامي نظراً لوجود حكم ردة في العديد من البلدان العربية وهو ما يعيق إعلان الإلحاد – فإن وجود الأمر (أي الإلحاد) وزيادته أصبح ظاهرة واضحة أمام الجميع وتستحق الدراسة والفهم.

وبتحليل بسيط لهذه الظاهرة نجد أن هناك العديد من الأسباب أو العوامل التي أدت إلى انتشار – أو كما يراها البعض استفحال– ظاهرة الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.

فجاء هذا البحث لكي يبين دور الإعلام المعاصر في مواجهة الإلحاد ولمعرفة الاعتقاد السائد الذي يروجه دعاة الإلحاد بان الإلحاد خيار علمي موضوعي محض، وقرار عقلاني من الطراز الأول لا مكان فيه للأهواء آو الأيديولوجية آو السياسية، و ما هي العوامل التي كانت وراء هذه الظاهرة ؟ و ما مدى صحة هذه الادعاءات ؟ و ما الدوافع الحقيقية للإلحاد التي رصدها الباحثون.؟

حيث تتعرض مجتمعات المسلمين اليوم لحملات متتابعة للطعن في ثوابها ومحاولة شغلها عن بناء مستقبلها وإغراقها في مشاكل الهوية والفكر والصدامات الفلسفية استمرارا لنظرية هدم الإسلام من الداخل بأيدي أبناءه ما ينتشر اليوم من الشبهات الفكرية والشهوات اللا فطرية بين شباب المسلمين أبرزها الإلحاد من أعداء الإسلام فتلك سنة من السنن الإلهيةً ليس جديدً ولا مستغرب لبسته تلك الحملة الإلحادية من لبوس في الصراع بين الحق والباطل؛ لكن الجديد هو ما الاستفادة من التقنية والمال ووسائل الإعلام العصرية الحديثة.

وبعيدا عن الدوافع الموضوعية – سياسية كانت أم اجتماعية أم غيرها– للإلحاد، فإنه لا يمكن تجاهل العوامل الذاتية للإلحاد التي تتمركز مبرّراتها حول الذات فحسب ولا علاقة لها بأية عوامل موضوعية علمية أو منطقية.

يبدو أن سبب إلا لحاد لم يكن متعلقا بقضية علمية أو بمسألة فكرية من بعيد أو قريب وإنما كان محض إرادة نفسية نابعة من ذات الشخص فحسب،

وبالانتقال إلى مجتمعاتنا العربية يحكي أستاذ الجراحة عمرو شريف عن موقف تكرّر معه خلال أسبوعين فقط ويمكن اعتباره نموذجا لكيفية تعامل غالبية الشباب العربي مع الإلحاد، فقد دُعي عمرو إلى محاورة بعض الشباب الملحدين من بعض الدول العربية كل على حدة، ففوجئ بضحالة ثقافتهم وفقر أدواتهم ومعارفهم بشكل يدعو للدهشة، لدرجة أنه طالب الشباب بشبهة واحدة من القرآن ففوجئ بأنهم لا يجيدون العربية أصلا، فلم يستطيعوا الإتيان بأية شبهة، ممّا يعني أن الدوافع النفسية تغلّبت على الدوافع الموضوعية بشكل واضح عندهم.

وهذا البحث مكون من ثلاثة فصول..

الفصل الأول: ناقش كل من (تعريف المصطلحات – مفهوم الإلحاد- نشأة الإلحاد وأنواعه- أسباب ظهور الإلحاد- الإلحاد وحكمه في الإسلام).

إما الفصل الثاني: كان قد ناقش الآتي:(أثار الإلحاد ومخاطره وسبل مواجهته- الإلحاد المعاصر وعلاقته بالأديان- هل الإلحاد مرض نفسي؟- حركات الإلحاد المنظمة في العالم العربي).

وأخيرا الفصل الثالث: كان يتضمن مناقشة (القيم الإعلامية لصد الإلحاد- دور المبادئ المشتركة بين المسلمين لرد الإلحاد العالمي- الحل على إيجاد أواصر تعزز القيم الدينية التي تعالج الإلحاد وترسخ العقيدة الإسلامية- حارس البوابة الإعلام للمحافظة على قلعة الدين الإسلامي ومواجهة ظاهرة الإلحاد).

وكذلك يحتوي على النتائج والتوصيات، والمصادر والمراجع..

الفصل الأول

المبحث الأول

تعريف المصطلحات

أولا: تعريف الدور:

هو نمط من الأهداف والقيم والمعتقدات والسلوك الذي يتوقع من فرد آو جماعة إن يراه تجاه موقف معين، آو قضية محددة بهدف التأثير والتغيير، والتي تكون على أساس معارف واتجاهات ومهارات مكتسبة سابقا,

وأيضا إن الدور ممكن إن يتنبأ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة، حيث يعتبر الدور بأنه إطار معياري للسلوك، وتحددها الخصائص الاجتماعية والنفسية والأكاديمية والشخصية لمن سيقوم به. (1)

ثانياً: تعريف الإعلام:

هو يعني تقديم الأفكار والآراء والتوجهات المختلفة إلى جانب المعلومات والبيانات بحيث تكون النتيجة المتوقعة والمخطط لها مسبقا أن تعلم جماهير مستقبلي الرسالة الإعلامية كافة الحقائق ومن كافة جوانبها، بحيث يكون في استطاعتهم تكوين آراء أو أفكار يفترض أنها صائبة حيث يتحركون ويتصرفون على أساسها من أجل تحقيق التقدم والنمو لأنفسهم والمجتمع الذي يعيشون فيه. (2)

ثالثاً: تعريف المُعاصر:

ويقصد به هو الحقبة الزمنية الحالية، أو الراهنة، وهناك من يختلط لديه معنى مصطلح الحديث مع معنى مصطلح المعاصر ولكن الاختلاف كبير من حيث المفهوم والحدود الزمنية، حيث ان الحديث يكون قبل المعاصر.(3)

رابعاً: تعريف المواجهة:

إن الصراع بين التقاليد والحداثة حيث يسعى الناس و الكثير منهم للحفاظ على الطقوس والعادات التي يرثونها عن إسلافهم بينما يسعى آخرون إلى تطوير ممارسات جديدة تتماشى مع العصر حيث تبدأ المواجهة، وهي وسيلة لكشف التناقضات التي تجعل الحقائق أكثر وضوحا من خلال المقارنة بين التناقض في السلوك و بين اللفظ. (4)

خامساً: تعريف الظاهرة:

(1) إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة،(دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع،2015)،ص 19

(2) إسماعيل عبد الفتاح، مصطلحات الإعلام والاتصال والرأي العام، (دار العالم العربي، 2018)، ص 13

(3) Impritnt of springer-verlag, new York Theory for everything ,Copernicus, anJeremy Bernstein ,A

(4) Janis, I, and Mann, L,(1977).Decision making: a psychological analysis of conflict. New York :free press

هي كل سلوك ينتشر في المجتمع بأكمله، ولا التي تتعلق بالبنية الاجتماعية حيث أنها لا تنتج من فراغ وإنما من خلال تفاعل الإفراد مع بعضهم وغالبا ما تشير معنى الظاهرة إلى حدث غير عادي أو حدث جديد على المجتمع ويتفاعل معه الإفراد حسب قناعتهم وميولهم ودرجه صناعه بهذه الظاهرة ويكون لها قواعد واتفاقيات البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها تأثير كبير و هناك أنواع من الظواهر منها الظواهر العلمية الظواهر السياسية والدينية، الاقتصادية، واللغوية والثقافية، والبيئية.[1]

سادساً: تعريف الإلحاد:

هو إنكار الدين و إنكار وجود الإله ونعني بالإلحاد الكفر بالله والميل عن طريق آهل الإيمان والرشد، والتكذيب في البعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط، ويختلف تعريف الإلحاد باختلاف الباحثين ودراساتهم حيث هناك الإلحاد الفلسفي الذي ينتشر بين الطلبة في الكليات و الإلحاد العلمي، والإلحاد المطلق والى آخره من الأنواع.[2]

المبحث الثاني

مفهوم الإلحاد

يرى بعض الباحثين إن الإلحاد هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى حيث يدعي الملحدون بان الكون وجد بلا خالق وان المادة هي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، والإلحاد هو بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النادر من بعض الأمم والإفراد وكانت الكنيسة الأوروبية المسؤول الأول عن ظهور الإلحاد حيث أنها جعلت العلم بديلا عن الدين، والإلحاد ليس ظاهرة حديثة إلا إنها راجت سوقها في هذه العصور المتأخرة فاجتاحت قلوب الكثيرين وصرفتهم عما فطرت عليه القلوب[3]

على الرغم من الإلحاد ظاهرة قديماً لكنه لم يكن منتشرا بشكلهُ الحديث إن ما كان شائعا الشرك مع الله تعالى تحت حجج مختلفة، مع اعترافهم بوجود الله تعالى وانه هو الخالق المدبر، إما الإلحاد المعاصر يقوم على إنكار وجود الله أصلا ويزعم أهله انه ما وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس وعن طريق التجربة والدراسة و ان الدين لا يوصل إلى ذلك. [4]

(1) بدر عبد الملك، الظواهر الاجتماعية في القصة الإماراتية،(الإمارات، دار الكنوز الأدبية،1995)، ص 35

(2) بان خليل الشمري، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها،(دار الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2017)،ص45

(3) هيثم طلعت سرور، الإلحاد يسمم كل شيء، (القاهرة، نيويورك للنشر والتوزيع،2016)، ص63

(4) عمر علي بسيوني، الأسس اللاعقلية للإلحاد: مشكلة مبدأ العالم نموذجاً، (مجلة براهين لدراسة الإلحاد، 2006)

وعلى الرغم من تعدد الدراســـات والبحوث حول الإلحاد فلا يوجد ليومنا هذا تعريف دقيق لكلمة الإلحاد، والملحدين الذين توصلوا إلى فكرة الإلحاد بعد دراسة عميقة لجميع الديانات السماوية وغير السماوية عبروا بفلسفات متعددة حول هدف الحياة وتكوينها، و الإلحاد أيضا هو عدم اتخاذ الدين كفكرة مركزية لتنظيم حياة الإنسان واختيار طريقة وأسلوب في الحياة لا تتماشى مع الدين[1]

المبحث الثالث

نشأة الإلحاد و أنواعه

منذ نهايات القرن السابع عشر و بدايات القرن التاسع عشر و مع التطور العلمي و التكنولوجي الذي شهده الغرب بدأت بوادر تيارات أعلنت اســتقلالها من فكرة وجود الخالق الأعظم. هذا العصــر كان عصــر (كارل ماركس) و (فريدريك نيتشــه) و(سيغموند فرويد) الذين بدئوا بتحليل الظواهر العلمية و النفسية و الاقتصادية و الاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم إي دور فيها.

وكان الموقف الهش للديانة المســيحية في القرون الوســطى وما تلاها نتيجة الحروب والجرائم والانتهاكات التي تمت في أوروبا باسم الدين نتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروج عن المبادئ الكنيسة حيث أسست لجنة بشن الحرب على أتباع المعتقد ألاثني في غرب أوروبا.

والاثنيه هو اعتقاد بأن هناك قوتين أو خالقين يسيطران على الكون يمثل أحدهما للخير والآخر يمثل الشــر وكان من ضــمن أســاليبهم حرق المهرطقين ولم يقف الأمر عند العلماء فتحتي الأدباء أعلن وفاة فكرة الدين والخالق حيث قالوا إن الدين ابعد الإنســان من إنســانيته بفرض قوانين تعارض الطبيعة البشــرية من ناحية الحرية والســعادة وان الدين جعل الإنســان يفقد حريته واعتماده على نفسه في تغيير حياته وواقعه.[2]

وتسببت الاكتشافات العلمية في صراع بين العلم من جهة وبين الكنيسة من جهة أخرى حيث كان للثورة العلمية في أوروبا أثر مدمر للكنيسة إذ أعقبتها مباشرة نزعة الحادية كبرى ما زالت قائمة حتى اليوم وتوالى حتى انحسر دور الكنيسة وتراجعت إلى الزوايا البعيدة وخاصة بعد الثورة الفرنسية.

(1) عبد الله بن سعيد الشهري، ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، (مركز نماء للبحوث والدارسات، 2014)، ص123ص125

(2) كارين ارميسترونغ، تاريخ الخالق الأعظم،(هفن للترجمة والنشر،2008)، ص23

بعد دخول القرن العشرين كانت للعقيدة الماركسية اثر كبير في رسم مسار التاريخ الأوروبي الحديث إما الإلحاد العربي هو فكرة طارئة وليســـت قديمة كما هو الحال في الإلحاد الغربي وحتى وان وجد قديما فهو ليس منكرا لوجود الخالق ســـبحانه وتعالى لكن أكثرهم لديه تخبطات عقدية كبرى مثل إنكار النبوة.[1]

وهناك أنواع كثيرة للإلحاد قسمت حسب المفاهيم والمعتقدات لكل مجموعة وهي كالأتي.[2]

الإلحاد العلمي: وهو الإلحاد الذي يقوم على مبادئ علمية بحتة.

الإلحاد الفلسفي: وهو منتشر بين الطبقات المتعلمة مثل طلبة الكليات.

الإلحاد القوي:هم الذين يُنكرون وجود الإله ويسوقون الأدلة على ذلك ويروجون لفكرهم ويهاجمون الدين والمتدينين ويسبونهم.

الإلحاد الضعيف: وأصحابه لم يجدوا أدلة كافية تقنعهم بوجود الإله.

الإلحاد المطلق: هو إنكار الإلوهية وما يتفرّع عنها من الرسل والأنبياء.

الإلحاد الجزئي: هو الاعتراف بوجود إله خالق مع إنكار تصرفه وسيطرته.(حاشاه)

العدمية: هي اليأس من عدالة الأرض والسماء.

الإلحاد العابر: في مرحلة من مراحل العمر وخاصة المراهقة.

الإلحاد الباحث عن اليقين.

لإلحاد التمردي: من خلال التمرد على السلطة أيّاً كان نوعها.

الإلحاد الانتقامي: الموجّه ضد رمز أو رموز أو ممارسات دينية مكروهة أو مرفوضة.

الشـيوعيون: الذين يريدون تحويل المجتمعات إلى مسـتعمرات كادحة. ولن يمكن تحقيق ذلك في وجود المعتقدات الدينية الصـحيحة ولذا يحاربون الدين للقضاء عليه ولو بالقوة.

الهاربين من الدين: وجدوا في الإلحاد هروباً من قيود الدين أو إثباتاً لذواتهم أو تحقيقاً لمصالح أخرى.

الشـكاكين: هم فئة شـكاكين في كل شـيء وكثيرون منهم يلتزمون الصـمت، ولا يطرحون شـكهم للنقاش. وأيضـا يقسـم الإلحاد حسب الدافع إليه إلى ثلاث أنواع.[3]

1– الإلحاد العاطفي أو الانفعالي: وهو القائم على مجموعة من الانطباعات الشـعورية أو الانفعالات النفسـية التي تتحكم بالنفس البشرية من خلال فهم الكون وأيضا بنظرة الدين وتأثيره على المجتمع.

(1) بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، (ترجمة مركز الدلائل، مركز الدلائل للطباعة والنشر، 2013)، ص79

(2) عبد الرحمن عبد الخالق، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، (الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،2008)، ص12

(3) البشير عصام، مقال : أنواع الإلحاد، نشر على موقع مركز يقين، بتاريخ 2017/12/14

2-الإلحاد المادي النفعي: هو إن ينكر الشخص وجود الإله لمصلحة مادية حيث يشعر إن وجود الإله عقبه لغاياته ويرى أفضل طريقة لحلها هو الإلحاد.

3-الإلحاد العقلي العلمي: هو الإلحاد الذي ينشأ عن قناعة علمية معينة تتناقض مع معتقدات الدين.

المبحث الرابع: أسباب ظهور الإلحاد

تدور أسباب ظهور الإلحاد في الغرب الأوربي على ثلاثة أصناف من الإشكالات، وهي كالأتي.[1]

إشكالات معرفية: والتي نتجت عن طريق ظهور الشبهات العلمية المرتبطة ببعض النظريات العلمية، وأيضا التأثر بعدد من الفلاسفة المشككين والملحدين، وكذلك إن اعتقادهم بأن الإيمان بوجود الله إهانة للعقل البشري

إشكالات حضارية: منها الكنيسة الأوربية التي كانت سببا غير مباشر في نشر الإلحاد، وكذلك ظهور مظالم الرأسمالية وتفاوت الطبقات بين الرأسمالية الجشعين إلى عمال فقراء مظلومين أدت إلى اتهام الدين بمساندة الظلم أو عجزه عن تقديم حل ناجح لمشكلات الإنسان على الأرض.

إشكالات غير علمية: منها الأسباب النفسية بسبب وقوع الابتلاءات الخاصة التي تجعل لدى بعض الناس قابلية للإلحاد بسبب الجهل بطبيعة العلاقة بين العبد والرب، و التحرر من القيود الدينية يوصل للشهوات النفسية

إما ظهور الإلحاد في البلاد العربية الإسلامية يتلخص بعدة أسباب هي.[2]

حالة التبعية للغرب: ويقصد بها الانبهار التام برونق الحضارة الغربية، والتأثير بها وبالنظريات الفلسفية باعتبارها جزء من المنظومة الفكرية الكاملة.

هزيمة العالم الإسلامي إمام الهجمة الأوربية: كان لهزيمة الدول الإسلامية إمام الغزو الأوربي الأثر الكبير في زعزعة العقائد الإسلامية وميل البعض للتقليد والتشبه بأخلاق الغرب وعاداتهم.

التطرف والجمود الديني: كثيرا من الذين الحدو في مجتمعنا كان إلحادهم ردة فعل نفسية على التشدد الديني والاجتماعي وظهور بعض الجماعات الإرهابية التي تتخذ الدين ستارا لتبرير جرائمهم.

ضعف الإيمان و الجفاف الروحي: عندما يكون الشخص صاحب قلب خاوي يتمكن منه، ويكون إيمانه ضعيفا لا يستطيع مقاومة تلك الأفكار.

(1) عبد الرحمن عبد الخالق، مرجع سابق،ص3

(2) محمد سعيد رسلان، مقال "مقدمة عن الإلحاد والأسباب التي دعت إلى انتشاره في العصر الحديث،(نشر في 12-12-2013)

ضـعف العلم والثقافة الإسـلامية الصـحيحة: الأمية الدينية خطر كبير و خاصـة في ظل التطور الثقافي ووسـائل العولمة وثورة التقنيات الحديثة والاتصالات السريعة التي أدت إلى سرعة انتشار المعلومات والإخبار وانحسار الثقافة الإسلامية ألحقه.

غياب القدوة الصـالحة: سـواء في المدرسـة أو الأسـرة أو الجامعة أو وسـائل الإعلام حيث ينشـأ الشـخص لا يعرف دينه حق المعرفة ولا يحبه كما يجب.

عجز وقصـور الخطاب الديني: القصـور يكون في نظام الوعظ والدعوة وعجز التيار المتدين عن الاحتضـان الروحي العلمي للشباب.

الانفتاح عبر الإنترنت: سـاهم الكثيرون في نشـر الإلحاد عبر مواقع التواصـل الاجتماعي، ولكنها قريبة من متناول الأيدي مع كثرة المواقع المشبوهة التي يدعمها كبار الملحدين على الشبكة العنكبوتيه.

الظلم السياسي والاجتماعي:إن للظلم السياسي والتفرقة العنصرية والاجتماعية أثر كبير في نشر الإلحاد وذلك لان التحالف بين الظلم والدين المحرف يؤدي ببعض الناس إلى التمرد على الدين وإنكار أصوله كلها.

الرغبة الجامحة في شـهوات والانفلات كثيرا ما يميل إلى الإلحاد بدافع الشـهوة لا غير آو ما يسـمى بالحرية اللا أخلاقية بحيث تناسب مع الإلحاد فلا حلال ولا حرام في ظلال مملكة الإلحاد.

الاضطرابات النفسية: من أهم المشكلات النفسية هو الاكتئاب الذي يجعل أفكار سلبية وسيئة تسيطر على الإنسان و تحدث أحيانا شكوك تربك العقل ولا يستطيع أن يتجاوزها فيدفعه ذلك للإلحاد والشك في الله تعالى.

اضطهاد المرأة: وهذا من أبرز وأكبر أسباب الإلحاد بين الفتيات خصوصا إن دعاة الإلحاد يستهدفون المرأة بدعايتهم الإلحادية بحجة التحرر من سلطة الآباء وقهر الذكور بشكل عام.

الثورات العربية: حيث يرى الكثير من الدارسـين والباحثين إن الثورات من الأسـباب المهمة للإلحاد معللين ذلك بان المزاج الثوري يدعو إلى ثورة على كل الثوابت ومن أهم هذه الثوابت هو الدين.

الإلحاد موضـة فكرية: حيث يقدم الشـباب والمراهقين إلى وسـيلة للفت النظر واسـتعراض ما لديهم من أفكار فهم يبحثون عن الاختلاف وليس هناك اختلاف أكثر من الإلحاد يشعرهم بالتميز ولفت النظر هي أقوى من إيمانهم وثباتهم على الدين.

المبحث الخامس

الإلحاد وحكمه في الإسلام

حكم الملحد في الإسلام هو حكم المشرك، من كان مشركا في أصله وقد يكون ذميا ويطعن في دينه من اليهودية والنصرانية فينتقض بذلك عهده الذي كان عليه في بلاد المسلمين ولم يعد إي حاجه من أهل الذمة ولا يأخذ إحكامهم، وقد يكون في الأصل مسلم فيلحد فيأخذ حكم الردة والزندقة، وإن كان مسلما فألحد فيجلس معه بعض أهل العلم و يناقشونه في الشبهات التي جعلته يعتنق أفكار الإلحاد ويُبين له وجه الصواب والخطأ وان يتلطفوا معه في الحديث حتى يردوه إلى عقله، ورشده ويرجع إلى دين الله تعالى

فان تاب إلى الله ورجع إلى دين الإسلام، وذلك بأن ينطق بالشهادتين مره أخرى وان ينكر ما عدا الإسلام من أديان وان يشهد إن الدين الإسلامي هو الحق وما سواه من الأديان والمعتقدات باطل.

والملحد لا يعرف أحدا من أقاربه المسلمين لأن الصلاة بينه وبينه انقطعت بالردة، وفي ذات الوقت لا يجوز له أن يرث قريبه الكافر لأنه لا يقدر على الدين الذي صار إليه ولا يرث ملحدا مثله أيضا كما إن وصية الملحد هي لا اعتبار لها مع الإلحاد و الرد عن الإسلام، ومن مات ملحدا فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين و يحرم على أهله وأقاربه وأصدقائه القيام بدفنه أو الصلاة عليه وذلك لقوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) }إل عمران:85{ وقوله تعالى:(ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت إعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) }البقرة:217{[1]

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: " ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة، فإنه يسمى شركا ويسمى كفرا، فمن أعرض عن الله بالكلية، وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات، من الذين يسمونهم بالأولياء، يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم، وينسى الله بالكلية: فهذا أعظم كفرا وأشد شركا، نسأل الله العافية.وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول: ليس هناك إله والحياة مادة كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركا وضلالا نسأل الله العافية ". ويقول أيضا رحمه الله:

"والاشتراكيون ذبائحهم محرمة من جنس ذبح المجوس وعبده الأوثان، بل ذبائحهم أشد حرمة، لكونهم أعظم كفرا بسبب إلحادهم وإنكارهم الباري عز وجل ورسوله، إلى غير ذلك من أنواع كفرهم ".[2]

(1) عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1980)،ص78.

(2) مجموع فتاوى ابن باز (4/32-33) و(23/30)

الفصل الثاني

المبحث الأول

أثار الإلحاد ومخاطره، سبل مواجهته

أولا: أثار الإلحاد ومخاطره:

إن موجة الإلحاد التي ضـربت العالم اجمع لابد وان تكون لها أثار سـلبية على المجتمع والفرد، ومن أهم أثار الإلحاد هي الأنانية وحب الذات، وهدم النظام الأسري، القلق والحيرة، والاضطراب والصراع النفسي الداخلي الذي يتكون نتيجة إن لكل إنسان منا فطرة تلح عليه وأسئلة ترد في صدره، منها لماذا خلقنا؟ ومن الذي خلقنا ؟.[1]

ومن مخاطر الإلحاد انتشار الجرائم وذلك لان الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من اله قوي قادر إن يراقب تصرفاته وإعماله في الأرض، فالملحد يكون غليظ القلب فاقد للوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة.[2]

ومن المخاطر المترتبة على الإلحاد هو انتشـار الفسـق والانطلاق في عالم الإباحية والمجون، لأن الملحد يتخلص من التكاليف الشرعية قال تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم).(سورة يوسف:53)

وكذلك ظاهرة الانتحار المنتشرة بين الملحدين لأن الحياة في نظر الملحد تحصيل حاصل لا غاية لها ولا حكمه من وجودها لأن الوجود هو صدفه، والحياة هو مجرد تطور، وهذه الحالة اللاوعي تنعكس على تصرفات الملحد.[3]

أما سبل مواجهة الإلحاد تكون كالأتي:[4]

1-أن يقوم حكام المسلمين بواجبهم وذلك بمنع أسباب الإلحاد وعدم السماح بنشرها بين المسلمين بكافة الطرق.

2- التواصل مع الشباب الذين لديهم مثل هذه الشكوك والرد على كل الشبهات التي تعترضهم.

3-بث البرامج النافعة التي تغرس الإيمان و ترد على شـبهات الإلحاد، وهذا يكون من واجب الوزارات المعنية والإعلام والأوقاف الإسلامية، ووزارة التعليم العالي والمؤسسات التعليمية والقنوات الفضائية.

4-على الإباء والأمهات إن يقوم بواجبهم في تربية الجيل على الإيمان والخير والهدى حيث تكون المسـؤولية كبيرة على عاتقهم كما قال النبي محمد "صلى الله عليه وسلم": (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

(1) صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي،الالحاد: وسائله وخطره وسبل مواجهته، (بيروت، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر،2013)، ص ص 53-68

(2) محمد مختار جمعة، مخاطر الالحاد وسبل المواجهة، (مصر، وزارة الأوقاف المصرية، 2019)، ص 73

(3) عبد القادر صالح، العقائد والأديان، (بيروت، دار المعفة،2006)،ص131

(4) أبو الحسن الندوي -أبو الأعلى المودودي -محمد الخضر حسن،(الالحاد : أسبابه، طبائعه، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه، (الكويت، مكتبة ابن تيمية،2009)، ص25

5- التقرب من الله تعالى حباً به قبل إن يكون خوفا منه،لان الدين الإسلامي دين المحبة والتسامح.

أن التصدي لعلاج ظاهرة الإلحاد ومواجهتها، واجب على جميع أطياف ونسيج المجتمع العربي والإسلامي، حكومة وشعبًا، أفرادًا وجماعات، قادة ومؤسسات، كلٌ بحسب دورة ومسؤوليته، ومستواه العلمي والثقافي، حتى يتم وقف تمدد واستئصال هذه الظاهرة الخطيرة.[1]

فليست قضية الإيمان بالخالق أمراً هامشيًّا وإنما هي أساس التعاطي مع الوجود كله، والتوقف عند الرد معضلة توحي بالانهزام والفراغ العلمي؛ إذ إن التيار الإلحادي تيار هدمي؛ يسعى أفراده إلى هدم التصورات الدينية دون أن يقدموا فلسفتهم الخاصة للوجود، ومتى ما سعوا في ذلك فمن السهل ملاحظة حالة التعجل والسطحية والحيدة عن مواضع الإشكال، وهو ما يكشف عن مشكلات كثيرة تعصف بهذا الخطاب.[2]

المبحث الثاني

الإلحاد المعاصروعلاقته بالأديان

علاقة الإلحاد بالدين الإسلامي هو تشكيك المسلم بالنظم الإسلامية من خلال انتهاء دورها في هذا العصر، عصر العلم والتطور، وإقناع الجيل الناشئ بأن الإسلام ظلم المرأة من خلال فرضه الحجاب عليها وغيرها من الضغوطات حتى يبين أن المرأة لا تصل إلى حقوقها إلا بعد تركها وتحررها من قيود الدين، ترغيب المسلمين بالحضارات الغربية ويكون وجه الترغيب في ذلك كون أصحاب هذه الحضارات والمبادئ ما وصلوا إلى قمة المجد والقوة إلا بعد إن طرح الدين جانبا.[3]

إما الإلحاد في الديانة المسيحية هو إن يقنع جميع معتنقي هذه الديانة بأن الله غير موجود إي تشكيك المسيحيين بوجود الله وانه قد مات، وموت الله هو الحدث النهائي الذي لا رجعة فيه وموت الله قد يحيي تاريخهم من جديد، و يحررهم من الاتجاهات الدينية الخالية من الإنسانية والملحدين المسيحيين متفقون في الاعتقاد بأن الإلحاد يجعل الحياة مقبولة في هذا العالم و سيكون الانتباه إلى المشاكل الاجتماعية وغيرها.[4]

والإلحاد مع جميع الأديان هو يهدف إلى تشتيت الفرد وبعده عن أي معتقد آو عن إيمان بداخله حيث يهدف إلى جعل الفرد غير مطمئن وغير واثق من نفسه ومن أي شيء من حوله، فالإلحاد هو إنكار لأي وجود ما لم يتم رؤيته بالعين أو تثبته الدلائل

(1) صالح بامبا، الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية (621/2 وما بعدها)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة – جامعة أم القرى بإشراف الأستاذ/ محمد الغزالي سنة 1981 م /1401 هـ.

(2) أنور قاسم الخضري، آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد أنموذجا) ص15، مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة.

(3) احمد هاشم علوان، سبل القرآن الكريم في مواجهة الإلحاد،(مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية – كلية الآداب)

(4) Thomas W. Ogletree, (1996), The death of God controversy, New York: Abington press.

العلمية، واستغلال العقل البشري بحيث يقبل المنطق فقط، وإن لا يخدع بالغيبيات ما لم يكون هناك دليل قاطع على ذلك، فهو يهدد جميع الأديان وجميع المعتقدات.[1]

المبحث الثالث

هل الإلحاد مرض نفسي.؟

إن اتساع ظاهرة الإلحاد قام الباحثون بدراستها من جميع الجوانب واهم جانب هو الجانب النفسي، حيث يُعتقد إن الملحد هو شخص لديه اضطرابات وهو يعاني من الحزن والاكتئاب والضياع، بسبب ظروف حياتيه مره بها في حياته وأدت بدورها إلى تشكيل التاريخ المرضي لحالته، فمعظمهم يعاني من الهستيريا والهوس، وبعدها يكون شخصية انشقاقية تعاني من انفصام ومن صفات شخصية الملحد انه يحب إن يحترم رأيهُ، وتستمع لهُ في حين أنه لا يحدث العكس و لا يحترم عدم تقبلك له، بل يتهمك بالكفر والجهل ويشكك في كل شيء نتيجة ضعف الإيمان وعدم رسوخ العقيدة بداخله، فطبيعة البشر يميلون للأيمان.

منذ بدء الخليقة وبعثه الأنبياء والرسل، لكي يهتدي الناس لوجود الله والبعد عن الضلالة، تأتي شخصية الملحد يرفضها المجتمع والناس الذين لم يعرفوا طريقه للنقاش مع الملحد، والمجتمع لا يأخذ ولا يعطي معه عندما يتحول شخص إلى الإلحاد فهو لا يجد من الناس الذين يتناقش معهم ردود ترضيه، والإلحاد ليس وليد هذا الزمان بل هو موجود ولكن دون مجاهرة.

وأصبحت إثارة واضحة في وسائل الإعلام حيث طرحت أفكار الإلحاد، وذلك باستضافة الملحدين على الهواء لمناقشتهم بغير علم، ولا على قدر كافي من المعرفة، والمناقشة العلمية والدينية، فهم عن طريق الخطأ يقومون بنشر أفكار الملحدين التي لم تواجه أي مقاومة فلم يكن الهدف الأساسي لديهم إظهار خطأ نظريه الملحد بل الهدف هو النشر الإعلامي والشهرة.[2]

ويذهب البعض الآخر إلى انه ليس مرضا نفسيا بالمعنى الحرفي، ولكن تواجد لعديد من الاضطرابات النفسية تؤدي إلى الإلحاد مثل الوسواس القهري الديني. فالدافع لاعتناق الإلحاد هو دافع نفسي لا صلة له بقوة الأدلة أو موضوعية المنهج، وهذا طرح لا ينبغي أن يمر دون إخضاعه للتفكير المعمق، فهناك شواهد عملية تدعمه وتؤكده، وكأن أكثر الملاحدة لديهم مشكلة شخصية مع الدين، فتتشكل مواقفهم بناء على نفور نفسي متراكم، وكراهية متنامية تحول بينهم وبين تحكيم المنهجية العلمية والمعايير الموضوعية في الأدلة بأنواعها العقلي منها، والتجريبي، والحسي (الباطني) أو ما يُسمى صوت الفطرة الداخلي.[3]

(1) عمر لطفي النجار، العقل والإلحاد: دراسة لطبيعة الإلحاد عبر كل الأديان،(دمشق، مكتبة المبتدأ والخبر،2007)، ص135

(2) عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية،(القاهرة، نيويورك للنشر والتوزيع،2016)، ص76

(3) عبد الرحمن حسن حبنكة، صراع مع الملاحدة حتى العظم، (دمشق، دار القلم،1992)، ص42

المبحث الرابع

حركات الإلحاد المنظمة في العالم العربي

بدأت الحركات المنظمة للإلحاد في العالم بعد منتصف القرن التاسع عشر حينما بدأ العالم العربي الإسلامي يتصل بالعالم الغربي عن طريق الدراسات والتدريب، وترجع الأسباب إلى مجموعة من الطلاب المتأثرين بالفكر الأوروبي المادي الذي كان يقوم على أساس تعظيم علوم الطبيعة ورفع شأن العقل و تنحية الدين الشرع، عن حكم الحياة والناس وإدارة شؤونهم وهناك محاولات إنشاء خلاف وهمي وصراع مفتعل بين العقل والشرع، ومع مرور الوقت وزيادة الاتصال بالغرب وتراثه وانتشار موجة التغريب بين الناس ظهرت بعض الدعوات الصريحة للإلحاد وفتح باب الردة باسم الحرية الفردية وفي تلك الحقبة ظهر العديد من المفكرين والأدباء يدعون إلى التغريب والإلحاد باسم التنوير تارة وباسم النهضة الأدبية تارة أخرى ومرة باسم الحريات الفكرية، ومن هنا انتقلت حركة الردة والإلحاد إلى اغلب الدول، ابتداءً من مصر و الشام ومرورا بالعراق بما فيها السعودية وانتهاءً باليمن.[1]

وأيضا من ضمن الحركات ظهور أعلام الإلحاد في العالم الإسلامي، وكذلك ظهور بعض المؤلفات الإلحادية المتعددة التي كانت دافعا كبير في دفع عجلة الإلحاد الجديد، واستطاعت أن تخترق الفضاء العام، لما فيها من أسلوب مغري وعبارة تسهل الفكر الإلحادي بوضوح.

وكذلك من أسباب انتشار الإلحاد هو ظهور مؤسسات الحادية، و تنظيم برامج إعلامية تتيح للملحدين عرض أفكارهم و تخدم توجهاتهم، وتصف في معتقداتهم الفاسدة برامج حوارية وأفلام تعليمية وثائقية ومسلسلات ترفيهية تشكل فيها الفكرة الإلحادية كفكرة مركزية أو تتضمن بعض لقطات خلفيات الحادية، إضافة إلى حضورهم الكبير الذي يعد من أكبر الحركات المنظمة لنشر الإلحاد في جميع المجتمعات،وخاصة المجتمع العربي الإسلامي حيث أنها تعتبر الأكثر تداولا بين الملحدين العرب في طرح أفكارهم الإلحادية دون الكشف عن تفاصيل هويتهم، و يراد منها كما يزعمون هدم خرافات الدين باستخدام العقل من خلال نشر صور مضادة للإسلام وغيرها.[2]

(1) هشام عزمي، الالحاد للمبتدئين، (دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2015)، ص56

(2) محمد رأفت سعيد، الاصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي،(القاهرة، دار المناهج، 1983)، ص39

الفصل الثالث

المبحث الأول

القيم الإعلامية لصد الإلحاد

من الأسس الرئيسية والمهمة في العمل الإعلامي هو إن تعتمد على قيم ثابتة تساعد في دفع عجلة التطور لمجتمع أفضل وسليم خالٍ من المعتقدات والخرافات الدخيلة عليه، والتي باتت تؤثر بشكل سلبي على معظم القضايا الأساسية المهمة، من خلال مناقشتها للمواضيع المختلفة التي تكون على تماس مباشر مع حياة الفرد، لذا يقع على عاتق المؤسسات الإعلامية مسؤولية كبيرة في نشر وتوضيح وإعطاء المعلومات الحقيقية تجاه أي قضية مطروحة.

وفيما يخص ظاهرة الإلحاد المعاصر التي غزت مجتمعاتنا العربية الإسلامية، هناك مجموعة من القيم التي على المؤسسات الإعلامية الالتزام بها وهي: [1]

1-المصداقية في نقل المعلومات: أي نقل جميع المعلومات بمصداقية كاملة بعيدا عن المصالح الشخصية التي هدفها الأول هو تحقيق ربح مادي متجاهلين الآثار السيئة التي تتركها نقل الإخبار الخالية من المصداقية على المجتمع والفرد.

2-اللقاءات والمناقشات مع أشخاص من أصحاب المعرفة: للرد على أي شخص يأتي بأفكار غريبة على مجتمعنا، ونذكر على وجه الخصوص ظاهرة الإلحاد فعندما نناقش الشخص الملحد يجب استضافة شخص ذو شخصية قوية، وعلى معرفة تامة بأمور الدين حتى يستطيع دحض جميع الحجج التي يأتي بها الملحد وإلا سوف يكون الحوار مجرد ترويج للأفكار الإلحادية.

3- بث البرامج الدينية التي من شأنها نشر التعاليم الدينية الإسلامية الصحيحة وتقديم الحجج والأدلة الدامغة حتى لا تعطى فرصة لأي شخص التشكيك بها.

4-بيان عقوبة الملحد بالنسبة للدين والشرع والمخاطر السلبية التي تترتب عليه من واجب المؤسسات الإعلامية، كونها وسيلة تأثير قوية كونها المؤثر الأول بين جميع الفئات وخصوصا فئة الشباب، ولا نقصد دورها فقط في التلفزيون والإذاعة وإنما أيضا من خلال مواقع التواصل الاجتماعي و شبكة الانترنت التي تعتبر العامل الأساسي للتأثير في العقول.

5-ضرورة الرقابة على جميع البرامج، وكذلك المؤلفات و المنشورات الالكترونية وغيرها من المواد، التي يمكن من خلالها نشر أشياء تعارض العقيدة الإسلامية و تنافي الأخلاق وهذه الرقابة تفرض من قبل الجهات المسؤولة على المؤسسات الإعلامية بشكل عام لتحجيم الأفكار الإلحادية كونها تسعى إلى تفكك المجتمع والتأثير في كيان العالم العربي الإسلامي.

(1) جورج صدقه، الأخلاق الإعلامية بين المبادئ والواقع، (بيروت، مؤسسة مهارات، 2008)، ص14

المبحث الثاني

دور المبادئ المشتركة بين المسلمين لرد الإلحاد العالمي

الإلحاد العالمي هو غزو فكري لتسميم عقول الشباب المسلمين المتأثرين بالحضارة والثقافة الغربية وما وصلوا إليه من العلم في مختلف العلوم، وإن الفكرة السائدة بين الشباب هو أن الدين يؤخر التقدم والتطور، إذ أصبح من واجب المسلمين العرب التصدي لهذا الغزو الفكري والثقافي، وذلك من خلال وضع مبادئ يكون لها الدور الأساسي للتأثير على المجتمع والأفراد ومنع تشويش الأفكار التي تجعلهم يبتعدون عن الدين الإسلامي الحنيف.

ومن هذه المبادئ المبدأ الأول: التعامل بالنصيحة ويقصد بها عدم رفض أفكار الملحدين بصورة الرفض القاطع والخطأ، حيث يجب مناقشة الفرد ومعرفة الأسباب التي أدت به للاتجاه إلى هذا التفكير ومن ثم تقديم النصيحة له من دون تعصب فكري أو تعصب ديني، لان الدين الإسلامي يدعو إلى اللين في التعامل.

والمبدأ الثاني: هو الحث على قوة الشخصية وثبات الآراء وعدم التأثر في أبسط الأشياء التي توجهها قوى الغرب، لان الهدف الأول والأخير من الإلحاد هو تفكيك وتجزئة وحده العالم العربي الإسلامي ومحو معالم الدين. (1)

والمبدأ الثالث: على البلدان العربية الإسلامية التطوير من نفسها من خلال دعم الشباب داخل بلدهم حيث لا يضطرون إلى إرسالهم إلى البلاد الأخرى والتأثر بالثقافات والحضارات الغربية وإن من الأسباب التي يؤثر بها الملحدون في الغرب على المسلمين هو النظر إلى بلادهم على أنها غير متطورة بسبب تأثرهم بالدين والقيود الموضوعة، وعدم حرية الفرد في اختيار ما يناسبه، ويقارن مع البلدان الأوروبية التطور العمراني والثقافي الذي وصلوا إليه لأنهم لا يجعلون الدين المرتبة الأولى في تعاملهم.

أما المبدأ الرابع: هو الحث على تقوية الأواصر الأسرية والإنسانية في البلدان العربية الإسلامية وذلك لان الغرب يحاولون جاهدين لإلغاء هذه العلاقات باعتبارها أنها تؤخر التطور وتعطل العمل والإنتاج والإبداع إذ أنهم لا يعطون العلاقات الإنسانية والأسرية أهمية كبيرة كما يعطونها للعمل والإنتاج. وإن توحد العرب المسلمين مهم جدا للتصدي ورد الإلحاد العالمي الذي بات يغزو أفكار الشباب وجميع الفئات العمرية من خلال ما يتعرضون له من برامج، وحتى من أفكار الأصدقاء والتأثر بهم وبمعتقداتهم للهروب والتحرر من أي مسؤولية تواجههم، أن الالتزام بهذه المبادئ ويعزز من الأواصر بين الدول العالم العربي الإسلامي والحفاظ على الدين الإسلامي بأبهى صورة من غير تشويه أو تجريح. (2)

(1) نور الدين أبو لحية، كيف تناظر ملحدا، (مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، 2019)، ص18

(2) نور الين قوطيط، مقال: النصائح الذهبية في مناقشة الملحدين، شبكة الالوكة- المجلس العلمي بتاريخ،16-6-2014

المبحث الثالث

العمل على إيجاد أواصر تعزز القيم الدينية التي تعالج الإلحاد وترسخ العقيدة الإسلامية

القيم الدينية: ويقصد بها اهتمام الفرد بما وراء العالم الظاهري والرغبة في معرفة الأصل الإنسان ومصيرهم لأنه يرى إن هناك قوة تسيطر على العالم الذي نعيش فيه وعليه انه يحاول إن يصل بنفسه لهذه القوة لأنها تعبر عن المعتقدات والمشاعر دينية.

العقيدة الإسلامية: هي المنبع الرئيسي للقيم الإسلامية حيث ترتبط نظره الإسلام بين التصور العقائدي وبين السلوك القيمي، لذلك فالعقيدة والسلوك مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا لهذا تحدد مهمة المدرسة القرآنية في كون ما تقدمه من قيم لا يصبح ذا فائدة ما لم يتحول إلى سلوكيات ظاهره، لان السلوك الإنساني لا ينبعث من فراغ بل يقوم على قاعدة راسخة وثابت من المعتقدات المعرفية والوجدانية وبذلك يكون السلوك القيمي جزءا مهما يعبر عن مدى عمقه في النفس والعقل والقلب.[1]

والعقيدة هي التي تعطي منظومة القيم الإسلامية ومنها تنبعث جميع القيم وتستمد شرعيتها وقوتها وعلى أركان الإيمان المتمثلة في (الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، ويقوم بناء قيمة الفروع متعددة الجوانب في مصداقية القيمة ومستوى عمقها وعوامل التزامها إنما تعود في الحقيقة إلى درجة إيمان الإنسان بها واعتقاده بصحتها وإيمانه بمشروعيتها.

وان العمل على إيجاد الأواصر التي تعزز القيم الدينية وتعالج الإلحاد يجب البدء بالعمل به ابتداءً من المؤسسات التعليمية للأطفال، وترسيخ العقيدة الإسلامية وأركان الإسلام في أذهان الأطفال حتى ينشئوا نشأة إسلامية صحيحة، بعيدا عن الشك وبعيدا عن الضلالة وكذلك يقع على عاتق الأسرة تعزيز هذه الأواصر وترسيخ العقيدة يكون هذا التعزيز من واجبات رجال الدين والمؤسسات الإعلامية، وجميع المؤسسات التي لها التأثير الكبير في بناء شخصية الفرد التي بالتالي تؤثر على المجتمع وكلما كانت العقيدة الإسلامية راسخة في النفس البشرية يصبح من الصعب توجيهها إلى أفكار أخرى أو حتى إلغاءها أو تكون سريعة التأثر بأي أفكار دخيلة عليه فكلما كان الدين راسخا ومتأصل في قلب الإنسان فأنه يصبح لديه درع حماية تجاه أي غزوة فكرية أو عقائدية خاطئة. [2]

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،(بيروت، دار المعرفة)،ص34

(2) محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة،(القاهرة، مكتبة وهبة،1981)، ص23

المبحث الرابع

الإعلام، حارس البوابة للمحافظة على قلعة الدين الإسلامي ومواجهة ظاهرة الإلحاد

يعتبر الصحفيون الذين يقومون بمهمة جمع الأخبار والذين يعتبرون مصدرا لها أيضا و يقومون بعدة وظائف لتحديد المعلومات، وتحريرها وزيادتها بتوسيع البيئة الإعلامية وإعادة ترتيبها وتفسيرها، والذين يأخذون بنظر الاعتبار معايير عديدة مثل معايير المجتمع وعاداته وتقاليده بالإضافة إلى معايير ذاتية التي تخص شخصية الصحفي، ومعايير تخص الجمهور حيث يعمل حارس البوابة ويسمى حارس البوابة لأنه يقوم بتنقية المعلومات والإخبار ويأخذ منها الأكثر مصداقية، لتعزيز الثقة بينه وبين الجمهور، وأن يكون لديه القدرة على التمييز ما بين المعلومات والمصادر التي تحمل أبعادا غير إبعادها الحقيقية وتخفي وراءها هجمات خفيه وتسميم منظم للعقول. [1] وفي ما يخص ظاهرة الإلحاد ظهرت هناك بعض المواد الإعلامية منها أغاني الأطفال وكذلك البرامج الخاصة بهم وأيضا هناك برامج توجه للكبار لغرض منها غسل عقولهم هنا يأتي دور الإعلام الذي يكون دورا كبيرا في مواجهه الإلحاد فمن خلال عدم الترويج لتلك الأفكار الإلحادية عدم التطرق إليها تحت إي مسمى ونشر الوعي الإسلامي للحفاظ على قلعه الدين من أي هجمة من شانها تلوث الأفكار وتحمل معلومات مغلوطة تغرس في عقول الأطفال والشباب والنساء، ويقع على عاتق الإعلام شرح المفاهيم المتداولة حاليا بصورة صحيحة مثل الحرية وحرية التعبير.

حيث أن مفهوم الحرية هو المفهوم الأكثر جدلا بين الناس ويعتبر المدخل الرئيسي للتغيير حيث يقام باسم الحرية تحريض النساء على إنهن مضطهدات ومظلومات وليس بإمكانهن إن يعيشَّن حياة طبيعية طالما هناك قيود، الإعلامي هنا يجب إن يوضح معنى الحرية الحقيقي وكيف إن لكل شخص له مساحة التصرف دون إن يؤثر على الآخرين وعلى المجتمع وكذلك على الأفكار، مستشهدين بذلك بقول النبي محمد "صلى الله عليه وسلم ": (لا ضرر ولا ضرار)، إي انه لا يجب على من يعتنق فكر محدد أو ديانة معينة يجبر الآخرين على اعتناقها ولا يروج لها على أنها صحيحة، ومن حق إي شخص إن يناقش، حتى يتبين له طريق الحق والرشاد، والإنسان يجب إن يكون مرن وغير متعصب في أفكاره إما المؤسسات الإعلامية فلا يجب إن يكون همها الأكبر هو الربح المادي أو الشهرة فيجب إن تكون المؤسسات الإعلامية فهي حارس على كل المعتقدات الدينية الإسلامية الصحيحة، ولا تسمح لأي متسلل إن يدخل ويغير تلك الأفكار فالدين الإسلامي دين قوي متأصل من الصعب إن يستسلم إمام ظاهرة الإلحاد والتي تعتبر ظاهرة ضعيفة لا يمكنها الصمود إمام قوه الدين الإسلامي الحنيف.[2]

(1) علي محمد جريشة- محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي،(دار الوفاء،ط3، 1979)،ص76

(2) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي،(القاهرة،دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة،1998)،ص81

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

1-ظاهرة الإلحاد المعاصر خطر يداهم المجتمعات العربية الإسلامية.

2-تأثير الإلحاد يكثر بين فئات الشباب، لتأثرهم بالحضارات الغربية.

3-الإلحاد ينتج لأسباب نفسية أو معرفية أو مجتمعية.

4-ظاهرة الإلحاد ليست ظاهرة حديثة، بل أنها ظاهرة قديمة لكنها كانت تأخذ معنى مختلف.

5-مواجهة ظاهرة الإلحاد تقع على عاتق الجميع على حد سواء.

6-المؤسسات الإعلامية لها تأثير كبير في نشر ظاهرة الإلحاد أو تجعلها تنحسر في نطاق ضيق.

7-ترسيخ العقيدة الإسلامية وتعزيز القيم الدينية ضروري لبناء شخصية ثابتة غير قابلة للتأثر بأي مؤثر خارجي.

ثانياً: التوصيات

وفقاً للنتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة ظاهرة الإلحاد ودور الإعلام المعاصر لمواجهة هذه الظاهرة، استطيع إن أضع بعض التوصيات التي ممكن الاستفادة منها فيما لو تم تطبيقها بصورة عملية، وهي كالأتي:

1-التصدي للهجمات التي تحاول النيل من العقيدة السمجاء.

2-رد الإلحاد بكل الطرق وعدم السماح له بالدخول إلى مجتمعنا وشبابنا.

3-ضرورة عمل برامج إعلامية من خلالها يتم ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر مبادئها الصحيحة.

4- الرقابة الأبوية لاتجاهات وميول الأبناء حتى يتم توضيح ما هو مبهم لهم وتوجيههم نحو الطريق الصحيح.

5- عدم الاستهانة بهذه الهجمات الفكرية الشرسة التي تستهدف الإسلام بقصد تفكيك وحدتهم.

6- تكليف أصحاب الشأن بعمل كل ما بوسعهم من إعمال لبناء سور يحمي الدين من الإلحاد.

7-ضرورة العمل الجماعي ومراقبة المعلومات التي يتعرض لها الجمهور إذ يجب إن تكون ذات مصداقية تامة.

الخاتمة

في نهاية بحثي هذا الموسوم (دور الإعلام المعاصر في مواجهة ظاهرة الإلحاد)، نرجو إن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على هذه الظاهرة الدخيلة على مجتمعاتنا العربية الإسلامية، حيث وضعنا بعين الاعتبار الجوانب التي من شأنها إن تؤثر في نمو وانتشار هذه الظاهرة، ونشكر الله تعالى أولا وأخرا على نعمة العلم والإيمان، وكما قال الله تعالى في كتابه العزيز (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) }سورة الكهف110{، حاولت في هذا البحث وضع نقطة في هذا البحر المترامي الإطراف في الكون عسى إن يكون مفتاح للباحثين وطلاب العلم للغور في هذا المجال، فان وفقت فمن الله وان أخفقت فمن نفسي، وبهذا البحث اترك الباب مفتوحاً لطلاب العلم حتى يكملون هذه المسيرة، لكي نعمل على تطوير البحث العلمي من اجل ان نقدم وننهض بأمتنا الإسلامية، والحمد لله على إتمامه بهذا الشكل والكمال لله سبحانه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والمراجع

1. احمد هاشم علوان، سبل القرآن الكريم في مواجهة الالحاد،(مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية –كلية الآداب).
2. إحسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة،(دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع،2015).
3. إسماعيل عبد الفتاح، مصطلحات الإعلام والاتصال والرأي العام، (دار العالم العربي، 2018).
4. أبو الحسن الندوي –أبو الأعلى المودودي –محمد الخضر حسن،(الإلحاد: أسبابه، طبائعه، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه، (الكويت، مكتبة ابن تيمية،2009).
5. البشير عصام، مقال: أنواع الإلحاد، نشر على موقع مركز يقين، بتاريخ 2017/12/14
6. بان خليل الشمري، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها،(دار الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2017).
7. بدر عبد الملك، الظواهر الاجتماعية في القصة الإماراتية، (الإمارات، دار الكنوز الأدبية،1995).
8. بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، (ترجمة مركز الدلائل، مركز الدلائل للطباعة والنشر، 2013).
9. جورج صدقه، الأخلاق الإعلامية بين المبادئ والواقع، (بيروت، مؤسسة مهارات، 2008).
10. عمر علي بسيوني، الأسس اللاعقلية للإلحاد: مشكلة مبدأ العالم نموذجاً، (مجلة براهين لدراسة الإلحاد، 2006).
11. عبد الله بن سعيد الشهري، ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، (مركز نماء للبحوث والدارسات، 2014.
12. عبد الرحمن عبد الخالق، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، (الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،2008).
13. عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1980).
14. عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية،(القاهرة، نيويورك للنشر والتوزيع،2016).
15. عبد الرحمن حسن حبنكة، صراع مع الملاحدة حتى العظم، (دمشق، دار القلم،1992).
16. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي،الإلحاد: وسائله وخطره وسبل مواجهته، (بيروت، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر،2013).
17. عبد القادر صالح، العقائد والأديان، (بيروت، دار المعرفة،2006).
18. عمر لطفي النجار، العقل والإلحاد: دراسة لطبيعة الإلحاد عبر كل الأديان،(دمشق، مكتبة المبتدأ والخبر،2007).
19. علي محمد جريشة– محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي،(دار الوفاء،ط3، 1979).
20. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي،(القاهرة،دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة،1998).
21. كارين ارميسترونغ، تاريخ الخالق الأعظم،(هفن للترجمة والنشر،2008).
22. محمد مختار جمعة، مخاطر الالحاد وسبل المواجهة، (مصر، وزارة الأوقاف المصرية، 2019).
23. محمد سعيد رسلان، مقال "مقدمة عن الالحاد والأسباب التي دعت الى انتشاره في العصر الحديث،(نشر في 12-12-2013).
24. محمد رأفت سعيد، الاصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي،(القاهرة، دار المناهج، 1983).

25.نور الدين أبو لحية، كيف تناظر ملحدا، (مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، 2019).

26.نور الين قوطيط، مقال: النصائح الذهبية في مناقشة الملحدين، شبكة الالوكة- المجلس العلمي بتاريخ،16-6-2014.

27.هشام عزمي، الإلحاد للمبتدئين، (دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2015).

28.هيثم طلعت سرور، الإلحاد يسمم كل شيء، (القاهرة، نيويورك للنشر والتوزيع، 2016).

29. Impritnt of springer-verlag, new York -3Theory for everything, Copernicus, anJeremy Bernstein, A.
30. Janis, I, and Mann, L,(1977).Decision making: a psychological-analysis of conflict. New York:free press.
31. Thomas W. Ogletree, (1996), The death of God controversy, New York: Abington press.

ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع وآثارها وطرق الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

م.د. بلال عمر عبد العزيز

كلية الإمام الأعظم(رحمه الله) الجامعة

da.bilal998@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع وآثارها وطرق الوقاية منها في ضـوء الفقه الإسـلامي، فالمخدرات هي نوع من الخبائث التي يؤدي تعاطيها إلى إلحاق الكثير من الأضـرار الدينية والعقلية والجسـدية والمالية والأمنية والأخلاقية والإجتماعية، حيث تعاني منها الدول الغنية والفقيرة على السواء، ومِن هذا المنطلق ولأهمية الموضوع قمت بإعداد هذا البحث وفق خطة تتضـمن بيان مفهوم المخدرات وأنواعها وبيان الأسـباب المؤدية إلى تعاطي المخدرات وآثارها وأضـرارها وطرق الوقاية منها، وبيان حكمها الفقهي عند الفقهاء الأقدمين والمعاصرين، ثم بيان أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث.

Abstract

This research deals with the phenomenon of drug abuse in society and its effects and methods of prevention in the light of Islamic jurisprudence. Drugs are a type of evil, its abuse leads to a lot of religious, mental, physical, financial, security, moral and social harm, which both rich and poor countries suffer from. Based on this important issue, I prepared othis research according to a plan that includes a statement of the concept of drugs and their types, and a statement of the causes leading to drug abuse, its effects and harms, and ways to prevent it, and a statement of its jurisprudence according to the ancient and contemporary jurists, and then a statement of the most important results and recommendations extracted from the research

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمِينَ والصلاةُ والسّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وسلك سبيلَه إلى يوم الدين.

أما بعد ...

فإن الشـريعة الإسـلامية تهدف إلى تنظيم حياة الناس وأحوالهم وتحقيق المصـالح والمنافع البشـرية الحقيقية ودفع أنواع المضـارّ والمفاسد عنهم، فلا نجد مطلوباً شرعاً إلا وكان فيه الخير للفرد والجماعة والأمة ولا نرى ممنوعاً شرعاً إلا وفيه الشرّ والسوء للإنسان والمجتمع قاطبة؛ لذلك أمرت الشـريعة الإسـلامية بحفظ العقل وشـدّدت على صـيانتِه وحمايتِه مِن كلّ ما يخّل به حتى يقومَ المسـلمُ بأداء التكاليف الشرعية على الوجه الأمثل، فمن المقاصد العامة للتشريع حفظ النفس والعقل ومن طرق المحافظة عليها عدم تعاطي أيّة مادة تُذهبُ عقلَ الإنسـانِ الذي به فُضّـل على كثيرٍ ممّا خلقَ ومن المعلوم أنَّ الأضـرارَ الناجمةَ عن تعاطي المخدرات متعددةُ الجوانبِ، ففيها ضـررٌ بالشـخصِ ذاتِه وبأسـرتِه وأولادِه ومجتمعِه وأُمتِه، فهي مِن أهمّ المشـاكلِ التي تواجه دولَ العالَم، ومِن أكثر الظواهر تعقيداً وخطورةً على الإنسـان والمجتمع فأصبح من الضـروري الوقوفُ عندها ودراستُها وتعرّفُ أسبابِها ودوافعِها وأسـاليبِ الوقاية منها وطرق علاجها. ومِن هذا المنطلق ونظراً لأهمية الموضـوع رأيتُ أنْ أكتبَ بحثاً يتناوله من جميع جوانبه، وقد اقتضـت طبيعةُ البحثِ أنْ أقسّمَه إلى مبحثين كلّ مبحثٍ يشتملُ على عدّة مطالبَ وكما يلي:

المبحث الأول: تعريف المخدرات وانواعها وأسباب تعاطيها وحكمها ويشتمل على المطالب الآتية.

المطلب الأول: تعريف المخدرات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع المخدرات.

المطلب الثالث: أسباب تعاطي المخدرات.

المطلب الرابع: حكم تعاطي المخدرات في الفقه الإسلامي.

المبحث الثاني: آثار تعاطي المخدرات وطرق الوقاية منها ويشتمل على المطالب الآتية.

المطلب الأول: آثار تعاطي المخدرات.

المطلب الثاني: طرق الوقاية من المخدرات.

الخاتمة: وتحتوي على اهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف المخدرات و انواعها وأسباب تعاطيها وحكمها

المطلب الأول

تعريف المخدرات لغة واصطلاحاً

اولاً: المخدرات لغةً: جمع مخدر وهو مأخوذ من الخدر وهو الكسل والفتور والخدر: امذلال يغشى الأعضاء الرجل، واليد، والجسد وقد خدّرت الرجل تخدّر والخدر من الشراب والدواء: فتور يعتري الشارب وضعف [1].

ثانياً: المخدرات في الاصطلاح: ذكر بعض الفقهاء تعريفات للمخدرات وهي كما يلي.

1. عرفها بعض فقهاء المالكية بأنها: ما غيّب العقل دون الحواس من غير ان يصحب ذلك نشوة او فرح [2].
2. وعرفها ابن حجر الهيتمي فقال: هي تغطية العقل لا مع الشدة المطربة لأنها من خصوصيات المسكر المائع [3].
3. وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: بأن التخدير: هو تغشية العقل من غير شدة مطربة [4]

بعد عرض التعريفات السابقة للفقهاء نجد أنها متقاربة في المعنى من حيث اتفاقها على إعتبار المخدرات مادة تؤدي إلى تغييب العقل من غير شدة مطربة وبدون نشوة أو فرح ويعتبر الفقهاء المخدر بأنه يؤدي الى تلك الأعراض من غير شدة مطربة وبدون إحداث نشوة أو فرح؛لأنّ النشوة والفرح تكون مصاحبة للشراب المسكر المائع وليس المخدر، كذلك فإن المخدرات لم تظهر بأشكالها وأنواعها الحالية في زمن الفقهاء الاقدمين، لذلك كان لا بد من وضع تعريف للمخدرات يتلاءم مع متغيرات العصر الحديث؛لأنّ المخدرات أصبحت غير مقتصرة على النباتات المعروفة التي كانت تستخدم قديماً للتخدير؛ إنما ظهرت حديثاً المخدرات الصناعية والعقاقير الدوائية والتي تشترك مع المخدرات ذات الأصل الطبيعي في الضرر، بل أشد فتكاً منها، وتؤدي إلى حالة من التغيرات العقلية وكذلك تؤدي إلى الإدمان،ولما سبق ذكره أضع التعريف الآتي للمخدرات.

فالمخدرات: هي كل مادة مستخلصة من النباتات أو أيّة مادة مصنّعة يؤدي تناولها إلى إحداث تغيير في حالة الانسان العقلية والنفسية والجسدية وتؤدي إلى حالة من التعود والإدمان.

---

(1) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري (ت: 711 هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ (4 / 230)، كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمر بن تميم الفراهيدي (ت: 170 هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (4 / 229)، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت: 1205 هـ)، تحقيق: مجموعة ممن المحققين، دار الهداية، (20 / 496).

(2) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي (ت: 1220 هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ، (1 / 49)، مواف الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب (ت: 954 هـ)، دار الفكر، ط2 1412هـ – 1992م، (1 / 90) شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت: 1101 هـ) دار الفكر للطباعة، بيروت، (1 / 84).

(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر، احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت: 974 هـ)، دار الفكر ط1 1407هـ – 1987م، (1 / 354).

(4) الموسوعة الفقهية: الكويتية، ط2، دار السلاسل، الكويت، (4 / 258)

المطلب الثاني

أنواع المخدرات

تتنوع المواد المخدرة بحسب طبيعة منشئها إلى ثلاثة أنواع وهي كما يلي:

اولاً: المخدرات الطبيعية: وهي عبارة عن مجموعة من النباتات تؤخذ وتستعمل كما هي دون تغيير يذكر في مكوناتها مثل الحشيشة والأفيون وجوزة الطيب والشيكران والقات [1] وهذه الأنواع ذكرها بعض الفقهاء في كتبهم وبينوا أحكامها. اما بقية الأنواع المصنعة والكيميائية فلم تكن معروفة في زمن الفقهاء القدامى.

ثانياً: المخدرات الصناعية: وهي التي تصنع في المعامل من مواد كيميائية لكنها ذات أصل نباتي مثل الهيروين والكوكايين وتقدم على شكل حبوب او كبسولات أو حقن [2].

ثالثاً: المخدرات التخليقية: وهي مواد لا ترجع إلى أصل المخدرات الطبيعية ولا إلى المخدرات المصنعة وإنما هي مواد تركب من عناصر كيميائية وتحدث نفس التأثيرات للمخدرات الطبيعية والمصنعة مثل المنومات (البار بتورات)، والمنبهات (الامفيتامينات، المهدئات، الفاليوم، وعقاقير الهلوسة) وفي الغالب جميع هذه المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية ذات تأثير نفسي أي أنها تغير طريقة التفكير والحالة المزاجية وطريقة التصرف للأسوأ.[3]وبعد هذا العرض لأنواع المخدرات يتبين أنَّ جميع هذه الأنواع وإنْ اختلفت مسمياتها ومنشؤها تشترك في إيقاع الضرر البالغ بالعقل والجسم والخلق، كما أنها تنطوي على خطر الإدمان والوقوع في ارتكاب الجريمة، كذلك لا يمكن حصر المخدرات بهذه الأنواع فقط، ذلك أنّ الصناعة الكيميائية والدوائية تنتج كل يوم مركبات جديدة لها نفس تأثير المخدر، لذلك فكل ما من شأنه التأثير على عقل الانسان وجسمه وتصرفاته يعتبر من قبيل المخدرات.

(1) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم (ت: 970 هـ) دار الكتاب الإسلامي، ط2، بدون تاريخ، (5 / 30)، منح الجليل شرح مختصر خليل محمد بن احمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي، (ت: 1299 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1209 هـ (1 / 47) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، دار الفكر (20 / 121) المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح، (ت: 884 هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ – 1997م (7 / 417).

(2) ينظر: أشهر أنواع المخدرات والمؤثرات العقلية واضرارها، تأليف: محمد مناوي المطيري – بدر محمد الغضوري، دولة الكويت، ص (1).

(3) ينظر: احكام الادوية في الشريعة الإسلامية، الدكتور حسن احمد حسن الفكي، دار المنهاج، الرياض ط1، 1425هـ، ص (250)، اشهر أنواع المخدرات، محمد مناوي وبدر محمد، ص (1).

المطلب الثالث

أسباب تعاطي المخدرات

إنّ عوامل انتشار المخدرات وتعاطيها يرجع لأسباب عديدة أهمها ما يلي:

1. ضعف الوازع الديني لدى الفرد المتعاطي، فالمؤمن الملتزم بتعاليم الشرع لا يقدم على تناول المخدرات التي تسبب خطراً على صحته واسرته ومجتمعه وهو يبتعد كل البعد من أن تمتد يده للمخدرات بيعاً وشراءً وترويجاً وتهريباً وتعاطياً، ذلك أنّ الشخص المرتبط بالله سبحانه وتعالى عن طريق عبادته المفروضة من صلاة وصيام وسائر العبادات لا يمكن أنْ يكون بينه وبين المخدرات صلة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ [1]. ويقول النبي محمد (ﷺ) فيما يرويه أبو هريرة (♦): (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[2]
2. مصاحبة رفاق السوء: لا شك أنّ الشباب يتأثر بعضهم ببعض، ويؤثر بعضهم في بعض سلباً وإيجاباً، وتكاد تجمع الدراسات التي أجريت على أسباب تعاطي المخدرات وبصفة خاصة بالنسبة للمتعاطي لأول مرة على أنّ عامل الفضول وإلحاح الأصدقاء أهم حافز على التجربة كأسلوب من أساليب المشاركة الوجدانية مع هؤلاء الأصدقاء؛[3] لهذا حثنا الإسلام على اختيار الصحبة الصالحة، فقد رُوي عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي) [4].
3. المشاكل الأسرية: المشاكل الأسرية أكبر الأسباب الرئيسة لتعاطي المخدرات ذلك أنّ الخلاف بين الزوجين أمام الأولاد أو الطلاق كل هذه لها آثار كبيرة في دفع أفراد الأسرة إلى اللجوء للمخدرات هروباً من الواقع الذي يعيشونه وقد تؤدي مثل هذه الظروف للإحباط واليأس وظهور شخصية عدوانية قابلة للانحراف بشتى انواعه ومنه تعاطي المخدرات [5].
4. الفقر والبطالة وتدني مستوى الدخل: إنّ الظروف المالية الصعبة من شأنها أنْ تولّد عند البعض نقصاً أمام زملائهم في الأسر الميسورة فيقبلون على ممارسة الانحراف ومنة تعاطي المخدرات [6].

---

(1) سورة العنكبوت: الآية: (45).

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت: 256 هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب: الاشربة، باب قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ حديث رقم (5578)، (7 / 104).

(3) ينظر: المخدرات والشباب في مصر، مصطفى سويف، ط، المركز القومي للبحوث 1981 م، ص (207)، نماذج استعمال المخدرات بين الطلاب والعمال في مصر، مصطفى سويف، وآخرون، المركز القومي للبحوث، 1994، (28).

(4) سنن ابي داود، أبو داود سليمان بن الاشعث بن إسحاق بن بشير الازدي (ت: 375 هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الادب، باب: من يؤمر ان يجالس حديث رقم (4832)، (4 / 259)، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى الضحاك الترمذي (ت: 279 هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، باب ما جاء في صحبة المؤمن، حديث رقم (2395)، (4 / 178) وقال الترمذي هذا حديث حسن انما نعرفه من هذا الوجه.

(5) ينظر: عوامل انتشار المخدرات في الوطن العرب، احمد عبد العزيز الأصفر، الرياض 1425 هـ – 2004 م، ص (22).

(6) الابعاد النفسية والاجتماعية والتربوية لمشكلة الإدمان لدى الشباب، أنور الشرقاوي، المركز الإقليمي لتعليم الكبار، القاهرة، مصر، 1991.

5. توفر مواد الإدمان: ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل التي تجعل تعاطي المخدرات سهلاً وميسوراً بالنسبة للشباب ويرجع ذلك إلى احتواء كل مجتمع من المجتمعات على الأفراد الضالين الفاسدين والذين يحاولون إفساد غيرهم من أبناء المجتمع، فيقومون بمساعدة غيرهم من أعداء الإسلام بجلب المخدرات والسموم وينشرونها بين الشباب [1].
6. الحصول على اللذة أو الشعور بالقوة أو السرور وكما هو معروف فإن هذه الحالة دائما تكون وهمية ومؤقته [2].

المطلب الرابع

حكم تعاطي المخدرات في الفقه الإسلامي

لا خلاف بين الفقهاء في حرمة تناول المخدرات سواء أكانت طبيعية كالحشيشة والأفيون أو كانت مستخلصة منها أو من غيرها كيميائياً، فالشريعة الإسلامية باعتبارها شريعة عامة وشاملة تقوم على أساس جلب المصالح ودرء المفاسد والحرص على حماية الإنسان من كل أنواع الخبائث التي تهدد حياته اليومية وتضر بعقله وتؤثر عليه وعلى صحته،ومن البديهي لما كانت المخدرات تحدث نفس الأثر الذي تحدثه المسكرات أو أخطر من ذلك فإنها حتماً ستأخذ حكم المسكرات قياساً عليها بجامع التخدير والإسكار الذي يزيل العقل وسأذكر بعض أقوال الفقهاء القدماء والمعاصرين التي تدل على حرمة المخدرات ثم أذكر الأدلة التي تدل على تحريمها وكما يلي:

1. ابن عابدين الحنفي: قال في الحاشية " ويحرم أكل البنج والحشيشة وهي ورق القتب والأفيون لأنه مفسد للعقل ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة " [3].
2. الإمام النووي: " ما يزيل العقل من غير الأشربة كالبنج حرام" [4].
3. الذهبي: " وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى" [5].
4. الصنعاني: " ويحرم ما أسكر من أي شيء، وإن لم يكن مشروباً كالحشيشة "[6]
5. الهيتمي: " فثبت بما تقرر أنها حرام عند الأئمة الأربعة الشافعية والمالكية والحنابلة بالنص، والحنفية بالاقتضاء لأنها إمّا مسكرة أو مخدرة وأصل ذلك في الحشيشة المقيسة على الجوزة " [7].

(1) ينظر: عوامل انتشار المخدرات، احمد عبد العزيز الأصفر، ص (23).
(2) ينظر: الابعاد النفسية والاجتماعية والتربوية لمشكلة الإدمان لدى الشباب، الشرقاوي، ص (43).
(3)
(4) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676 هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط3، 1412هـ – 1991 م (10 / 171)
(5) الكبائر، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748 هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت (1 / 86).
(6) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (ت: 1182 هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط4، 1379هـ – 1960 م (4 / 35).
(7) الزواجر عن اقتراف الكبائر، الهيتمي (1 / 355).

6. السيد سابق: " أما ما يزيل العقل من غير الأشربة مثل البنج والحشيش وغيرها من المخدرات فإنه حرام لأنه مسكر " [1].
7. وهبة الزحيلي: " المخدرات والمسكرات أنواع متعددة يتفنن الناس في تناولها بأسماء مختلفة ويلجأ بعضهم إلى تعاطي أشياء تحقق الهدف المقصود من تغطية العقل وكلها تشترك في حكم واحد وهو التحريم بسبب ما فيها من الضرر المؤكد الحصول " [2].

وبعد هذا العرض لأقوال الفقهاء رحمهم الله نذكر أهم الأدلة التي استدلوا بها على تحريم المخدرات وكما يلي:

اولاً: من القرآن:

1. قوله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [3]

وجه الدلالة: يقع اسم الرجس على الشيء المستقذر النجس الذي يلزم اجتنابه ومنه الخمر والأشربة المحرمة الأخرى المسماة باسم الخمر تشبيهاً بها فالخمر والمخدرات كلها محرمة لما فيها من الأضرار [4].

2. قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [5] .

وجه الدلالة: نهت الآية عن قتل الإنسان نفسه وعن ما يؤدي إلى الموت كتناول المخدرات والسموم الضارة والمجازفة في المهالك [6].

ثانياً: من السنة:

1. حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ) [7].

وجه الدلالة: إن كل ما أسكر يحرم تناوله سواء كان شراباً أو غيره فيدخل في ذلك الحشيشة وغيرها من المسكرات [8].

2. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبِدِ اللهِ قال: قال: رسول الله (ﷺ): (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقليلهُ حَرامٌ) [9].

وجه الدلالة: فكل مافيه إسكار وتغطية وفقدان للعقل فإنه يكون حراماً قليله وكثيره لأنه وإن لم يسكر فإنه وسيلة للمحرم[10].

---

(1) فقه السنة، السيد سابق، دار الكتاب العربي، الطبعة الشرعية الثامنة، 1407 هـ – 1987م (2 / 344).
(2) الفقه الإسلامي وادلته، وهبة الزحيلي (7 / 5512).
(3) سورة المائدة: الآية: (90).
(4) ينظر: احكام القرآن، احمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت: 370هـ) تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت. 1405هـ (4 / 122) التفسير الوسيط الزحيلي وهبة بن مصطفى، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ (113/1)
(5) سورة النساء: الآية: (29).
(6) تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ط2، 1418هـ (32/5).
(7) صحيح مسلم، كتاب: الاشربة، باب: بيان ان كل مسكر خمر وان كل خمر حرام، حديث رقم (75) (3 / 1588)
(8) ينظر: الفجر الساطع على الصحيح الجامع، محمد الفضيل الشبيهي الادريسي الزرهوني، تحقيق: فؤاد ريشة (8 /13).
(9) سنن ابي داود، كتاب: الاشربة، باب: النهي عن المنكر، حديث رقم (6381)، (5 / 523) سنن الترمذي، كتاب: الاشربة، باب: ما جاء ما اسكر كثيره فقليله حرام، حديث رقم (1865) (3 / 356)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث جابر.
(10) شرح سنن ابي داود، عبد المحسن العبار (18 / 128).

3. ما روي عن أُمَّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قالت: (نَهَى رسول الله ﷺ عن كُلِ مُسْكِرٍ وَمُفْتِرٍ) [1].

وجه الدلالة: الحديث يستدل به على تحريم كل شراب يزيل العقل ويورث السكر والفتور والخدر للجسد كالحشيش وغيره[2].

ثالثاً: مِن الإجماع:

انعقد الإجماع من قبل الفقهاء رحمهم الله على حرمة المخدرات التي ظهرت في عصرهم عندما تبين لهم ضررها وخطرها.

قال الزركشي: (وأما الاجماع على تحريمها فقد نقله غير واحد، منهم القرافي في قواعده، وكذلك ابن تيمية) [3].

وقال صاحب تهذيب الفروق: (اتفق فقهاء أهل العصر على المنع من النبات المعروف بالحشيشة التي يتعاطاها أهل الفسوق)[4]

رابعاً: من المعقول:

إنّ المخدرات تؤدي إلى أضرار جسيمة، وقد يفوق ضررها ضرر المسكرات لأنها تفسد أخلاق المجتمع وتضر الأمة في اقتصادها واعمالها ضرراً بليغاً، وتفسد العقل وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ففيها ضرر عقلي وبدني وديني وأخلاقي وكل ما هو ضار في نتائجه أو ذاته وعينه فهو حرام [5].

(1) مسند الامام احمد بن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241 هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1412هـ – 2001 م، حديث رقم (26634) (44 / 246) سنن ابي داود كتاب: الاشربة، باب: النهي عن المسكر، حديث رقم (3686) (5 / 529) السنن الكبرى، البيهقي، احمد بن حسين بن علي الخراساني، (ت: 458 هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002، كتاب الاشربة، باب: ما اسكر كثيره فقليله حرام، حديث رقم (17399)، (8 / 515) وقال المنذري: شهد بن حوشب وثقه الامام احمد بن حنبل، ويحي بن معين تكلم فيه غير واحد والترمذي يصحح حديثه، ينظر: مختصر سنن ابي داود، المنذري (2 /545).

(2) ينظر: السراج المنير شرح الجامع الصغير، الشيخ علي بن الشيخ احمد بن محمد الشهير بالعزيزي، مركز النخبن العلمية (4 / 379)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط1، 1417 (8 / 2554)، التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (ت: 1182 هـ) تحقيق: محمد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1 1422 هـ – 2011 م (10 / 594).

(3) زهرة العريش في تحريم الحشيش، للإمام بدر الدين الزركشي، (ت: 794 هـ)، تحقيق: الدكتور السيد احمد فرج، الوفا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ – 1987م، ص (119).

(4) تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية، محمد علي بن حسين المكي المالكي، (1 / 305)

(5) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، (7 / 5513).

المبحث الثاني

آثار تعاطي المخدرات، وطرق الوقاية منها

المطلب الأول

آثار تعاطي المخدرات:

للمخدرات أضرار عديدة ومن عدة جوانب وهي كما يلي:

1. الأضرار الدينية: للمخدرات أضرار كبيرة على الشخص من الناحية الدينية ذلك أنها مضيعةٌ للأوقات مُذهبة للعقول، ومتى ما ضيع الإنسان أوقاته وذهب عقله فسيجره ذلك لتضييع أعظم ركن من أركان الإسلام وهو الصلاة قال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[1].

وجاء في رد المحتار: "ويحرم أكل النبج والحشيشة.... لأنه مفسد للعقل ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ".[2] فالفرد المسلم ليس متروكاً لذاته ولذاته فعليه في كل لحظة تكاليف وهو مطالب باليقظة لينهض بهذه التكاليف ومن تعاطى المخدرات لا يستطيع القيام بما كلف به من عبادة فهو زائل العقل فاسد القلب مغلوب على أمره.

2. الأضرار الأسرية: أما تأثير تعاطي المخدرات على الأسرة والتي تعد الأساس في المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع وانهار بناؤه، ووجود خلل في نظام الأسرة من شأنه أن يحول دون قيامها بواجبها التعليمي لأبنائها فتعاطي المخدرات يصيب الأسرة والحياة الأسرية بأضرار بالغة فتجد التوتر والخلافات بين أفرادها وانهيار صورة المثال والقدوة الممثلة بالأب[3]،كذلك ما يلحق بالزوجة والأولاد من إساءات فينقلب البيت جحيماً لا يطاق من جراء التوترات العصبية والهياج والسب والشتم وترداد عبارات الطلاق بالحرام والتكسير والإرباك وإهمال الزوجة والتقصير في الإنفاق في المنزل وقد تؤدي المخدرات إلى إنجاب أولاد معاقين متخلفين عقلياً[4].

3. الأضرار الإجتماعية: فهي تهدد المجتمع وتعبث بكيانه واستقراره لما تتركه من آثار سلبية على صحة الأبدان والعقول وتبديد للطاقات والثروات وما تورثه من خمول واستهتار تفسد معه العلائق الإجتماعية وتشكل بوابة لارتكاب جرائم أخرى كالسرقة والاغتصاب والقتل، فأمثال هؤلاء يصبحون خطراً على المجتمع يهددون أمنه بسبب إقدامهم على هذه الأفعال القبيحة والمحرمة[5].

4. الأضرار الإقتصادية: المخدرات سبب خطير للإضرار بإقتصاد أيّة دولة مهما كانت قوتها الإقتصادية وتتضح أضرار المخدرات الإقتصادية من خلال الاتي:

---

(1) سورة المائدة: الآية: (91).

(2) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد امين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت 1252 هـ)، دار الكفر، بيروت، ط2، 1412هـ – 1992 م، (6 / 458).

(3) ينظر: الإدمان خطر يهدد الامن الاجتماعي، محمد سلامة غباري، الإسكندرية، ط1، دار الوفاء 2007، ص (38).

(4) الفقه الإسلامي وادلته، وهبة الزحيلي، (7 / 5512).

(5) عوامل تحقيق الامن الاجتماعي. د. احمد ناجي محمد، دار العلم، بيروت، 2004، ص (46).

- إن إدمان المخدرات يضعف طاقة المدمن ويقلل من كفاءته وقد يعطله كلية عن الإنتاج، وبالتالي لا يستطيع الإسهام في المسيرة الإقتصادية للبلاد.
- كما أنّ الإدمان يحمل الدولة على إنفاق المبالغ الكثيرة لمكافحة المخدرات حيث أنّ تهريبها وترويجها يحتاج لزيادة العاملين في أجهزة الرقابة فتضع هذه الأموال دون فائدة رغم حاجتها لها في الإنفاق على المشروعات العمرانية والصناعية.
- كما أن إدمان المخدرات يؤدي لانتشار البطالة؛ لأن الكل مشغول بالمخدر دون سواه مما يؤدي إلى قلة الإنتاج في هذا المجتمع مما يؤثر على الإقتصاد [1].

5. الأضرار الصحية: لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على الإنسان بالصحة والعافية وأوجب عليه المحافظة على نفسه من كل ما يؤذيها أو يضرها يقول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[2]، ويقول الله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﭼ[3]، ومن أشد الأشياء وأكثرها ضرراً بالنفس البشرية المخدرات تلك التي اكتشف الأطباء أنها تسبب أمراضاً خطيرة عجز الطب عن علاج بعضها ويكفي أنها تجعل صاحبها يعيش في عالم من الأوهام والخيالات يتصور ما لا يمكن أن يتحقق على يديه ويفكر بكل محبوب لنفسه وهو بعيد كل البعد عن ذلك ومن أخطر أضرار المخدرات الصحية التي توصل إليها الأطباء هي التسمم الكحولي، ضمور خلايا قشرة المخ، النوبات الدماغية الكبدية، التهاب الأعصاب المتعددة، سرطان المريء، تضخم الطحال، إضافة إلى أمراض أخرى لا مجال لذكرها الآن [4]
6. الأضرار النفسية: للمخدرات أضرار نفسية كبيرة على المتعاطي من أبرزها الشعور الزائف بالاضطهاد والكآبة والعزلة والتوتر العصبي والنفسي وهلاوس سمعية وبصرية وحسية مثل سماع أصوات ورؤية أشياء لا وجود لها وتخيلات مما يؤدي الى الخوف وقد يصل الأمر إلى الجنون وفقدان العقل كما يحدث المخدر اضطراباً في تقدير المكان والزمان وحكماً خاطئاً على الأشياء وضعفاً في التركيز والذاكرة وكثرة النسيان كما يقل تأثير المدمن بالمؤثرات الخارجية بحيث لا شيء يسعده أو يبهجه مهما حقق من نجاح بل سعادته وأنسه بالمخدر لا غير [5].
7. الأضرار الأمنية: يؤدي تعاطي المخدرات إلى انتشار الجرائم البشعة في المجتمع كالقتل والسرقة والاحتيال... الخ ذلك مما يصيب المجتمعَ والحياةَ بأضرار كبيرة ويؤدي إلى انتشار الفساد والفحشاء في المجتمع كله، وهناك علاقة بين المخدرات والجرائم فمتعاطي المخدرات إذا نفد ما معه من مال فإن إدمانه يحمله على السرقة أو القتل وكثيراً ما نسمع بكارثة وجريمة من جراء تعاطي المخدرات[6].

المطلب الثاني: طرق الوقاية من المخدرات:

(1) المخدرات كعامل معروف للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، فرج احمد فرج، أبحاث المؤتمر الإقليمي السادس للمخدرات، الرياض، 1394هـ، (1 / 145).
(2) سورة النساء: الآية: (29).
(3) سورة البقرة: الآية: (195).
(4) ينظر: المخدرات من القلق الى الاستعباد، دار العلم، القاهرة، 2012، ص (173).
(5) ينظر: المخدرات والمواد المشابه المسببة للإدمان، د. محمد إبراهيم الحسن، دار النور، القاهرة ص (26).
(6) ينظر: اضرار المسكرات والمخدرات النفسية، جمال الدين عبد العزيز، ص (23).

1. تقوية الوازع الديني: إنَّ الوازعَ الديني له اثرُه على نفس المؤمن؛ فهو ينتهي عما نهى الله عنه، ذلك أنّ إقبالَ الناس على ربهم والتزامَهم بشرعه لهو أفضلُ علاج وأحسنه وأنفعه،وتميز المنهج الإسلامي في معالجة المشكلات بمزية متفردة ألا وهي غرس مراقبة الله في قلوب كل أفراد المجتمع والتوعية الدينية في المجتمعات الإسلامية المستمدة من هدي النبوة وقيم الإسلام الحنيف القائمة على الإقناع بأنَّ الإسلام هو الطريق الذي لا ضرر فيه ولا ضرار، وتسعى إلى تعميق وإرساء المبادئ الأخلاقية والالتزام بالضوابط السلوكية والنفسية والاجتماعية، كذلك كلما كان الوازع الديني عند المسلم قويا فإن خشيته من الله تعالى تزداد، ولذلك تراه حريصاً ودقيقاً على اتباع الحلال والإمتناع عن الحرام وكلما تزعزع هذا الوازع الديني وضعف عند الإنسان كان احتمال ارتكابه للمحرمات كبيراً، فالوازع الديني إنما ينشأ من صدق الإيمان وسلامة التطبيق لأوامره سبحانه وتعالى [1].
2. التوعية الأسرية: إنّ للأسرةِ دوراً هاماً في مواجهة الإدمان والتصدي له فجهودها الوقائية في مكافحة الإدمان هي الدرع الواقي للأبناء فهي مصدر الحب والأمن والطمأنينة فبين أحضانها ينمو الابن ويترعرع، وبين أفرادها يحيا ويتعلم وهي الخلية الأولى للمجتمع، فإذا صلحت صلح الأبناء وصلح المجتمع، ولذلك فإن جهود الأسرة الوقائية من أهم المسؤوليات والواجبات التي من خلالها تقوم بتوعية وتبصير أبنائها بهذا الخطر القاتل [2].
3. التحذير والتوعية من مضارها الخطيرة المدمرة للأفراد والأسرة والمجتمعات وخاصة الأمراض الفتاكة التي تسببها جرثومة الإدمان القاتلة وما يترتب على ذلك من أضرار اجتماعية واقتصادية بالإضافة إلى أخطار الأمراض النفسية والعقلية [3].
4. الرفقة الحسنة: فأصدقاء السوء والبيئة المحيطة بالفرد لها التأثير المباشر عليه فهي إما أن تكون له أو تكون عليه جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والسوءِ كحاملِ المسكِ ونَافخِ الكِيرِ فحَامِلُ المسكِ إمَّا أن يُحذيكَ وإمّا أنْ تَبْتَاعَ منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافِخُ الكيرِ إمَّا أنْ يُحرِقَ ثِيابَك وإمَّا أنْ تجد ريحاً خبيثةً) [4] فوجب على الإنسان أن يتحرى الصديق الصالح ويبتعد عن الجليس السوء.
5. القضاء على مشكلة البطالة التي يعاني منها معظم الشباب لأنّ البطالة من الأسباب التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات والإنسان في المجتمع الإسلامي مطالب أن يعمل مأمور أن يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله قال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[5].
6. استغلال الوقت: فالإنسان إذا شغل نفسه بالأمور النافعة والمفيدة فإن ذلك يمنعه من التفكير بالوقوع في الرذائل،لأن الأنسان إذا اختلى بنفسه أوقات فراغة وردت عليه الأفكار والهواجس فيتحرك لتحقيق خيالاته مما يحمله على الوقوع في الآثام[6].

(1) ينظر: الإدمان خطر يهدد الامن الاجتماعي، محمد سلامة غباري، ص (188).
(2) ينظر: الإدمان خطر يهدد الامن الاجتماعي، محمد سلامة غباري، ص (185).
(3) ينظر: الأسرة والوقاية من الإدمان، احمد جمال أبو العزايم، ص (32).
(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، حديث رقم (5534) (7 / 96)
(5) سورة الملك: الآية: (15).
(6) ينظر: إدمان المخدرات والكحوليات، محمد جلال الدين الحامدي، دار الشرف، 2014، ص (30)

7. معاقبة المروجين والمتاجرين للمخدرات فالشريعة الإسلامية جاءت بما يكفل مصالح الناس في معاشهم ومعادهم ومن ذلك تشريع بعض العقوبات لمن يخل بنظام المجتمع أو يمس كرامة فرد من أفراده أو يعتدي على حق من الحقوق الخاصة أو العامة، فالعقوبات زواجر وضعها الله تعالى للردع من ارتكاب ما خطر وترك ما أمر [1]، فتشريع العقوبات الصارمة على متعاطي ومروجي المخدرات يعتبر من أهم الوسائل الوقائية التي تمنع تعاطي المخدرات.

(1) ينظر: الاحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرة الشهير بالماوردي (ت: 450 هـ) دار الحديث، القاهرة، (1 / 325).

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت اليها ما يأتي:

1. المخدرات هي كل مادة طبيعية نباتية أو مستخلصة منها أو مصنعة كيميائياً يؤدي تناولها إلى إحداث تغيير في حالة الإنسان العقلية والنفسية والجسمية وتؤدي إلى حالة من التعود والادمان.
2. كل مادة يثبت إسكارها أو تخديرها وتؤدي إلى ذهاب العقل ينطبق عليها حكم المخدرات أيّاً كانت مادتها أو اسمها.
3. تتنوع المواد المخدرة بحسب طبيعة منشئها إلى ثلاثة أنواع وهي المخدرات الطبيعية والمخدرات الصناعية والمخدرات التخليقية.
4. لم يناقش الفقهاء القدامى المخدرات بأشكالها المعاصرة نظراً لعدم انتشارها في زمانهم.
5. جميع أنواع المخدرات تشترك في الضرر الذي يصيب متعاطيها في عقله وجسمه.
6. إنّ عوامل انتشار المخدرات وتعاطيها يرجع إلى أسباب عديدة أهمها ضعف الوازع الديني، ومصاحبة رفاق السوء، والمشاكل الأسرية، والفقر وتوفر مواد الإدمان، والحصول على اللذة.
7. للمخدرات أضرار كبيرة على الإنسان من الناحية الدينية والجسدية والعقلية والأسرية والإجتماعية والإقتصادية.
8. من أهم الوسائل الوقائية من تعاطي المخدرات هو تقوية الوازع الديني والتوعية الأسرية، والتحذير من مضارها، والرفقة الحسنة، والقضاء على مشكلة البطالة، واستغلال الوقت، ومعاقبة المروجين والمتاجرين للمخدرات
9. اتفق الفقهاء على تحريم تعاطي المخدرات بشتى أنواعها القديمة والمعاصرة.

التوصيات

بناءً على نتائج الدراسة يمكننا أن نخرج بعدد من التوصيات نجملها فيما يلي:

1. إستثمار الجانب الديني من خلال دور العبادة لتعزيز الوازع الديني لدى الشباب كونه من أهم الأسباب لمكافحة تعاطي المخدرات.
2. توعيةُ أفراد المجتمع عَبر أجهزة الإعلامِ المختلفة بالأضرار الدينية والصحية والإجتماعية الناشئة عن تعاطي المخدرات.
3. ضرورةُ متابعة الآباء لأبنائهم،فمتى تمت المتابعة والمراقبة من قبل ولي الأمر وحرص على اختيار الجلساء الأخيار لأولاده فلن يكونَ للمخدرات طريق إلى أُسرته.
4. إقامةُ الندوات والمؤتمرات العلمية للتعريف بمشكلة ومخاطر تعاطي المخدرات والآثار المترتبة على إدمانها.
5. العملُ على خلق فرص عمل للشباب العاطلين عن العمل لسد أوقات الفراغ لديهم وإشغالهم بالأعمال التي تمنعهم من الإتجاه نحو المخدرات.

6. التشديدُ الكامل على صرف الأدوية المهدئة والمنومة.

7. إنزالُ أقصى العقوبات على متعاطي ومروجي وموزعي المخدرات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأبعاد النفسية والإجتماعية والتربوية لمشكلة الإدمان لدى الشباب، أنور الشرقاوي، المركز الإقليمي لتعليم الكبار، القاهرة، مصر،1991
2. أحكام الادوية في الشريعة الإسلامية، الدكتور حسن احمد حسن الفكي دار المنهاج، الرياض ط1، 1425هـ.
3. احكام القرآن، احمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت: 370هـ) تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت 1405هـ.
4. الإدمان خطر يهدد الأمن الإجتماعي، محمد سلامة غباري، الإسكندرية ط1، دار الوفاء 2007.
5. أشهر أنواع المخدرات والمؤثرات العقلية واضرارها، تأليف: محمد مناوي المطيري – بدر محمد الغضوري، دولة الكويت.
6. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجم (ت: 970 هـ) دار الكتاب الإسلامي، ط2، بدون تاريخ
7. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت: 1205 هـ)، تحقيق: مجموعة ممن المحققين، دار الهداية
8. التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (ت: 1182 هـ) تحقيق: محمد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض ط1، 1422 هـ – 2011 م
9. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي (ت: 1220 هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ
10. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد امين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت 1252 هـ)، دار الكفر، بيروت، ط2 1412هـ – 1992 م.
11. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، (ت: 676 هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، ط3، 1412هـ – 1991 م
12. زهرة العريش في تحريم الحشيش، للإمام بدر الدين الزركشي (ت: 794 هـ)، تحقيق: الدكتور السيد احمد فرج، الوفا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ – 1987م،
13. الزواجر عن اقتراف الكبائر، احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت: 974 هـ)، دار الفكر، ط1 1407هـ – 1987م،

14. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني(ت 1182 هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط4، 1379هـ – 1960 م

15. السراج المنير شرح الجامع الصغير، الشيخ علي بن الشيخ احمد بن محمد الشهير بالعزيزي، مركز النخب العلمية

16. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط1، 1417

17. سنن ابي داود، أبو داود سليمان بن الاشعث بن إسحاق بن بشير الازدي (ت: 375 هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت

18. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى الضحاك الترمذي(ت: 279 هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م

19. السنن الكبرى، البيهقي، احمد بن حسين بن علي الخراساني (ت: 458 هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية 1424-2002م

20. شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت: 1101 هـ) دار الفكر للطباعة، بيروت.

21. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت: 256 هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط1، 1422هـ

22. عوامل انتشار المخدرات في الوطن العربي، احمد عبد العزيز الأصفر الرياض 1425 هـ – 2004 م.

23. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمر بن تميم الفراهيدي (ت: 170 هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

24. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري (ت: 711 هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ

25. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، دار الفكر.

26. المبدع في شرح المقنع إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح (ت: 884 هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 1418هـ – 1997م.

27. المخدرات كعامل معروف للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، فرج احمد فرج أبحاث المؤتمر الإقليمي السادس للمخدرات، الرياض، 1394هـ

28. المخدرات والشباب في مصر، مصطفى سويف، ط، المركز القومي للبحوث 1981 م.

29. نماذج استعمال المخدرات بين الطلاب والعمال في مصر، مصطفى سويف، وآخرون، المركز القومي للبحوث 1994.

30. مسند الامام احمد بن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241 هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1 1412هـ – 2001 م،

31. منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن احمد بن محمد عليس، أبو عبد الله المالكي، (ت: 1299 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1209 هـ

32. مواف الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب (ت: 954 هـ)، دار الفكر ط2 1412هـ – 1992م.

التّناص القرآني وأدبيّة تمثيله في شعر نزار قبّاني

Quranic intertextuality and literary representation in the poetry of Nizar Qabbani

د. نضال موسى مرزوق جقامة

الدراسات الادبية والنقدية – الأردن

الملخص

لا شـك بأن القرآن الكريم شـكّل منبعًا ثرًا اسـتعان به الأدباء، ليسـتلوا منه الثّراء اللغوي والدّلالي، وهذا ما أتاح لهم اسـتثمار معانيه وقيمه في إبداعهم بشتّى الطرق، ما منح إبداعهم أبعادًا عميقة قوّة وتأثيرًا.

شـغل التّناص الدّيني مسـاحة واسـعة في أدب الشّـاعر الكبير نزار قباني. لذا سـعينا في هذا البحث إلى مُقاربة قصـائد الشـاعر لكشف ما جاء فيها من تناص قرآني. ما يسمح لنا بتفكيك نسيج شعره وصوره بغية كشف تقاطعها وعلاقتها بالنّص القرآني.

أضـــفى التناص القرآني على أدب نزار قباني جانبًا مهما من الإثراء اللّغوي والدّلالي والفنّي، ومنحه فاعليّة توليديّة؛ لذا، ارتأينا اعتماد القراءة التحليلية الوصـفية لسـبر أغوار إبداع الشـاعر، وكشـف قدرته على اسـتلهام النص القرآني والربط بينه وبين الأحداث المعاصـرة. وهكذا، تحوّل لديه وسـيلة تعبيرية ناطقة دلالة، كشـفت رؤيا الشّـاعر إلى الحياة والوجود، من هنا جاء وقوفنا على أدبيّة تمثيله في شعر قباني.

الكلمات المفتاحيّة: التّناص– القرآن– التمثيل– نزار قبّاني.

Summery

There is no doubt that the Holy Qur’an constituted a rich source that writers used to draw from the linguistic and semantic richness, and this allowed them to invest its meanings and values in their creativity in various ways, which gave deep dimensions, strength and influence to their creativity.

Religious intertextuality occupied a wide space in the literature of the great poet Nizar Qabbani. Therefore, we sought to approach the poet's poems in this research to reveal the Qur'anic intertextuality in them. This allows us to deconstruct the texture of his poetry and images in order to reveal their intersection and relationship with the Qur’anic text .

Qur’anic intertextuality gave Nizar Qabbani’s literature an important aspect of linguistic, semantic and artistic enrichment, and gave it a generative efficacy; Therefore, we decided to adopt a descriptive analytical reading to delve deep into the depths of the poet's creativity, and to reveal his ability to draw inspiration from the Qur'anic text and link it with contemporary events. Thus, he used this as an expressive, meaningful method, which revealed the poet's vision to life and existence. This is why we analyzed the literary representation in Qabbani's poetry .

Keywords: Intertextuality - Quran - representation - Nizar Qabbani.

المقدمة

شــغل مفهوم التّناص الكثير من الباحثين والنقاد والدارســين وأصــحاب الذائقة الفنية، وقد تحوّل إلى أداة من أدوات الإبداع الفني، بحسبانه مصدرًا إلهاميًا تراثيًا ثقافيًا يغني النّص الإبداعي.

يعدّ التناص القرآني لونًا من ألوان التّناص الديني. ونعني به حضـور النّص القرآني في نصـوص إبداعيّة أخرى بصـور مُختلفة من شعر ونثر، ما ينسج علاقة قويّة بين التراث الإسلامي والأدب الحديث.

ونزار في تناصـه القرآني، نسـج شـعرًا بدلالات عميقة اسـتمدّها من دلالات القرآن الكريم، معبّرا عنها بطريقة مباشـرة حينًا، وبطريقة خفيّة حينًا آخر، فغدت قصـائده ثمرة ثقافية، لما يؤدّيه التناص فيها من دور بارز، أحالها قيمة حضـارية، تلقي بجذورها في عمق التّراث الدّيني.

يُعد النص القرآني، مصدرًا غنيًا من المصادر التي توقظ الإلهام الشعري وتزيد من جذوته، يستلهم الشعراء من آياته، ويقتبسون ما استطاعوا من ألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

من هنا، ســعينا في بحثنا وهو بعنوان: التناص القرآني وأدبيّة تمثيله في شــعر نزار قباني، إلى تلمّس منابع الاقتباس من القرآن الكريم في شعر نزار قباني، الذي منحها جمالًا ورونقًا، وأضاء التجربة الشعرية التّوليدية بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فخرجت بحلّة جديدة، اقتباسا وتضمينًا وإيحاءً، كاشفة عن رؤيا الكاتب.

تنقسم الدراسة إلى فصلين رئيسيّن، يقع كل منهما على مبحثين:

الفصل الأول يُعرّف بالشاعر وبمفهوم التناص (نشأته وتعريفه وأنواعه). وهنا، نتحدث في المبحث الأول عن شخصية الشاعر وبيئته وأدبه، ثمّ نتطرق في المبحث الثاني إلى نشأة " التناص" عربيًا وغربيًا، ثم تعريفه لغويًّا واصطلاحًا، وذكر أنواعه.

الفصــل الثاني: يتناول التناص القرآني وأدبيّة تمثيله لدى شــعر نزار قباني. وهنا، نتحدث عن حضــور التناص الديني القرآني، وحالاته المختلفة من تناص لفظي في المبحث الأول، ثم التناص المعنوي في المبحث الثاني، مع شرح دلالات ذلك كله.

الفصل الأول

المبحث الأول

الشاعر نزار قباني: مولده، نشأته، ومكانته الأدبيّة

شاعر سوري "ولد.. في 12 أذار 1923م، في مأذنة الشحم وهو حي دمشقي قديم، لأب وأم دمشقيين" [1] ؛ أما والده فيدعى توفيق قباني، وكان من البارزين في دعم الثورة ضد الاحتلال، وكانت لشخصية والده الأثر الأكبر في صقل شخصية نزار الذي طالما حاول تقليدها. يقول عن والده: "إذا أردت تصنيف أبي أصنفه من دون تردد بين الكادحين؛ لأنه أنفق خمسين عامًا من عمره يستنشق روائح الفحم الحجري" [2].

كان "نزار... من أسرة محافظة على التقاليد، ولا سيما أنه نشأ في حي دمشقي مشهور بالصلابة والتحدي للمستشرقين وقد سجن والده على أيدي الجنود السنغال في سجن تدمر الصحراوي، وقد أثر ذلك في نفس الشاعر بفخر واعتزاز؛ إذ وجد في عمل والده عملًا ثوريًا، دفعه إلى التمرّد والخروج على القانون" [3].

رأى الشاعر في صورة أبيه المثل الأعلى، الذي رغب في السير على خطاه؛ وقد اعترف عدّة مرات أنّه تأثر بشخصيته، إذ يقول: "إن أباه كان نارا وماء.. أخذ عنه هذه الصفات المتطرفة، وبدا ذلك في شعر رقيق عذب، شفاف العواطف، والانفعالات، وآخر يحمل ثورة وغضبا وقسوة" [4].

أما والدته فقد كانت لها مكانة خاصة لديه؛ إذ تعلق بها تعلقا شديدا، ولا يخفى على أحد أن أمّه كانت محورا أساسيا في حياته، يقول عن أمه: "أما أمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب، كانت تعدني ولدها المفضل وتخصني من دون سائر إخواني بالطيبات، وتلبي مطالبي الطفولية بلا شكوى ولا تذمر" [5].

هذا بالنسبة إلى مولده ونشأته، أما بالنسبة إلى ".. تحصيله العلمي فقد تدرج في تحصيل معارفه الأولى في مدارس الحي التي أسهمت في صقل موهبته الشعرية، إذ حفظ قصائد عمرو بن كلثوم وزهير والنابغة الذبياني وطرفة بن العبد" [6].

(1). الهواري، صلاح الدين، المرأة في شعر نزار قباني، بيروت: دار البحار، ط1، 2004م، ص11.
(2). المصدر نفسه، ص 37.
(3). قباني، نزار، قصتي مع الشعر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 1979م. ص27.
(4). عرفان، نظام الدين، آخر كلمات نزار قباني، بيروت: دار الساقي، ط1، 1999م، ص 46.
(5). عمار، عاطف، الأعمال الكاملة، القاهرة: الحرية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م، ص140.
(6). قباني، نزار، الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972م، ص3.

"وكانت مدرسته الأولى هي الكلية العلمية الوطنية في دمشق، دخلها في السابعة من عمره، وتخرج منها في الثامنة عشرة، وهو يحمل شهادة البكلوريا الثانية قسم الفلسفة عام 1940م" [1].

وبعدها حصل على شهادته الجامعية الأولى وكانت في القانون، إلا أنه لم يعمل في مجال دراسته. يقول إيليا الحاوي: "حصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق إلا أنه لم يمارس المحاماة" [2].

أتقن نزار قباني ".. ثلاث لغات: الفرنسية والانجليزية بالإضافة إلى لغته الأم العربية..، وأبدع فيها أجمل أشعاره، والتحق بعد أن أنهى تعليمه الجامعي بوزارة الخارجية السورية، وشغل عددًا من المناصب الدّبلوماسية في القاهرة، وأنقرة ولندن ومدريد وبكين وبيروت، واستقال من العمل الدبلوماسي في ربيع عام 1966، أسس دار نشر باسمه، وكان متفرغًا للشّعر" [3].

نظم نزار الشعر في سن مبكرة، إذ "دمدم... أول كلماته من أول بيت شعر له، وكان حين ذلك في السادسة عشرة من عمره"[4].

توفي نزار قباني في مقر إقامته الأخير في لندن في 1998/4/30م عن عمر يناهز 75 عامًا قضى منها أكثر من خمسين عاما يكتب الشعر. وقد عدّ نزار شاعر الثورة والمرأة والتجديد، أرسى معالم خاصة في شعره، نقلته إلى مصاف الكبار من الأدباء والمبدعين.

(1). قباني، نزار، الأعمال الكاملة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، ج7، 1997م، ص222.
(2). الحاوي، إيليا، نزار قباني، بيروت: دار الكتاب، ط1، 1973م، ص3.
(3). الهواري، المرأة في شعر نزارقباني، مصدر سابق، ص 15.
(4). قباني، قصتي مع الشعر، مصدر سابق، ص 62.

المبحث الثاني

التناص: نشأته وتعريفه و أنواعه

أوّلًا: نشأته

في الأدب الغربي

أوّل من عُني بمفهوم التناص، العالم الروسي "ميخائيل باختين" [1] *، يكشف عن ذلك ما ورد في ثنايا كتابه: " فلسفة اللغة"... لكن لم تكن وقفة "باختين" عند هذا المفهوم وقفة تامة مفصّلة بل ربما جاز لنا القول: إنّه وضع البذرة الأولى لنشأة هذا المفهوم عند الغرب.

ثم تبعته الباحثة الفرنسية "جوليا كريستيفا" [2] * عام 1966م /1967م، التي أعطت هذا المفهوم حقّه؛ إذ وضعت تعريفات للتناص نجدها في دراستها المعروفة باسم "ثورة اللغة الشعرية".

تقول جوليا كريستيفا في معرض حديثها عن مفهوم التناص: "كل نص تشكّل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى" [3]، بعد ذلك تتالت الدراسات والكتابات الغربية التي عنت في هذا المفهوم، ومن بعض النقاد الذي تناولوا هذا المصطلح: الناقد الفرنسي"جيرار"، و"سويرس"، و"فوكو"، و"بارت"، و" بول ريكور".

التناص في الأدب العربي

في العصر الحديث، شكّل مصطلح " التناص" إشكالية كبرى بين الباحثين العرب، ويعود هذا الاختلاف إلى تنوع الفهم والرؤى وتنوع القراءات لديهم، فضلا عن اختلاف الترجمة لهذا المفهوم من المصطلح الغربي.

التناص بلفظه، قد يكون مصطلحًا جديدًا في الأدب العربي ونقده، ولكن لا يخفى على أحد أن"التناص" كان حاضرًا في كتبنا العربية القديمة بمفهومه ودلالته لكن بمسميّات أخرى؛ فالتناص تخريج لما سلف، وقد أطلق عليه علماؤنا كلمة: "السّرقات".

---

(1). ميخائيل باختين (1895_1975) فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي، ولد في مدينة أريول، درس فقه اللغة، تخرج عام 1918م، عمل في سلك التعليم وأسس حلقة باختين النقدية عام 1921م.

(2). من مواليد 24 تموز عام 1941 م، ولدت في مدينة سيلفن ببلغاريا، أديبة، عالمة لسانيات، محللة نفسية، فيلسوفة ونسوية فرنسية من أصل بلغاري. أصبح لكريستفا تأثير في التحليل النقدي الدولي، من الناحية النظرية الثقافية والنسوية بعد نشر كتابها الأول Semeiotikè في عام 1969. أنتجت عددا كبيرا من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص، والسيميائية، والتهميش، في مجالات اللسانيات، ونظرية الأدب والنقد، والتحليل النفسي والسيرة، و القضايا السياسية والثقافية و تحليل الفن وتاريخ الفن. جنبا إلى جنب مع رولان بارت، تودوروف، جولدمان، جيرار Genette، ليفي شتراوس، لاكان، Greimas، وألتوسير، و فد كانت واحدة من البنيويين، في ذلك الوقت عندما كان للبنيوية مكان رئيس في العلوم الإنسانية. و لكريستفا مكان مهم في الفكر ما بعد البنيوي.

(3). الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، الأردن: مؤسسة عمان للنشر والتوزيع ط2، 2000م، ص12.

إذًا، التناص في الأدب العربي، مفهوم جديد بوصـــفه لفظًا حداثويًا، لكنه ظاهرة قديمة.. والمتتبع لها، يجد أن التناص يمتدّ من جذور وأصــول عُبِّر عنها بمســميات أخرى، تتطابق على الأغلب، مع وجود اختلافات بســيطة بينها، ومنها: الســرقات الأدبية، والاقتباس، والتضمين؛ "التناص في الأدب العربي مرّ ببدايات غنية بمسميّات نقدية تناسب عصوره القديمة وعاد من جديد للظهور متأثرا بالدراسات اللسانية الغربية الحديثة كمصطلح مستقل له أصوله ونظرياته" [1].

ثانيا: تعريف التّناص

التناص لغة

نشـير قبل البدء في الحديث عن التناص لغة، أنه قد تعددت المفاهيم لهذا المصـطلح، ولم نجد تعريفًا مانعًا جامعا له. لربّما يعود ذلك إلى اختلاف الترجمة إلى العربية من اللغات الأخرى، لكن ربما نســتطيع أن نتلمس طريقنا الصــحيح بالكشــف عن الجذر اللغوي "نصّ"، والبحث عن ذلك في القواميس والمعاجم العربية ولا يغيب عن الأذهان "أن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة" عموما [2].

إنّ المصـطلح الغربي الذي تُرجم إلى مفهوم التناصـية في اللغة العربية، انبثق من الجذر العربي " نصّ"، الدال على الرفع والحركة والاستقصاء.

ولنتتبع بعض ما جاء في معاجم اللغة العربية، ونبدأ بما ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "نصص":

"نصص: النص: رفعُك الشيء. نص الحديث ينصُّه نصًا: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نُصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أرفع لـــه وأَسندَ. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نَصَصْتُه إليه. ونصت الضبية جيدَها: رفعته. وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سم به ضربٌ من السير سريع " [3].

أما في القاموس المحيط، فقد أورد الفيروز آبادي في مادة (نصص) قوله:

" (نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً: استقصى مسألته عن الشيء..." [4].

التناص اصطلاحًا

اختلف الباحثون في تعريف المفهوم اصطلاحًا، وقد اجتهدوا في وضع مجموعة من التعريفات بعضها أصاب، وبعضها اقترب، وبعضها ابتعد قليلًا من التعريف الدقيق، وسنورد بعض هذه التعاريف للمفهوم لدى علمائنا العرب، وبعض علماء النقد الغربي.

(1). داغر، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، مصدر سابق، ص 131.

(2). أبو زيد، دكتور نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص 178.

(3). ابن منظور، أبو الفضل محمد المصري، لسان العرب (تحقيق يوسف الخياط)، بيروت: دار لسان العرب، ج6، 1988م، ص648.

(4). آبادي، الفيروز، القاموس المحيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، ج1، 1997م، ص858.

بداية، نبدأ بالتعريف الذي قدمه الدكتور محمد مفتاح، الذي قال: إنّ "التناص هو تعاليق – الدخول في علاقة – نصـــوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة" [1].

عرّف الدكتور أحمد الزعبي التّناص بقوله: هو " أن يتضـــمن نص أدبي ما نصـــوصـــا أو أفكارا أخرى ســـابقة عليه من طريق الاقتباس أو التضـــمين أو الإشـــارة أو ما شـــابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصـــوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل" [2].

والتناص الديني، على وجه الخصـــوص، فقد عُرّف بأنه: ".. تداخل نصـــوص دينية مختارة من طريق الاقتباس أو التضـــمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطاب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للرواية بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي وتؤدي غرضًا فكريّا أو فنيّا أو كليهما معًا" [3].

أما غربيًا، فقد عرّفته جوليا كرستيفا بأنه: "التفاعل النصي في نص بعينه" [4].

هذا بعض ما قاله علماء النقد عن مفهوم التناص، ولربما نســتطيع القول: إنّ الرابط المشــترك بينهم يكمن في الإجماع على أن التناص هو عملية تفاعلية لتسخير نص لخدمة نص أخر، أو هو تزاوج بين نصّين لإخراج نص جديد يخدم الفكرة.

ثالثًا: أنواع التناص

بعد أن تناولنا مفهوم التناص من حيث نشأته وجذوره وارتباطه ببعض مفاهيم النقد الأدبي العربي القديم، لا بدّ من وقفة لتمييز أنواع هذا التناص ووجوهه المتعدّدة والمختلفة:

التناص الديني: ومنه التناص القرآني، والتناص من الحديث الشـــريف، وســـير الصـــحابة والتابعيين وقصـــصـــهم، وما ارتبط بديننا الإسلامي، أو ربّما بالأنبياء والرسل والكتب السماوية الأخرى، وينقسم التناص الديني إلى عدّة أقسام منها:

أ. التناص القرآني: وهو أنّ يأخذ الأديب بقبس من القرآن الكريم مثل آية أو جزء منها، بطريقة مباشـرة أو غير مباشـرة، أو يقتطع جزئية من قصة قرآنية ويضعها بين ثنايا نصه، ليخرج لنا تفاعلا واندماجا لخدمة النص الجديد.

ب. التناص من الحديث الشريف: وهو أن يأخذ الأديب نصًا لحديث شريف أو جزءًا منه بطريقة مباشرة أو غير مباشر، ويضعه بين ثنايا النص الأدبي ليخرج نصًا جديدًا.

ج. التناص من القصص القرآني وسير الأنبياء والصحابة والتابعين وما ارتبط بديننا الحنيف من حوادث معروفة ملئت بها الكتب.

(1).مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م، ص121،
(2). الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مصدر سابق، ص 11.
(3). الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مصدر سابق، ص 37.
(4). داغر، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، مصدر سابق، ص 128.

التناص الوثائقي: يكون في النثر أكثر منه في الشعر، وهو أن نستفيد من وثائق ونصوص من الخطابات الرسمية والرسائل المختلفة سواء أكانت إخوانية أو شخصية أو خطابات ووضعها في نص جديد للخروج بفائدة لهذا التزاوج.

تناص التراث الشعبي: يقوم على توظيف النص الشعبي والحكايات القديمة والموروث الشعبي في نصوص أدبية حديثة.

التناص الأسطوري: وهنا يُستفاد من التراث وخصوصا الأسطورة، ووضعها في النص الأدبي، وتكون الأسطورة إما من التّراث الغربي "اليوناني، الفارسي وغيرها "أو من التراث العربي.

كما ينقسم التناص إلى نوعين رئيسيّن هما، تناص مباشر وتناص غير مباشر:

أ. التناص المباشر"التجلي": وهو أن يستحضر المؤلف نصوصًا مباشرة إن كانت دينية أو تاريخية أو وثائقية أو غير ذلك، لخدمة النص بعد تفاعلهما وتداخلهما واندماجهما معا، ويمكن القول: إن السرقة الأدبية والاقتباس والتضمين والاستشهاد في النقد العربي القديم، يمكن وضعها في إطار ما يسمى: التناص المباشر.

ب. التناص غير المباشر"الخفي": أما التناص غير المباشر فيكون بالتلميح والرمز والإيماء والمجاز ويكون بأن يضع الأديب أفكارًا تلمح من خلالهما المعنى بأسلوب غير مباشر وذلك لخدمة النص الجديد، وهنا يبرز ذكاء الأديب في تسخير ذلك وأيضا فطنة القارئ في الربط واستخراج ذلك التناص الخفي.

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد الزعبي: التناص"..هو الاقتباس بلغة النص نفسها وهو ما يسمى عند البعض (بالتناص المباشر) ويكون ذلك من الاقتباس من آيات القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو سير الأنبياء والصحابة وقصصهم التي وصلت إلينا، كل ذلك يكون تناصًا مباشرًا ظاهراً للعيان وبأسلوب مباشر، أما إذا كان الاقتباس يلحظ بالتلميح أو الإشارة أو الرّمز وبشكل غير مباشر أي الاقتباس بروحه ومضمونه فهو التناص غير المباشر" [(1)].

(1). انظر: الزعبي، أحمد، التناص التاريخي الديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا هلا، جامعة اليرموك، مجلة أبحاث اليرموك عدد1،مجلد13، 1992م، ص 170-200.

الفصل الثاني

التناص القرآني وأدبية تمثيله في شعر نزار قباني

المبحث الأول :التناص اللفظي مع القرآن

أولا: تناص الجملة

ثانيا: تناص الكلمة المفردة

المبحث الثاني :التناص المعنوي مع القرآن

توطئة

تناثر التناص، عمومًا، وبكل ألوانه: الأدبي والأسطوري والوثائقي والديني، وبالأخص القرآني في أشعار نزار قباني؛ وقد شكّل هذا التناص تفاعلًا وتشابكًا واندماجًا عضويًا مع نسيج قصائده. وهكذا، أخرج إلينا، فنًا تعانق فيه النّص الديني مع نتاج نصوصه الشعرية العصرية؛ إذ استقى قباني من القصص القرآني وسير الأنبياء والصحابة الكثير وضمّنها شعره.

والباحث لمواقع التناص في شـــعر نزار قباني، يجدها تناصًـــا متنوعًا ومتعدّدا؛ فتارة يكون معنويًّا وتارة يكون رمزيًّا إيحائيًّا وتارة يكون لفظيًّا.

المبحث الأول

التناص اللفظي مع القرآن

أتقن الشاعر قباني توظيف النص القرآني في قصائده، مظهرًا عمق معرفته الدينية، وإبداعه الفني في رفع مستوى شعره، دلاليا ولفظيا، ما كشف وعيه الأدبي والديني ورؤيته الفذة.

والتناص القرآني لدى نزار ليس استرجاعًا للتراث الديني أو اجتراءً أو إنعاشًا للذاكرة فسحب، إنما هو عمليّة مقصودة للتواصل بين المؤلف والقارئ، وبين النص الأدبي والنص الديني، لإظهار القدرة على توليد نص جديد متكامل.

من هنا، نغوص في عمق هذا التناص، متوقفين بداية عند نوعه الأول المتجسّد في النصوص الشعرية تناصًا لفظيًا (جملة وكلمة مفردة)، ثم ننطلق منه لكشف مواقع التناص المعنوي، ودلالات ذلك كله.

أوّلا: تناص الجملة

يقوم التناص اللفظي على استدعاء النص القرآني في الشعر بحرفيته من دون إجراء أي تغيير عليه. وتناص الجملة يعني استخراج جمل وتراكيب كما هي من القرآن الكريم وتوظيفها بما يخدم المعنى والصورة في الشّعر.. وسنعرض شواهد عليه.

يقول نزار قباني في كتابه "قاموس العاشقين":

"ومحدود الذكاء....

ليس بالإمكان إقناعك بالحب....

فإن الله يهدي من يشاء...." [1].

استقى نزار من القرآن تناصًا لفظيا مباشرًا واضحا للعيان ومن دون مُواربة. فلا يخفى على أحد، قول الله تعالى في محكم التنزيل:

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [2].

وقوله تعالى: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [3].

وقوله تعالى: (إِنّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [4].

وقد وظف الشاعر هذا التناص ليعبّر عن فكرة جوهريّة، ألا وهي: لا يمكن لأي شخص أن يجبر أحدًا على حب أحدهم، فالحب لا إكراه فيه.

أما في قصيدة "هل تسمعين صهيل أحزاني"، التي أورد فيها نزار الكثير من معاني الفحش والابتذال، فقد ورد قوله:

"وسوف تقولين في ذات يوم حزين:

سلام على الحبّ

يوم يعيش..

ويوم يموت

ويوم يبعث حيّا " [5].

(1). قباني، نزار، قاموس العاشقين، بيروت:منشورات نزار قباني، ط6، 2001م، ص85.

(2). (البقرة: 272)

(3). (الأنعام: 88)

(4). (القصص: 56)

(5). قباني، نزار، هل تسمعين صهيل أحزاني، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2006م، ص 63.

أيضًا، ورد هنا التناص اللفظي المباشر؛ فلا يخفى على أحد ما جاء في سورة مريم (عليها السلام) عن لسان الله تعالى قوله:

" وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا " [1].

وقوله تعالى: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" [2].

وظف نزار، هنا التناص، توظيفا رؤويًّا فلسفيا؛ فقد حوّل الحبّ إلى نبيّ يتكلم في المهد كما تكلّم عيسى "عليه السلام".. وقد وظّف هذا التّناص لينقل مُعاناة إحدى النساء التي تتمنّى لو أنّ الحبّ ينبعث من جديد، ولا يموت أبدًا.

استمرّ قباني في توظيف سير الأنبياء المستقاة من القرآن الكريم للتعبير عن رؤاه إلى الحبّ، إذ جعل نفسه موسى "عليه السلام" كليم الله، وفي ذلك يقول:

"وبعد ثلاثين عامًا،

رأيت بعينيك برهان ربي

وشاهدت نور اليقين،

وشاهدت كلّ الصحابة والمرسلين

وشاهدت برقا، وشاهدت نارا....." [3].

موسى "عليه السلام" آنس نارا كما ورد في القرآن الكريم، ولكن شاعرنا نزار شاهدها ! إلا أنّ نار نزار تختلف تمامًا، فهي نار عشقه وولعه.

يقول الله تعالى:

"وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى"[4].

إذًا، لم يكتف شاعرنا بذلك، بل عرج في النص نفسه، على سيدنا يوسف "عليه السلام" حينما رأى برهان ربه. قال الله تعالى في سورة يوسف:

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" [5].

---

(1). (مريم:15)

(2). (مريم: 33)

(3). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص56.

(4). (طه: 9،10)

(5). (يوسف: 24)

وإن اختلف علماء التفسير في البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام، إلا أنّ نزار لا يشك أبدًا في برهانه، وقد تمادى في صورته الشعرية، واقترب من المحظور حينما وصف الهوى كأنّه الرّب:

"هو الهوى..

هو الهوى..

الملك القدوس، والآمر، والقادر،

والمعلوم والمجهول...

والمسكون بالأسرار

هو الذي يلمسنا بكفه

فتنبت الحنطة تحت جلدنا" [1].

في حين يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

"هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ " [2].

ما يؤكّد إصرار قباني على تحقيق الإثم الشعري، موظفا بذلك التناص القرآني بصورة عجائبية صادمة للقارئ.. وهو بذلك يُعبّر عن فكرة لطالما آمن بها، وهي: إنّ الحب مقدّس لا يستطيع المرء أن يعيش من دونه. إنه شعور صاف يسكن القلب ويسيّر صاحبه كما يشاء، ولو خالف ذلك العقل وقوانينه الصارمة.

في قصيدة " أحبك أحبك والبقية تأتي" استثمر شاعرنا الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم، إذ يقول:

"يخطفني الوجد إلى سبع سموات...

لها سبعة أبواب...

لها سبعة حراس...

لها سبعة مقاصير...

بها سبع وصيفات...

يقدمن شرابا من كؤوس قمرية...

(1). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص31.

(2). (الحشر: 23)

ويقدمن لمن مات على العشق...

مفاتيح الحياة السرمدية..." [1].

إنّ الهالة الإعجازية لهذا الرّقم واضحة بجلاء في هذا النص، والشاعر يكرّره مرارًا وتكرارا: (سبعة أيام وسبع سماوات وسبع مثان)

قال الله تعالى:

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" [2].

وقوله تعالى: " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ " [3].

وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً" [4].

وفي ذلك تناص لفظي مباشر، يعبّر منه الشاعر عن وفائه للحب حتّى وفاته. وأنّ الله سيجازيه على وفائه ما يُجازي به الصالحون والشّهداء؛ إذ سينعم بالجنة وخيراتها، وينال مكرمة عظمية وهي مفاتيح الحياة السرمدية، وفي ذلك تعبير عن قدسيّة العشق والوفاء.

يعود نزار قباني في تمرّده الصارخ، إذ يقول في إحدى قصائده بعنوان:"خمسون عامًا من الشعر"من كتاب"هل تسمعين صهيل أحزاني":

"في حين أن القصيدة هي تأمر وتنهى

وتقول للشعر: "كن فيكون" " [5].

وقد قالها أيضًا في موقع آخر من كتاب "هكذا أكتب تاريخ النساء"، قال:

"وجسدك الياسميني يأمر.... وينهى

ويقول للشيء: كن...فيكون" [6].

(1). قباني، نزار، أحبك أحبك والبقية تأتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م، ص 17.

(2). (الطلاق: 13)

(3). (الملك: 3)

(4). (نوح: 15)

(5). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص11.

(6). قباني، نزار، هكذا أكتب تاريخ النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط8، 2001م، ص89.

وفي هذا التّناص المباشر تعبير عن خضوعه التّام لسلطتين مهّمتين في حياته، هما: المرأة والشّعر. فكما أنّ الله يأمر الشيء فيطيعه، كذلك هو يصنع مع ما تطلبه منه المرأة من جهة، والمعنى الذي يوحيه الشّعر إليه من جهة ثانية.. وهو بذلك يعترف بعدم خضوعه لقوانين المجتمع التي تحدّ الشعر لفظًا ومعنًى. إنّه تعبير عن الحرية المطلقة التي يؤمن بها ويمارسها فعلًا ملموسا.

إذًا، لم يكتف نزار بجعل نفسه نبيًّا، بل جعل من حبيبته إلهًا وقصيدته إلهًا آخر؛ وهو بذلك يرسل معنى خفيًّا مفاده: إنّه شاعرٌ يخلق الشّعر ولا يصنعه كما بقيّة الشعراء.

نعود إلى القرآن الكريم، بحثًا عن هذا التّناص اللفظي.

قال الله تعالى:

"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (1).

"قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (2).

"إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (3).

"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ....." (4).

"إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (5).

"مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (6).

"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (7).

"هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (8).

يعود نزار قباني إلى البراهين الرّبانية في تناص يستحضر فيه الآية القرآنية: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (9).

(1). (البقرة: 117)
(2). (آل عمران: 47)
(3). (آل عمران: 59)
(4). (الأنعام: 73)
(5). (النحل: 40)
(6). (مريم: 35)
(7). (يس: 82)
(8). (غافر: 68)
(9). (يوسف: 24)

إلّا أن براهينه هو تختلف إذ يقول:

"تعلمت معنى التصوف في رحلتي

وسر الحلول وسر الفناء

وحين رأيت براهين ربي.....مثل الإناء" [1].

وفي ذلك تعبير عن رؤية فلسفيّة تجسّد رؤية الإنسان للوجود، وإلى الحياة والموت... وشاعرنا يبحث في رحلته الشّعرية عن براهين تكشف أسرار الحياة والفناء..

يحلّق نزار في تناص لفظي آخر، جميل في غرابته، وغريب في جماله، إذ يقول في " قصائد مجنونة":

" آه لو أعرف ما يحدث في داخل قلبي

إن أمر الحب يا سيدتي من أمر ربي " [2].

يدخلنا، هنا، نزار معه في دوامة الغيبيّات التي تجسد السّر المكنون في الذات الإلهية، وقد تحدث عنها القرآن في الآية القرآنية الآتية:

"يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو" [3].

إذًا، فالحب كما السّاعة من علم الله لدى نزار. لا سلطة له عليه، يحضر من دون إرادته. إنّها مشيئة الحبّ، التي لا تعترف لا بزمان ولا بمكان ولا بقيود.

وفي تناص لفظي آخر، يحمل معنى التحكّم والاستهزاء يقول:

"مجرد سؤال....

" جلودُنا ميتةُ الإحساسْ.....

أرواحُنا تشكو منَ الإفلاسْ.....

أيامنا تدورُ بين الزارِ.....

، والشطرنجِ، والنعاسْ.....

هل نحنُ.....

(1). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص78.

(2) .قباني، نزار، أشعار مجنونة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م، ص69.

(3). (الأعراف: 187)

"خيرُ أمةٍ قد أخرجت للناسْ " [1].

والآية القرآنية تقول:

"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" [2].

يُوظّف نزار التناص، هنا، ليعبر عن رؤيته الساخرة إلى واقعه المرير الذي يرفضه؛ فحال الأمة العربية يُرثى لها، وهي لديه أسوأ أمة! وقد وظّف بذلك الاستفهام الإنكاري ليعبّر عن الفراغ الروحي للإنسان العربي وزيفه ومعاناته وواقعه المرير.

يعود نزار ليعصف من جديد في تناص آخر؛ ففي "القصيدة المتوحشة" يقول:

"أحبيني..

بكل توحش التتر..

بكل حرارة الأدغال

كل شراسة المطر

ولا تبقي ولا تذري..

ولا تتحصري أبدا..

فقد سقطت على شفتيك

كل حضارة الحضر

أحبيني" [3].

وهنا ذهب بعيدًا في توظيفه التناص القرآني الذي استلّه من قوله تعالى: "وما أدراك ما سقر،لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر" [4].

شبّه الشّاعر، في هذا المقطع الشعري، محبوبته المتقلّبة دائمّا بالسّقر، تحرقه وتعذّبه! طالبا إليها أن تعشقه حدّ الجنون، وتعصف به قساوة من دون رحمة. وهو بذلك يشبه المرأة بالطبيعة، إنها الحرارة، والأدغال، والمطر... هي العذاب والشّفاء، والموت والحياة معًا.

(1). قباني، أشعار مجنونة، ط6، مصدر سابق، ص89.

(2). (آ ل عمران: 110)

(3). قباني، نزار، أحلى قصائدي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط18، 2001م، ص.59

(4). (المدثر: 27، 28، 29، 30)

تستمر دوّامة الجدل التي يتيه فيها نزار، فيقول في تناص لفظي آخر في كتاب "هكذا أكتب تاريخ النساء":

"ربما...

أنا لم أعشقك حتى الآن..لكن ربما....

تحدث المعجزة الكبرى.. وتنشق السما..

عن فراديس عجيبة..

وتصيرين الحبيبة..

وتصير الشموس يا سيدتي...

خاتما بين يدي..

وأرى في حلمي وجه النبي..

وأرى الجنة من نافذتي والأنجما..

ربما....

و تنشق السما..." [1].

مستلهمًا قوله الله تعالى: "وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ" [2].

وكذلك قوله تعالى: " فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" [3].

يخرج قبّاني، هنا، عن المألوف، ويستمر في سفوره اللغوي.. فالسماء قد تنشقّ له، وقد تصبح الشموس والأنجم طوع يديه... ولربما يرى الجنة ووجه النبي أيضًا... دلالات متنوّعة تكشف عن شاعر نقل اللّغة إلى حيّز لا حدود له من الجرأة الفنيّة.

وقد وظف الشاعر هذا المعنى ردًا على امرأة تُطالبه بأن يحبّها كما تصنع هي. إلّا أنه عاجز عن حبّها، واستحالة ذلك تعود إلى قدريّة الحب، فلا سلطة له عليه. ويشبّه ما تطلبه منه بمعجزة يصعب تحقّقها، وفي ذلك تعبير عن فقدان الأمل بمبادرتها المشاعر ذاتها.

وفي تناص لغوي صريح آخر، يقول في " قصائد مغضوب عليها":

(1). قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص17.

(2).الحاقة: 16)

(3). (الرحمن: 37)

"كلها أضغاث أحلام" [1].

قال الله تعالى:

"قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين" [2].

وفي ذلك تعبير عن الأوهام التي تخطر في بال الشّخص، إذ يؤمن بها ويبني على أساسها مواقف مصيرية. ونزار هنا استدل بالقرآن الكريم ليعلن براءته ممّا اتُّهم به.

ومن شواهد التناص اللغوي قوله:

"وأصدرت حكما بجلدك ثمانين جلدة

بتهمة الأنوثة... " [3].

قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [4].

يظهر نزار (الرجل الشرقي)، وتظهر معه الذكورية الشرقية الممزوجة بقوة التّشريع، في تناص لغوي رائع المعاني. ولكن من أعطى الرجل سلطة تطبيق الضرب والجلد والتعنيف بحق المرأة؟ ولمَ يفاخر بذلك؟

إنه تعبير عن وجه من أوجه العنف الأسري الذي تتعرض له المرأة في المجتمعات العربية، وقد عُرف عن نزار انحيازه الشديد لقضايا المرأة، ودفاعه عنها وعن حقوقها، وإصراره على تبيان الظلم الذي تتعرض له في مجتمعها الذكوري.. فالمرأة تُضرب وتُهان وتُقتل بغطاء الدين، الذي يتخذه الكثير من الرّجال ستارًا يُسوّغ جرائمهم.

وقد كشف عن هذا الظلم في مقطوعة شعرية أخرى، إذ يقول:

"طبقت عليك علوم الأولين والآخرين

وحكمة الفلاسفة.. وجنون المجانين" [5].

والتناص جاء من الآية القرآنية الآتية، وبأسلوب واضح ومباشر وصريح:

قال الله تعالى: "قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" [6].

(1). القباني، نزار، قصائد مغضوب عليها، بيروت: منشورات نزار قباني، ط4، 2001م، ص48.
(2). (يوسف: 44)
(3). قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص44.
(4). (النور: 4)
(5). قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص54.
(6). (الواقعة: 49 و 50)

مُعبّرًا بذلك عن الجنون الذي يُمارسه الكثير من الرجال بحقّ المرأة، بذريعة تطبيق ما جاء به الأوّلون والآخرون! ما يعني استمرار الإجحاف والظلم. كما يضيء نزار منه على موضوع ضرورة إعادة النّظر بالقوانين المستمّدة من القرآن، فلكل زمان أحواله وخصوصّيته... ولا يمكن أبدًا أن يُحكم العصر الحديث بقوانين الزّمن الغابر، وعقليّة أصحابه المتشدّدين. إنه دعوة إلى تجديد القراءة القرآنية.

أكثر نزار قباني من التناص الديني اللغوي في كل زاوية من ديوانه الشعري، وأراد منه إظهار قدرته على تسخير النص القرآني لخدمة المعنى لديه، وقد نجح في ذلك. إذ خرجت قصائده في قوالب توليفية جديدة، حملت خيال القارئ إلى المدى البعيد، ما حقق جمالية فريدة، كشفت رؤية نزار إلى عدة قضايا، ومنها: المرأة، الحب، المجتمع الشرقي بقيمه وعاداته، الفلسفة الوجودية، الدين... وغيرها من القضايا.

ثانيا: تناص الكلمة المفردة

وظّف نزار قبّاني التناص اللغوي، مُستعملا الكلمة المفردة المستلة من القرآن الكريم في قصائده الشعرية، لما تحمله ألفاظ القرآن من دلالات عميقة تخدم المعنى المقصود الذي يبغيه الشّاعر.

يقول شاعرنا في كتاب "الحب لا يقف على الضوء الأحمر":

"لم أشهد ليلة القدر....

فهل أنت يا فاطمة ليلة قدري" [1].

وفاطمة هنا، هي الليلة والأمنية والمبتغى، وهي القيمة.

قال تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ " [2].

وهو بذلك يمنح الحبيبة قدسيّة خاصّة، تمامًا كالتي تحمله ليلة القدر في الذّاكرة الشعبية.

ليلة القدر هي ليلة استجابة الدّعوات، ولعل المعشوقة كانت أمنيته المستحيلة.

أما التّناص اللفظي المتجسد، هنا، فقد تجلت في الألفاظ القرآنية الآتية: "أشهد، ليلة القدر".

وفي مقطع شعري آخر يقول:

"ولماذا هي لا تمحو ذنوبي؟

(1). قباني، نزار، الحب لايقف على الضوء الأحمر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2001م،ص38.
(2). (القدر: 1،2،3،4)

أبداً....والله في عليائه يمحو الذنوبا" [1].

تجسد التناص اللفظي، هنا، في الألفاظ الآتية: "تمحو، ذنوبي، الله، يمحو، الذنوب".

يعبّر نزار، في هذا المقطع الشعري، بأسلوب الاستفهام الإنكاري عن قساوة حبيبته التي ترفض مسامحته على ذنب ما ارتكبه. فما الذنب الكبير الذي اقترفه لتمنع عنه السماح؟ وهو بذلك يدعوها لأن تغفر الله، لأن الله تعالى بذاته يغفر و يعفو و يمحو...

كما نشهد التناص اللفظي الذي بدا واضحًا جليًا في قوله:

" وأتلو عليك كلامًا عن العشق...

ما جاء في كتب الأولين...

ولا جاء في كتب الآخرين...

فمن أي شيء ترى تشتكين" [2].

والتناص في هذه المقطوعة الشعرية يكمن في الألفاظ الآتية: "وأتلو، الأولين، الآخرين".

قال الله تعالى:

"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ" [3].

قال تعالى:

"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ" [4].

قال تعالى:

"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ" [5]، وفي لفظي الأولين والآخرين، قال الله تعالى:

"ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ" [6].

وقال تعالى:

---

(1). مصدر سابق، ص 16.

(2). قباني، نزار، خمسون عاما في مديح النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط3، 2001م، ص19.

(3). (الأعراف: 175)

(4). (المائدة: 27)

(5). (الشعراء: 69 و70)

(6). (الواقعة: 13 و 14)

"أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ" (1).

قال تعالى:

"قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" (2).

يعبّر نزار في المقطع الشعري السابق عن فخره بملكته الشعرية، إذ خص معشوقته بغزل شعري لم يتناوله شاعر أبدًا، منذ القدم حتى الآن. وهذا يذكّرنا بفخر المتنبّي بنفسه عندما قال: " وإني وإن كنت الأخير لآت بما لم تستطعه الأوائل".

وقد يكون التناص في الوزن الموسيقي في "فمن أي شيء ترى تشتكين"، وقد جاءت على الوزن الموسيقي المتكرر في سورة الرحمن. قال الله تعالى: "فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (3).

نورد تناصا آخر في مقطع شعري آخر، إذ قال في"أحبك أحبك والبقية تأتي":

"لا تقنطي أبد من رحمة المطر...

فقد أحبك في الخمسين من عمري..." (4).

والألفاظ التي استفاد منها الشاعر من النص القرآني وسخرّها في نصه هي:"لا تقنطي، رحمة، المطر".

قال الله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (5).

يحمل كلام الشاعر في المقطع الشعري السابق شيئًا من نرجسيّته؛ فهو المعشوق الذي تتمناه النساء. لذا يرسل رسالة لإحدى معجباته تحمل لها أملًا بسيطًا... فقد يعشقها يومّا ما.. لربّما عندما يصل الخمسين من عمره! ويحمل هذا العمر دلالة خاصة؛ فهو عمر النّضج لدى الرجل... وفي هذا صورة شعرية جذابة، ودلالات بعدية موحية، إذ إنّه يتّهم نفسه بعدم النضوج بعد.. وكأنّه يضع اللوم على ذاته كي لا يكسر خاطر تلك المرأة المعجبة به.

في موقع آخر، يقول الشاعر:

"كان كيوسف حسنا وكنت أخاف عليه من الذئب

كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل

(1). (المرسلات: 16و17و18)
(2). (الواقعة: 49 و50)
(3). (الرحمن: 13)
(4). قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص48.
(5). (الزمر: 53)

وأمس أتوا يحملون قميص حبيبي

وقد صبغته دماء الأصيل" [1].

وقد وردت، هنا، ألفاظا كثيرة وردت كلها في سورة يوسف وهي:"يوسف، أخاف عليه، الذئب، أتوا، قميص".

قال الله تعالى: " قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " [2].

وقال الله تعالى: " وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"[3].

يصف نزار في المقطع الشعري السابق جمال ابنه، ويشبّهه بيوسف الصديق، فشعره ذهبي طويل، يحمل جمال القمر وبريقه. معبّرًا عن عشقه وتعلّقه به، فضلًا عن خوفه عليه من التّعرض لأي مكروه؛ فالذئب رمز الشّر والأذيّة والموت.

يسوق الشاعر عبارات الخيبة جراء فقدان ولده. وهو يرثيه بكلام موجع تحمل عبارات الأسى والحزن. وقد حمل كلامه أروع عبارات الفراق والأسى ومشاعر الأبوّة الصّادقة.

يقول الشاعر في كتاب"حبيبتي":

" أمس انتهى فستاني التفتا...

أرأيت فستاني؟

حققت فيه جميع ما شئتا

وشيا ونمنمة

وطرائق شتى..." [4].

والمفردات التي وردت لديه في تناص لفظي من القرآن الكريم هي:"أرأيت، ما شئت، طرائق، شتى".

يعبر نزار، على لسان إحدى النساء، تفاخرها بجمال فستانها.. وقد عُرف عن نزار براعته في التعبير عن نفسية المرأة وطريقة تفكيرها وتباهيها بجمالها وأنوثتها وأناقتها.

ويقول في"هل تسمعين صهيل أحزاني":

(1). مصدر سابق، ص88.

(2). (يوسف: 13)

(3). (يوسف: 18)

(4). قباني، نزار، حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م، ص 16.

"....وإن كنت تعتبرين الزواج على سنة الله مني خلاصًا

فإن يقينك غير يقيني" (1).

والتناص اللفظي، تجلى في المفردات الآتية وهي: "سنة، الله، يقيني".

يعبر الشاعر، هنا، عن الاختلاف في وجهات النظر بينه وبين حبيبته، لا سيما في مسألة عقد الزواج. فالشاعر لا يعنيه أن يقيم عقد زواج بينه وبين معشوقته، بينما هي تشترط عليه أن يتزوجها زواجا شرعيا على سنة الله...

وهو خلاف يعكس المبادئ التي يؤمن بها كل منهما. فهو رجل متحرر من الدين، بينما هي امرأة متدينة مُحافظة ترفض ممارسة علاقة محرّمة خارج إطار الزّواج الشرعي.

أكثر نزار قباني من ذكر لفظة: " أبي لهب" في قصائده، وهو رمز الضالين والفاسدين الذين اختاروا منهج القتل والباطل وسفك دماء الأبرياء.

وهي لفظة واردة في القرآن الكريم. سنورد تباعاً، بعض الأمثلة من شعره:

"سأقول في التحقيق:

كيف غزالتي ماتت بسيف أبي لهب

كل اللصوص من الخليج إلى المحيط

يدمرون...ويحرقون

وينهبون... ويرتشون

كما يريد أبو لهب" (2).

يصف نزار قاتلي زوجته بإجرام أبي لهب. وكانت زوجته بلقيس قد سقطت في إنفجار السفارة العراقية في بيروت. لذا، يوجه رسالة ملؤها الخيبة من تفشي الإرهاب في العالم العربي، فأصحاب الفكر الإجرامي يقتلون ويبطشون ويسرقون من دون أدنى رحمة. وهو بهذا الكلام يعبر عن الواقع العربي المزري... وعن ألمه لفقدان زوجته التي كان يعقشها عشقا كبيرا.

وفي هذا الكلام يجتمع رثاء الزوجة بلقيس بهجاء الواقع السياسي في العالم العربي.

ويقول أيضًا في القصيدة نفسها:

"كل الكلاب موظفون

(1). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص24.

(2). القباني، نزار، قصيدة بلقيس، بيروت: منشورات نزار قباني ط4، 2001م، ص71.

ويأكلون... ويسكرون

على حساب أبي لهب" [1].

جاء توظيف لفظة " أبي لهب"، للإشارة إلى سلوك الموظّفين الإداريّين الفاسدين الذين يقومون بأعمال الرشوة والسرقة والتصرف بالمال العام لحسابات شخصية. وهو بذلك يدين هذا التصرف في المجتمع العربي، ويتهم من يقوم بذلك لصالح زعامات كبرى، بأبشع الصفات: فهم كالكلاب التي تقودها رؤوس كبيرة تمارس الفساد الإدراي، وتستغل المناصب لغايات شخصية.

وفي "أشعار مجنونة" كرر نزار كلمتي: "القضاء والقدر" عدة مرّات، وضمهما سطور قصائده. وفي ذلك يقول:

"من غير تصميم

اشربي القهوة ياسيدتي

فالجميلات قضاء وقدر

والعيون الخضر والسود

قضاء وقدر" [2].

ويقول أيضًا في الديوان نفسه:

"كل شيء ممكن ما بين تشرين وتشرين

وما يحدث في داخل نهديك طبيعي

كهذا السكر الدافق من قلب مثمر

فاتركي أمرك لله، ونامي

إن نهديك يجيئان إلى الدنيا قضاء وقدر

ويموتان قضاءً وقدر" [3].

جاء توظيف هاتين الكلمتين لدى نزار للتعبير عن صور شعرية تتألق غزلا في وصف محاسن النساء، اللواتي خصهن الله بجمال أنثوي يسرق قلوب الرجال وعقولهم. فسحر العيون تجسيد لإبداع الخالق في تصويره هذا الخلق المبدع..

يقول نزار في "الحاكم بأمر الحب":

(1). المصدر نفسه، ص72.

(2). المصدر نفسه، ص33.

(3). قباني، أشعر مجنونة، مصدر سابق، ص45.

"....إن كان عندي ما أقول، فإنني

سأقول للواحد القهار" [1].

تجلى التناص اللفظي في: "بأمر، الواحد، القهار".

وفي ذلك تعبير عن إيمانه وتوحيده لله الأحد.

ويقول في "أشعار مجنونة":

"أراه لايزال مثلما تركته منذ قرون سبعة

مضاجعا جارية رومية

اقرأ آيات من القرآن فوق رأسه

مكتوبة بأحرف كوفية

عن الجهاد في سبيل الله والرسول

والشريعة الحنفية

أقول في سريرتي

تبارك الجهاد في النحور....والاثداء

والمعاجم الطرية

ياحضرة الخليفة..." [2].

تجلى، في هذا المقطع الشعري، التناص اللفظي، وذلك في المفردات الآتية:

"اقرأ، آيات، القرآن، الجهاد، سبيل الله، الرسول، الشريعة، تبارك، النحور".

وقد وُظّفت هذه الألفاظ في إطار اعتراف الشـــاعر بجهاد الحب والعلاقات الغرامية، وإيمانه بعالم الجســـد واللذة، متهكمًا في المقابل على من يحمل ثقافة الموت والجهاد. فالجهاد الحقيقي يكمن برأيه في جسد المرأة، أرضا للمعركة الشبقية... لا جهاد الحرب والموت وشرائع السلفية.

في كتاب "كل عام وأنت حبيبتي" يقول:

(1). المصدر نفسه، ص55.

(2). قباني، أشعر مجنونة، مصدر سابق، ص91.

"كلما سألوها عن شعري، كانت تجيب

(ملائكة الأرض والسماء...ترضى عليه) " [1].

تجلى التناص، هنا، في الألفاظ الآتية: "ملائكة، والأرض، والسماء".

وقد وظفت هذه الألفاظ في إطار فخر الشاعر بنفسه؛ فمعشوقته راضية عن جميل شعره، لا بل أكثر، فملائكة الأرض والسماء تبارك ما يصنعه. إنه توفيق إلهي للشاعر الفذّ.

ومن جميل شعره قوله:

" بلقيس

أيتها الشهيدة والقصيدة

والمطهرة النقية

سبأ تفتش عن مليكتها

فردي للجماهير التحية" [2].

قال الله تعالى: "فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" [3].

والتّناص هنا في: "سبأ، وشهيدة، ومطهرة".

تلاحمت صورة الطهر بين ملكة سبأ وزوجته بلقيس، المقتولة ظلمًا. إنها الشهيدة الطاهرة.

يعبّر الشاعر عن افتقاده لها، موظّفا التناص اللفظي القرآني؛ فهي الملكة على عرش قلبه... يرسل إليها شوقه وحنينه متمنيّا لو أنّها تردّ السلام... إنه الفقد بأوجع صوره! فالحبيبة سُفكت دماؤها، ويستحيل أن تعود.

ومن أمثلة التناص اللفظي أيضًا، ما ورد في"قصائد مغضوب عليها":

"إن جاء يوم الحشر" [4].

"كي لا يقول المخبر السري أني كنت أتلو سورة الرحمن" [5].

(1). قباني، نزار، كل عام وأنت حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م، ص94.
(2). قباني، بلقيس، المصدر السابق، ص18.
(3). (النمل: 22)
(4). قباني، قصائد مغضوب عليها، المصدر السابق، ص12.
(5). المصدر نفسه، ص21.

"يا طلقة الرصاص في جبين أهل الكهف" [1].

والتناص اللفظي، هنا، تجلى في الألفاظ المفردة المباشرة الآتية:

"يوم الحشر، أتلو، سورة الرحمن، الكهف"

وقد وظف الشاعر هذه الألفاظ تعبيرا عن رؤيته للواقع السياسي المرفوض؛ فالدين مُزيّف وتطبيقه ينافي حقيقة قيمه ومبادئه. وهو بذلك يأمل خلاصه.

كما أنّ المجتمع العربي غارق في سباته تماماً كأهل الكهف، وأكثر ما يحتاجه رصاصة توقظه من ضياعه وموته.

إنها رسالة تحمل رجاء الوعي، لبناء عالم آخر يؤمن به نزار. عالم تسوده قيم الخير والجمال والعدالة، لا قيم الجهل والتخلف والتعصب الأعمى.

المبحث الثاني

تناص المعنى

هو التناص الإشاري، الذي يقوم على الاقتباس القرآني من دون الالتزام بحرفيّة الألفاظ والجمل، بأسلوب يثير في المتلقي قدرة إيحائيّة متمثلة في المعنى الخفي. إذ يستفيد الشاعر من الومضات القرآنية، والتمثل الخفي للمعنى المتجسد في الألفاظ القرآنية، وفي هذا النوع من التناص " يعمد الشاعر إلى الاختصار والتكثيف اقتصارًا منه على الدلالات الإيحائية والإشارات الرمزية" [2].

ومن شواهد التناص المعنوي، نعرض بعض الشّواهد، ومنها:

"ولماذا هي لا تمحو ذنوبي؟

أبداً....والله في عليائه يمحو الذنوبا." [3].

قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا" [4].

تحمل هذه الصورة الشعرية دلالة الاستعطاف؛ فالشاعر استعان بالاستفهام الإنكاري وكأنه يتوسل الحبيبة أن تغفر له... محاولا إقناعها بالمعنى الخفي المتسجّد في الآية القرآنية السابقة.

في المقطوعة الشعرية الآتية، نرى أنواعًا مختلفة من التناص القرآني. إن كان في الجملة أو اللفظة المفردة أو المعنى...

(1). المصدر نفسه، ص47.

(2). التميمي، محمد، القرآنية في شعر الرواد، رسالة ماجستير كلية الأداب جامعة القادسية، 2000م، ص 80.

(3). قباني، الحب لايقف على الضوء الأحمر، مصدر سابق، ص16.

(4). (النساء: 48)

كما أن الشّاعر وظف الرقم سبعة الموجود في القرآن الكريم، كما ذكرنا سابقًا، ليبني منه عالما شعريًّا قائمًا على الإيحاء الدلالي، وهو بذلك الاستلهام يرسم لوحة لا تخلو من الإبداع، إذ يقول:

"يخطفني الوجد إلى سبع سموات...

لها سبعة أبواب...

لها سبعة حراس...

لها سبعة مقاصير...

بها سبع وصيفات...

يقدمن شرابا من كؤوس قمرية...

ويقدمن لمن مات على العشق...

مفاتيح الحياة السرمدية..." [1].

التناص بين ما قاله الشاعر وما ورد في آيات الله من ذكر الرقم سبعة.

إذ يحمل هذا الرقم، في المقطع الشعري السابق، دلالة البعد وصعوبة الوصال، فضلا عن قدسية الحب والإخلاص والعشق.

أمّا التناص المعنوي فقد تجسد في المعنى القرآني: الذي يصور مشهدًا حسيًا من مشاهد الجنة؛ وهي مشاهد تبعث في القلب الانشراح والروعة والمتعة " حياة سرمدية، كؤوس، حراس.." إنه النعيم الإلهي في الجنة. والشاعر يتصوّر نفسه في الجنة وقد قُدّمت له كؤوس الحب، ومفاتيح الخلود. وفي ذلك إشارة إلى اطمئنان سريرته، فهو من أهل الخير وسينعم يومًا بملذات الجنة.

والشاعر بذلك لم يستق الألفاظ حرفيًّا من القرآن، إنما أوحى إلى المعنى إيحاء غير مباشر من طريق الصّور الحسية التي أغرت القارئ لاستكشاف المعنى.

في تناص معنوي آخر، سخّر الشّاعر المعنى القرآني في قصّة سيدنا يوسف عليه السلام، إذ قال:

"كان كيوسف حسنا وكنت أخاف عليه من الذئب

كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل

وأمس أتوا يحملون قميص حبيبي

وقد صبغته دماء الأصيل" [2].

(1). قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص17.

(2). قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص88.

من قرأ كتاب الله سيستحضر، هنا، قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي أفرد الله لها سورة كاملة في القرآن الكريم.

قال الله تعالى: " قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " [1].

قال الله تعالى: " وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"[2].

والمعنى الموظف في المقطع الشعري السابق، هو خطاب جاء على لسان أبناء النبي يعقوب " عليه السلام"، عندما جاؤوا لوالدهم بقميص أخيهم يوسف، وهو ملطّخ بدم كذب، مدّعين بأن الذئب قد أكله.

والشاعر استوحى الصّورة القرآنية السابقة، ليشير بذلك إلى حرقته بعد خسارته ابنه توفيق الذي رحل بنوبة قلبية؛ إذ تمنّى الشاعر لو أن نبأ وفاة ابنه كان كاذبًا.. تماما ككذبة أبناء يعقوب... فيوسف لم يمت، بل عاد بعد سنوات مضنية إلى حضن والده... أمّا هو فابنه لم يعد أبدًا.

الشاعر يرثي ابنه الذي أحبّه، والذي كان يخاف عليه من شرور الدهر، إلا أنه رحل، وقميص الموت كان شاهدا حقيقيًّا على اللوعة المرّة التي تجرّعها بعد رحيل ابنه.

وظّف الشاعر حادثة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، بمعناها وليس بحرفيّتها، إذ يقول:

"وحين أعود...

سأخبر قومي بأني رأيت وأني سمعت

...شموس تدور" [3].

والتناص، هنا، جاء معنويًّا. سخّره الشاعر مستفيدا من حادثة الإسراء والمعراج. وهو تناص غير مباشر، مقتبِسًا ممّا ذكره الرّسول (صلى الله عليه وسلم) حينما ذكر حادثة الإسراء والمعراج لأهله بعد أن أكرمه الله سبحانه وتعالى بها، وقد أفردت لها سورة كاملة في كتاب الله العظيم في سورة "الإسراء". والشاعر بذلك يدّعي النبوة في إشارة إلى وصوله اليقين المعرفي لينال ثقة المتلقّي، ويمنح ما يقوله صدقيّة محتومة.

يقول قباني في "أحلى قصائدي":

"تعري واشطري شفتي

إلى نصفين... يا موسى بسيناء" [4].

---

(1). (يوسف: 13)

(2). (يوسف: 18)

(3). قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص 79.

(4). قباني، أحلى قصائدي، مصدر سابق، ص59.

يشبّه الشاعر عشيقته التي تشطر شفتيه إلى نصفين بنبي من أنبياء الله تعالى موسى بن عمران عليه الصّلاة والسلام حينما شطر البحر بأمر ربه، وفي ذلك تناص معنوي لجأ إليه الشاعر موظّفًا دلالات قرآنية في خدمة الصّورة الإيحائيّة الشعرية. ويحمل هذا التشبيه نوعًا من التمرّد والخروج عن المألوف.

في مكان آخر يقول نزار:

"فمررت مثل الماء بين أناملي

بشرت في دين الهوى...لكنهم..." (1).

والتناص،هنا، في المعنى المستوحى بأسلوب غير مباشر من معجزة تدفّق الماء بين أصابع النبي عليه وسلم.. وهو بذلك يوظف الدلالة الدينية ليمنح شعره إشعاعات جمالية وإيحائية؛ المعنى القرآني يجلبه الشاعر في قصيدته بأسلوب غير مباشر ويرمي به متخفيًّا بين ألفاظه وتراكيبه، فيخلق بذلك معنى متخفيًّا، على القارئ أن يجهد في البحث عنه.

(1). قباني، قصائد مغضوب عليها، مصدر سابق، ص6.

الخاتمة

شكّل القرآن الكريم مرجعًا رئيسًا استعان به الشاعر نزار قباني ليغني به عوالم شعره وصوره الإبداعية، نظرًا لما يحمله من بيان وبديع وإعجاز قرآني، فحمل رؤيا خاصّة إلى الحياة والوجود ممثلة أدباً شعريًّا.

التناص القرآني لدى نزار، تباين بين الاقتباس المباشـــر من القرآن بالمفردة أو الجملة من دون أي تغيير أو تحوير من جهة، والتناص غير مباشر متمثّلًا بالإيحاء الخفيّ من جهة ثانية.

أضاف التناص القرآني إلى شعر نزار قباني الكثير من الرّقي، وقد أبدع في توظيفه، بألفاظه ومعانيه، فضلا عن صوره وتراكيبه.. وهكذا تحوّل القرآن الكريم إلى نبع ثري أمدّ الشاعر بصور أدبية حفلت بها قصائده.. وقد منح كتاب الله قصائده كنزًا لغويا ومعرفيا أغنى أسلوبه، لا سيّما أنه استلهم منه ما يُعبّر به عن رؤاه وآرائه وقضاياه التي يؤمن بها، بغية إيصالها إلى القارئ بأسلوب جذاب موحٍ.

شكّل نزار قباني مدرسة شعريّة امتازت بالخروج عن المألوف والجرأة في الطرح؛ إذ طرح من طريق أشعاره قضايا تمسّ الوطن العربي من فساد واستعمار وسلب الخيرات، فضلا عن قضايا المرأة التي آمن بها، ودافع عن مظلوميتها، ووصفها بأجمل أشعار الحب والغزل، ما يعني أن الشاعر وجد في ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، معادلا موضوعيا لذاته ولوطنه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. آبادي، الفيروز، القاموس المحيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، ج1، 1997م.
2. ابن منظور، أبو الفضل محمد المصري، لسان العرب (تحقيق يوسف الخياط)، بيروت: دار لسان العرب، ج6، 1988م.
3. أبو زيد، دكتور نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.
4. التميمي، محمد، القرآنية في شعر الرواد، رسالة ماجستير كلية الأداب جامعة القادسية، 2000م.
5. الحاوي، إيليا، نزار قباني، بيروت: دار الكتاب، ط1، 1973م.
6. حماد، حسن محمد، تداخل النصوص في الرواية العربية بحث من نماذج مختارة، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1997م.
7. داغر، شربل، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة فصول، عدد1، مجلد 16، 1997م.
8. رباعي، ربى عبد القادر، التضمين في التراث النقدي والبلاغي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1993م.
9. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، الكويت، ج18، 1979م.
10. الزعبي، أحمد، التناص التاريخي الديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا هلا، جامعة اليرموك، مجلة أبحاث اليرموك عدد1،مجلد13، 1992م.
11. الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، الأردن: مؤسسة عمان للنشر والتوزيع ط2، 2000م.
12. عباس، محمد جابر، استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث علامات في النقد، جدة: نادي جدة الأدبي، ج46، م12، 2002م.
13. عرفان، نظام الدين، آخر كلمات نزار قباني، بيروت: دار الساقي، ط1، 1999م.
14. عمار، عاطف، الأعمال الكاملة، القاهرة: الحرية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.
15. الغذامي، دعبدالله، ثقافة الاسئلة مقالات في النقد والنظرية، جدة: النادي الأدبي الثقافي،ط2، 1992م.
16. قباني، نزار، أحبك أحبك والبقية تأتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م.
17. قباني، نزار، أحلى قصائدي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط18، 2001م.
18. قباني، نزار، أشعار مجنونة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م .
19. قباني، نزار، الأعمال الكاملة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، ج7، 1997م.
20. قباني، نزار، الحب لايقف على الضوء الأحمر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2001م.
21. قباني، نزار، الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972م.
22. قباني، نزار، حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م..
23. قباني، نزار، خمسون عاما في مديح النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط3، 2001م.

24.قباني، نزار، قاموس العاشقين، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م.
25.القباني، نزار، قصائد مغضوب عليها، بيروت: منشورات نزار قباني، ط4، 2001م.
26.قباني، نزار، قصتي مع الشعر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 1979م.
27.القباني، نزار، قصيدة بلقيس، بيروت: منشورات نزار قباني ط4، 2001م.
28.قباني، نزار، كل عام وأنت حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م.
29.قباني، نزار، هكذا أكتب تاريخ النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط8، 2001م.
30.قباني، نزار، هل تسمعين صهيل أحزاني، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2006م.
31.قباني، نزار، يوميات امرأة لامبالية، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م.
32.مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.
33.الهواري، صلاح الدين، المرأة في شعر نزار قباني، بيروت: دار البحار، ط1، 2004م.

الدعوة الي تجديد فهم النص القرآني (دراسة نقدية)

Calling for a renewal of the understanding of the Qur’an text (A Critical Study)

د. مزمل محمد عابدين محمد

أستاذ التفسير المساعد / جامعة الإمام المهدي/كلية التربيّة، السودان، مدينة كوستي

mozamil.abdeen194@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة المناداة إلى تجديد فهم النص القرآني،، والمقصد من هذه الدعوات تعطيل النصوص، وسلخ الامة الاسلامية من أهم مصادر التشريع، وعن أحكامها بحيث يصبح مجرد نصوص تتلى من أجل البركة والقدسية، وقد أبان البحث أن رفض التجديد لا يعني تجديد الوسائل وفقه النوازل وأسلوب الخطاب القائم على الرفق والليّن والمجادلة بالأحسن، بل الدفاع عن أهم مورثات الأمة، ومنهاج حياتهم، ودستورهم التي ينعكس على سلوكهم، و على علاقاتهم الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، ولا يكون ذلك الا بالفهم الصحيح للنص القرآني وهذا من أهم مقاصد نزول القرآن .

ولتحقيق الهدف من الدراسة سلك الباحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ.، وتوصّلت في خاتمة الدراسة الي نتائج أهما:

أكدت الدراسة أن الكثيرين الذين نادوا بالتجديد للنص القرآني أنهم يفهمون المصطلح على الأساس الفكري والثقافي، لا على الاساس ضوابط السلف الصالح، فحصل بسبب ذلك من العبث بالشريعة.

شبهة القائلين بالتجديد إن تقديس التراث وأقوال الرجال (الصحابة) ومراعاةً للظروف الاجتماعية التي انتهت، لا يواكب العصر الحديث، بل يتحتم تطلب قراءة جديدة للقرآن.

يؤدي عدم فهم القرآن إلى الاعتقاد بأن القرآن مخالف للحقائق التاريخية، كذلك يؤدي عدم فهم بعض الآيات إلى الشعور بأن القرآن فيه تناقض، كما يؤدي الي تعطيل النصوص.

الكلمات المفتاحية: فهم النص، التأويل، التحريف، التجديد.

Abstract

This research deals with the phenomenon of calling for a renewal of the understanding of the Qur'an text, which God has made a constitution for the nation, a methodology, and a law that regulates the affairs of a happy life. And their constitution, which is reflected in their behavior, and their constitution, which is reflected in their behavior, their social plans, and their stance, and this is what God has enjoined upon Muslims in general and on their scholars in particular.

To achieve the goal of the study, the researcher used the inductive analytical approach. In the conclusion of the study, the most important results were reached:

The study confirmed that many who called for renewal of the Qur'an text that they understand the term on the intellectual and cultural basis, No, on the basis of the rules of the righteous predecessors, it happened because of that from tampering with the Sharia..

The suspicion of those who say renewal The reverence of the heritage and the sayings of the men (the Companions) and taking into account the social conditions that have ended, do not keep pace with the modern era, but must require a new reading of the Qur'an.

Failure to understand the Qur’an leads to the belief that the Qur’an contradicts historical facts. Failure to understand some verses also leads to the feeling that the Qur’an is contradictory, as well as Disables evidence.

Keywords: understanding the text, interpretation, distortion, renewal.

المقدمة

قد تكفّل الله عز وجل بحفِظ القرآنَ من التحريف كما قال تعالى): إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحافظونَ) ؛ لذا فلا يتأتى عليه تلاعبِ بالألفاظِ زيادةً أو نقصاً لأنه باتَ مكشوفا للناس ولاسيّما بعد تقدّم العلم، وتنوّع التقنيات، غيرَ إنّ إشكالية فهم النص القرآني بايدلوجية الواقع لا توافق أهواهم ومشـــاربهم، فهو من المزالق الخطيرة التي ينبغي التيقظ والالتفات إليها والتنبه عليها، لأنه تعطيل للنصوص القرآنية وليّ لأعناقها، وقد سلك المنادين للتجديد مسالكاً عديدة للرد علي المعاني الثابتة الصحيحة التي فهمها سلف هذه الأمة عن الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، واستبدلوها بمعان محدثة ابتكروها وجملوها حتى قالو: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، فكان لزاماً عليّ أن أتناول هذه الشبهات في هذا البحث.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره لعدة أمور:

1. حاجة الناس اليوم إلى فهم القرآن فهماً صحيحاً.
2. خطورة الانحراف الفكري وشدة ضرره على الفرد والمجتمع.
3. الردّ على شبهات من أساءوا الظن بآراء علماء القرون الأولى من تاريخ الإسلام.
4. إن المبالغة في تقديس العقل وتقديمه علي النقل اقصاء لمصادر الشريعة.

مشكلة البحث:

السؤال الرئيس هو: إنْ كان المرجع في تفسير النصوص هو فهم كل قارئ للنص، حسب ما يراه !! فكيف يكون الردّ على أهل الأهواء في قولهم "أن فهكم للنصوص واستنباطكم ليس بأولى من فهمنا واستنباطنا؟، ويتفرع عنه هذ السؤال:

1. ماذا يُعني بتجديد فهم النصوص؟
2. ما مقاصد الدعوة الي تجديد فهم النص القرآني؟
3. ما شبهات التجديد في الفكر الترابي؟
4. ما قواعد السلف في فهم القرآن ؟

حدود البحث:

التجديد في الفكر الترابي (د. حسن الترابي)

أهداف البحث:

1. يسهم هذا البحث في إظهار أهمية الفهم الصحيح للمصدر الأول للتشريع.
2. الكشف عن مخططات التي تسعى الى جعل النصوص خواء من المراد منها.
3. الردّ على شبهات المشككين في أصول الاحكام الشرعية.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، والتاريخي.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث موضوع مشابه لبحثه إلا أنه وجد ما له صلة ببعيد مثل:

نقد الوافد الغربي، قراءة في كتابات المفكر السوداني حسن الترابي، لمجدي عز الدين حسن، المجلة: الاستغراب، العدد:10،السنة: السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439 هـ.

خطة البحث:

المحور الأول: تعريفات بعناوين البحث

المحور الثاني: أسباب الدعوة إلى تجديد الفهم للنص القرآني وخطورته:

المحور الثالث: قواعد السلف في فهم القرآن

المحور الرابع: الردّ على شبهات التجديدين (في الفكر الترابي أنموذج)

الخاتمة وفيها اهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

النظرة التاريخية للتجديد المعاصر:

هذه الدعوة مستمدة من الفكر الغربي الذي ارتبط في حِقبة زمنية بالكتاب المقدس، فلما انفرط عقد الكتاب المقدس، انفرَط عقد التأويل، فأصبح لونًا من التسلية أو التفكير الذي لا يرتبط بالنص، كل فكرة جديدة أصبح من الممكن ربطها بالكتاب المقدس مهما كانت مخالفة لتعاليمه؛ وذلك حتى لا تغضب الكنيسة، وحتى تروج دينيًّا وتلقى قبولاً ما، وطبعًا لم يكن ذلك موفقًا دائمًا، فكان أغلب المؤولين حارَبتهم الكنيسة تحت اسم (الهرطقة)، فالهرمينوطيقا هي التأويل المنفلت، والذي اعتبرته الكنيسة هرطقة وتجديفًا [1].

وما أن بدأ الاستعمار الغربي توطيد جذوره في أنحاء الوطن العربي، إلا وسعى في تغيير ثوابت الدين الإسلامي وأصوله، بحجة جعل الإسلام ملائماً مع الحضارة الغربية، فكانت الحملات الاستشرافية والتبشيرية على بلاد المسلمين أحد أذرع صراع الحضارات التي يواجه الغرب بها الحضارة الإسلامية، فبدأت محاولات العلماء والمفكِّرين لإعادة قراءة التراث العربي الإسلامي، وطرح مشاريع فكرية للنهوض بالأمة، والانفكاك من قيد الحضارة الغربية، ومحاولاتهم التوفيق بين النص الشرعي وبعض المنتجات الفكرية الغربية [2]،في أوائل الخمسينات بدأت موجة من المشاريع للتعامل مع النصّ الشرعي، ومع هذه الموجة ظهرت منهجية قراءة النصّ الشرعي بواسطة المناهج الحديثة في القرآن الكريم.

وفي أواخر الستينيات، وبعد النكسة العربية، اتّجهت جمهرة من المثقفين العرب إلى إعادة قراءة التراث، ممّا شكَّل ما يشبه الظاهرة، هذه الظاهرة تتكوَّن من عدة تيارات:

أ. منها ما كانت قراءته على ضفاف النصّ الديني، ولم تتعامل مع النصّ الديني مباشرة، كالجابري والعروي وحسين مروة وجورج طرابيشي.

ب . ومنها تيارات أخرى كان مجال قراءتها النصوص الدينية نفسها، وهي على قسمين [3].

1. ما كانت قراءته ضمن المنهج الإسلامي المعروف، اعتماداً على التأويل.

2. ما كانت قراءتهم تستمد آلياتها من خارج النطاق الإسلامي للاجتهاد، وذلك في الاعتماد على مناهج حديثة في قراءتها للنصّ، ومنهم: محمد أركون، عبد المجيد الشرفي، حسن حنفي، نصر حامد أبو زيد، الطيب التيزيني.

---

(1) انظر: فايزة عبدالله الحربي، المناهج المعاصرة لقراءة النص " استرجعت بتاريخ 2012/7/7م"، من موقع 42391/0/https://www.alukah.net/sharia

(2) مواهب الخطيب، "تعدُّد القراءات في فهم النصّ القرآني" استرجعت بتاريخ: يناير 13, 2021" من موقع: http://nosos.net

(3) أ. مواهب الخطيب، " تعدُّد القراءات في فهم النصّ القرآني"، "استرجعت بتاريخ: يناير 13، 2021" من موقع: http://nosos.net

ثم تعالت قضية التجديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001)، حيث أشار الكثير من الكتاب أن هذه الأحداث شكلت نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات الدولية، وبدأت الكتابات والتحليلات تتخذ هذا التاريخ كبداية لنمط جديد من أنماط التعامل الدولي والتفاعلات الإنسانية، فهذه الأحداث أعطت دفعة جديدة للخطاب السياسي الذي تتبناه قوى اليمين الديني في الولايات المتحدة وأوروبا، حيث يؤكد منظرو هذا الخطاب أن الصراع الدولي القادم هو صراع حضارات، والحضارات في تصورهم تتمحور حول الأديان، فكل دين يمثل حضارة، والعدو الأوحد للغرب هو الإسلام [1]

لذلك انطلقت دعوات متعددة من جهات كثيرة تدعوا إلى إعادة النظر في الخطاب الإسلامي، وقد ترافقت هذه الدعوات مع إعلان الإدارة الأمريكية الحرب على الإرهاب، ولم تقف خطورة الحرب على الإرهاب عند حدود الأبعاد السياسية والأمنية في ملاحقة الحركات الإسلامية، وإنما امتدت إلى محاولة التأثير على المجتمعات العربية والمسلمة من خلال تجفيف وتبديد منابع الدين داخل هذه المجتمعات، والعمل على تغيير مناهج التربية والتعليم [2].

(1) عبدالعزيز شادي، "الخطاب الديني والصراعات الدولية"، (مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ط (2002) ص148.

(2) محمد عمارة، "الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني"، (القاهرة: دار الشروق الدولية،،2004)، أبو عطايا – أ. يحيى أبو زينة "تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة"، الموسوعة الشاملة

المحور الأول

تعريفات بعناوين البحث: الفهم -النص القرآني – التجديد

الفهم هو: معرفتك الشـــيء بالقلب. يقال: فهمه فهما وفهامة؛ علمه وعرفه بالقلب. وفهمت الشـــيء عقلته وعرفته. ويقال: رجل فهم: سـريع الفهم. ويقال: فهم و فهم و أفهمه الأمر و فهمه إياه: جعله يفهمه، و اسـتفهمه سـأله أن يفهمه، واسـتفهمني فأفهمته وفهمته تفهيما، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء [1].

تعريف الفهم اصطلاحا:

الفهم اصطلاحا يطلق على: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقال الراغب هيئة للنفس بها يتحقق معاني ما يحس [2]،والتفهيم: إيصال المعنى إلى فهم السامع بواسطة اللفظ وجودة الفهم وسرعته: ملكة للنفس يقتدر بها على الانتقال من الملزومات إلى اللوازم بلا فصـــل [3]، ويطلق الفهم على الفقه والبيان ؛ لأن الفقه في اللغة عبارة عن تصـــور المعنى من لفظ المخاطب. يقال فَقِه الرجُل بالكسر – يَفْقَه فِقْهاً إذا فَهِم وعَلِم وفَقُه بالضم يَفْقُه: إذا صار فَقيها عالما. وقد جَعله العُرف خاصّاً بعلم الشريعة وتَخْصيصا بعلْم الفُروع منها [4].

البَيَان: إظهار المقصود بأبْلَغ لفْظ وهو من الفهْم وذكاء القلْب وأصله الكَشْف والظُّهور [5].

التعريف بالنص لغة واصطلاحا:

أولا: النص في اللغة:

يأتي النص في لغة العرب على عدة معاني منها:

رفع الشيء وإظهاره عن طريق الإسناد وفي ذلك قال ابن منظور: " النَّصُّ رفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ وقال عمرو بن دينار ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْـنَدَ يقال نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه وكذلك نصَصْتُه إِليه...، وقول الفقهاء: نصُّ القرآن ونصّ السنّة أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام [6].

النصّ اصطلاحاً:

(1) ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم بن علي بن منظور،، " لسان العرب ". (ط1، بيروت: دار صادر)، 12: 459

(2) ينظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، " التوقيف على مهمات التعاريف "، (ط1،بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر،1410هـ)، 1: 567

(3) المصدر السابق،: 1/ 403.

(4) انظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، " النهاية في غريب الأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1979م)، 3: 465

(5) انظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، " تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين (ا دار الهداية، بدون) 34: 304

(6) ابن منظور، " لسان العرب "، 7: 97 . 98

ما لا يحتمل إلاّ معنىً واحداً؛ وقيل: ما لا يحتمل التأويل؛ وقيل: هو ما زاد وضـوحاً على الظاهر لمعنىً في المتكلم، وهو سـوق الكلام لأجل ذلك [1].

التجديد لغة من (جَدَّ) وأَجَدَّهُ وجَدَّدَهُ واسْتَجَدَّهُ: صَيَّرَهُ جديداً فتَجَدَّدَ [2]، قال ابن فارس: " الجيم والدال أصولٌ ثلاثة: الأوَّل العظمة، والثانية الحَظ، والثالث القَطْع"، والتجديد من المعنى الثالث في قول ابن فارس الثالث وهو: القطع، ولذلك نجده يقول: "وَقَوْلُهُمْ ثَوْبٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّ نَاسِجَهُ قَطَعَهُ الْآنَ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ جَدِيدًا; وَلِذَلِكَ يُسَمَّى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْجَدِيدَيْنِ وَالْأَجَدَّيْنِ; لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ فَهُوَ جَدِيدٌ" [3]..

والتجديد: الابتكار، فالجديد مستحدث، خلاف القديم قال الله عز وجل: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) والتجديد: إتيان بما ليس مألوفًا أو شائعًا كابتكار موضوعاتٍ أو أساليبَ تخرج عن النَّمط المعروف، أو إعادة النَّظر في الموضوعات الرَّائجة، وإدخال تعديل عليها بحيث تبدو مُبْتَكَرةً لدى المتلقِّي" [4].

ويقصد بالنصَّ القرآنيَّ:هو خطاب ربِّ العالمين إلى الناس أجمعين في كتابه العزيز الذي أوحاه الي النبي محمد صلي الله عليه وسلم.

والتجديد في الاصطلاح:

استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم، ومن لوازمها: قراءة القرآن على المذاهب الحديثة في البحث والدراسة والنقد [5]، هذا يعني عدم الانضباط بأصول التفسير وقواعده.

وتهدف هذه الدَّعوةُ إلى مراجعة شاملة للنُّصوص الشَّرعيَّة كافَّةً؛ فهي قراءةٌ لا يستعصي عليها شيءٌ من أصول الدِّين وفروعه؛ بل حتَّى قضيَّة التَّوحيد في الإسلام قابلةٌ للتَّأويل والقراءة الجديدة.

معني النصّ القرآني (الشرعي): هو المراد بالنص الشرعي: الكلام الصادر من المشرع الإسلامي لبيان التشريع. وينحصر هذا في المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي [6] أي آيات الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانياً: كلمات ذات صلة

(1) المناوي، " التوقيف على مهمات التعاريف "، 1: 699.

(2) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، " القاموس المحيط"، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، (ص: 346).

(3) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة". المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر،1979م) 1: 409

(4) انظر: أحمد مختار عمر،" معجم اللغة العربية المعاصرة" (ط1،مصر: عالم الكتب،١٤٢٩ هـ) 1: 326

(5) أنظر: أ. د. محمد بن زين العابدين رستم، "نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي "، ملتقي التفسير: https://vb.tafsir.net/forum

(6) انظر: عبد الهادي الفضلي، " النص الشرعي مفهومه وفهمه"، http://kalema.net/home/article/view/319

أ-المنهج الإسقاطي: وهو بديل عصري لتعبير اصطلاحي ويقصد به لي عنق النص، بمعنى أن مفسر الخطاب القرآني تكون لديه أفكار وعقائد ومواقف مسبقة، ويأتي إلى القرآن الكريم ليقرأ تلكم الأفكار والمعتقدات، ويلتمس الشرعية لمواقفه [1].

ب- تعدُّد القراءات: علم تعدُّد القراءات فنٌّ يرتبط بتبيين منهج وقواعد الفهم، وقد كان يهتمّ في بداية ظهوره بفهم النصـــوص المكتوبة والمعقّدة، وخاصّة النصوص الدينية. لكن المقصود به إخضاع القرآن الكريم، والسنّة إلى مناهج، ممّا يجعله نصّاً مفتوحاً على جميع التأويلات، وتتعدّد تأويلاته بتعدُّد قراءاته، فما كان مفهوماً من النصّ الشـــرعي في القرن الأول على وجهٍ لا مانع من إعادة تأويله حَسْب مقتضيات البيئة الثقافية ومتغيّرات الحضارة، وعلى ضوء هذا يبدأ التشريع لدينٍ جديد في العقائد والأحكام، وإلغاء فهم السابقين للنصوص الدينية. [2].

(1) أرشيف ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/forum، 1: 2592

(2) السيد معتصم أحمد، "جذور المصطلح ودلالات المعنى"، مجلة البصائر، 50: (1433): 23.

المحور الثاني

أسباب الدعوة إلى تجديد الفهم للنص القرآني وخطورته

أولاً: الأسباب التاريخية:

الاستعمار والاستلاب والتغريب، والاستشراق. لقد عرفت الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هجْمةً استعمارية طرقت أبواب العالم الإسلامي بأسره، احتلتْ فيها الدولُ الاستعماريةُ الكبرى أرضَ الإسلام، واستغلَّت خيراته وسخَّرت طاقاته وإمكانياته، وحاولتْ مسخَ هويته ودينه، واستلاب ثقافته وحضارته، ولقد استعان الاستعمار في إنجاح غارته، وإنجاز هجمته، بوسيلتين اثنتين هما:

أ- قوافل المستشرقين والمنّصرين التي جيَّشها ضمن جيوش زحفه.

ب- قوافل المستلَبين من أبناء المسلمين [1].

أولاً: لقد انطوى عملُ المستشرقين والمنصِّرين في بلاد الإسلام على حدٍّ سواء " على نزعتين رئيسيتين: النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النُّفوس بين سكان هذه البلاد لقَبول النفوذ الأوربي والرضاء بولايته، النزعة الثانية: الروح الصليبية في دراسة الإسلام، تلك النزعة التي لبست ثوب البحث العلمي، وخدمة الغاية الإنسانية المشتركة" [2].

ثانياً: أسباب دينية

وهذه الدعوة قام بها أبناء جلدتنا ممن ضل سبيل سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) الذي حذرنا من الغلو، واتباع الأهواء من اليهود والنصارى، ومثاله: نفي الصفات الله عز وجل بزعم التشبيه الخالق بالمخلوق: فقالوا لا بدّ من نفي الصفات المادّية (كاليد، والوجه والساق) عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ وجود مثل هذه يستلزم الجسميّة والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات فأولوا اليد: (بالقدرة الإلهيّة)، والاستواء بالاستيلاء، والمحبة، والرحمة، والرضا: بإرادة الإنعام،وحجتهم تنزيه الله تعالى، فاستخدموا المنهج العقلي- الذي فيه تقديمه للنص- نحو آيات الصفات، فأوجبوا تأويلها، ولكن بالتأويل الفاسد تقع الفتنة في الأمة، وتريق دماء المسلمين [3] خاصة بما يتعلق بالحاكمية.

3- أدّعاء اصلاح المناهج الدراسية:

ومما سعى إليه المستشرقون: توجيه النظر إلى إصلاح مناهج تدريس العلوم الشرعية بزعمهم، وذلك بتجديد مناهج فهْم الأصليْن: الكتاب والسنة على نحوٍ مخالفٍ للمعهود من ضوابط وقواعد: ولقد عبَّر عن هذا الهدف الذي هو في الحقيقة نتيجةٌ

(1) أ.د/ محمد بن زين العابدين رستم،" الفهم الحداثي للنص الديني بين دعاوى الاجتهاد المنضبط والتَّجديد المتفِّلت"، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي:" فهم القرآن والسنة على ضوء علوم العصر ومعارفه"جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر1433هـ الموافق2011م،4

(2) ينظر: د/ محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص 52.

(3) أنظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، " إعلام الموقعين عن رب العالمين ". تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (بيروت: دار الجيل، 1973)، (4:250).

طبيعيةٌ من نتائج ما سلَف من أسباب ممهِّدة لظاهرة الفهم الحداثي للنصوص الشرعية – د/ طه حسين قديما عندما قال:" وليس من شك في أنَّ طبيعة الحياة العصرية، تقتضي أن تُعنى –كلية الآداب– عنايةً خاصَّة بالدراسات الإسلاميَّة على نحوٍ علميٍّ صحيحٍ لأنَّ كلية الآداب متصلةٌ بالحياة العلمية الأوربية، وهي تعرف جهد المستشرقين في الدراسات الإسلامية، ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها من هذه الدراسات [1].

4-الأهواء والتعالم:

والسبب يرجع لنظرتهم لنصوص القرآن والسُّنَّة على أنَّها نصوصٌ بشريَّةٌ تعامَل كبقيَّة النُّصوص؛ فيجري عليها ما يجري على غيرها من النُّصوص، وتخضع لمقتضيات التاريخ وتغيُّراته، كطلبهم بإعادة النَّظَر ببعض التَّشريعات الفقهيَّة الاقتصاديَّة كتحريم الربا التي كان تشريعُها ملازمًا لواقعها الاجتماعيّ وهو كثرة المحتاجين، ولحمايةَ الضُّعفاء والمساكين في أن تُسْتَغَلَّ حاجتُهم إلى الأموال لتمويل قُوتهم اليوميّ؛ وأما اليوم فأصبح تمثِّل عصبَ الاقتصاد المعاصر بزعمهم. وكذلك إقامة الحدود كقطع يد السارق [2]، وقتل القاتل، فهذه الأحكامُ وغيرها إنَّما أَمْلَتْها الظُّروفُ التي كان عليها المجتمعُ آنذاك؛ حيث كان المجتمعُ بدائيًّا ليس فيه دولةٌ تقوم على استتباب الأمن؛ وإنَّما يتواثب فيه الناس بعضُهم على بعضهم للانتقام؛ فتكون إقامةُ الحدود: أقلَّ الحلول شرًّا، وأدناها مَضَرَّةً؛ فلا بد من إعادة النَّظَر لنصوصها وفهما بالواقع المعاصر لأنَّها على ما فيها من وحشية والحجاب لم يَعُدْ ملائمًا للعصر بزعمهم، ولا لمكانة المرأة وتحرُّرها، واقتحامها لكافَّة مجالات الحياة العامَّة [3].

حتي طرق اداء العبادات قديمة لا تصلح في عصرنا ؛ فطريقةُ العبادة التي التزمها المسلمون زمنَ نزول القرآن ليست ملزمةً لمن يأتي بعدهم إذا ما تغيَّرت ظروف الحياة؛ بل يمكنهم أن يأتوا من هذه العبادات بما يلائم ظروفَهم الجديدةَ. فإذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم – على سبيل المثال – يؤدِّي صلاتَه على نحو معين، إلا أنَّ ذلك لا يَعني أنَّ المسلمين مضطرُّون في كلِّ الأماكن والأزمنة والظُّروف للالتزام بذلك النحو [4].

وأما الخطورة تجديد الفهم للنص القرآني فتكمن في الأمور التالية:

1-الإزدراء بفقه السلف الصالح، وبمناهجهم وأصولهم، وأنها لا يفي بضروريات العصر، ومن ثمّ القطيعة التامة بين الماضي والحاضر.

2-أنَّ القدح في السلف الصالح، بإثارة الشكوك بما يؤمنون به، زعزعة للترابط العقدي،وتفكيكَ للمجتمع الإسلامي.

(1) محمد البهي،" الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"، (ط10،القاهرة:مكتبة وهبه)

(2) قال: هذه الحدود لا تقام اليوم في السودان، لأن تفسيرنا للشريعة متطور أكثر مما هو عليه الحال في البلاد الإسلامية الأخرى (حوار أجرته معه مجلة (دير شبيغل) الألمانية في (1995/4/17)

(3) شحاتة محمد صقر، "شريعة الله لا شريعة البشر" (مصر،الإسكندرية: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي) ص:175

(4) المرجع السابق: (238)

3 . تمجيد العقل إحياء لما أندثر من أفكار الفرق المبتدعة، من المعتزلة والاشاعرة والشيعة

4- تغيير لحقائق الدين ومبادئه القطعية الثابتة ليوافق مع مبادئ الحضارة الغربية المعاصرة.

5. تقديم المصلحة التي اقتضتها الضغوط الواقعية والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على مصلحة الدين.

6. فتح باب الاجتهاد على مصرعيه يلج فيه كل الناس، ويتساوى فيه العالم المجتهد والجاهل.

7- إعلان القطيعة التامة مع الدين، وتجاوز ما يسمونه بـ (سلطة النص)، والتأكيد على أن النص الشرعي يجب أن يُقرأ في سياقه التاريخي.

8- سبب للابتداع في الدّين: قال الشيخ الزحيلي: القول بالرأي المحض من دون دليل من الشّرع، وهو سبب تحريف الأديان، والابتداع في الدين الحق، واتباع الهوى والشيطان، واستحسان الأنظمة المنافية لتعاليم الدين والشرع، وهذا منهج أدعياء التجديد، وتخطي الشريعة باسم الاجتهاد [1].

قال ابن القيم: " سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله [2] ".

المحور الثالث

قواعد السلف في فهم القرآن

أولاً: خصائص تفسير السلف:

1- قُرْب السَّلف من عصر النبوة:

كان لوجود الصحابة في العصر النبوي أثره البالغ في فهم كلام الله تعالى؛ إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم بين أيديهم، يبين لهم ما يحتاجون إليه من المعاني، ويوضح ما أشكل عليهم، كما يتيح لهم الاجتهاد في فهمه، فيقرُّ مصيبهم على اجتهاده، ويبين لمخطئهم وجه خطئه. وقد حرص التابعون على تلقي التفسير عن الصحابة رضوان الله عليهم كما تلقوا عنهم علم السنة، قال ابن أبي مليكة: (رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباسٍ عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباسٍ: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله [3]). وهذا زر بن حبيش يقول: (وفدت في خلافة عثمان بن عفان، وإنما حملني على الوفادة لقي أبي بن كعب

(1) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، "التفسير الوسيط"، (دمشق: دار الفكر، 1422)، (1/ 654).

(2) ابن القيم، محمد ب بن أبي بكر بن أيوب،"الروح "، (بيروت:دار الكتب العلمية –، 1395 – 1975م) 1/ 63

(3) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، "جامع البيان في تأويل القرآن". المحقق: أحمد محمد شاكر (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، (1/ 90).

وأصحاب رسول الله صَلى اللَّه عَليهِ وسلَّم [1]،ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) [2].

2- معاينة الصحابة لكثير من الوقائع ومعايشتهم لكثير من الأحداث التي نزل فيها القرآن:

لا شـــك أن الصـــحابة كانوا أعلم الناس بالأحداث والأحوال التي واكبت التنزيل؛ لكون تلك الآيات نزلت في البيئة والمجتمع الذي يعيشون فيه، وهذا يعطي التصور الصحيح لفهم الآية، والذي غالبًا ما يكون الخطأ في فهمها ناشئًا عن عدم إحاطة المفسر ودرايته بأحوال القضية التي نزلت فيها وملابساتها. فهم أعلم الناس بأسباب النزول: فيمن نزلت؟ ولماذا نزلت؟ ومتى نزلت؟ وأين نزلت؟

قال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني تبلغه الإبل لركبت إليه [3].وفيه دلالة علي تلقيهم العلوم من فيّ النبي صـــلى الله عليه و سلم غضاً طريّا لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك، قال – تعالى –: {لتبين للناس ما نزل إليهم} {النحل: 44}

3- معرفتهم بلغة العرب وأساليبها:

نزل القرآن الكريم بلسان العرب، جاريًا على معهودهم في الكلام، وعادتهم في الخطاب، فكل من كان من لسان العرب متمكنًا كان للقرآن أشد فهمًا وأحسن إدراكًا، ولا يعلم أحد أفصح لسانًا وأسد بيانًا وأقوم خطابًا من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يكون في الأمة من بعد القرون الأولى أحد أفصح منهم لسانًا، فكل من جاء بعدهم فهو دونهم في الفصاحة والبيان والفهم والإدراك [4].

4-أنهم الميزان لمعرفة الحق من الباطل:

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي) لأن كل الفِرق المنسوبة للإسلام اليوم تحتج علينا بالكتاب والسنة؛ فإذا أردت تأصيل منهج أو رد بدعة أو مخالفة ليس لها من الأدلة والنصوص ما يشهد لها أو يثبت شرعيتها، وجدنا هنا أصحابها يوردون لنا من الأدلة وعمومياتها، ويقف عند هذا الحد ففي أي الموازين إذا يكون الفصل؟ وفي أي المسالك والفِرق والجماعات هذه يكون الصواب والحق؟ وفي أي الاتجاهات يكون السير والعمل؟ إذاً لا بد من حكمٍ فصلٍ

(1) أحمد بن محمد بن حنبل "مسند الإمام أحمد". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط1، القاهرة: دار الحديث، 1416 هـ)،ح (18090 (

(2) مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)،رقم 2533، قال الحافظ ابن حجر: والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: الصحابة، وأما قرن التابعين فإن عد من سنة مئة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم فإن عد منها كان نحواً من خمسين. فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان (ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: 7/5.)

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، " صحيح البخاري " تحقيق: د. مصطفى ديب البغا) " ط3، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة،1987)، برقم (5002).

(4) ينظر: عثمان بن علي بن حسن، "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد" (ط4، الرياض، مكتبة الرشد، وشركة الرياض للنشر والتوزيع)، (2: 506 (.

يحسم مسار الدعوة ومنهجها، ويُقوِّم مسيرتها، إنه ولا ريب مسلك الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم في القرون المفضلة الأولى [1].

5- سلامة السريرة وصفاء القلوب والبعد اتباع الهوى والتعصبات المذهبية:

لقد ابتليت الأمة في العصور المتأخرة بكثرة الاختلاف في المعتقدات، والتفرق منشؤه كثرة الجهل وسوء القصد، وأما السلف فقد كانوا ‘‘أبرّ قلوبًا، وأعمق علمًا، وأقل تكلّفًا، وأقرب إلى أن يوفَّقوا فيها لما لم نوفَّق له نحن؛ لما خصَّهم اللَّه تعالى به من توقّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلّة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران: أحدهما: قال اللَّه تعالى كذا، وقال رسوله كذا، والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما [2].قال الطحاوي الحنفي في عقيدته:"وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل [3] "

ثانيا: أقوال العلماء في فضل علم السلف:

قال ابن أبي حاتم: "فإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه النجباء الألباء الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل رضي الله تعالى عنهم.

فإن قيل: فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله عز وجل بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان" [4].

قال الشاطبي: فإنّ السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه [5].

ثالثاً: أهم قواعد السلف في فهم النصّ القرآني:

(1) رابط المادة: http://iswy.co/evsqn

(2) ابن القيم، " إعلام الموقعين"، (4/ 149).

(3) ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، " شرح الطحاوية في العقيدة السلفية". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط1، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ)، 3/ 197

(4) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، "جواب الحافظ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل"، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية) (ص 48).

(5) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، " الموافقات". المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، (ط1،دار ابن عفان، 1997م)، 2/ 127

تفسير القرآن بالقرآن ومن ذلك قولهم (إذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال) [1].

تفسير القرآن بالقراءات المتواترة فإذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها، أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة.

تفسير القرآن بالحديث الصحيح فإذا ثبت الحديث، وكان نصاً في تفسير الآية، فلا يصار إلى غيره، فكل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد.

تفسير القرآن بالرجوع الي أسباب النزول فإذا صحّ، فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير.

تفسير القرآن بقول الصحابة، والتابعين والقرون المفضلة.

يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر وليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه.،

كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله.

يقولون: أنَّ العقل شرْط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال؛ لذلك فإنَّ الأقوال المخالفة للعقل باطلة، وفي ذات الوقت لا يرون استقلاليَّة العقل بنفسه، بل هو محتاجٌ إلى مستند من الشَّرع.

المحور الرابع: الردّ على شبهات التجديدين (في الفكر الترابي أنموذج)

أولاً: مناهج المجددين في فهم النصوص:

1-الأخذ بظاهر النص مع عدم التقيّد بتفسير الصحابَة والتابعين:

دعت أغلب كتابات الحداثيين المعاصرين إلى نبذ الاعتماد على الضوابط المنهجية لفهم الكتاب والسنة، إذ رأت أنه " لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله، وعن رسول الله من رسوله...بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف [2]. ويسلكون في فهمهم للنصّ الديني توظيف معارف العصر وعلوم، قالوا: "أنَّ مِنْ أولى مهام المثقَّف والباحث الداعي إلى التنوير، التوفرُ على نقد الفكر الديني، بإخضاعه إلى الأساليب والمناهج العلمية في الدرس والتحليل [3] " وبذلك تجاوزون المناهج الأصيلة في فهم الكتاب والسنة.

2-القول بالتأويل:

(1) قال ابن كثير: إنَّ أصَحَّ الطُّرُقِ في ذلك أنْ يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فما أُجْمِلَ في مكَانٍ فإنه قد بُسِطَ في مَوْضِعٍ آخرَ، فإن أعْياكَ فَعَلَيْكَ بالسُّنَّة؛ فإنها شَارِحةٌ للقُرْآنِ وَمُوَضِّحةٌ له، وحِينَئذٍ إذا لم نَجِدِ التفْسِيرَ في القُرآنِ ولا في السُّنةِ رَجَعْنا في ذلك إلى أَقْوالِ الصَّحابةِ؛ فإنهم أدْرَى بذلك لما شَاهَدُوا من القَرائِنِ والأحْوالِ التي اخْتُصُّوا بها، ولِما لهم مِنَ الفَهْمِ التَّامِ والعِلْمِ الصَّحِيحِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، لاسيَّما عُلَماءَهُم وكُبَراءَهُمْ كالأئمَّةِ الأربعةِ الخُلَفاءِ الرّاشِدين، والأئمة المهتدِينَ الْمهدِيِّينَ، وعَبْدَ الله بن مَسْعودٍ -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم نَجِدِ التفْسِيرَ في القُرآنِ ولا في السُّنةِ ولا وَجَدْنَاهُ عنِ الصَّحابةِ فقد رَجَعَ كَثير من الأئمةِ في ذلك إلى أقوالِ التَّابِعينَ)، 1/ 8.

(2) الطيب تيزيني،"النص القرآني أمام إشكاليات البنية والقراءة" ص281. موقع https://nosos.net

(3) علي حرب،" نقد النص"، (ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993م). موقع https://nosos.net

إذا عجزوا عن جعل ظاهر النص موافقا لمعتقداتهم ومزكيا لمواقفهم فإنهم يقولون بأن الظاهر غير مراد، و من ثم يبادرون إلى الأخذ بالمعنى الباطن بصرف النص عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح من غير تقيد بالضوابط المتعارف عليها وعلى رأسها وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الظاهر المتبادر. ومن أمثلة التأويلات التي يتحكم فيها جموح العقل، فيغدو النص القرآني محكوما بضيق التصور، ويصبح مقيدا بقيود (الواقعية المادية المحدودة) و (العقلانية) المزعومة، من هذه الأمثلة تأويل المسخ الذي ضربه الله عقابا على المعتدين من بني إسرائيل تأويلا لا برهان لهم به [1].

3-القول بالتفويض:

إذا عجزوا عن تأويل الآية بما يوافق معتقداتهم، ويزكي مواقفهم فإنه يقولون بالتفويض، أي إن الله تعالى استأثر بعلمها، وذلك حتى يقطعوا الطريق على مناظرهم من إقامة الحجة عليهم.

4-عدم مراعاة قدسية النص وتعظيم قائله:

ويرجع لنظرتهم لنصوص القرآن والسُّنَّة على أنَّها نصوصٌ بشريَّةٌ تعامَل كبقيَّة النُّصوص؛ فيجري عليها ما يجري على غيرها من النُّصوص، وتخضع لمقتضيات التاريخ وتغيُّراته.، لذلك يقول نصر حامد أبو زيد: "إنَّ النَّصَّ القرآنيَّ – وإن كان نصًّا مقدَّسًا – إلَّا أنَّه لا يخرج عن كونه نصًّا؛ فلذلك يجب أن يَخضع لقواعد النَّقد الأدبيِّ كغيره من النُّصوص الأدبيَّة" [2].

ويقول أركون: " إنَّ القرآنَ ليس إلَّا نصًّا من جملة نصوص أخرى تحتوي على نفس مستوى التَّعقيد والمعاني الفوَّارة الغزيرة؛ كالتَّوراة والإنجيل والنُّصوص المؤسسة للبوذيَّة أو الهندوسيَّة، وكل نص تأسيسيّ من هذه النصوص الكبرى حظي بتوسُّعات تاريخيَّة معيَّنة، وقد يحظى بتوسُّعات أخرى في المستقبل" [3] [4].

ثانيا: نقد الفكر التجديدي (في كتابات د. حسن الترابي)

ترجمة للدكتور حسن الترابي [5]:

حسن عبد الله الترابي مفكر وزعيم سياسي سوداني. ولد سنة 1932 في مدينة كسلا شرقي السودان وسط أسرة متدينة، درس الترابي الحقوق في جامعة الخرطوم منذ عام 1951 حتى 1955، وحصل على الماجستير من جامعة أكسفورد عام 1957،

(1) أنظر: عبد الفتاح إبراهيم سلامه، "المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل"، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية،47، 48 (1400هـ):170

(2) نصر أبو زيد، "مفهوم النص دراسة في علوم القرآن"، (ط2،بيروت: الدار البيضاء المركز الثقافي العربي،١٩٩٤م)،24

(3) محمد أركون، "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ترجمة، هاشم صالح، (ط2، لبنان، بيروت، دار الطليعية،، 2005م) ص: 11،وينظر أيضاً: محمد أركون، "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل – نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح ، (ط1، لبنان، بيروت، دار الساقي ،– 1999م)، ص: 36.

(4) بدعة إعادة فهم النص، محمد صالح المنجد، (ط1، الرياض، مجموعة زاد للنشر 1431 هـ)

(5) الموقع بوست – سكاي نيوز،" استرجعت بتاريخ الثلاثاء، 18 مايو، 2021 10:10 صباحاً"، almawqeapost.net/arab-world/5862

دكتوراه الدولة من جامعة سوربون، باريس عام 1964، عمل في الحقل السياسي. ومن الوظائف التي تقلدها د. الترابي:

1-. عمل الترابي أستاذاً في جامعة الخرطوم ثم عين عميداً لكلية الحقوق بها،

2- ثم عين وزيراً للعدل في السودان.

3-وفي عام 1988 عين وزيراً للخارجية السودانية.

4- الأمين العام المؤتمر لحزب المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي1991.

5- اختير رئيساً للبرلمان في السودان عام 1996

وله مصنفات منها:

1-قضايا الوحدة والحرية 2-تجديد أصول الفقه تجديد الفكر الإسلامي 3-الأشكال الناظمة لدولة إسلامية معاصرة 4-تجديد الدين 5-منهجية التشريع 6-المصطلحات السياسية في الإسلام 7-الدين والفن 8-المراة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع 9-السياسة والحكم 10-التفسير التوحيدي

الآراء التجديدية في كتابات د. حسن الترابي:

أولاً: الآراء الفقهية

1-القول في تمليك المرأة حق الترشيح في المجالس التشريعية.

فقد صرّح" بأن إعطاء المرأة حقوقها السياسية عمل يتفق وتعاليم الإسلام) !! ومضى ليقول: (ان الدين الإسلامي يكفل لها هذا الحق) !! [1].

2-القول بجواز زواج المسلمة بالكتابي:

من حق المرأة أن تتزوج كتابياً مسيحياً كان أو يهوديا"، وقال إن الأقوال التي تحرم ذلك ليست من الشرع ولا من الدين،، ووصفها بالتخرصات، والأباطيل ومجرد أوهام وتضليل وتجهيل وإغلاق وتحنيط للعقول، والإسلام على حد زعمه منها براء!!! ولا توجد آية أو حديث تحرمان زواج المسلمة من كتابي مطلقاً، وإن الحرمة في الماضي كانت مرتبطة بالحرب والقتال بين المسلمين وغيرهم، وقد زالت بزوال السبب.

(1) جريدة الرأي العام استرجعت بتاريخ 1964/12/1، https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php

3-القول بجواز إمامة المرأة الرجال: "إن من حق المرأة المسلمة ان تؤم الرجال وتتقدم الصفوف للصلاة إذا كانت أكثر علماً وفقهاً في الدين من الرجال، وقال: ليس هنالك ما يمنع ذلك، فقط، يجب ألا يلتصق الرجال بالنساء التصاقاً قوياً في الصفوف حتى لا تحدث الشهوة والانصراف عن الصلاة.

4-القول بأن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماماً.

قال" إن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماما وتوازيه بناء على هذا الأمر، بل أحيانا تكون أفضل منه، وأعلم وأقوى منه. ونفى ما يقال من أن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد، وقال "ليس ذلك من الدين أو الإسلام، بل هو مجرد أوهام وأباطيل وتدليس أريد بها تغييب وسجن العقول في الأفكار الظلامية التي لا تمت للإسلام في شيء" [1].

5-القول بعدم فرضية الحجاب " أون الحجاب للنساء يعني الستار وهو الخمار لتغطية الصدر وجزء من محاسن المرأة، ولا يعني تكميم النساء بناءاً على الفهم الخاطئ لمقاصد الدين والآيات التي نزلت بخصوص الحجاب والخمار.

6-القول بالشرك السياسي: الشرك الشعاري وتوحيد الحاكمية والشرك الاقتصادي:

قال الدكتور الترابي: أصبحت النهضة الاقتصادية شعارا موقراً في بلادنا. أصبحت هي الهم الأكبر لحكامنا وشعوبنا. فإلى أين تتجه النهضة؟! تتجه إلى المتاع الدنيوي وحسب، لا تتجه إلى عبادة الله سبحانه وتعالى. وفرة التسهيلات وطيب الحياة ليس موصولاً بشكر الله، والتقدم إليه تزلفاً وقربى. هذا التمتع المادي الصرف يقطع الإنسان عن الله، وهذا الإشراك الجديد من وجوه الإشراك التي تحدث عنها القرآن. وننظر اليوم فلا نجد أبداً كتاباً في العقيدة يتحدث عن هذا الإشراك الجديد ويعالجه" [2].

ويقصد الترابي بالشرك السياسي، في الكلمات التالية: « يجابهنا شرك جديد هو الشرك السياسي، وهو أن يتخذ الناس آلهة من دون الله سبحانه وتعالى يتحاكمون إليها، ويتخذونها مصدراً للتشريع، وأهلاً للطاعة والتقليد، وأصلاً لوضع القوانين. هذا الشرك السياسي ليس في الفكر الإسلامي العقدي علاج له. ولذلك انبت له أقلام مفكرين عقائديين مسلمين مهديين، منهم العالم الإمام المودودي والشهيد سيد قطب عليهما رضوان الله، فقد تحدثا عن حاكمية الله سبحانه وتعالى، وضرورة التوحيد في تلك الحاكمية ([3].

7- بالجملة: يقول التُّرابيُّ: (ونحن أشدُّ حاجةً لنظرة جديدة في أحكام الطَّلاق والزَّواج نستفيد فيها من العلوم الاجتماعية المعاصرة، ونبني عليها فقهَنا الموروثَ) [4]

التعليق على ما سبق:

(1) الشرق الأوسط اللندنية الأحد 9-4-2006

(2) حسن الترابي،" تجديد الفكر الإسلامي"، (ط1، المغرب، دار القرافي للنشر والتوزيع،،1993م)،ص (5)، وانظر: مجدي عز الدين حسن، "نقد الوافد الغربي قراءة في كتابات المفكر السوداني حسن الترابي"، ص: (21)

(3) حسن الترابي،" تجديد الفكر الإسلامي"، (،ص:21

(4) حسن الترابي، "تجديد أصول الفقه الإسلامي"، (21).

إنّ المجدد هو الذي يحيي ما أندثر من الشـريعة وجهله الناس، فهو يظهر الشـريعة وأحكامها بعد أن جهلها الناس، ولكنه لا يأتي بدين جديد أو يغير أحكام الله. أو أن يكون هناك أمراً طارئاً يسـتوجب التعامل بمرونة مع النصـوص، كعام الرمادة واجتهاد عمر بن الخطاب، حسـب القاعدة الشـرعية التي تقول أن العام يبقي على عمومه حتي يرد الدليل على التخصـيص. ومن هذا المنطلق، فإن كل ما سمّاه اجتهادا فهو باطل، لأنه لم يحي ما أندثر من شـريعة، أو أفتي في شـيء طارئ، بل عمل على اندثارها كرفضه للحدود والحديث كمصدر تشريعي

ثانيا: الآراء التفسيرية:

القول الأول: أن تفسير السلف الصالح لا يصلح لهذا الزمان، وغير ملزم:

"حرية العقيدة أصل من أصول القرآن، لكن أكثر المسلمين انقطعوا عن أصولهم تماماً، وبدأوا يأخذون عمن أخذ عمن أخذ عمن أخذ من الأصـول!! وهذه واحدة من ظواهر التخلف عن دواعي الدين. " [1]، فهو يري أن الرجوع الي قول السـلف من التخلف، وصف تنظيمه بأنه أفضل من تنظيم الصحابة. [2]، ويقول التُّرابيُّ: «وكلُّ التُّراث الفكريّ الذي خلَّفَه السَّلَفُ الصَّالحُ في أمور الدِّين هو تراثٌ لا يُلتَزَم به؛ وإنَّما يُسْتَأْنَسُ به [3].

والأسباب بزعمه كما يلي:

1-إختلاف عقلية المستقبل: يقول الدكتور حسن الترابي: (يبدو أننا محتاجون إلى تفسير جديد، فإذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه، كل تفسير يعبر عن عقلية عصره، إلا هذا الزمان، لا نكاد نجد فيه تفسيراً عصرياً شافياً) [4]، وقال أيضاً: "قد يعلم المرء اليوم كيف يجادل إذا أثيرت الشبهات في حدود الله، ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة، أو في السـياسـة، أو يعبد الله في الفن [5] " وليس ثمة من مُفتٍ يفتك كيف تسـوق عربة أو تدير مكتبا ولكن الكتب القديمة تفتك كيف تقضي حاجتك [6] "، ويُباهي بنفسه عن اجتهاداته: "أنا أجتهد كثيراً وكل المفكرون يجتهدون أيضاً، فأنا واحد منهم. إنني أشعر بأن المسلمين قد تخلفوا قرونا، لذلك أشعر بتبعة وتكاليف التجديد الإسلامي الذي يقتضيه ذلك التخلف" [7]. إلا أنه لا يحسـب نفسـه مجتهد ضـمن مجتهدين، أو عالم ضـمن علماء، بل هو العالم والمجدد الوحيد، وهو بكل شـيء عليم، وعليه

(1) محمد سرور بن نايف زين العابدين، فكر الترابي،، المصدر: الشاملة الذهبية.

(2) المصدر، سودانيل " استرجعت بتاريخ2009/12/3": http://www.sudanile.com/index.php?view

(3) حسن الترابي،" تجديد الفكر الإسلامي، ص:.105

(4) حسن الترابي،" تجديد الفكر الإسلامي"، ص ٢٦.

(5) المصدر السابق، ص: 96.

(6) المصدر السابق ص 96.

(7) فتاوي وضلالات الترابي بقلم: بابكر عباس الأمين نقلا من (مجلة الإرشاد اليمنية صفر 1408). " استرجعت بتاريخ2009/12/3" www.sudanile.com

رسالة ومسئولية جسيمة هي انتشال المسلمين من التخلف. لذا، عندما أفتت مجموعة من العلماء ببطلان فتاويه، وصف فتاويهم قائلاً بأنها: "تخرصات وأباطيل وأوهام وتضليل وتجهيل وإغلاق وتخنيط وخداع العقول وأن الإسلام منها براء." [1].

2-تطور الثقافة اللغوية: قال: "وتكلم اللغة في كل زمان ومكان مدلولات وفق ظلال تلقيها على المعاني البيئة الاجتماعية والطبيعية والمصطلح المعروف لخصوص الثقافة اللغوية. واللغات لا تجمد، فهي تحيا بنهضة الحياة والحضارة، وتتطور اتساعاً ودقة أو تموت وفاقاً لموات الحياة فتضيق وتنسطح [2]

3-: التزوير الذي تعرضت له معاني المفردات في اللغة العربية ضرب الترابي مثلا بكلمة «حجاب»، وقال: إنها كانت تعني «ستارا»، وتم تزوير معناه إلى كلمة» «لباس أو ثياب»، نافيا بشدة أن يكون المقصود بكلمة حجاب في القرآن هو «الملبوسات»، مستدلا بقوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [3]. ويقصد بكلامه هذا بعدم وجوب الحجاب الا على ازاوج النبي صل الله عليه وسلم [4].

الرد: من كلام القرطبي: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها [5].

4-الايهام: إن الناس كانوا يظنون أن الملائكة تتنزل بأجنحتها، حاملة لأسلحتها لتضرب وتقاتل مع الناس، وفي الواقع فإن الملائكة يأتون للمؤمنين لتثبيتهم على الجهاد [6]:

الرد عليه من كلام إمام المفسرين الطبري: قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9] والأقرب من السياق القرآني أن هذا الإمداد قد حصل بالفعل، أي أن ألفًا من الملائكة نزلوا يوم بدر إلى جوار المسلمين، عن نزول الملائكة في بدر وأحد: " في القرآن دلالة على أنهم قد أُمِدُّوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك

(1) (حديثه لحزبه 2009\7\13

(2) مجدي عز الدين حسن، مجلة الاستغراب:10: (2018 م) استرجعت بتاريخJanuary / 23 / 2018: الموقع:
https://istighrab.iicss.iq/?id=69&sid=243

(3) وتابعه أيضا القرضاوي في عدم فرضية الحجاب

(4) وممن قال بقوله قال ابن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: " وهذه الآية هي شارعة حكم حجاب أمهات المؤمنين " انتهى.وقال أيضاً: " وبهذه الآية مع الآية التي تقدمتها من قوله: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) الأحزاب: 32، تحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين، المركبُ من ملازمتهن بيوتهن، وعدمِ ظهور شيء من ذواتهن حتى الوجه والكفين، وهو حجاب خاص بهن لا يجب على غيرهن، وكان المسلمون يقتدون بأمهات المؤمنين ورعاً، وهم متفاوتون في ذلك على حسب العادات ".

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي" الجامع لأحكام القرآن". تحقيق هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 2003 م).، 14/ 226.

(6) وقد وافق شيخة محمد رشيد رضا، حيث يقول: "وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردها العقل، ولا يثبتها ما له قيمة من النقل. فإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كإنزال المطر، وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف – وقيل آلاف – من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام، ويقطعون من أيديهم كل بنان، فأي مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم، وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألوف؟ ! وبماذا استحقوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: " وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ رواه البخاري رقم (3762)

قوله{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9]، أما في أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا وينل منهم ما نيل منهم " [1].

جاء في السنة عن ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة) [2].

فهذا الحديث يثبت قتال الملائكة الذي لم يؤدِّ إلى موت الرجل، فالكلام عن خطم الأنف، وهو إحداث أثر مثل الكي بالأنف فقط

ثالثاً: الآراء العقدية:

القول الأول: بعدم نزول نبي الله عيسى عليه السلام آخر الزمان، حيث يقول:: إن عيسى ابن مريم توفاه الله ولن ينزل آخر الزمان كما هو متداول، وإن كلمة «يوشك» في اللغة العربية تعني اقترب، وقد مضت سنون كثيرة ولم ينزل عيسي. وأضاف أن القرآن الكريم أوضح أن عيسى عليه السلام توفاه الله بعد أن تركه حواريوه، وأن القرآن الكريم يؤكد أن محمد خاتم النبيين والمرسلين، وأن عيسى قال وهو في «المهد صبيا»، إنه رسول لبني إسرائيل، ولم يقل إنه رسول للمسلمين. ودعا الترابي المسلمين إلى إرجاع كلمات اللغة العربية إلى «أصولها غير المزورة» حتى لا يستمر الفهم الخطأ للقرآن الكريم [3].

الرد: وقد اشار القرآن الكريم الى نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وذلك في قول الله تعالى: (وإنه لعلم للساعة.. الزخرف 61)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسيرها: المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } أي: قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } [النساء: 159]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: "وإنه لعَلَم للساعة" أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ } أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة [4]، وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليه ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون الى المال فلا يقبله احد» [5].

(1) الطبري، "جامع البيان"، (7 / 181).

(2) مسلم، "صحيح مسلم"، رقم (1763)

(3) جريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ (الثلاثاء 12 جمادى الثاني 1434 هـ 23 ابريل 2013 العدد 12565

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". المحقق: سامي بن محمد سلامة (ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)، 7/ 236

(5) مسلم، "صحيح مسلم" رقم (155)

القول الثاني: نفي حكم قتل المرتد، يقول الترابي" وهذه لا تحتاج إلى الرجوع إلى قول فلان ورد فلان على فلان. ويقول: هذه الحدود لا تقام اليوم في السودان، لأن تفسيرنا للشريعة متطور أكثر مما هو عليه الحال في البلاد الإسلامية الأخرى) [1].

الرد: والمرتد يقتل لأنه من المحافظة على الدين، جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها. كما قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [193/2]، وفي سورة الأنفال: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} الآية[39]، وقال تعالى: {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} [16/48]، وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) [2] الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه) [3]،و عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة [4]) إلى غير ذلك من الأدلة على المحافظة على الدين [5]، وتجهيل الصحابة خطر عظيم لأنهم حملة العلم،والطعن فيهم طعن في ما حملوه، والله حافظ دينه.

القول الخامس:تقديم العقل علي النقل (الشرع):

قال الدكتور الترابي: "إن إقامة أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد عقلي كبير، وللعقل سبيل إلى ذلك لا يسع عاقل إنكاره، والاجتهاد الذي نحتاج إليه ليس اجتهاداً في الفروع وحدها وإنما هو اجتهاد في الأصول" [6].

(1) ينظر: لقاء جريدة المحرر مع حسن الترابي، العدد (263، آب 1994)

(2) مسلم، "صحيح مسلم" رقم 22

(3) البخاري، "صحيح البخاري" باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، رقم (6524)

(4) مسلم، "صحيح مسلم" رقم 1676

(5) أنظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1415 هـ- 1995 م)، 3/ 48

(6)، د. حسن الترابي" المعتزلة بين القديم والحديث" ص ١٣٨،نقلا من الفرق والأديان والردود (موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة وتناول هذا الموضوع المهم وتوصل إلى النتائج والتوصيات، منها ما يلي:

أولاً: النتائج:

1- الدَّعوةُ إلى التجديد فهم النصّ القرآني تتعارض مع المنهج المفروض اتّباعه في فهم القرآن.

2- الدعوة الي التجديد فهم النص بإعادة قراءته قراءة عصرية —كما يزعمون- من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، وأعراف اجتماعية، هي دعوة علمانية.

3- الشرع والعقل يقرّ مسألة التدبُّر والتعمُّق والمعاصرة في الفهم، ولكنْ بضوابط وقواعد.

4- التمسك بتفسير السلف لأهميته، ولقُرْبه من عصر النبوة، ومعرفتهم بلغة العرب وأساليبها، ومعاينة الصحابة لكثير من الوقائع ومعايشتهم، بذلك أعلم من غيرهم.

ثانياً: التوصيات:

1-أوصي طلاب العلم أن بإبراز علم السلف الناصع في كل التخصصات الشريعة؛ ليكون حاجزًا منيعًا ضد أهل الأهواء ومخططاتهم وبعدم السكوت عن أهل البدع.

2-تنقيح مناهج الدراسية مما بث فيه من الدخيل.

المصادر والمراجع

أولاً: بعد القرآن الكريم

ثانياً: الكتب والمصادر:

1. ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، " شرح الطحاوية في العقيدة السلفية". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط1، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ).
2. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، " النهاية في غريب الأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1979م).
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي " إعلام الموقعين عن رب العالمين ". تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، 1973).
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب،"الروح "، (بيروت:دار الكتب العلمية –، 1395 – 1975م).
5. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة". المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر،1979م).
6. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير "تفسير القرآن العظيم". المحقق: سامي بن محمد سلامة، (ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م).
7. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي بن منظور، " لسان العرب ". (ط1، بيروت: دار صادر).
8. أحمد مختار عمر،" معجم اللغة العربية المعاصرة" (ط1،مصر: عالم الكتب،١٤٢٩ هـ).
9. الإمام أحمد، بن محمد بن حنبل "مسند الإمام أحمد". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط1، القاهرة: دار الحديث، 1416 هـ).
10. البخاري، محمد بن إسماعيل، " صحيح البخاري " تحقيق: د. مصطفى ديب البغا) " ط3، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة،1987)
11. جريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ (الثلاثاء 12 جمادى الثاني 1434 هـ 23 ابريل 2013 العدد 12565..
12. حسن الترابي،" تجديد الفكر الإسلامي"، (ط1، المغرب، دار القرافي للنشر والتوزيع،،١٩93م).
13. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، " تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين (ا دار الهداية، بدون).
14. الزحيلى، وهبة بن مصطفى،"التفسير الوسيط"، (دمشق: دار الفكر، 1422).
15. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، " الموافقات". المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، (ط1،دار ابن عفان، 1997م)،
16. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الجكني، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1415 هـ- 1995 م) .
17. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، "جامع البيان في تأويل القرآن". المحقق: أحمد محمد شاكر (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)

18. عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، "جواب الحافظ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل"، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية).

19. عبد الفتاح إبراهيم سلامه، "المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل وديا جير الإنكار والتأويل"، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية،47، 48 (1400هـ)

20. عثمان بن علي بن حسن، "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد" (ط4، الرياض، مكتبة الرشد، وشركة الرياض للنشر والتوزيع).

21. علي حرب،" نقد النص"، (ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993م). موقع https://nosos.net.

22. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، " القاموس المحيط". (بيروت: مؤسسة الرسالة)،

23. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي" الجامع لأحكام القرآن". تحقيق هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 2003 م).

24. محمد سرور بن نايف زين العابدين، فكر الترابي، المصدر: الشاملة الذهبية.

25. محمد عمارة، "الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني"، (القاهرة: دار الشروق الدولية،،2004)

26. مسلم، مسلم بن الحجاج "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

27. المناوي، محمد عبد الرؤوف " التوقيف على مهمات التعاريف " (ط1،بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر،1410هـ).

28. نصر أبو زيد، "مفهوم النص دراسة في علوم القرآن"، (ط2،بيروت: الدار البيضاء المركز الثقافي العربي،١٩٩٤م).

السمعيات في سورة الملك

Audio in Surat Al-Mulk

د. أحمد محمد الزبير حسن

أستاذ العقيدة الإسلامية المشارك – جامعة القاسمية والمعار من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

Dr.ahmedzupeer@gmail.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة لمعرفة السمعيات في سورة الملك بإسلوبٍ سهل، وميسر لمعالجة التعقيدات التي اتسمت بها بعض الكُتب العقدية.قد عرضت الموضوعات الأساسية السمعيات في سورة الملك معتمدةً على القرآن الكريم، والسنة النبوي ومستعيناً بأقوال العلماء متى كان ذلك لازماً، واتبعت المنهج الإستقرائي التحليلي الذي يناسب مثل هذا النوع من الدراسات، وقد اعتنت بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وقامت بضبطها ضبطاً صحيحاً باعتبارها أساس البحث وروحه. خرجت الدراسة بنتائج مهمة تسهم في بيان السمعيات في سورة الملك، وتسهم في إرساء منهج لتطوير البحث العقدي، لاسيما بعد اشتداد الحاجة إلى المعارف، والدراسات الشرعية، كما خلصت الدراسة إلى توصيات علمية.

Abstract :

This study aims to know the audios in Surat Al-Mulk in an easy and accessible way to address the complexities that characterized some of the dogmatic books. The main topics of audio in Surat Al-Mulk were presented based on the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah and using the sayings of scholars whenever necessary and followed the inductive-analytical approach that suits Such type of studies, and it took care of collecting Quranic verses and prophetic hadiths related to the subject of the study, and it correctly controlled them as the basis and spirit of the research. The need for knowledge, and legal studies, as the study concluded with scientific recommendations.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصبحه ومن سار على دربه إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل على هذه الأمة أفضل كتاب وأرسل أعظم رسول صلى الله عليه وسلم، وإن جميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم كانوا يهتمون بمسألة الإيمان والعقيدة، و آخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد عالج قضية الإيمان طوال فترة رسالته صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن علم العقيدة أهم هذه العلوم، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، فعلم العقيدة يبحث في توحيد الله تعالى .

من أجل ذلك أحببت أن أكتب في هذا الموضوع والذي بعنوان: " السمعيات في سورة الملك "، وإني لأسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

1- التعرف على المباحث السمعيات من خلال سورة الملك.

2- إن في هذا اظهار شيء من اعجاز القرآن الكريم لاشتماله على أكثر من أصل للعقيدة في سورة واحدة.

3- رغبة الباحث في توضيح جوانب مباحث السمعيات في سورة الملك.

4- فضل السبق في الكتابة في موضوع مباحث السمعيات في سورة الملك.

ثانياً: أسئلة البحث:

1- ما مباحث السمعيات الواردة في سورة الملك.

2- ما أثر الإيمان بالملائكة على الناس.

3- ما أثر الإيمان بالجن على الناس.

4- ما أثر الإيمان باليوم الأخر على الناس.

ثانياً: الدراسات السابقة:

طرق المباحث العقدية في سورة الناس من هذه الوجهة _ احسب انه لم يسبقني اليه أحد فيما أعلم _بل قد سبقت دراستي السمعيات في سورة الملك دراسات من حيث تفسير الآيات التي تتحدث عن شرح كلمات، ومفردات الآيات من منطلق تفسيري عام، ولذلك فإن الباحث يسعى أن تكون هذه الدراسة جامعة في هذا المجال ومتسمة بالحيادية والموضوعية وهما أهم شروط البحث العلمي.

ثالثاً: المنهج

أن المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يعتمد على جمع النصوص وتحليلها، ثم الوصول إلى نتائج، وقمت في هذا البحث بالخطوات التالية:

1. أعزو الآيات القرآنية إلى سورها، وأشير إلى أرقام الآيات.
2. اخرج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية.
3. قمت بترجمة لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث.
4. وضعت في نهاية البحث خاتمة تضم أهم النتائج، والتوصيات.
5. قمت بوضع قائمة المصادر والمراجع.

رابعاً: هيكل البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: أولاً: التعريف بمفهوم السمعيات وأهميتها.

ثانياً: التعريف بسورة الملك.

المبحث الأول: دلالة السورة على وجود الملائكة.

المطلب الأول: التعريف بالملائكة

المطلب الثاني: صفات الملائكة

المطلب الثالث: وظائف الملائكة

المبحث الثاني: دلالة السورة على وجود الجن.

المطلب الأول: تعريف الجن والشيطان وإبليس

المطلب الثاني: خطوات الشيطان لإضلال بني آدم.

المطلب الثالث: العلاج من كيد الشيطان

المبحث الثالث: دلالة السورة على الإيمان باليوم الأخر.

المطلب الأول: التعريف باليوم الأخر.

المطلب الثاني: علامات الساعة

المطلب الثالث: الجنة والنار.

الخاتمة، وتشتمل على الآتي:

أولاً: النتائج

ثانياً: التوصيات

قائمة المصادر والمراجع

التمهيد

أولاً: التعريف بالسمعيات

تعريف السمعيات لغة:

السمعيات كلمة منسوبة إلى السمع من سمع يسمع سمعا السمعيات: نسبَةً إلى السَّمْعِ، والسَّمعُ: إدراكُ الأصْوات، ويأتِي السَّمْعُ بِمعنى الذِّكْرِ المِسْموعِ، والجَمْعُ: أسْماعٌ وأسْمُعٌ. السمع: الأذن السمعيات: نسبَةً إلى السَّمْعِ، وهو في الأصلِ إدرَاكُ الأصْواتِ.[1].

تعريف السمعيات في الاصطلاح:

الباب الذي يتلقى منه الأخبار الواردة من القرآن والسنة، وليس للعقل في إثباتها، أو نفيها مدخل. كأشراط الساعة، وتفاصيل البعث. والبحث في السمعيات، أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها، ويقوم على دعامتين؛ الأولى: الإقرار بها مع التصديق، ويقابله الجحود، والإنكار لها، والثانية: الإمرار لها مع إثبات معناها، ويقابله الخوض في الكنه، والحقيقة، ومحاولة التصور، والتوهم بالعقل بعيداً عن النقل، وهو مصطلح يكثر استعماله عند المتكلمين في تقسيم علم العقيدة إلى: إلهيات، ونبوات، وسمعيات[2].

أهمية دراسة السمعيات:

السمعيات أو الغيبيات: وهو ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل كأشراط الساعة وتفاصيل البعث... والبحث في السمعيات أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها وهو يقوم على دعامتين: الإقرار بها مع التصديق ويقابله الجحود والإنكار لها، الإمرار لها مع إثبات معناها ويقابله الخوض في الكنه والحقيقة، ومحاولة التصور والتوهم بالعقل بعيدا عن النقل.

وضابط السمعيات: أن العقل لا يمنعها ولا يحيلها، ولا يقدر على ذلك، ولا يقدر أن يوجبها ولا يحار في ذلك، فمتى ما صح النقل عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن الواجب اعتقاد ذلك والإقرار به، ودفع كل تعارض موهوم بين شرع الله وهو الوحي وبين خلقه وهو العقل،... والقاعدة الذهبية هو أنه لا يتعارض وحي صحيح مع عقل صريح عند التحقيق[3].

(1) إبن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت،/ 168

(2) محمد السفاريني، لوامع الأنوار، المكتب الإسلامي – بيروت،2/3

(3) يوسف بن علي الطريف، علم العقيدة عند أهل السنة، الطبعة الأولى، الناشر، دار ابن خزيمة، صفحة 155

ثانياً: التعريف بالسورة:

سورة الملك سورة مكية، أُنزلت على الرسول –صلى الله عليه وسلم– في مكة المكرمة آياتها 30 آية، وهي أول سورة في الجزء التاسع والعشرون وقد سميت تبارك وسميت كذلك الملك.

من فضائل سورة الملك:

تحفظ قارئها من عذاب القبر، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر[1]"، تشفع لقارئها يوم القيامة، فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ''إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: تبارك الذي بيده الملك''[2] .

تعصم قارئها من عذاب القبر، فعن ابن مسعود[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره، أو قال: بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر[4].

ينال قارئها الثواب العظيم، فعن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال:''مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ''[5].

أسماء سورة الملك:

أ. ذكر أهل العلم لهذه السورة العظيمة أسماء كثيرة منها:

(تبارك الذي بيده الملك)، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ''سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: تبارك الذي بيده الملك''[6].

(1) الحاكم المستدرك على الصحيحين فى الحديث، مكتبة المعارف – الرياض324/5

(2) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة. 3/ 321

(3) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أحد أئمة الصحابة، هاجر الهجرتين، من السابقين للإسلام، شهد بدراً وما بعدها، صاحب مدرسة فقهية بالكوفة، أحد العبادلة الأربعة تولى الأمارة فى حمص فى خلافة عمر بن الخطاب، أعلم الناس بالقرآن الكريم، توفى عام 33هـ/654م بالمدينة المنورة، انظر: إبن حجر االعسقلانى،الإصابة فى تمييز الصحابة، الخامس، 5/459.

(4) الحاكم المستدرك على الصحيحين فى الحديث223/4

(5) النووي، صحيح مسلم، بشرح النووى، المطبعة المصرية، القاهرة، 7/ 344

(6) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة. 2/ 121

(الملك) وهو الاسم الشائع في كتب التفسير[1]، وبه عنونها البخاري[2] في كتاب التفسير.

(المانعة) عن ابن مسعود: كنا نسميها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: المانعة.[3]

(المنجية)، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها المنجية [4] .

(الواقية، والمنّاعة وتسمى المناعة) كما في[5].

ب. إشتمال سورة الملك علي موضوعات العقيدة:

سورة الملك سورة مكية نزلت قبل الهجرة ومن خصائص السور المكية أنها تدعو الي توحيد الله واعتناق العقيدة الصحيحة والإيمان بالغيبيات لأن غالب المخاطبين بها ينكرون ذلك، وتناولت الكثير من المواضيع منها: السمعيات، حيث جاء في سورة الملك الحديث عن عالم الشياطين قال تعالي: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) سورة الملك، الأية:5، والحديث عن عالم الملائكة قال تعالي: (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) سورة الملك، الأية: 7،8والإيمان بالغيبيات مثل الإيمان باليوم الأخر قال تعالي (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ،فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) سورة الملك، الأية: 24،25.وفصول السورة مرابطة ومتناسقة وبدايتها مرتبطة بنهايتها[6].

(1) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، الطبعة الخامسة 1408هـ، دار الريان – القاهرة،4/ 453

(2) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله البخاري، ولد عام 194هـ/810م، إمام، حافظ، مؤرخ، سافر كثيراً في طلب الحديث، وله مؤلفات كثيرة من أهمها: كتابه الجامع الصحيح، والتاريخ الكبير، والأدب المفرد، خلق أفعال العباد، وغيرها من الكتب النافعة، توفى سنة 256هـ/870م، انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دائرة المعارف الهند، 2/ 347.

(3) سنن النسائي المجتبى، الطبعة الأولى 1383هـ، مكتبة الحلبي – مصر، 3/ 142

(4) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة. 3/ 231

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار صادر، بيروت، ص 321

(6) عبد الله محمد شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1974م، ص 145

المبحث الأول

دلالة السورة على وجود الملائكة

يقول تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ). سورة الملك، الأية 8،9.

(أَيْ: يَكَادُ يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا عَلَيْهِمْ وَحَنَقِهَا بِهِمْ، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ يَذْكُرُ تَعَالَى عَدْلَهُ فِي خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ سورة الْإِسْرَاءِ، الأية ١٥، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ سورة الزُّمَرِ، الأية٧١،، وَهَكَذَا عَادُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ، وَنَدِمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُمُ النَّدَامَةُ، فَقَالُوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أَيْ: لَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ نَنْتَفِعُ بِهَا أَوْ نَسْمَعُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالِاغْتِرَارِ بِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَهْمٌ نَعِي بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَلَا كَانَ لَنَا عَقْلٌ يُرْشِدُنَا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ[1].

المطلب الأول

التعريف بالملائكة

الملائكة لغة: جمع ملك، والميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة وهو مشتق من الألوكة والملأكة وهي: الرسالة، والملأك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، يقال: ألك؛ أي تحمل الرسالة) [2]

قال الطبري[3] رحمه الله: (فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده[4])

(1) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، الطبعة الخامسة 1408هـ، دار الريان – القاهرة،4/ 453

(2) لأحمد الفيومي، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية – بيروت، 26/1

(3) أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري، إمام ،حافظ ، مجتهد ، مفسر ، مؤرخ ، صاحب تصانيف كثيرة منها جامع البيان فى تأويل آي القرآن، التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير، والتاريخ الأوسط، التبصير فى معالم الدين، مات ببغداد عام 310هـ/923م، انظر: السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، 3/ 115، و البغدادي،تاريخ بغداد للخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2/ 162.

(4) الطبري، تفسير جامع البيان فى تأويل آي القرآن، المطبعة الميمنية، مصر، صفحة 5/ 395

يقول ابن حجر فى معنى الملائكة: (جمع ملك بفتح اللام وقيل: مخفف من مالك، وقيل مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك وقيل أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام، وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه مفعل فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع، وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات[1].

أما المادة التي خلقوا منها فقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله خلقهم من نور فقد أخرج مسلم [2] عن عائشة [3] رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم ".[4]

وتدل النصوص فى مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية، وأنهم ليسوا كالبشر: فلا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتزوجون، مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومنزهون عن الآثام والخطايا، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية، التي يتصف بها ابن آدم، غير أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى، كما أخبر عز وجل عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم فى صورة بشرية فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا*فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا}. سورة مريم، الآية:16- 17.

الأدلة وجود عالم الملائكة:

أولاً: القرآن الكريم: جاء ذكر الملائكة في أيات كثيرة منها:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الأرض خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}. سورة البقرة، الآية: 30.

فقد تضمن هذا الخبر وجود الملائكة ومخاطبة الله تعالى لهم، ومخاطبتهم له سبحانه وتعالى وهو دليل قاطع على وجود الملائكة، وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} سورة البقرة، الآية: 34.. ففي هذا الخبر أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأنهم سجدوا إلا إبليس أبى، وهل يؤمر ويمتثل غير موجود، وقوله تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا} سورة النساء، الآية: 172.. ففي هذا الخبر أن الملائكة المقربين لا يستنكفون عن عبادة الله ولا يستكبرون، وهل يستنكف ويتكبر غير موجود؟.

(1) إبن حجر االعسقلانى، فتح الباري شرح صحيح البخارى، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، 6/ 232.

(2)أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، حافظ، إمام، صاحب الجامع الصحيح، عالم، صاحب عبادة، زاهد له مؤلفات، مات بنسابور سنة 261هـ/875م انظر: الذهبى،سير أعلام النبلاء،، الطبعة الأولى 1409هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، 257/12.

(3) عائشة بنت أبى بكر الصديق، أم المؤمنين. زوج رسول الله، أحب أزواجه إليه، أفقه الناس، ينزل الوحي فى لحافها، توفى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها، ويومها، وبين سحرها ونحرها، توفيت عام 58 هـ/678م انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 5/ 590.

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب فى أحاديث متفرقة، رقم الحديث 2996، 846/2.

ثانياً: السنة: وهى كثيرة فأكتفى منها بذكر ما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة" [1].

وقوله صلى الله عليه وسلم " أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" [2] وقوله صلى الله عليه وسلم:" إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه" [3].

المطلب الثاني

وظائف الملائكة

جبريل: هو الملك الموكل بالوحي الذى به حياة القلوب والأرواح. وقد وصفه الله فى القرآن الكريم بالروح الأمين قال: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} سورة الشعراء، الأية:192، 195.

ميكائيل فهو: (الملك الموكل بالقطر الذى به حياة الأرض والناس والنبات والحيوان [4]).

إسرافيل فهو: (الملك الموكل بالنفخ فى الصور بأمر الله مرتين المرة الأولى يصعق من بقي حياً في السموات والأرض إلا ما شاء الله، والمرة الثانية يبعث فيها الموتى ليقضي بينهم بالحق) [5].

قال تعالى: {وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الأرض إلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ} سورة الزمر، الآية:68.

مالك خازن النار"، قال تعالى: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} سورة الزخرف، الآية:77.

ملك الموت " الموكل بقبض أرواح العالمين. قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الذى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} سورة السجدة،الآية:11.

حملة العرش الذين أخبر عنهم الله فى القرآن فقال سبحانه: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} سورة الحآقة، الآية:17.

(1) الإمام البخارى، صحيح البخارى، كتاب اللباس، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت صفحة 129 رقم الحديث 5958، 129/3.

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم،، المجلد الأول،كتاب المساجد وموانع الصلاة، باب النهى عن أكل الثوم أو البصل أو كراث، رقم الحديث 83/74،1.

(3) الإمام البخارى، صحيح البخارى، كتاب الآذان، باب جهر الإمام بالتأمين،صفحة 175 رقم 780، 175/1.

(4) على بن على بن محمد بن أبى العز، شرح العقيدة الطحاوية،، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى 1408هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص 320.

(5) عبد العزيز المحمد السلمان، الكواشف الجلية عن معانى الواسطية–، مؤسسة مكة للطباعة،ص 36.

الملائكة الموكلون بالجنان الذي يهيئون الضيافة لساكنيها قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إذا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ*وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأرض نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} سورة الزمر، الآية: 73 – 74.

المطلب الثالث

صفات الملائكة كثيرة منها

حياؤهم: أن الملائكة تستحي إستحياء يليق بحالها إذ قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة" [1].

تأذيهم: أن الملائكة تتأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" [2].

تنزههم عن الأعراض البشرية: أن الملائكة منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض، والأكل، والنوم، والتعب، وما إلى ذلك، فقد جاء فى القرآن ما يدل على ذلك قال تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} سورة الأنبياء، الآية:20.

خوفهم من الرب تبارك وتعالى: أن الملائكة يخافون من الله تعالى، أثبت ذلك الخبر القرآني فى قوله: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فى السَّمَاوَاتِ وَمَا فى الأرض مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ*يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ*} سورة النحل، الآية:49 – 50.

حبهم لمن يحب ربهم: إن الملائكة: تحب حباً يليق بحالهم، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعي على أنهم يحبون لقوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: أن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل فى السماء إن الله أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول فى الأرض " [3].

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم،، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان،، رقم الحديث 2401، 3/ 551

(2) لإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً، رقم الحديث 74، 83/1.

(3) الإمام البخارى، صحيح البخارى، المجلد الثالث، كتاب الأدب، باب المقِةِ من الله تعالى، رقم الحديث 3،6040/145

المبحث الثاني

دلالة السورة علي وجود الجن

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) سورة الملك، الأية: يقول ابن كثير[1] : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الَّتِي وُضِعَتْ فِيهَا مِنَ السَّيَّارَاتِ وَالثَّوَابِتِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عَادَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ عَلَى جِنْسِ الْمَصَابِيحِ لَا عَلَى عَيْنِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْمِي بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ، بَلْ بِشُهُبٍ مِنْ دُونِهَا، وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَمَدَّةً مِنْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أَيْ: جَعَلْنَا [9] لِلشَّيَاطِينِ هَذَا الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فِي الْأُخْرَى، كَمَا قَالَ: فِي أَوَّلِ الصَّافَّاتِ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ سورةالصَّافَّاتِ،الأية،10،6.

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا خُلِقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: خَلَقَهَا اللَّهُ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِهِ وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. رَوَاهُ ابْنُ جرير، وابن أبي حاتم.[2]

المطلب الأول

التعريف بالجن والشيطان و إبليس

أولاً: التعريف بالجن: قال ابن عبد البر[3]: {الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

1- فإذا ذكروا الجن خالصا قالوا: جني.

2- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر، والجمع عمار.

3- فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

(1) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي، حافظ، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد عام 700هـ/1301م، له عدة مؤلفات منها تفسيره المشهور، كتاب البداية والنهاية، وكتاب السيرة النبوية، والباحث فى علوم الحديث، وغيرها من الكتب المفيدة، توفى بدمشق عام 774هـ /1372م، انظر: إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، 1/ 399.، محمد بن على الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة بيروت، 1/ 153.

(2) إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى 1420هـ، مؤسسة الريان، 568/4.

(3) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المالكي، حافظ المغرب، مؤرخ، أديب، عابد، زاهد، ولد عام 368هـ/979م، بقرطبة، رحل كثيراً فى البلاد الإسلامية طلباً للعلم، تولي القضاء، له مصنفات عديدة منها كتابه جامع العلم وفضله وكتابه التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والأسانيد، توفى بشاطبية سنة 463هـ/1071م، انظر: الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى 1409هـ، مؤسسة الرسالة، ببيروت، 18/ 153

4- فإن خبث وتعرض قالوا: شيطان.

5- فإن زاد على ذلك، فهو مارد.

6- فإن زاد على ذلك وقوي أمره، وقالوا: عفريت، والجمع عفاريت.[1]

ويقول الألوسي[2]: {واحده جني كروم ورومي وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارية كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الجَانَ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ*﴾ سورة الرحمان،الآية:15.، وقيل الهوائية قابلة جميعها أو صنف منها للتشكل بالأشكال المختلفة من شأنها الخفاء وقد ترى بصور غير صورها الأصلية بل وبصورها الأصلية التي خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام وهذا للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل ولها قوة على الأعمال الشاقة ولا مانع عقلاً أن تكون بعض الأجسام اللطيفة النارية مخالفة لسائر أنواع الجسم اللطيف في الماهية ولها قبول لإفاضة الحياة والقدرة على أفعال عجيبة[3].

ثانياً: التعريف بالشَّطَنُ: الحَبْل، وقيل: الحبل الطويل الشديدُ الفَتْل يُسْتَقى به وتُشَدُّ به الخَيْل، والجمع أَشْطان؛ قال عنترة:

يَدْعُونَ عَنْتَر، والرِّماحُ كأَنها أَشْطانُ بئرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ.

ووصف أَعرابي فرساً لا يَخْفى فقال: كأَنه شَيْطانٌ في أَشْطان. وشَطَنْتُه أَشْطُنه إذا شَدَدْته بالشَّطَن. وفي حديث البراء: وعنده فَرَسٌ مَرْبوطة بشَطَنَين؛ الشَّطَنُ: الحبل، وقيل: هو الطويل منه، وإِنما شَدَّه بشَطَنَيْن لقوّته وشدّته. وفي حديث عليّ، عليه السلام: وذكر الحياة فقال: إن الله جعل الموتَ خالِجاً لأَشْطانها؛ هي جمع شَطَن، والخالِجُ المسْرِع في الأَخذ، فاستعار الأَشْطانَ للحياة لامتدادها وطولها.

والشَّطَنُ: الحبل الذي يُشْطَن به الدلو. والمشاطِنُ: الذي يَنزِعُ الدلو من[4]. و قيل: يقصد بالشيطان إبليس، و هو روح شرير مغوٍ بالفساد، و قيل هو كل متمردٍ عاتٍ مفسدٍ من الجن أو الإنس [5]، و الناظر في كتاب الله يجد أن لفظ الشيطان قد يراد به إبليس، كما في قوله تعالى: (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) سورة الأعراف، الأية: 20. و قد يراد به كل متمرد على أوامر الله تعالى من الجن و الإنس، الذين يسعون بالفساد في الأرض وينشرونه للناس، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) سورة الأنعام، الأية: 112.

(1) إبن عبد البر، التهميد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة المغرب، 9/ 248.

(2) أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني، مفسر، محدث، فقيه، إمام، عابد، زاهد، أديب، تولى الفتيا ببغداد، وله رحلات عديدة في طلب العلم، وألف في علوم متنوعة وأهم مؤلفاته وأشهرها تفسيره المسمى (روح المعاني)، توفى ببغداد سنة 1270هـ/1854م، انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 175.

(3) أبو الفضل محمود الألوسي روح المعاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، 29 /102.

(4) إبن منظور لسان العرب، 9/ 432.

(5) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل _ عالم الكتب _ ط1 _ 1429هـ _ 2008م _ (1256/2).

ثالثاً: تعريف إبليس لغة: مشتق من الإبلاس، وهو الإبعاد من الخير، أو اليأس من رحمة الله [1]

تعريف إبليس في الاصطلاح: هو ذلك المخلوق من النار، والذي كان يجالس الملائكة ويتعبد معهم، وليس من جنسهم كما سيأتي، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم خالف أمر ربه بتكبره على آدم لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى[2]

المطلب الثاني

عداوة الشيطان للناس

بين ابن القيم رحمه الله أن هنالك سبع عقبات فقال رحمه الله هي:

الْعَقَبَةُ الْأُولَى: عقبة الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرُدَتْ نَارُ عَدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاحَ، فَإِنِ اقْتَحَمَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ وَنَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهِدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ، طَلَبَهُ عَلَى: الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ: وَهِيَ عقبَةُ الْبِدْعَةِ، إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحْدَثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا... فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ، وَخَلَصَ مِنْهَا بِنُورِ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تَسْمَحَ الْأَعْصَارُ الْمُتَأَخِّرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ! فَإِنْ سَمَحَتْ بِهِ نَصَبَ لَهُ أَهْلُ الْبِدَعِ الْحَبَائِلَ، وَبَغَوْهُ الْغَوَائِلَ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ مُحْدِثٌ.

الْعَقَبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ عقبَةُ الْكَبَائِرِ، فَإِنْ ظَفِرَ بِهِ فِيهَا، زَيَّنَهَا لَهُ، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوَّفَ بِهِ... فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ بِعِصْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ مِنْهَا، طَلَبَهُ عَلَى: الْعَقَبَةِ الرَّابِعَةِ: وَهِيَ عقبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقُفْزَانِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ مَا غَشِيتَ مِنَ اللَّمَمِ، أَوَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّهَا تُكَفَّرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ، أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطَبُ، فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ

(1)إبن منظور، لسان العرب،، 6/ 29.

(2) إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 209.

بِعُودٍ، وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، فَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأْنِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ).

الْعقبَةُ الْخَامِسَةُ: وَهِيَ عقبَةُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهَا، فَشَغَلَهُ بِهَا عَنْ الِاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الِاجْتِهَادِ فِي التَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمَّعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ السُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقَلُّ مَا يُنَالُ مِنْهُ تَفْوِيتُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَلَوْ عَرَفَ السِّعْرَ لَمَا فَوَّتَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْقُرُبَاتِ، وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسِّعْرِ. فَإِنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعقبَةِ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ وَنُورٍ هَادٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وَقِلَّةِ الْمُقَامِ عَلَى الْمِينَاءِ، وَخَطَرِ التِّجَارَةِ، وَكَرَمِ الْمُشْتَرِي، وَقَدْرِ مَا يُعَوِّضُ بِهِ التُّجَّارَ، فَبَخِلَ بِأَوْقَاتِهِ، وَضَنَّ بِأَنْفَاسِهِ أَنْ تَذْهَبَ فِي غَيْرِ رِبْحٍ، طَلَبَهُ الْعَدُوُّ.

الْعقَبَةِ السَّادِسَةِ: وَهِيَ عقبَةُ الْأَعْمَالِ الْمَرْجُوحَةِ الْمَفْضُولَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَأَمَرَهُ بِهَا، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَزَيَّنَهَا لَهُ، وَأَرَاهُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالرِّبْحِ، لِيَشْغَلَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَأَعْظَمُ كَسْبًا وَرِبْحًا، لِأَنَّهُ لَمَّا عَجَزَ عَنْ تَخْسِيرِهِ أَصْلَ الثَّوَابِ، طَمِعَ فِي تَخْسِيرِهِ كَمَالَهُ وَفَضْلَهُ، وَدَرَجَاتِهِ الْعَالِيَةَ، فَشَغَلَهُ بِالْمَفْضُولِ عَنِ الْفَاضِلِ، وَبِالْمَرْجُوحِ عَنِ الرَّاجِحِ، وَبِالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ عَنِ الْأَحَبِّ إِلَيْهِ، وَبِالْمَرْضِيِّ عَنِ الْأَرْضَى لَهُ.

فَإِذَا نَجَا مِنْهَا لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ عقبة يَطْلُبُهُ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا سِوَى وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَاؤُهُ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَهِيَ عقبة تَسْلِيطِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ بِجُنْدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ حِزْبَهُ وَأَهْلَهُ بِأَنْوَاعِ التَّسْلِيطِ، وَهَذِهِ العقبة لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ كُلَّمَا جَدَّ فِي الِاسْتِقَامَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ لَهُ بِأَمْرِهِ، جِدَّ الْعَدُوُّ فِي إِغْرَاءِ السُّفَهَاءِ بِهِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ قَدْ لَبِسَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ، وَأَخَذَ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ [1]."

المطلب الثالث

العلاج من كيد الشيطان

هنالك طرق كثيرة للعلاج من كيد الشيطان منها:

أولا: الاستعاذة بالله: لقوله تعالى: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) سورة فصلت، الأية:36.

(1) إبن القيم، مدارج السالكين،137/1

ثانيا: قراءة آية الكرسي: كماجاء في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة[1] رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ". قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: " أما إنه قد كذبك، وسيعود ". فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه سيعود). فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ". قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله، قال: " أما إنه كذبك، وسيعود ". فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هو ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما فعل أسيرك البارحة ". قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال:" ما هي؟ ". قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح – وكانوا أحرص شيء على الخير – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ". قال: لا، قال: " ذاك شيطان [2] ."

ثالثا: تلاوة المعوذتين: لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يتعوذ من عين الجان، وعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك[3].

رابعاً: قراءة سورة البقرة لقول رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ[4].«

خامساً: قول البسملة: لقول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَرُزِقَا وَلَداً لَمْ يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ».

(1) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام،سيد الحفاظ والإثبات، صاحب صلاة وصيام، أكثر الصحابة رواية فى الحديث، من أهل الصفة، قدم يوم خيبر، لازم النبي صلى الله عليه وسلم، عين فى خلافة عمر والياً على البحرين، مات 57هـ/677م إبن حجر العسقلاني، الإصابة فى تمييز الصحابة، 452/6.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 324/4

(3) النسائي، سنن النسائي المجتبى، الطبعة الأولى 1383هـ، مكتبة الحلبي – مصر،234/4

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم،5/ 432

سادساً: لزوم الجماعة: لقول رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فَعَلَيْكَم بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذئْبُ الْقَاصِيَةَ [1].«

سابعاً: سجود التلاوة: لقول رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ [2].

المبحث الثالث

دلالة الإيمان باليوم الأخر

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾ يقول ابن كثير في تفسير هذه الأية أَيْ: مَتَى يَقَعُ هَذَا الَّذِي تُخْبِرُنَا بِكَوْنِهِ مِنْ الِاجْتِمَاعِ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيْ: لَا يَعْلَمُ وَقْتَ ذَلِكَ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ وَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ فَاحْذَرُوهُ، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وَإِنَّمَا عَلَيَّ الْبَلَاغُ، وَقَدْ أَدَّيْتُهُ إِلَيْكُمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: لَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَشَاهَدَهَا الْكُفَّارُ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ وَإِنْ طَالَ زَمَنُهُ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَهُمْ ذَلِكَ، لِمَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ، أَيْ: فَأَحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ وَلَا حِسَابٍ، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا [٦] وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزُّمَرِ: ٤٧، ٤٨] ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ أَيْ: تَسْتَعْجِلُونَ.[3]

المطلب الأول

تعريف باليوم الأخر

ومعناه بصورة إجمالية: الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى فى كتابه، وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما جميعاً، وقد دل على الإيمان باليوم الآخر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما دل عليه

(1)ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1395هـ،5/ 254

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، 5/ 432.

(3) لإبن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 234

العقل، فأكثر سبحانه وتعالى من ذكره فى كتابه فقال تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فى الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} سورة البقرة، الآية:177.، وقال تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى*فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} سورة طه، الآية:15 – 16.

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر". [1]، ومن الأدلة العقلية: أن الخلق يصبح عبثاً وباطلاً إذا لم يكن هناك يوم آخر يبعث فيه الناس يحاسبون على أعمالهم التى عملوها فى الحياة الدنيا، قال تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} سورة القلم، الآية:35 – 36..

المطلب الثاني

اشراط الساعة

يقول الإمام الطحاوى[2] رحمه الله: (ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها) [3].

مما سبق يتضح لي أن للساعة علامات صغري وكبري.

أولاً: العلامات الصغرى: فقد ورد فيها جملة من الأحاديث الصحيحة منها:

– قوله صلى الله عليه وسلم: " بعثت أنا والساعة كهاتين" [4]. فهذا يدل على أن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وختم النبوة والرسالة به من علامات قرب الساعة.

(1) إبن حجر االعسقلانى، فتح الباري شرح صحيح البخارى، 6/ 232.

(2) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الحنفى المحدث الفقيه، ولد عام 239هـ/853م، رحل إلى الشام وتولي القضاء، له مصنفات كثيرة، منها العقيدة الطحاوية، مشكل الآثار، أحكام القرآن، شرح المختصر، شرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وغيرها من الكتب المفيدة توفى بمصر عام 321هـ/933م، انظر: الذهبي،سير أعلام النبلاء،27/1، و إبن العماد الحنبلى،شذرات الذهب فى أخبار من ذهب،، الطبعة الأولى 1398هـ، دار الفكر – بيروت،288/2.

(3) الإمام الطحاوى، العقيدة الطحاوية، حققها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامى، الطبعة الثامنة، 1404هـ، ص 499.

(4) الإمام البخارى، صحيح البخارى، كتاب الرقاق، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم "بعثت أنا والساعة كهاتين"، رقم الحديث 6505، 3/ 247

ففى الحديث دلالة على أن النبى عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليه، أو تأتي بعده، وهذا أخبار بقرب وقوعها. وهنالك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت علامات أخرى تظهر قبل قيام الساعة ويمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح. (1).

ثانياً: العلامات الكبرى: فقد وردت فى بعض الأخبار الصحيحة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " أنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر: الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وياجوج وماجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك تخرج من اليمن نار تطرد الناس إلى محشرهم" (2).

المطلب الثالث

الجنة والنار

قال تعالى: (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ، وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ، إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ).سورة الملك، الأية:6، 12

أولاً: النار: بعد ذلك كله يجب الإيمان بوجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان من مخلوقات الله عز وجل، أعدهما الله للثواب والعقاب، وأنه سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق، وأنهما موجودتان الآن، وأنهما باقيتان إلى الأبد، لا تفنيان ولا تبيدان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} سورة التحريم، الآية:6.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل يا رسول الله: إن كانت لكافية، قال فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها" (3).

(1) تجد ذلك فى الصحيحين، فى كتاب الفتن واشراط الساعة، وكتاب الرقاق، وفى مواضع أخرى.

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، المجلد الثالث، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فى الآية: التى تكون قبل الساعة،، رقم الحديث 2901، 2/ 433

(3) الإمام مالك بن أنس، الموطأ، مطبعة الشعب، 2/ 291،، وأيضاً إبن حجر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، 6/ 256، 257.

قال القرطبي[1] وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "هل تدرون كيف أبواب الجنة؟ قلنا: مثل أبوابنا. قال: لا. هي هكذا بعضهم فوق بعض، وأن الله وضع الجنان على الأرض والنيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنم، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها لظى، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية. وكل باب أشد حراً من الذي يليه سبعين مرة"[2].

ثانياً: الجنة فقد أكثر الله سبحانه من ذكر نعيمها فى كتابه الكريم. قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ} سورة الدخان، الآية:51، وقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} سورة ق، الآية:31.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى وصف نعيم الجنة: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فأقرءوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِى لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} " سورة السجدة، الآية:17.[3]

وردت أحاديث كثيرة في ذكر أسماء أبواب الجنة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أي أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة[4].

قال الحافظ ابن حجر[5]: وقع في الحديث ذكر أربعة أبواب من أبواب الجنة... وبقي من الأركان الحج فله باب بلا شك، وأما الثلاثة الأخرى فمنها" باب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس... ومنها: باب الأيمن وهو باب المتوكلين الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب. وأما الثالث: فلعله باب الذكر، فإن عند الترمذي ما يومئ إليه، ويحتمل أن يكون باب العلم [6]. وأما أسماء الجنة كثيرة فمنها:

(1) محمد بن أحمد بن أبى بكر الخزرجى الأندلسي، مالكي المذهب، فقيه مفسر، سافر كثيراً فى طلب العلم، له مؤلفات منها، الجامع لأحكام القرآن، مات بمصر سنة 671هـ /1272م، انظر: إبن العماد الحنبلي،شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، الطبعة الأولي 1399هـ، دار الفكر بيروت، 3/ 335، و لإبن فرحون المالكي،الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، 2/ 308.

(2) محمد بن أحمد القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولي، عام 1357، دار الكتب المصرية، القاهرة، 16/ 8- 9.

(3) الإمام البخاري، صحيح البخاري، المجلد الثالث، كتاب التوحيد، باب {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، سورة الطارق، الآية: 13، 5/ 473، رقم الحديث 7498.

(4) البخاري، صحيح البخاري، 432/6

(5) هو أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني، عاش بمصر، محدث، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، شاعر، له مؤلفات عديدة منها الإصابة فى تمييز الصحابة، تهذيب التهذيب، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، فتح البارى شرح صحيح البخاري، وغيرها من الكتب المفيدة، توفى عام 852هـ /1448م، انظر: محمد بن على الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، 1/ 87،وانظر: إبن العماد الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،، 7/ 270

(6) إبن حجر االعسقلانى، فتح الباري شرح صحيح البخارى، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 6/ 261.

الجنة: لقوله تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} سورة محمد، الآية:15

دار السلام: قال تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ} سورة يونس، الآية:25

دار الخلد: قال تعالى: {قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} سورة الفرقان، الآية:15

الفردوس: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} سورة الكهف، الآية:107

جنة المأوى: قال تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ}. سورة النجم، الآية:14-15

جنة النعيم: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} سورة لقمان، الآية:8

دار المقامة: قال الله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} سورة فاطر، الآية:34-35.

جنات عدن: قال تعالى: (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ).سورة مريم، الأية: 61.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني، وأعانني على إنجاز هذا البحث، والذي من خلاله استطعت تسليط الضوء على مباحث االسمعيات من خلال سورة الملك واستقيت منه نتائج وتوصيات عديدة:

أولا: النتائج:

أهمية الإيمان بالسمعيات عند المسلمين.

بيان منزلة السمعيات، وضرورة الاعتناء بها علمًا وعملاً وتعليمًا.

تفردت السور المكية بتأصيل الإيمان بالسمعيات وترسيخها في قلوب المسلمين.

اشتمال سورة الملك على مباحث السمعيات (الملائكة، والجن، واليوم الأخر).

اهتم القرآن الكريم بمباحث السمعيات (الملائكة، والجن، واليوم الأخر).

ثانياً: التوصيات:

ضرو رة تنبيه المسلمين بوجوب تعلم مباحث السمعيات وتعليمها.

الاهتمام بسور القرآن بدراسة المباحث العقدية وبالأخص مباحث السمعيات إذ لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكرها.

توصي الدراسة المؤسسات البحثية القيام بمشروع كتاب متكامل لمباحث السمعيات حتى يستفيد منه طلاب العلم بصفة عامة والباحثين بصفة خاصة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

6. إبن العماد الحنبلى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الأولي 1399هـ، دار الفكر بيروت.
7. إبن العماد الحنبلى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الأولى 1398هـ، دار الفكر – بيروت.
8. إبن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
9. إبن حجر العسقلاني، الإصابة فى تمييز الصحابة، الخامس.
10. إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة.
11. إبن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.
12. إبن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دائرة المعارف الهند.
13. إبن عبد البر، التهميد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة المغرب.
14. إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى 1420هـ، مؤسسة الريان.
15. إبن كثير تفسير القرآن العظيم، الطبعة الخامسة 1408هـ، دار الريان – القاهرة.
16. إبن كثير تفسير القرآن العظيم، الطبعة الخامسة 1408هـ، دار الريان – القاهرة.
17. إبن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت.
18. أبو الفضل محمود الألوسي روح المعاني، دار إحياء التراث العربي بيروت.
19. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل _ عالم الكتب _ ط1 _ 1429هـ _ 2008م.
20. الإمام البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.
21. الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولي 1409هـ، مؤسسة الرسالة، ببيروت.
22. الإمام الطحاوي، العقيدة الطحاوية، حققها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة، 1404هـ .
23. الإمام مالك بن أنس، الموطأ، مطبعة الشعب.
24. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة.
25. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة.
26. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعة الأولى 1382هـ، مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة.
27. الحاكم المستدرك على الصحيحين فى الحديث، مكتبة المعارف – الرياض.
28. الحاكم المستدرك على الصحيحين فى الحديث، مكتبة المعارف – الرياض.
29. الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى 1409هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
30. سنن النسائي المجتبى، الطبعة الأولى 1383هـ، مكتبة الحلبي – مصر.
31. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار صادر، بيروت.

32.عبد العزيز المحمد السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية–، مؤسسة مكة للطباعة.

33.عبد الله محمد شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1974م.

34.على بن على بن محمد بن أبي العز، شـرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسـن التركي وشـعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى 1408هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

35.عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين.

36. لإبن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة 1375هـ.

37.لإبن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.

38.محمد السفاريني، لوامع الأنوار، المكتب الإسلامي – بيروت.

39.محمد بن أحمد القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولي، عام 1357، دار الكتب المصرية، القاهرة.

40.محمد بن على الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت.

41.محمد بن على الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة بيروت.

42.النووي، صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية، القاهرة.

43.يوسف بن علي الطريف، علم العقيدة عند أهل السنة، الطبعة الأولى، الناشر، دار ابن خزيمة.

المذهب المالكي في الصحراء والسودان الغربي

الدكتور المصطفى يكبر

أستاذ متعاون – جامعة نواكشوط – موريتانيا

المقدمة

ما أن انتشـر الإسـلام في المغرب بعد الجهود المضـنية التي قام بها الفاتحون حتى أصـبح مسـرحا لتنافس مجموعة من المذاهب الدينية والفرق الإسلامية.

ولقد مثل المغرب المكان الملائم للقيام بالدعوة لهذه المذاهب لبعده عن مركز الخلافة الإسلامية، وقد أثمرت جهود هؤلاء الدعاة فقامت في المغرب مجموعة من الكيانات السياسية منذ بداية القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي، فتمكن الخوارج الصفرية من إقامة دولتهم في سجلماسة[1]، واستطاع الخوارج الإباضية تأسيس دولتهم بتيهرت[2]، كما نجح الأدارسة[3] في تكوين دولتهم التي اتخذوا فاس عاصمة لها، وانفرد الأمويون بالأندلس[4]، واستطاع الفاطميون[5] بعد ذلك وهم من يحمل المذهب الشيعي من القضاء على اغلب الكيانات السياسية في المغرب ليدخلوا بعد ذلك في صراع مرير مع أمويي الأندلس كان الدافع إليه مذهبي[6] بالأساس وقد اتخذوا من القيروان عاصمة لهم.

المطلب الأول

أسباب التمكين للمذهب المالكي

كان العامل الحاسم في سيطرة المذهب السني هو رحيل الفاطميين إلى القاهرة والذي يرجعه البعض إلى خوفهم من تفاقم التيار الشـعبي الذي يقوده الفقهاء المالكيون، بالإضـافة إلى سـياسـة الفاطميين السـاعية إلى السـيطرة على المشـرق، وقد ورث آل زيري الصنهاجيين السلطة الفاطمية بالمغرب واستمروا في التضييق على الفقهاء المالكيين ولم يكن أمام آل زيري من خيار سوى مناصرة الشيعة أولياء نعمتهم، إلا أن النشاط المكثف الذي قام به فقهاء المالكية من أمثال ابي بكر اللبار وابي محمد عبد الله البنان وغيرهم ادى إلي تبني المعز ابن باديس للمذهب المالكي وقطع الدعوة للفاطميين، ولقد مثل هذا الحدث بداية سـيطرة المذهب المالكي وانتشاره في عامة المغرب.

(1) قامت دولة بني مدرار الصفرية في سجلماسة سنة 140 هـ على يد أبوا القاسم سمكو ابن واسول المكناسي وقد على مذهب الخوارج، وقد سقطت على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 297 هـ

(2) قامت دولة بني رستم الإباضية الخارجية على يد عبد الرحمن ابن رستم وكانت نهايتها على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 297 هـ

(3) قامت هذه الدولة سنة 172 هـ على يد ادريس ابن عبد الله وسقطت ايضا على يد الفاطميين سنة 297 هـ

(4) قامت دولة بني امية في الأندلس على يد عبد الرحمن ابن معاوية المعروف بالداخل سنة 138 هـ وسقطت سنة 424 هـ

(5) قامت هذه الدولة على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 296 هـ تبنت المذهب الشيعي الإسماعيلي

. ينظر: محمود إسماعيل عبد الرازق: "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة ط 2، 1985

(6) يمكننا الجزم أن امويي الأندلس تبنوا المذهب المالكي خاصة في عهد هشام ابن عبد الرحمن لكننا لا نجد ما يشير إلى سعيهم لنشره بالمغرب

ولقد مثلت القيروان قاعدة للمذهب المالكي واكتسبت شهرة في الغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي[1] بعد ما تعرض له فقهاء المالكية فيها من اضطهاد على يد الأغالبة وفقهائهم الأحناف[2] وعلى يد الفاطميين الشيعة.

هذه الشـــهرة جعلت القيروان قبلة لطلبة العلم والفقهاء وكذلك العامة، ومن هنا نجد مبررا لتوقف يحي ابن إبراهيم بهذه المدينة ولقائه بأبي عمران الفاسي.

المطلب الثاني

لقاء ابن ابراهيم و ابي عمران

قبل أن نلقي الضوء على هذا اللقاء الذي كان عبارة عن الانطلاقة الأولى للحركة المرابطية نلفت الانتباه إلى أن بعض الدارسين[3] يربطون بين المشروع المرابطي، وعملية المد السني التي بدأت في المشرق أي انهم يعتبرون الحركة المرابطية عملية تطويق غربية للمذهب الشيعي استكمالا للدور الذي قام به السلاجقة شرقا، وبالتالي فلا يستبعدون أن تكون رحلة لكدالي إلى الحج كانت سببا في لقائه ببعض الدعاة السنيين في مكة والمدينة خصوصا إذا علمنا أن موسم الحج كان فرصة للدعاة للاتصال بحجاج الأقطار الإسلامية لا بل يذهب أصحاب هذا الطرح[4] إلا أن هؤلاء الدعاة هم من بادر بالاتصال بالأمير الصنهاجي وهم من أحاله إلى قادة المالكية بالقيروان لقربهم من بلاده من جهة ودرايتهم بشؤون الغرب الإسلامي من جهة أخرى.

المهم أن شهرة القيروان كانت العامل الحاسم في مرور يحي ابن إبراهيم بها والذي كان سببا في لقائه بفقيه المالكية ابو عمران الفاسي.

اغلب الدارسين يميلون إلى أن لقاء القيروان كان البداية النظرية لقيام الحركة المرابطية وأن ابو عمران كان حريصا على أن يقوم الصنهاجيون بدعوة دينية مبنية على المذهب المالكي من أجل تصفية الجيوب البدعية التي كان المغرب يعاني منها ولعل اهمها النحلة البرغواطية[5]، ولقد كان مرد هذا الطرح الرواية التي جاءت عند صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى[6] وأن أبا عمران ويحي ابن إبراهيم تحدثا في وضع الغرب الإسلامي وخصوصا عما تشكله هذه النحلة من تهديد لجهود الفقهاء السنيين بالمغرب.

(1) أحمد الشكري: "الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"، المجتمع الثقافي، أبو ظبي 1999 ص: 126

(2) لقد ظهرت في هذا العهد محنة خلق القرآن والتي وجدت صدى عند الأغالبة في المغرب، وقد جاراهم بعض الفقهاء الأحناف، ومن أشهر فقهاء المالكية الذين امتحنوا فيها الإمام سحنون بن سعيد المتوفى 240 هـ

(3) عبد الله العروي: "مجمل تاريخ المغرب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة الثانية، 1992 ص: 112

(4) حماه الله ولد السالم: "تاريخ موريتانيا العناصر الإسلامية"، منشورات الزمن، العدد 9، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2007 ص: 43

(5) . هي مذهب دولة قامت في منطقة تامسنا في المغرب الأقصى في بداية القرن الثاني للهجرة تزعمها صالح بن طريف الذي انسلخ من المذهب الصفري وانتحل مذهبا جديدا اتفق علماء الإسلام في تلك الفترة على انسلاخهم من الإسلام وقد ظلت دولتهم قائمة لفترة طويلة من الزمن دخلوا خلالها في حروب مع القوى السياسية التي ظهرت في المنطقة

(6) ابن الأحمر (إسماعيل): "بيوتات فاس الكبرى"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص: 28

المطلب الثالث

دور المرابطين في نشر المذهب المالكي بالمنطقة

قبل أن نتحدث عنما قام به المرابطون من أجل نشر المذهب المالكي في بلاد السودان لا بأس إذا تعرضنا لطبيعة الإسلام الصنهاجي على ضوء مقابلة ابي عمران ولكدالي.

ونرجح في هذا الصدد أن الإسلام الصنهاجي رغم سطحيته إلا انه كان إسلاما سنيا تميز عما يجاوره من الدوائر الدينية والمذهبية المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم ينسب الصنهاجيون إلى أي من تلك الفرق والمذاهب، ومهما تكن طبيعة إسلام الصنهاجيين فإن قيام الحركة المرابطية جعلهم يحملون لواء نشر المذهب المالكي في المغرب وبلاد السودان.

لقد وقف الدارسون كثيرا عند مقابلة أبي عمران الفاسي ليحيى ابن إبراهيم لكدالي فحاولوا أن يجعلوا من أسئلة القيرواني دلالة للبحث عن كيان سياسي يستطيع أن يقوم بنشر المذهب المالكي والتمكين له في الغرب الإسلامي، ولقد ركز هؤلاء على سؤال الفاسي للكدالي عما ينتحل قومه من المذاهب واعتبروه سؤال غير مجاني، فقد كان الفاسي يسعى من خلاله إلى معرفة طبيعة إسلام القوم وهل مازال هذا الإسلام لم يتأثر بالمذاهب البدعية التي تنتشر على حدود الصحراء وما أن تأكد من عدم وجود لهذه المذاهب لدى أمير صنهاجة حتى وصفه بأنه صحيح النية واليقين[1]

ويعتبر بعض الدارسين أن لقاء الرجلين والذي كان البادرة الأولى لقيام الدولة المرابطية لم يكن اعتباطيا كما أن الحوار الآنف قد يكون بدأ في مكان آخر غير القيروان، فلقد رأينا المكانة التي احتلتها إفريقية في نفوس الملثمين حيث كانت مدينة القيروان على صلات ثقافية وتجارية بصحراء الملثمين كما كان للحج مكانته أيضا لدى القوم لأن سلف ابن إبراهيم قام هو الآخر برحلة حج ربما يكون قد التقى فيها بالقابسي[2]، وبما انه ولى خلفه وصهره يحي ابن إبراهيم على قيادة الملثمين قبل وفاته في ساحة القتال رغم انه لا يمت بصلة إلى بيت الملك في الصحراء فهل يمكننا الافتراض أن ابن تيفاوت أوصى ابن إبراهيم بالحج والاتصال بفقهاء المالكية في إفريقية والمشرق لاستكمال مشروع كان قد بدأ نقاشه مع القابسي وفقهاء المالكية هناك؟

إن أول عمل قام به ابن إبراهيم بعد توليته أمر الملثمين يوحي بأنه كان يسعى إلى تنفيذ وصية سلفه حيث قام مباشرة باستخلاف ابنه إبراهيم ابن يحي ورحل إلى المشرق حاجا في تاريخ اختلفت المصادر في تحديده.

(1) ابن أبي زرع الفاسي (علي ابن محمد): "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، 1999
ص: 155

(2) من كبار علماء المذهب المالكي في القيروان خلال النصف الثاني من القرن 4 هـ رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 352 هـ اشتهر بتضلعه وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام وله مؤلفات عديدة انتهت اليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان، توفي 403 هـ
– ينظر: ابن فرحون: كتاب الديباج المهذب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996
ص: 200

لقد ذكر ابن عذاري[1] أن ابا عمران خرج لأداء فريضة الحج سنة 425 هـ وأنه توفي في القيروان سنة 430 هـ مما يسمح لنا بالاعتقاد بأن أبا عمران أمضى سنوات في الحجاز قبل عودته إلى القيروان وانه التقى أثناء إقامته في الحجاز وخلال موسم الحج بيحيي ابن ابراهيم لكدالي سنة 427هـ إذ من المفترض ان زعيم الملثمين التحق بالحجاج المغاربة الذين بلا شك كانوا تحت قيادة ابي عمران اثناء سير الركب من القيروان إلى المدينة فتم بينهما التعارف هناك لذلك رافقه في العودة ليجدا متسعا من الوقت لوضع خطتهما ولعرض المسألة على طلبة ابي عمران فكانت المقابلة الشهيرة.

ومهما تكن الصيغة التي تم بها اللقاء بين ابي عمران الفاسي ويحي ابن ابراهيم فإن الأول لعب دورا مهما في رسم الخطوط العريضة للمستقبل الثقافي والسياسي لصحراء الملثمين ومعظم أجزاء الغرب الإسلامي والسودان الغربي عن طريق اختياره للملثمين كأداة لتنفيذ مشروع إقامة الدولة السنية المالكية في المنطقة وتمهيدا لذلك كان لا بد لأبي عمران من أن يوفد مع زعيم الملثمين مرشدا قادرا على تنفيذ المهمة الموكلة إليه بدقة وربما يكون ذلك هو سبب عدم اختيار أبي عمران لأحد طلبته القيروانيين لمرافقة الزعيم الصنهاجي مفضلا أن يكلف من هو أقرب إلى ديار الملثمين من فقهاء المالكية فأرسل رسالة إلى تلميذه وجاج بن زلوي اللمطي.

كما أن إحالة الأمير إلى وجاج بن زلوي هي الأخرى تحمل أكثر من دلالة فرغم أن السبب الواضح لها هو أن رباط نفيس قريب من مضارب الملثمين وأن أبا عمران كان على معرفة بصاحب هذا الرباط لا بل وصفه بأنه تلميذه[2] إلا أننا وبالرجوع إلى شخصية وجاج نجده هو الآخر ممن حملوا لواء الدفاع عن المذهب المالكي، فقد تعلم من شيخه ابن تيسيت تقاليد المرابطة والجهاد والتي عمقتها لديه المعارف التي تلقاها عن شيخه الفاسي، مما جعل وجاج يؤسس رباطا سماه "دار المرابطين" ولم تقتصر وظيفة هذا الرباط على التعبئة للجهاد ضد أصحاب البدع بل ركز على بث العلم ونشر الخير حرصا على تحصين العامة وطلبة العلم أمام نحل السوس ومذاهبه، كما ركز عميد دار المرابطين على تكوين طلبته على نظام خاص قوامه الاعتماد على شظف العيش والصرامة في السلوك والدقة في التعليم، وهو أسلوب مكن خريجي "دار المرابطين" من أمثال ابن ياسين من التعامل مع مجتمعات بدو الصحراء الذين يؤثر فيهم بالسلوك والعمل لا باللسان والجدل[3] ولعل اصدق دليل على ذلك هو ما قام به ابن ياسين فور وصوله إلى صحراء الملثمين.

كان اختيار ابن ياسين للمهمة التي انتدب لها وجاج تلامذته موفقا، فابن ياسين كان من الذين ينشدون توحيد الغرب الإسلامي خصوصا بعد رحلته إلى الأندلس التي دخلها في عهد ملوك الطوائف[4] وهي فترة تميزت بتفكك مسلمي الأندلس في وقت استأسد عليهم الإفرنج في بداية الهجمات التي عرفت بحروب الاسترداد، ناهيك انه أمضى سبع سنوات هناك كانت كافية ليلمس بدقة درجة

(1) ابن عذاري، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م ج1، ص: 275

(2) البيان المغرب: مصدر سابق، ص: 275

(3) حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص: 47

(4) مجهول: "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1979 ص: 20

ضعفهم وتخاذلهم أمام الأعداء ولا يستبعد ابن ياسين قد رابط لبعض الوقت في ثغور الأندلس إتباعا لسنن المرابطة ودفاعا عن دار الإسلام.

فنحن وبوصولنا لابن ياسين نجد أنفسنا أمام سلسلة من الفقهاء المالكيين فأبن ياسين تلميذ لوجاج والأخير ممن اخذوا عن ابي عمران وابو عمران رحل إلى الشرق وأخذ عن الباقلاني[1] فنحن إذا حسب العروي امام سلسلة من الفقهاء المهتمين بالدعوة للمذهب المالكي[2] والمعروفين بالاستماتة من اجل التمكين له.

وقبل ان نرصد تحركات ابن ياسين التي اسفرت عن قيام الحركة المرابطية التي ادى قيامها إلى سيطرة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي والسودان الغربي، لا بأس إذا حاولنا أن نعطي مسوغات لتقبل الصنهاجيين للمذهب المالكي منذ ما قبل وصول ابن ياسين وبعده.

لقد مثلت طبيعة المذهب المالكي الأداة الفاعلة للتمكين له في الصحراء وبين القبائل الصنهاجية[3] لا وبل في المغرب كله وحتى في السودان الغربي فطبيعة المذهب المالكي من حيث جوهره قوامها الابتعاد عن أساليب أصحاب علم الكلام والمنطق أي عن الرأي ومن هنا نجد التقليد المالكي القائم على كراهية ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام بحيث أصبح المذهب المالكي "لا يقوم على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية ولعل هذه الخصائص هي التي جعلت المذهب المالكي يمثل الوجه الآخر لعقيدة السلف التي على الأرجح العقيدة التي تقبلها أهل الصحراء لبساطتها ووضوحها، ولعل ذلك ما عناه ابن خلدون بقوله "....إن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس (ومن في حكمهم من أهل الصحراء) ولم يكونوا يعانون الحضارة التي هي لأهل العراق فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضا ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[4]

إن هذه الخصوصية التي امتاز بها المذهب المالكي هي ما جعلته يتلاءم مع صنهاجة الصحراء لكونهم بدوا رحلا لا يستطيعون تقبل الأنساق الفكرية المعقدة فكانوا دائما يميلون إلى الأفكار التي تلائم حياتهم المتمثلة في زهد موغل في البساطة وورع صارم يتمثل في تشدد الأحكام وسد الذرائع إلى جانب قدرة مشهورة على التكيف مع الواقع.

هذه الخصائص جميعها سهلت عملية انتشار المذهب المالكي على يد ابن ياسين وطلبته المرابطين وما أن سيطروا على الصحراء حتى وجدوا أنفسهم أمام نداءين:

(1) الإمام الحضرمي: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1981 ، ص: 9

(2) العروي: مرجع سابق، ص: 112

(3) حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص: 46

(4) ابن خلدون: المقدمة، ضبط ومراجعة الأستاذين خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001 ص: 420

نداء بضرورة توحيد الغرب الإسلامي لمنازلة المسيحيين في الأندلس والقضاء على النحل السائدة في المغرب وذلك ما يمثل صلب مشروع فقهاء المالكية المنظرين الأوائل للحركة المرابطية

ونداء آخر لفتح الممالك السودانية وهو ما يساير هموم الملثمين الصحراويين لارتباطهم بالمجال السوداني والتحرشات التي كثيرا ما يتعرض لها هؤلاء من طرف ملك غانة[1].

ورغم أن النداء الأول كان أكثر إلحاحا إلا أن المرابطين سعوا إلى نشر الإسلام المالكي في السودان الغربي، ولعل ما يفسر ذلك أن الحملات المبكرة التي قام بها المرابطون في بلاد السودان لم تكن عملية فتح إسلامي لهذه المناطق ــ التي من المفترض أن الإسلام تغلغل فيها قبل قيام المرابطين ـ بقدر ما هي عملية "فتح سني" مالكي لمناطق السودان وخاصة إذا علمنا أن الإسلام أخذ طريقه في فترة ما قبل المرابطين على يد تجار ودعاة ينتسبون في أغلب الأحيان إلى مذاهب كالشيعة والخوارج مثلا.

كما قام الدعاة والمعلمون المرابطون بدور مكمل لعملية الفتح العسكري التي قامت بها جيوش المرابطين وذلك ما سبق وأن أشرنا إليه وكان لهم دور بالغ الأثر في انتشار الإسلام السني المالكي في المنطقة فقد كان لقاء السودانيين مع الإسلام بفضل أهل المغرب المالكيين فأحب أهل السودان الإسلام.

ومادام المذهب المالكي مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد، فقد ساهم هذا العامل في ترسيخه في بلاد السودان وذلك ما نلمسه خاصة بعد أن صلب عود المذهب إبان حكم الإمبراطورية المالية[2] حيث كان مذهبا رسميا للدولة وظلوا يتعصبون له ومتمسكين به حتى بعد تعرفهم على المذاهب السنية الأخرى خلال رحلات الحج التي أداها ملوكهم، يقول ابن بطوطة[3] "... ومنها مواظبتهم على الصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها (...) وقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم؟ فقال لا افعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يوما بشاب وفي رجله قيد ثقيل فقلت(...) ما فعل هذا (...) قيل لي إنما قيد حتى يحفظ القرآن".

ويستدل البعض بهذه الإفادة حول مواظبة السودانيين على الصلاة وأداء الفرائض على تبنيهم للمذهب المالكي[4] لأنه يستشف من خلالها ما عرف لدى المالكية من تشدد في الدين وسد للذرائع خاصة إذا عدنا لتجربة ابن ياسين مع القبائل الصنهاجية أثناء تشكل الحركة.

(1) عبد الودود ولد عبد الله: "دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا حتى نهاية القرن 18 الميلادي"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، نواكشوط، العدد الأول، 1996، ص: 20

(2) . هي إحدى الامبراطوريات التي قامت في منطقة السودان الغربي وقد اعتنق ملوكها الأوائل الإسلام وكانت لها علاقات بمحيطها الإقليمي وشهدت رخاء اقتصاديا بفعل عائدات التجارة القوافلية ومن أهم مدنها مدينة جني ومدينة تنبكتو

(3) تحفة النظار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي): "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية للكتاب الطبعة الأولى، بيروت 1991 ص: 265

(4) نقولا زيادة: "إفريقيات – دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 1991 ص: 315

كما يذهب البعض[1] إلى أن الشعوب السودانية التي أسلمت لم تعرف عنف الصراعات المذهبية التي عرفها الأندلس والمغرب لأن المذهب المالكي كان منذ عهد المرابطين هو المعتمد بكيفية تكاد تكون شمولية.

ومجمل القول فإن المذب المالكي الذي يعتبر اليوم المذهب المعتمد في شبه المنطقة استطاع بفعل ظروف سياسية معينة من الانتشار واستمر بفعل طبيعة المذهب التي ساهمت في اعتناقه وتبنيه من طرف شعوب الصحراء والسودان الغربي.

إن منطقة شمال إفريقيا اليوم تتميز بالتناسق والانسجام المذهبي والذي كان نتاج عملية طويلة ومعقدة مكنت المذب المالكي من التفرد بالمنطقة رغم أن معظم المذاهب الإسلامية وجدت طريقها إلى المنطقة لكن تأثيرها ظل محدودا ولم تستطع الوقوف في وجه انتشار المذب المالكي.

(1) محمد زروق: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1991، ص: 111

فهرس المصادر والمراجع

1. **ابن أبي زرع الفاسي** (علي ابن محمد): "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، 1999
2. **ابن الأحمر** (إسماعيل): "بيوتات فاس الكبرى"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972
3. **ابن بطوطة** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي): "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية للكتاب الطبعة الأولى، بيروت 1991
4. **ابن خلدون**: المقدمة، ضبط ومراجعة الأستاذين خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001
5. **ابن عذاري المراكشي** (احمد ابن محمد): "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م
6. **ابن فرحون**: كتاب الديباج المهذب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996
7. **أحمد الشكري**: "الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"، المجتمع الثقافي، أبو ظبي 1999
8. **الإمام الحضرمي**: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1981
9. **حماه الله ولد السالم**: "تاريخ موريتانيا العناصر الإسلامية"، منشورات الزمن، العدد 9، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2007
10. **عبد الله العروي**: "مجمل تاريخ المغرب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة الثانية، 1992
11. **عبد الودود ولد عبد الله**: "دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا حتى نهاية القرن 18 الميلادي"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، نواكشوط، العدد الأول، 1996
12. **مجهول**: "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1979
13. **محمد زروق**: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1991
14. **محمد فال ولد سيدي الغلاوي**: "دعوة المرابطين في صحراء شنقيط وحتى قيام دولتهم بالمغرب"، الطبعة الأولى، 2001
15. **محمود إسماعيل عبد الرازق**: "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة ط 2، 1985
16. **نقولا زيادة**: "إفريقيات – دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 1991.

شبهات الحداثيين حول الأحاديث النبوية
دراسة تحليلية نقدية

الدكتور /نبيل سعيد قايد علي العامري

الأستاذ المتعاون في جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- تخصص حديث وعلومه

nalamri1979@gmail.com

الملخص

جاء هذا البحث الموسوم بـــ شبهات الحداثيين حول الأحاديث النبوية دراسة تحليلية نقدية، والذي يهدف إلى بيان خطورة الحداثيين على الســنة، وتفنيد شــبهاتهم حول الأحاديث النبوية، وتكمن أهمية هذا البحث في أنه تناول شــبهات الحداثيين حول الأحاديث النبوية وفندها بأسلوب نقدي علمي رصين؛ دفاعا عن السنة النبوية وخصوصا في عصر الانفجار الإعلامي الذي انبهر الناس فيه بكل جديد وحديث، وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي؛ لهذا جاء البحث مقســما إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

في المبحث الأول: تناول البحث التعريف بالحداثيين وتأريخ نشأتهم ومدى خطرهم على الإسلام.

وفي المبحث الثاني: تناول البحث شبهات الحداثيين في الأحاديث القدسية وتفنيدها.

وفي المبحث الثالث: تناول البحث شبهات الحداثيين في الأحاديث القولية وتفنيدها.

وفي المبحث الرابع: تناول البحث شبهات الحداثيين في الأحاديث السلوكية وتفنيدها.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

أن شبهات الحداثيين في الأحاديث النبوية تقوم على أساس زعزعة عقيدة المسلمين بسنة نبيهم.

أن تكرار الحداثيين لشبههم في الأحاديث النبوية بألفاظ جديدة يهدف إلى إزالة قداسة السنة المطهرة.

وفي الأخير أوصى البحث بجملة من الوصايا أهمها:

دعوة الجهات ذات العلاقة إلى إنشــاء مراكز متخصــصــة تتصــدى لشــبهات الحداثيين بأســلوب نقدي مســتفيدة من التقنية الحديثة.

عقد مؤتمرات وندوات تهتم بالسنة النبوية والدفاع عنها.

تزويد المناهج الدراسية بجرعات وقائية بأهمية السنة النبوية.

المقدمة

الحمد لله الذي خصنا بالقرآن الكريم أفضل كتاب أنزل، وأكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم خير نبي أرسل، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ النجم: ٣ – ٥ وبعد:

فإنه لا يشك أحد من المسلمين في أهمية السنة النبوية وأنها المصدر الثاني من التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ومن أجل هذا عمل الأعداء جاهدين على التشكيك في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن أخطر السهام العصرية الموجه إليها اليوم شبهات الحداثيين بثوبها القشيب وزيها الإعلامي المتجدد والذي يهدف إلى تشكيك المسلمين في السنة النبوية وزعزعة ثقة المسلمين بقدوتهم صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم- ليس هذا فحسب بل التنصل من كل موروث ثقافي وحضاري، والذي تولى كبر الطعن في السنة هؤلاء حدثاء الأسنان لظنهم أنهم بهذا يحولون بين شمس السنة الناصعة وبين أن تصل إلى المسلمين.

إننا اليوم أمام حرب يداهمنا ليل نهار بوسائل ونظريات الحداثيين الجديدة، فكان الواجب علينا التصدي لها، فجاء هذا البحث الموسوم بـــ" شبهات الحداثيين حول الأحاديث النبوية، دراسة تحليلية نقدية"؛ دفاعا عن السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسلم.

والله أسأل أن يلهمني الصواب وأن يعينني وأن يسهل لي كل حزن وأن يأخذ بيدي إلى كل خير وأن ينفع بنا الأمة والمجتمع.

أهداف البحث:

1. الدفاع عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
2. بيان خطورة الحداثيين على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
3. دحض شبهات الحداثيين المعاصرة المثارة حول الأحاديث النبوية.

أهمية البحث:

1. خطورة شبهات الحداثيين خصوصا في عصر الانفتاح الإعلامي والتواصل الاجتماعي.
2. الاضطرابات الحاصلة لدى بعض المسلمين في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
3. ضعف المتخصصين في السنة وقلتهم مما يؤدي فراغ الساحة منهم وتصدر الحداثيين فيها.
4. الانفتاح الإعلامي وانتشار شبكة التواصل الإعلامي والتقنية الحديثة، يؤدي إلى ذيوع الشبه وانتشارها كانتشار النار في الهشيم.

مبررات اختيار الموضوع:

1. مساهمة مني في الذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ونصرتها.
2. الانبهار بنظريات الحداثيين الجديدة وألفاظهم المنمقة جعل بعض المسلمين ينساق وراء هذه الدعوات وينسلخ من تعليمات السنة النبوية الصحيحة.

3. قلة المتخصصين في السنة النبوية، أدى إلى ظهور الحداثيين وإلقاء شبههم في السنة النبوية؛ وهذا جعلنا نتصدى لشبههم بنقد علمي مقنع وميسر.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في سؤال رئيس هو، هل هناك شبهات للحداثيين تطعن في الأحاديث النبوية؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية:

- ما شبهات الحداثيين حول الأحاديث القدسية؟ وما الرد عليها؟
- ما شبهات الحداثيين حول الأحاديث القولية؟ وما الرد عليها؟
- ما الشبهات حول الأحاديث السلوكية ؟ وما هو الرد عليها؟

معوقات البحث:

– صعوبة جمع شبههم المتفرقة في المراجع، حيث لا توجد في مكان واحد مجموعة.

- ندرة المراجع في هذا المجال وصعوبة الحصول عليها.

منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي على المنهج التحليلي النقدي.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: من شبهات الحداثيين حول الصحيحين(عرض، ونقد) إعداد الدكتور حسن محمد أحمد محمد، كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة في الأقصر جامعة الأزهر.

الدراسة الثانية: الرد على شبهات المستغربين والمستشرقين حول السنة النبوية المطهرة، لمحمد حافظ الشريدة أستاذ العقيدة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين.

الدراسة الثالثة: ما استشكله الحداثيون في صحيح البخاري، دراسة نقدية لنماذج مختارة، مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص: الحديث وعلومه، إعداد: الوليد بن ناصر قصي، إشراف أ. د يوسف عبد اللاوي، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي –معهد العلوم الإسلامية–قسم أصول الدين– فلسطين السنة الجامعية: 3444 3419 هـ/ 0439 0438 م.

الفرق بين دراستي والدراسات السابقة:

كل دراسة ركزت على جانب في رد شبه الحداثيين، وأما بحثي فقد ركزت على شبه الحداثيين الموجه إلى الأحاديث النبوية سواء القدسية أو القولية أو السلوكية.

خطة البحث:

المبحث الأول: التعريف بالحداثيين وتأريخ نشأتهم وأفكارهم.

المطلب الأول ـ التعريف بالحداثيين لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: نشأة الحداثيين ومدى خطرهم على الإسلام.

المبحث الثاني:. شبهات الحداثيين حول الأحاديث القدسية، وتفنيدها.

المطلب الأول: شبهة أن الأحاديث القدسية لم يتكفل الله بحفظها.

المطلب الثاني: شبهة حديث أن الله يدني المؤمن ويقرره بذنوبه.

المطلب الثالث: شبهة حديث كلام الجنة والنار مع الله سبحانه.

المبحث الثالث: شبهات الحداثيين حول الأحاديث القولية، وتفنيدها.

المطلب الأول: شبهة حديث شد الرحال لثلاثة مساجد.

المطلب الثاني: شبهة حديث تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: شبهة الاضطراب في حديث التشهد.

المطلب الرابع: شبهة حديث الذباب.

المبحث الرابع: شبهات الحداثيين حول الأحاديث السلوكية، وتفنيدها.

المطلب الأول: شبهة بو ل النبي صلى الله عليه وسلم قائما.

المطلب الثاني: شبهة طوافه صلى الله عليه وسلم بنسائه.

المطلب الثالث: شبهة تعظيمه صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود.

المطلب الرابع: شبهة محاولة النبي صلى الله عليه وسلم الانتحار.

المطلب الخامس: أحاديث المعجزات

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالحداثيين وتأريخ نشأتهم ومدى خطرهم على الإسلام

المطلب الأول

التعريف بالحداثيين لغة واصطلاحا

الحداثة لفظ مشتق من الحديث، والأحدث، بمعنى الجديد، والمتجدد، وتعني أول العمر، والشباب[1]، وأول الأمر وابتداؤه[2]، ورجُ ل حَدَث السِّنِّ وحَديثُها، بَيِّنُ الحَداثَةِ والحُدوثَةِ: فَتِيٌّ[3].

والحداثة هي ابتداع فكرة لم يكن لها وجود، والحداثة في اللغة الإنجليزية (Modernity).

الحداثيون اصطلاحا:

الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها[4].

الحداثة: مصطلح أُطلق على عدد من الحركات الفكريَّة الدَّاعية إلى التَّجديد والثَّائرة على القديم في الآداب الغربيّة وكان لها صداها في الأدب العربيّ الحديث خاصّة بعد الحرب العالميّة الثَّانية "يميل كثير من المبدعين الآن إلى الحداثة باسم التَّجديد وتارة الصِّدق الفنيّ"[5].

وعلى هذا فالحداثي: هو صاحب أيديولوجيا تقوم على قراءة الواقع والنصوص وفق معطيات مسبقة تعتمد على أولية العقل والشك والتفكيك... ويتعاطى مع الحداثة على أنها نهايات معرفية توزن بها الحقائق، بينما يتعاطى مع النصوص على أنها معطيات فكرية قابلة للنقد والتحوير[6].

(1) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (2/ 132)، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

(2) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) (1/ 160)، دار الدعوة.

(3) القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ص: 167)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.

(4) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني (3/ 1070)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420 هـ.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحِميد عمر (1/ 454)، عالم الكتب

الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

(6) الحداثة وموقفها من السنة، للحارث فخري عيسى عبدالله (ص: 35) دار السلام- القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م.

المطلب الثاني

نشأة الحداثيين ومدى خطرهم على الإسلام

ظهرت الجهمية[1] في أواخر عصر التابعين، وكانوا أول ممن عارض الوحي وقدّم العقل على النقل[2]، وفي أول المائة الثالثة عظم أمر المعتزلة التي تميزت بتقديم العقل على النقل[3]. قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: " إن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم فلم يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا علم لنا فعارضوا السنن برأيهم إياك وإياهم[4].

ثم اندثر المذهب الاعتزالي ولم تظهر فرقة تمجد العقل إلا أفردا هنا وهناك حتى جاءت المدرسة العقلانية لتحي تمجيد العقل من جديد.

أما في الغرب فقد جاء تمجيد العقل كرد فعل لطغيان الكنيسة، في ما يسمى بالعصور المظلمة فلما حدث التطور العلمي في الغرب ظن المبهورون من العرب بالتقدم الغربي وأن هذا جاء نتيجة لتمجيد العقل وإلغاء الدين والثورة ضد الكنيسة، فجاءت مدرسة الحداثيين العرب في القرن التاسع عشر– إبان الحملة الفرنسية على مصر– تقدس العقل والعلم على حساب تنحية الدين عن حياة الناس، حتى يقول أحدهم: "أكاد وأقطع بأننا لو سرنا في طريق التقليد مئات السنوات وانحرفنا عن نهر العقل فلن نستطيع التقدم خطوة واحدة في سبيل إرساء دعائم فلسفتنا العربية وكشف ما فيها من مواطن القوة والضعف"[5].

واشتد هجومهم على السنة النبوية المطهرة وهدفهم إسقاط القدوات من حياة المسلمين، حتى يصلوا في نهاية الأمر إلى الطعن في القرآن الكريم عند ذلك يكونوا قد طعنوا في المصدر الوحيد للمسلمين، لقد مكنت أوروبا خبراء ومفكرين ليضعوا الخطط ويدرسوا الإسلام ويحددوا عناصر القوة فيه ليحاربوه وهم به عالمون وكانت عناصر القوة التي حددوها القرآن، السنة بشقيها: الجانب النظري –الأحاديث–، والجانب السلوكي التطبيقي –شخصية الرسول–.

(1) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان، وهي فرقة تعطل صفات الله عز وجل. الاعتقاد لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ص: 31)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء،ط1، 1423هـ – 2002م.

(2) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (3/ 807)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1408هـ. نقض أصول العقلانيين لسليمان بن صالح الخراشي(2/ 25)، دار علوم السنة.

(3) الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية (1069/3)

(4) الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (1/ 221)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، مكان النشر: السعودية / الرياض، سنة النشر: 1419هـ – 1999م.

(5) ثورة العقل في الفلسفة العربية، لمحمد عاطف العراقي (ص: 13)، دار المعارف– القاهرة، ط4، 1978م.

أفكار ومعتقدات الحداثيين:

ونجمل أفكارهم ومعتقداتهم[1] في الآتي:

- محاربة الدين بالفكر وبالنشاط.
- الحيرة والشك والقلق والاضطراب.
- تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.
- الهروب من الواقع إلى الشهوات.
- الثورة على القديم، إلا الحركات الشعوبية والباطنية.
- الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.
- قلب موازين المجتمع والدعوة على تحرير المرأة من أحكام الشريعة.
- معالجة الحالات النفسية بالهوس والخيال بعد فشل العقل في مجابهة الواقع.
- إبراز شخصيات عُرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي وغيرهما.

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب (2/ 868 وما بعدها).

المبحث الثاني

شبهات الحداثيين حول الأحاديث القدسية، وتفنيدها

المطلب الأول

شبهة أن الأحاديث القدسية لم يتكفل الله بحفظها

يدعي الحداثيون أن الأحاديث القدسية ليست من عند الله؛ لأنها لو كانت من عند الله ما كان منها: الضعيف والموضوع؛ لأن الله قد تكفل بحفظ كلامه فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وما دام أنها ليست من عند الله فكيف نثق بها ونجعلها مقدسة؟[1]

تفنيد الشبهة:

الأحاديث القدسية الصحيحة التي يرويها النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى، هي جزء لا يتجزأ من السنة وإنكارها إنكار لجزء عظيم من السنة الشريفة، وللعلماء فيها رأيان: الأول: أنها كلام الله وليس للنبي صلى الله عليه وسلم إلا حكايتها عن ربه. والثاني: أن معناها من الله ولفظها من عند النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أرجح القولين كما قال الشيخ عبد الله دراز[2]، وما دام أنها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فهي محفوظة؛ لأن ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم وحي قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾ النجم: ٣- ٤، أما أنه يدخلها الضعيف والموضوع فنعم، ولكن رد الأحاديث القدسية جملةً بدعوى أنه يدخلها الضعيف والموضوع فدعوى باطلة؛ لأن الله قيض للسنة جهابذة العلماء ينفون عنها الضعيف والموضوع، والأحاديث القدسية كغيرها من الأحاديث مُحِّصت وبُيّن صحيحُها من ضعيفها من موضوعها[3].

المطلب الثاني

شبهة حديث أن الله يدني المؤمن ويقرره بذنوبه

حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا

(1) www.bayanelislam.net/suspicion.aspo? تاريخ التصفح 2021/10/6م

(2) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ص: 44)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع،1426هـ- 2005م.

(3) www.bayanelislam.net/suspicion.aspo? تاريخ التصفح 2021/10/6م

وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته... » [1]. فشبهتهم: أن هذا الحديث يتكلم في الغيب، والله قد استأثر بعلمه، وهو مما يشكل فهمه بالعقل [2].

تفنيد الشبهة:

نعم، لقد اختص الله بعلم الغيب فقال عز وجل: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ النمل٦٥، حتى رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم نفى علمه بالغيب، فقال عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ الأعراف ١٨٨. ولكن الله جل جلاله يطلع على غيبه من يشاء من عباده، فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ الجن ٢٦ – ٢٧.

وعلى هذا فأحاديث الغيب المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة متواترة في أغلبها، والمسلمون لم يأخذوا هذه الأحاديث دون فحص وتحقق فمنها الصحيح ومنها الموضوع.

أما أنه مما يشكل فهمه فغير صحيح إذ هذا الحديث مما يسهل تأويله، فمعنى يدني الله العبد المؤمن بأنه قريب من رحمة الله، وعطائه، وكرمه، فأولياء الله قريبون من ربهم، كَمَا أَن أعداءه بعيدون مِنْه، وَيَعْنِي بذلك قرب الدرجَة، وعلو الْمرتبَة، وَيُراد ببعد أَعدَاء الله مِنْهُ بعدهمْ من رَحمته، وكرامته، ومنه قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ق: ١٦ وقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ الواقعة: ٨٥ ؛ لأَن ذَلِك يرجع إِلَى الْقرب بِمَعْنى الْعلم، وَالْقُدْرَة، والسمع، وَالْبَصَر، فَأَما القرب الذي بِمَعْنى الْكَرَامَة فَهُوَ كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ النجم: ٩ [3]. كما أن الكنف في اللغة يأتي بمعنى الستر والناحية[4]، والمعنى: أنه – تعالى – يستر عبده عن رؤية الخلق له؛ لئلا يفتضح أمامهم، فيخزى، لأنه حين السؤال والتقرير بذنوبه تتغير حاله، ويظهر على وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه الكرب والشدة[5].

المطلب الثالث

شبهة حديث كلام الجنة والنار مع الله سبحانه

(1) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى { ألا لعنة الله على الظالمين } (2/ 862) رقم الحديث (2309). أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (4/ 2120) رقم الحديث(2768).

(2) تجريد البخاري ومسلم من أحاديث لا تلزم، لجمال البنا(ص: 196)، دعوة الإحياء الإسلامي– القاهرة. شبهات الحداثيين حول الصحيحين، لحسن محمد (ص: 1234).

(3) مشكل الحديث وبيانه، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبي بكر (ص: 155-156) تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – بيروت، ط2،1985م.

(4) مشارق الأنوار على صحاح الآثار لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (1/ 343)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (9/ 308)، دار صادر – بيروت، ط1.

(5) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله بن محمد الغنيمان (2/ 422)، مكتبة الدار، المدينة المنورة،ط1، 1405 هـ.

حديث: « تحاجت الجنة والنار، فقالت: النار أُوثَرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضـــعفاء الناس وســقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشــاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز و جل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا»[1]. فشبهة الحداثيين: أن الحديث تظهر عليه دلالات الوضع، وأن الله منزه عن مشابهة المخلوق[2].

تفنيد الشبهة:

الحديث صحيح رواه الشيخان، ولا يصح الحكم بأنه موضوع مجازفة وبجرة قلم.

أما نسبة الرجل إلى الله، فهي كنسبة اليد، والعين لله الكريم، وعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه الصفات حملهما على الحقيقة دون تجسيم، أو تكييف، وتنزيه دون تعطيل، أو تحريف. يقول الإمام الذهبي في معتقد أهل السنة والجماعة: "يثبتون لله عز وجل الصفات ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل"[3].

قال القسطلاني: "فالقدم، والرجل من صفات الله تعالى المنزه عن التكييف، والتشبيه، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه "ليس كمثله شيء"[4]، أو نوجد معنى مناسبا للفظ الرِّجْل يقتضي تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث بأن يحمل وضع الرجل، أو القدم على زجر النار كما يقال فلان تحت رجلي"[5] أو قدمي، وذلك لما بالغت النار في الطغيان، وطلبت المزيد، وضـــعها تحت القدم، وليس المراد بالقدم الجارحة، ولكن المقصود إذلال النار، والعرب تستخدم الأعضاء في ضرب الأمثال كقولهم: سقط في يده، أو رغم أنفه[6].

(1) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ق (4/ 1836) رقم الحديث (4569)، أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (4/ 2186) رقم الحديث (2846).

(2) تجريد البخاري ومسلم من أحاديث لا تلزم، لجمال البنا(ص: 196)، دعوة الإحياء الإسلامي– القاهرة.

(3) العرش، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (1/ 30)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ/2003م.

(4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (7/ 354)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.

(5) طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (8/ 177)، الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

(6) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (3/ 1909–1910)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409هـ - 1988 م.

المبحث الثالث

شبهات الحداثيين حول الأحاديث القولية، وتفنيدها.

المطلب الأول

شبهة حديث شد الرحال لثلاثة مساجد

حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه و سلم ومسجد الأقصى »[1] اتهم الحداثيون الزهري: أنه وضعه لعبد الملك بن مروان[2].

تفنيد الشبهة:

هذه الشـــبهة تخالف العقل والنقل، فمن ناحية النقل فهي لا ســـند لها، ومن ناحية العقل الحكاية تذكر: أن الزهري وضـــع الحديث لعبد الملك بن مروان حين منع الناس الذهاب للحج، حتى لا يبايعوا ابن الزبير، وابن الزبير قتل سـنة 73هـ، والزهري إنما قدم على عبد الملك سـنه 82هـــ، فكيف يعقل أن يكون الزهري وضـع لعبد الملك بن مروان هذا الحديث وقد تبين أنه لم يلقه بعد؟!!

ثم إن حديث "لا تشد الرحال" قد رواه الزهري (ت124هـ) عن شيوخه كسعيد بن المسيب (ت94هـــ)، وعروة بن الزبير (ت97هـ وقيل قبلها)، فلا يعقل أن يسكت هؤلاء وهم الغيورون على السنة، دون أن ينكروا على الزهري ذلك.

لو صح وضعه لعُدَّ قدحاً في علماءِ الحديثِ في ذلك العصر وبعده؛ حيث لم يتنبهوا ولم ينبهوا على ذلك، فعلم أن ذلك كذبٌ لا أصل له.

أن الحديث المذكور له متابعاتٌ كثيرة للزهري. وله شواهد أخرى أيضاً عن غير أبي هريرة [3].

(1) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (2/ 60) رقم الحديث (1189)، أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (2/ 1014) رقم الحديث (1397).

(2) هذه الشبهة أخذوها من تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ص: 214).

(3) مرويات الإمام الزهري في المغازي، لمحمد بن محمد العواجي (1/ 141)، ط1، 1425هـ/2004م..

المطلب الثاني

شبهة حديث تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1] شبهتهم: أن كلمة " متعمدا" أدرجت ليُسَوِّغُوا وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]!!

تفنيد الشبهة:

الحديث جاء بلفظ" متعمدا" من طرق تصل به إلى درجة التواتر[3]، كما أن طرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى، والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد، ومن دواعي الترجيح أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، كما أن الزيادة جاءت في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وكان قارئا كاتبا – كما في الصحيح – فروايته أوثق من غيره[4].

أما أن كلمة " متعمدا" سوغت الكذب الغير متعمد فمردود؛ لأن رفع إثم الخطأ والنسيان مرفوع بأدلة أخرى، قال النووي: وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمدا كان أو سهوا، هذا مذهب أهل السنة. وقالت المعتزلة: شرطه العمدية ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيده عليه الصلاة السلام بالعمد لكونه قد يكون عمدا وقد يكون سهوا مع أن الاجماع والنصوص المشهورة في الكتاب والسنة متوافقة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسي والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يأثم الناسي أيضا فقيَّده. وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيَّدة بالعمد والله أعلم[5].

مع هذا فقد جعل بعض أئمة الحديث ما ألحق بالحديث غلطا أو سهوا أو خطأ من قبيل الشبيه بالموضوع، ولا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أمره، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح من قبيل الموضوع المختلق، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن في عدالة الراوي وضبطه[6].

أما الفرقة المنحرفة التي جوزت الكذب له لا عليه، فهذا جهل مطبق حيث يتهم الدين بالنقص فأتى هذا الدعيّ ليكمل النقص بالكذب لرسول الله فيمتن عليه ويستدرك![7]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 434) رقم الحديث (1229) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 10) رقم الحديث (2).
(2) ذكر هذه الشبهة محمود أبو رية في أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، لمحمود أبو رية(ص: 32)، دار المعارف – القاهرة، ط6.
(3) فتح الباري لابن حجر (1/ 200).
(4) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (ص: 52)، مكتبة السنة، ط1، 1989 م.
(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (1/ 69)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1392هـ.
(6) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لأبي شهبة (ص: 53).
(7) كيف نتعامل مع السنة النبوية، ليوسف القرضاوي (ص: 48)، دار الشروق، ط1421،1هـ-2000م.

المطلب الثالث

شبهة الاضطراب في حديث التشهد

حديث التشـهد، قالوا عنه: أنه مضـطرب، فقد ورد عن الصـحابة بثمان صـيغ مختلفة[1] ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمعنى لقلنا عسى، ولكنها من الأعمال المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم...».

تفنيد الشبهة:

هذه التشـهدات لم تقل في قصـة واحدة بل قالها النبي صـلى الله عليه وسـلم في وقائع متفرقة بهذه الألفاظ المتغايرة، ليبين للأمة أن التشهد بأي منها جائز.

قال ابن قدامة الحنبلي: وبأي تشـهُد تشـهَد مما صـح عن النبي صـلى الله عليه وسـلم جاز؛ لأن النبي صـلى الله عليه وسـلم لما علَّمه الصـــحابة مختلفا دل على جواز الجميع، كالقراءات المختلفة التي اشـــتمل عليها المصـــحف»[2]، وقد اختلف العلماء في ترجيح بعضها على بعض، فالجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس، والمالكية بتشهد عمر [3].

وهكذا في كل الأحاديث التي طعن فيها الحداثيون فمن هذا القبيل، فعَلَامَ هذا الضجيج والشغب؟! فإنما يدل على أن هدفهم إزالة القداسة عن السنة النبوية المطهرة وأنى لهم ذلك!

(1) تشهد ابن مسعود، أخرجه البخاري (1/ 286) رقم الحديث(797)، وأخرجه مسلم .(1/ 301) رقم الحديث (402)، وتشهد ابن عباس أخرجه مسلم (1/ 302) رقم الحديث (403)، أخرجه أبو داود سنن أبي داود ت الأرنؤوط (2/ 223) رقم الحديث (974) وأخرجه بقية أصحاب السنن، وتشهد عمر بن الخطاب أخرجه موطأ مالك ت عبد الباقي (1/ 90) رقم الحديث (53)، وأخرجه السنن الكبرى للبيهقي (2/ 205) رقم الحديث(2838). وتشهد أبي سعيد الخدري، أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم (ص: 202) رقم الحديث(174). وتشهد جابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه (1/ 292) رقم الحديث(902)، وأخرجه النسائي (3/ 43) رقم الحديث (2/ 70) رقم الحديث (1281)، وأخرجه الترمذي في العلل (ص: 72) رقم الحديث (105)، وتشهد عائشة أخرجه مالك في الموطأ ت عبد الباقي (1/ 91) رقم الحديث (56). وتشهد أبي موسى الأشعري أخرجه مسلم (1/ 303) رقم الحديث (404)، أخرجه ابن ماجه (1/ 291) رقم الحديث (901) وأخرجه أبو داود (1/ 255) رقم الحديث (972). وتشهد سمرة بن جندب أخرجه أبو داود ت الأرنؤوط (2/ 224) رقم الحديث (975). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 250) رقم الحديث (7018) وتشهد ابن عمر أخرجه موطأ مالك ت عبد الباقي (1/ 91) رقم الحديث (54).

(2) المغني، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (1/ 385)، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م

(3) فتح الباري، لابن حجر (2/ 315 وما بعدها).

المطلب الرابع

شبهة حديث الذباب

حديث «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء» [1]. فقد قالوا: كيف يكون الذباب الذي هو مصدر الجراثيم فيه دواء؟! وكيف يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد؟! وهل الذباب يعقل فيقدم أحد الجناحين على الآخر؟! [2].

تفنيد الشبهة:

هذا الحديث صحيح من حيث المتن والسند فقد رواه الإمام البخاري كما هو واضح في التخريج، والنقد الذي وجه لهذا الحديث ليس من جهة السند وإنما من جهة المتن المخالف للعقل، والحق أنه لا مانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد، فالنحلة اجتمع فيها السم والعسل، والحية يُصنع من لحمها علاجٌ لسمها، ثم إن الله الذي هدى النحلة إلى أن تبني بيتها على أعظم نظام هندسي، وهدى النملة أن تدخر قوتها لأوان حاجتها، وأن تفلق الحبة نصفين لئلا تنبت، لقادر على أن يلهم الذبابة أن تقدم جناحا وتؤخر آخر، وشاء الله أن يظهر سر هذا الحديث للعالم فيكون دليلا على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإعجازا علميا اكتشفه الأطباء المعاصرين الغرب، ولو كانوا أطباء مسلمين لربما قال قائلهم: إنهم متحيزون للحديث ولكنهم جميعا أطباء لا يمتون إلى الإسلام الحنيف بصلة، كما جاء في أحد المجلات العلمية أن الذبابة إذا وقعت على الأكل فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية، وفي المقابل توجد على بطن الذبابة مواد مضادة تقتل هذه الجراثيم المرضية، فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق هذه المضادات إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية ويسبب انفجار المستطيلة واندفاع البذور والسائل. وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية، وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث، وهي أن في أحد جناحيها داء (أي في أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التي حملتها) وفي الآخر شفاء، وهو المواد المضادة للحيوية التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا [3].

إن هذا لا يعني أن لا نهتم بالنظافة أو عدم مقاومة الذباب، كما لا يعني وجوب غمس الذباب وإخراجه، بل الأمر فيه للإرشاد والتعليم، كما أنه لم يرد أمر بوجوب الشرب والأكل بعد غمس الذباب وإخراجه، بل هذا متروك لنفس الإنسان فمن

(1) أخرجه البخاري (3/ 1206) رقم الحديث(3142). وأبو داود سنن أبي داود ت الأرنؤوط (5/ 654) رقم الحديث(3844) والنسائي (7/ 178) رقم الحديث(4262) وابن ماجه سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (4/ 540) رقم الحديث(3504).

(2) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لأبي شهبة (ص: 169).

(3) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لأبي شهبة (ص: 170)

عافته نفسه فلا حرج عليه ولا يعد ذلك نقصا في إيمانه، فقد يكون الشيء حلالا ولكن النفس تعافه كالضب فقد كان أكله حلالا ولكن عافته نفس رسول الله صلى اله عليه وسلم[1].

(1) www.islamweb.net، تاريخ التصفح 2021/10/6م

المبحث الرابع

شبهات الحداثيين حول الأحاديث السلوكية وتفنيدها.

المطلب الأول

شبهة بول النبي صلى الله عليه وسلم قائما

حديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم بال قائماً »[1] فقالوا: فيه انتقاص من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وإساءة له، ثم إن عائشة أنكرت بوله صلى الله عليه وسلم قائما، وقالت: «من حدثكم أنه كان يبول قائما فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا قاعدا»[2].

تفنيد الشبهة:

إن المتتبع لسيرته صلى الله عليه وسلم يجد أن أكثر بوله قاعدا. أما حديث بوله قائما فقيل: لبيان الجواز، وقيل: لوجع كان بمأبضيه، وقيل: فعله استشفاء. قال الشافعي: والعرب تستشفي من وجع الصلب بالبول قائما. والصحيح أنه إنما فعل هذا لما أتى سباطة قوم- وهو ملقى الكناسة- وتسمى المزبلة، وهي تكون مرتفعة، فلو بال فيها الرجل قاعدا لارتد عليه بوله، وهو صلى الله عليه وسلم استتر بها وجعلها بينه وبين الحائط فلم يكن بد من بوله قائما[3]. قال ابن قتيبة: ونحن نقول ليس ههنا بحمد الله اختلاف، ولم يبل قائماً قط في منزله والموضع الذي كانت تحضره فيه عائشة رضي الله عنها، وبال قائماً في المواضع التي لا يمكن أن يطمئن فيها، أما للندى في الأرض وطين أو قذر. وكذلك الموضع الذي رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة يبول قائماً، كان مزبلة لقوم، فلم يمكنه العقود فيه، وحكم الضرورة خلاف حكم الاختيار[4].

المطلب الثاني

شبهة طوافه صلى الله عليه وسلم بنسائه

حديث «أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة»[5]. وشبهتهم: أن هذا الحديث فيه إساءة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم إذ الرجل لا يطيق ذلك[6].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 90) رقم الحديث (222) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 228) رقم الحديث (273)

(2) أخرجه الترمذي في سننه (1/ 17) رقم الحديث (12)، أخرجه ابن ماجه في سننه (1/ 112) رقم الحديث (307).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (1/ 65)، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ /1994م.

(4) تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص: 152)، المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق، ط2، 1419هـ – 1999م

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 2000) رقم الحديث(4917).

(6) جناية قبيلة حدثنا، لجمال البنا(ص: 96)، دار الشروق- القاهرة.

تفنيد الشبهة:

من الخطأ قياس البشر لبعضهم في قوة الشهوة إذ هي متفاوتة بين البشر أنفسهم، كما أنها مرتبطة بمدى تقوى الرجل وقوته البدنية، قال ابن حجر: و ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أبلغ المعجزة؛ لأنه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد، وهن إحدى عشرة امرأة ويقال: إن كل من كان أتقى لله فشهوته أشد لأن الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه[1].

المطلب الثالث

شبهة تعظيمه صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود

حديث عمر بن الخطاب حين قبَّل الحجر الأسود وقال: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» [2]، قالوا: تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود واستلامه فيه تعظيم للحجر الأسود كما كان المشركون يعظمون الأحجار[3].

تفنيد الشبهة:

في الحقيقة كان مما استبقاه الإسلام من أحوال السابقين التعاون على المعروف ونصرة المظلوم كما في حلف الفضول فقد اثنى عليه صلى الله عليه وسلم فقال: « لو دعيت إلى مثله في الاسلام لأجبت» [4]، وكذلك ما ورثوه عن أبيهم إبراهيم –عليه السلام– من تعظيم الكعبة والطواف حولها وتقبيل الحجر الأسود وكذلك وردت روايات «أن الحجر الأسود من الجنة» [5].

كما يستحيل أن يكون تقبيل الرسول صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود من باب المجاراة للقوم في عبادة الأصنام كما يستحيل أن يفعله صلى الله عليه وسلم دون وحي فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « خذو عني مناسككم» فتقبيل الحجر الأسود وتعظيمه هو امتثال لأمر الله، وجزء من مناسك الحج والعمرة، تماما كرمي الجمرات بالأحجار والطواف حول البيت[6].

---

(1) فتح الباري، لابن حجر (6/ 462).

(2) صحيح البخاري (2/ 149)(1597) صحيح مسلم (2/ 925)(1270)

(3) شبهات وافتراءات حول الرسول صلى الله عليه وسلم وردود كبار العلماء عليها، لمحمد عبد الحليم عبدالفتاح(ص:14) دار الكتاب العربي– دمشق – القاهرة، ط1، 2007م

(4) أخرجه النسائي في المجتبى (5/ 226) رقم الحديث (2935)، أخرجه الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (3/ 276) رقم الحديث (2147) تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، ط2، 1414هـ، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(6/ 596) رقم الحديث (13080)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط3،1424هـ - 2003م.

(5) أخرجه أحمد في مسنده (21/ 380) رقم الحديث (13944)، أخرجه النسائي في المجتبى (5/ 226) رقم الحديث (2935).

(6) شبهات وافتراءات حول الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد عبد الحليم (ص:14-15).

المطلب الرابع

شبهة محاولة النبي صلى الله عليه وسلم الانتحار

حديث عائشة رضي الله عنها: «...وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»[1]. قالوا: أن النبي صلى الله عليه وسلم حاول الانتحار؛ وهذا إنما يأتي نتيجة اضطرابات نفسية[2].

تفنيد الشبهة:

هذه الشبهة واهية جدا وتدل على عدم فهم لشرط البخاري في صحيحه فهذه القصة هي من بلاغات الزهري وليست من شرط البخاري، وقد ذكر البخاري روايات أخرى للحديث بدون هذه القصة تدل على عدم صحة القصة لا سندا ولا متنا[3].

وعلق ابن حجر العسقلاني على الحديث في فتح الباري فقال: "إن القائل فيما بلغنا هو الزهري ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا وقال الكرماني: هذا هو الظاهر" [4].

ثم لا حرج في أنه قد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم حزنٌ لانقطاع الوحي، فغدا إلى رؤوس الجبال- المكان الذي التقاه- يتلمس جبريل فظن راوي الحديث أنه يريد أن يلقي بنفسه، وقد أخطأ الراوي في ظنه؛ لأن الله عصم رسله في قلوبهم وعقولهم وأخلاقهم[5].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 2561) رقم الحديث (6581).

(2) تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، سامر إسلامبولي (ص:249)، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر- الإسكندرية – مصر، ط3، 2019م.

(3) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (3/ 162-163)، دار المعارف- الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ-1992م.

(4) فتح الباري، لابن حجر (12/ 359)

(5) مقال " الرد على شبهة محاولة انتحار النبي صلى الله عليه وسلم، تاريخ التصفح 2021/10/6م.

المطلب الخامس

أحاديث المعجزات

حديث « نبع الماء بين أصابعه ووضوء الجيش منه»[1]، وحديث «سقيه العدد الكبير من الماء اليسير»[2]، وحديث «إشباعه الخلق الكثير من الطعام القليل»[3]، يزعم أحد الحداثيين: بأن هذه الأحاديث رموز من نسج الخيال الشعبي[4].

تفنيد الشبهة:

إن هذه القراءة الحداثية لنصوص السنة فيها إنكار للمعجزات التي هي من أعلام النبوة وصدقها، وقد بلغت بمجموعها حد التواتر، والتي كانت على مرأى ومسمع من جلِّ الصحابة، فلم يُنقلْ إلينا لها معارضة أو إنكار[5]، وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حين ضربه موسى عليه السلام بالعصا؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم[6].

أما تكثير الطعام القليل بقدرة الله تعالى وبركة النبي صلى الله عليه وسلم فله ما يؤيده من الواقع، فقد تظن الطعام الكثير يكفي فتتفاجأ أنه لا يكفي القليل، والعكس فقد تظن أن الطعام القليل لا يكفي الكثير فتتفاجأ بأنه يكفي ويزيد[7].

(1) أخرجه البخاري (1/ 84) رقم الحديث (197)، أخرجه مسلم (4/ 1783) رقم الحديث (2279).

(2) أخرجه مسلم (4/ 1784) رقم الحديث (706)، أخرجه مالك (1/ 143) رقم الحديث (2).

(3) أخرجه البخاري (4/ 1505) رقم الحديث (3876) أخرجه مسلم (3/ 1610) رقم الحديث (2039).

(4) من العقيدة إلى الثورة(148/4وما بعدها)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة2020م.

(5) إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (7/ 242) . تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- ط1، 1419 هـ - 1998 م.

(6) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (1/ 220)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: 1387 هـ.

(7) الحداثة وموقفها من السنة، للحارث فخري(ص:376).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فمن خلال تنقلي بين مراحل البحث استخلصت:

نتائج البحث:

1. أن الحداثة دعوة للتنصل من كل موروث ثقافي حتى ولو على حساب الدين.
2. أن اعتماد الحداثيين في شبههم يقوم على اجتزاء النصوص حسب أهواءهم.
3. أن هدف الحداثيين من الطعن في الأحاديث إزالة قداسة السنة عند المسلمين.
4. أن أسلوب النقد العلمي هو الأسلوب المناسب لدحض شبه الحداثيين.
5. أن قوة الإسلام وحجته هي في الكتاب والسنة؛ لهذا لجأ الموتورون إلى الدس وإلقاء الشبه فيهما.
6. أن ثوب الحداثة ما هو إلا غطاء لزعزعة عقيدة الشباب المسلم والالتزام بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
7. أن شبه الحداثيين حول الأحاديث النبوية تنم عن جهلهم الذريع بعلوم السنة فهي بحر لم يصل إلى شاطئها فحول العلماء المسلمين فكيف بهؤلاء.
8. أن ادعاء الحداثيين النقد العلمي للنصوص ما هو إلا غطاء حتى يحملوا الناس على الجرأة على السنة النبوية.
9. لقد أقام الله لدينه ونبيه صلى الله عليه وسلم في كل عصر ومصر من يدحض شبه أعداء الإسلام حول كتاب الله – تبارك وتعالى – وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وهذه الطائفة القائمة على الحق والمنافحة عنه لن يخلوا منها عصر من العصور كما هي سنة الله في الأكوان: أن الحق لا بد له من أنصار وأعوان حتى ولو ظهر الباطل على الحق، وكثر ناصروه، وهذه الطائفة هي القائمة على الحق والناصرة له.

توصيات البحث:

1. إقامة مراكز متخصصة للذب عن القرآن الكريم والسنة المطهرة مستفيدة من التقنية الحديثة، تقوم على دراسة الأحاديث المشكلة التي ظاهرها التعارض والمخالفة للعقل والواقع؛ وذلك حتى لا يتعرض الشباب الإسلامي اليوم للوثات فكرية.
2. تحصين الشباب من خلال المناهج الدراسية ضد شبه الحداثيين.
3. تشجيع الباحثين والمؤلفين وأهل الاختصاص ليستمروا في الدفاع عن السنة ودحض شبه الحداثيين والمستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام.
4. عقد المؤتمرات والندوات و(المناظرات مع الحداثيين) في هذا المجال وإحضار المتخصصين لخدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
5. إلقاء الدروس والمحاضرات في هذا المجال في المساجد والمنتديات والاستفادة من القنوات وكافة وسائل الاعلام.

فهرس المراجع والمصادر

القران الكريم

1. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،1387 هـ.
2. تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي
3. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط- مَحَمَّد كامِل قره، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ- 2009م.
4. المجتبى من السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ – 1986م.
5. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م.
6. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ - 1975م.
7. الاعتقاد، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء،ط1، 1423هـ - 2002م.
8. الحداثة وموقفها من السنة، للحارث فخري عيسى عبدالله، دار السلام- القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م.
9. تجريد البخاري ومسلم من أحاديث لا تلزم، لجمال البنا، دعوة الإحياء الإسلامي- القاهرة.
10. تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، سامر إسلامبولي، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر- الإسكندرية – مصر، ط3، 2019م.
11. موطأ مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: 1406 هـ - 1985م.
12. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات،ط3، 1424 هـ - 2003 م.
13. تقييد العلم، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي، إحياء السنة النبوية – بيروت.
14. علل الترمذي الكبير، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: صبحي السامرائي، أبو المعاطي النوري، محمود خليل الصعيدي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية – بيروت، ط1، 1409هـ.
15. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994م).

16. جناية قبيلة حدثنا، لجمال البنا، دار الشروق- القاهرة.

17. أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، لمحمود أبو رية، دار المعارف – القاهرة، ط6.

18. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف- الرياض - المكلة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ- 1992 م.

19. من شبهات الحداثيين حول الصحيحين(عرض، ونقد) إعداد الدكتورحسن محمد أحمد محمد، كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة في الأقصر-جامعة الأزهر.

20. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

21. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحِميد عمر، عالم الكتب.

22. من العقيدة إلى الثورة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2020م.

23. الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله، لعباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

24. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ - 2001 م.

25. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، ط2، 1414هـ.

26. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.

27. أعلام الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409هـ - 1988 م.

28. إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- ط1، 1419هـ - 1998م.

29. الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، مكان النشر: السعودية / الرياض، سنة النشر: 1419هـ - 1999م.

30. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1408هـ.

31. نقض أصول العقلانيين لسليمان بن صالح الخراشي، دار علوم السنة.

32. العرش، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ/2003م.

33.القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.

34.المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

35.المغني، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م

36.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1392هـ.

37.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1420،4هـ.

38.النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع،1426هـ- 2005م.

39.تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط2، 1419هـ - 1999م

40.ثورة العقل في الفلسفة العربية، لمحمد عاطف العراقي، دار المعارف- القاهرة، ط4، 1978م.

41. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة، مكتبة السنة، ط1، 1989 م.

42.زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ /1994م.

43.شبهات وافتراءات حول الرسول صلى الله عليه وسلم وردود كبارالعلماء عليها، لمحمد عبد الحليم عبدالفتاح، دار الكتاب العربي- دمشق - القاهرة، ط1، 2007م

44.شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة،ط1، 1405هـ.

45.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت،ط3، 1407هـ – 1987م.

46. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

47.طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

48.كيف نتعامل مع السنة النبوية، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، ط1421،1هـ-2000م.

49.لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط1.

50.مرويات الإمام الزهري في المغازي، لمحمد بن محمد العواجي، ط1، 1425هـ/2004م..

51.مشارق الأنوار على صحاح الآثار لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث

52.مشكل الحديث وبيانه، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبي بكر، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – بيروت، ط2،1985م.

شبكات الانترنت:

1. www.bayanelislam.net/suspicion.aspo تاريخ التصفح 2021/10/6م ؟
2. www.bayanelislam.net/suspicion.aspo تاريخ التصفح 2021/10/6م ؟
3. www.islamweb.net ، تاريخ التصفح 2021/10/6م

التحديات المعاصرة التي تواجه الشباب المسلم في الدين وسبل مواجهتها "دراسة مقاصدية"

الدكتور/ صديق زين العابدين النور أبكر

الاستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون ودمدنى- جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم "السودان"

رئيس قسم العلوم الشرعية والإنسانية- بمركز تأصيل العلوم

الملخص

التحديات المعاصرة التى تواجه الشباب المسلم في الدين وسبل مواجهتها "دراسة مقاصدية"، وقد هدف البحث إلى بيان مفهوم التحديات المعاصرة، وبيان أنواعها وأسبابها، وسبل مواجهتها، وتأتى أهمية هذا البحث في أنه تناول قضية مهمة وهى قضية تحصين الشباب المسلم من الأخطار التي تشكل تحدياً على الدين الإسلامي. وقد اقتضت ضرورة الكتابة في هذا البحث إلى تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

ففي المبحث الأول تناول البحث مفهوم التحديات ومفهوم الدين والمقاصد.

وفى المبحث الثاني تناول البحث أنواع التحديات التي تواجه الشباب المسلم وهى" عقدية – فكرية– ثقافية –اجتماعية."

وفى المبحث الثالث تناول البحث سبل مواجهة التحديات التي تواجه الشباب.

وقد انتهج البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها: أن هنالك تحديات ماثلة تواجه الشباب المسلم في الدين وأن هذه التحديات ضارة بمستقبله، وأن أقوى السبل لمواجهة هذه التحديات هو بناء الشباب بناءً عقدياً وفكرياً وثقافياً سليماً.

وقد أوصى البحث بضرورة تحصين الشباب في باكورة عمره بتوجيه المقررات الدراسية في مرحلتي الأولية والثانوية، كما أوصى البحث بعقد الندوات والمنتديات وإقامة الملتقيات الشبابية لتنويرهم بالتحديات كما أوصى البحث بإجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول التحديات التي تواجه الشباب المسلم في العرض والعقل والمال.

Abstract

The contemporary challenges that encounter the Muslims youth in the religion and how Muslim's youth confront them. (derasa maqsedida); intentional study. This research aimed to clarify the concept of the contemporary challenges, their types, reasons behind them and how to face them. The importance of this research stems from the important of the issue it handles, that is how to protect and immunize the Muslims youth against dangers and risks that cause challenges to their religion;(Islam). This research is divided into introduction , three topics and conclusion. The first topic was about the concept of religion and (maqsed); intention. The second topic was about the types of the challenges that encounter Muslim's youth, in terms of faith, intellect, culture and social. The third topic was about how to face these challenges. The research adopted the inductive analytical method. The research has reached to many results and recommendations, the most important of which were: Actually, there were challenges face Muslim youth in their religion and future. The best way to encoutr these challenges is by

fostering and well education in faith, intellect and culture. The researcher recommended to protect and immunize the Muslim youth at early ages by directing curriculums and syllables in intermediate and secondary stages, also holding seminars, meetings and symposiums to guide the Muslims youth. Also, the researcher recommended more studies and research about this topic.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين

وبعد:

فإن مما يجب التذكير به والتنبيه إليه التحديات المعاصرة التي تواجه شباب الأمة الإسلامية والتي تشكل خطراً عظيماً على تدينهم حيث إن الشباب هم قلب الامة باعتبار أنهم يشكلون نصف حاضرها وكل مستقبلها، ولما كانت هذه التحديات ماثلة ومتجددة ومتطورة وخطيرة كان لابد من بيانها وبيان سبل مواجهتها فلذلك رأيت الكتابة في هذا الموضوع الحيوي المهم.

أسباب اختيار الموضوع:

1. إلقاء الضوء على التحديات التي تواجه الشباب المسلم في الدين.
2. تقديم المقترحات لمواجهة تلك التحديات.
3. الإسهام في مناقشة القضايا المعاصرة التي تواجه الأمة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه تناول قضية مهمة ومفصلية وهى قضية تحصين الشباب المسلم.

أهداف البحث:

1. التعريف بالتحديات التي تواجه الشباب المسلم.
2. بيان سبل مواجهة تحديات الشباب المسلم المعاصرة.
3. الوقوف على أنواع التحديات التي تواجه الشباب المسلم في الدين.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في سؤال رئيس، هو هل هنالك تحديات معاصرة تواجه الشباب المسلم في الدين؟ وتتفرع منه الأسئلة الآتية :

1. ما مفهوم التحديات المعاصرة؟ وماهو مفهوم الدين؟
2. ما نوع هذه التحديات؟
3. ما هي وسائل مواجهة هذه التحديات؟

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي ويتمثل عمل الباحث في الآتي:

1. جمع المعلومات من مراجعها ومصادرها وعرضها وتحليلها تحليلاً مناسباً وصولاً للنتائج.
2. عزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث من مظانها.
3. تعريف الألفاظ الغريبة الواردة في متن البحث.
4. توثيق المصادر والمراجع التي أخذ منها الباحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم التحديات المعاصرة ومفهوم الدين والمقاصد.

المطلب الأول: مفهوم التحديات المعاصرة.

المطلب الثاني: مفهوم الدين.

المطلب الثالث: مفهوم المقاصد.

المبحث الثاني: أنواع التحديات التي تواجه الشباب المسلم.

المطلب الأول: التحديات العقدية.

المطلب الثاني: التحديات الفكرية.

المطلب الثالث: التحديات الثقافية والاجتماعية.

المبحث الثالث: سبل مواجهة التحديات.

المطلب الأول: التنشئة السليمة من الأسرة ومؤسسات التعليم المختلفة.

المطلب الثاني: إصلاح الوسائل والوسائط الإعلامية.

المطلب الثالث: إقامة المنتديات والندوات والمتلقيات الشبابية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم التحديات المعاصرة ومفهوم الدين والمقاصد

المطلب الأول

التعريف بالتحديات

أولاً: تعريف التحدي في اللغة

جاء في جمهرة اللغة الحد من التحدي وهو التعرض، يقال تحدى فلان فلان إذا تعرض له بالشر " [1] كما جاء التحدي بمعنى المنازعة والمغالبة، يقال تحد فلان تعمده ونازعه وغالبه "كما جاء بمعنى جارى ونازع "[2] وايضا جاء بمعنى المنازعة والمباراة.[3]

وتحدى يتحدى تحدَّ، تحدياً فهو متحد والمفعول متحَّدى، وتحدى فلان فلان غالبه وباراه وتحدى فلان الشـــئ جابهه دون خوف، وتحدى الموت رفض الاستسلام وجابهه، تحد الصعاب قاومها"[4]

يلاحظ من خلال هذه التعريفات أن المعنى اللغوي للتحدي قد انحصـــر في " التعرض والمنازعة والمغالبة والمباراة والمجاراة والمجابهة والمقاومة ورفض الاستسلام وهى جميعها تكاد تكون متقاربة في مدلولاتها ومعانيها.

ثانيا: معنى التحدي في الاصطلاح

تعنى التحديات في الاصطلاح الخطر الحقيقي الذى يواجه المسلمين اليوم .[5]

وجاء تعريف التحدي أيضاً: بأنه الشعور بالإمكانات البشرية والمادية أو الفكرية والتي تدفع صاحبها لمنازلة خصمه إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لإثبات قوته على خصمه ..."[6]

(1) جمهرة اللغة – أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الاذدى،المحقق: رمزى مدير بعلبكى- دار العلم للملاين – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1987م- ج3- ص 1272.

(2) مشارف الانوار على صحاح الأثار – عياض بن موسى بن عياض ابن عمرون اليحصبى- المكتبة العتيقة ودار التراث – ج1- ص 185.

(3) القاموس المحيط – مجد الدين ابوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى – المحقق: مؤسسة ورسالة – اشراف محمد نعيم – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت لبنان – الطبعة الثانية 1426هـ- 2005م – ص 1273.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة – د.احمد مختار عبدالحميد عمر – عالم الكتب بيروت لبنان – الطبعة الاولى 1429هـ- 2008م – ج1-ص 461.

(5) مجلة الحضارة الاسلامية بين آصاله الماضي وآمال المستقبل – ج6- ص 89، المكتبة الشاملة تاريخ الاصطلاح 2011/11/13م الساعة صباحاً ومساء

(6) مجموعة البحوث والمقالات العلمية – على بن نايف والشحود- موقع شبكة مشكاة الاسلامية تاريخ الاطلاع 2021/11/13م الساعة 10 و28 دقيقة صباحاً.

وهنالك أنواع أخرى من التحدي من تلك الأنواع تحدى القرآن الكريم العرب أهل الفصـــاحة واللســـان بأن يأتوا بمثله، قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [1]

جاء في كتاب الإرشاد للجويني، ومعنى التحدي بالمثل: أن يقول لمن دعاهم (ائتوا بمثله).[2]

المطلب الثاني

التعريف بالدين وبيان مقاصده

اولا: التعريف بالدين لغة:

ورد معنى الدين في اللغة العربية بمعان متعددة:

ففي لسان العرب: الدين، الجزاء والمكافأة ويوم الدين يوم الجزاء، والدين الحساب، و منه قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹچ[3] والدين الطاعة، وقد دنته وأدنت له أي أطعته "[4]

وفي القاموس المحيط: الدين بمعنى الجزاء والعبادة والطاعة والذل والسيرة والتدبير والتوحيد، وهو اسم لجميع ما يُعبد الله عزوجل به...."[5]

ثانيا: تعريف الدين في الاصطلاح :

عرف بعض العلماء الدين بأنه هو القواعد الإلهية التي بعث الله بها الرســـل لترشـــيد الناس إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والمعاملة، وبدخولهم في حظيرة تلك القواعد والخضوع لها أمراً ونهياً ولهما تحصل سعادة الدنيا والآخرة... "[6]

وعرفه آخرون بأنه: وضع إلهي سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال".[7]

ثالث: التعريف بالمقاصد والمقصد العام للتشريع

---

(1) سورة النمل الآية 64

(2) الارشاد، الامام الجويني، ص 313.

(3) سورة الفاتحة الآية 4

(4) لسان العرب- للأمام ابى الفضل جمال الدين محمد بن مرم بن منظور الأفريقي المصري – دار صادر –بيروت – لبنان – الطبعة الاولى 1200هـ- ج13- ص 168.

(5) القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروس ابادى – بيروت – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية 1426هـ- 2005م – ص 1198

(6) المقاصد العامة الشريعة الاسلامية – د.يوسف حامد العالم – المرصد العالمي للفكر الإسلامي – دون طبعة وتاريخ – الرياض – السعودية – ص 207.

(7) مرأة الأصول في شرح مرقاة الوصول في اصول الفقه – العلامة مثلا خسرو – الطبعة الثانية – دون تاريخ – المكتبة الأزهرى للتراث – القاهرة – مصر – ج1- ص 11.

أ/ المقاصد في اللغة:

جمع مقصد والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير وقصَد في الأمر توسط ويأتي القصد بمعنى العدل. والمقصد: مكان القصد جمعه مقاصد .[1]

في القرآن الكريم ورد لفظ القصد في قوله تعالى: " سفراً قاصداً" [2] " أي سهلاً معلوم الطرق" [3] وجاء في الحديث الشريف: " القصد القصد تبلغوا"[4] أي الزموا الطريق الوسط.

ب/ المقاصد في الاصطلاح:

لعلماء الشريعة تعريفات متعددة لمقاصد الشريعة خاصة المتأخرين منهم، فبعضهم عرفها بالمعاني والغايات والأسرار التي يرمى إليها الشارع ومنهم من عرفها بالمعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، ومنهم من عرفها بالغايات والمصلحة المقصودة من الأحكام والمعاني المقصودة من الخطاب ومنهم من قال: أن مقاصد الشريعة هي أهداف الشريعة وغاياتها التي قصد الشارع لتحقيق مصالح العباد في الدارين. وغير ذلك من التعريفات التي عددها الباحثون المعاصرون وسوف نقف على بعض هذه التعريفات:

اولا: تعريف ابن عاشور :

بقوله:" مقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة ....."[5] وعرفها علَّال الفاسى بقوله: " المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[6]

وعرفها الدكتور يوسف حامد العالم بقوله :" هي الغاية التي يرمى إليها التشريع والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حُكم من الأحكام "[7]

ج/ المقصد العام للتشريع وعلاقته بالتحديات المعاصرة

المقصد العام أو الهدف العام من تشريع الأحكام هو إما لجلب مصلحة وتكميلها أو لدرء مفسدة وتقليلها، وهذا المقصد هو الذى من أجله شرَع الله سبحانه وتعالى الأحكام لإصلاح حال العباد في الدارين الدنيا والآخرة وعلاقة هذا الهدف بالتحديات

(1) لسان العرب- جمال الدين محمد بن مكرم بن على الانصارى – دون طبعة 1988م – دار لسان العرب – بيروت –لبنان – ج3- ص 355.
(2) سورة التوبة الآية 42.
(3) الجامع لاحكام القراءة – ابو عبدالله محمد احمد الانصارى القرطبى – دار الحديث للطباعة والنر – الطبعة الثانية 1416هـ- ج8- ص 153.
(4) صحيح البخارى – ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى – الطبعة الخامسة – 1986م – عالم الكتب – باب القصد والمداومة على العمل – ج7- ص 182.
(5) مقاصد الشريعة الاسلامية – محمد الطاهر بن عاشور – دون طبعة 1978- ص 5.
(6) مقاصد الشريعة ومكارمها – علال الفاسى- دون طبعة وتاريخ – مكتبة الوحدة العربية – الدار البيضاء – ص 3.
(7) المقاصد العامة للشريعة – دكتور يوسف حامد العالم – المهد العالمى للفكر الاسلامى – طبعة 1414هـ- 1993م – ص 83.

التى تواجه الشــباب، لأن هذه التحديات تعتبر عقبات أمام تحقيق هذه الأهداف ســواء كانت هذه العقبات عقدية أو فكرية أو ثقافية أو اجتماعية فلابد من مواجهتها والتصدي لها حتى تتحقق مقاصد الدين.

المبحث الثاني

أنواع التحديات التي تواجه الشباب المسلم

المطلب الأول

التحدي العقدي

أن العقيدة هي أســاس الدين وجوهر التدين بالنســبة للمســلم فإذا سَـلِمَت عقيدته سَـلِمَت واسـتقامت كل أحواله الداخلية والخارجية وإذا فســدت عقيدته اضـطربت أحواله، فلذلك كان أفضـل القرون هو قرن النبي صـلى الله عليه وسـلم ثم الذي يليه ثم الذى يليه وذلك لسلامة العقيدة، ولما أراد أعداء الإسلام النيل من هذه الأمة أثاروا الشبهات في عقيدتها وأدخلوا التيارات الملحدة وأسسوا المذاهب الهدامة التي استهدفت عقيدة الأمة سيما في شبابها، ففي هذا المطلب نقف على مفهوم العقيدة والتحديات التي تواجه الشباب في عقيدتهم.

أولاً: مفهوم العقيدة

معنى العقيدة في اللغة

جاء في المصــباح المنير مادة " ع ق د" عقدت الحبل عقداً من باب "ضــرب" فانعقد والعُقدة ما يمســكه ويوثقه ومنه قيل عقدت البيع ونحوه، وعقدت اليمين، وعقّدتها بالتشديد تأكيد وعاقدته على كذا. وعقدته عليه بمعنى عاهدته عليه، وعقدة النكاح وغيره إحكامه وإبرامه. واعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك"[1] وعقيدة الرجل دينه الذى يعتقده .[2]

معنى العقيدة في الاصطلاح:

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – احمد بن محمد بن على الفيومى- المكتبة العلمية بيروت – ج2- ص 421.

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم – نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى- المحقق: د حسن بن عبدالله العمرى- دار الفكر المعاصر – بيروت – دار الفكر – دمشق – ج7- ص 4662.

العقيدة بمعناها العام تعنى الإيمان واليقين الجازم الذى لا يتطرق اليه شك لدى معتقده، وأما العقيدة الإسلامية فهي: اليقين والتسليم والإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له من التوحيد والعبادة والطاعة ثم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر أصول الإيمان ثم أركان الإسلام الأخرى التي هي من قطعيات الدين، كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله والحب في الله والبغض في الله ...."[1]

وقيل: العقيدة هي ما يدين الإنسان به على وجه العموم. وبعضهم قال: هي حكم الذهن الجازم، فإذا طابق الواقع كان صحيحاً وإذا خالف الواقع كان فاسداً.

والبعض يرى أن العقيدة هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك"[2]

ثانيا: التحديات التي تواجه الشباب في عقيدتهم

1/ العقائد الفاسدة:

أول تحدي واجه المسلمين وسيظل تحدي يواجه الشباب والأمة المسلمة قاطبة جيلاً بعد جيل هو تحدي العقائد الفاسدة التي مصدرها اليهود والنصارى قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [3] وهنالك تفاصيل كثيرة حول اليهود والنصارى في موضوع العقيدة، ولكن نكتفى بذكر بعض عقائدهم حيث أن النصارى عقيدتهم عقيدة التثليث يقولون " إن الله ثالث ثلاثة" ويقصدون " الله جل وعلا وسيدنا عيسى عليه السلام والسيدة مريم عليها السلام " وهذه عقيدة باطلة، أما اليهود فيقولون: " عزير بن الله " أي جعلوا لله ولداً. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فالقرآن الكريم وصف اليهود والنصارى في سورة الفاتحة في قوله تعالى ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ والمغضوب عليهم هم اليهود ﭽ ﭩ ﭪ ﭽ [4]والضالين هم النصارى.

2/ إثارة الشبهات:

تحدي آخر ظل يلازم الأمة المسلمة منذ فجرها إلى يومنا هذا وهو تحدي إثارة الشبهات حول العقيدة الإسلامية، والهدف والمقصد من ذلك هو زعزعة عقيدة الشباب المسلم.

3/ ظهور الفرق والمذاهب الهدامة

(1) شرح للامام بن تيمية – عمر بن سعود بن فهد العسير- ج4- ص 15- نشر على موقع الشبكة الاسلامية – تاريخ الاطلاع 2021/11/28 الساعة 7 و30 دقيقة مساء.

(2) الوجيزفى عقيدة السلف الصالح – عبدالله بن عبدالحميد الاثرى – الناشر: وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد – المملكة العربية السعودية – الطبعة الاولى 1422هـ- ص 24.

(3) سورة البقرة الآية 120.

(4) سورة الفاتحة الآية 7.

مثل الجهمية وسميت بذلك لأن أول من انتشرت عنه هو الجهم بن صفوان والجهمية تقوم على مبدأ انكار الصفات.

4/ ظهور البدع

وأول بدعة ظهرت، بدعة الخوارج وقد ظهرت في العام السادس والثلاثون الهجري، وعقيدتهم قائمة على التكفير فقد كفروا سيدنا علي رضى الله عنه وأصحابه لقبولهم التحكيم"[1]

5/ التحديات المعاصرة

أما التحديات المعاصرة فتتمثل في الآتي :

1/ التبشير:

يعتبر التبشير من التحديات الكبيرة المعاصرة التي تواجه الشباب المسلم في عقيدته، وقد استقل أعداء الإسلام حالات الضعف الكبير الذى يواجه الأمة من الناحية الاقتصادية وضعف العقيدة الإسلامية لنشر عقائدهم في وسط المسلمين، خاصة الشباب الذين أصبحوا ضحايا لهذا التبشير خاصة الفقراء منهم والذى ساعد على التبشير ونشاطه وسط المسلمين هو تخاذل الميسورين المسلمين وكذلك السلطات " الحكومات" بالقيام بواجب الرعاية وسد الحاجة وسط المجتمعات الفقيرة كما أن الصراعات السياسية والحروب التي تركزت في بلدان المسلمين ساعدت هؤلاء بحجة تقديم العون الإنساني لهؤلاء المحتاجين.

2/ التغريب

يعتبر التغريب تحدي عقدي آخر يواجه الشباب المسلم في عقيدته وفى كل شيء، جاء في مجلة مجمع الفقه الإسلامي(اندفع هؤلاء يبذلون كل جهد في تغريب الشباب وزرع عقدة الشعور بالنقص وفقدان الشخصية الإسلامية حتى بين هؤلاء أعداء جمعوا كل قواهم وطرحوا كل قناع وتبجحوا بأفكارهم، أفكار كلها افتراء على الإسلام وتشنيع عليه، محاولة مخططة لزعزعة عقيدته من قلوب الجماهير التي لم تزل توّرث عقيدتها وتتمسك بكل ما يمت لها بصلة رغم ما تعرضت وتتعرض له من حرب نفسيه في المدرسة، في الشارع، في الصحافة، في الإذاعة وفى التلفزيون بل في كل وسائل التعبير الأخرى من رسم ونحت وهنالك تيارات أخرى حديثة كالحداثيين وغيرهم.[2]

(1) اعتقاد اهل السنة – عبدالله بن عبدالرحمن من موقع الشبكة الاسلامية – ج2–ص 4– تاريخ الاطلاع 2021/12/2مالساعة 2 ظهراً.

(2) التحدى الفكرى وأثاره في المجتمعات الاسلامية المعاصرة – القاسم البيهقى المختار – بحث مقدم الى ملتقى الفكر الاسلامى الثالث والعشرون – بنسه – الجزائر– نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الاسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى بجدة – العدد (7) –ص 2162 تاريخ الاطلاع 2005/11/28م الساعة 7 مساء.

المطلب الثاني

التحدي الفكري

في هذا المطلب نتحدث عن ماهية التحدي الفكري والوسائل المستخدمة فيه

اولا: ماهية التحدي الفكري

التحدي الفكري يتكون من كلمتين تحدي وفكر وقد عرفنا معنى التحدي نقف هنا على معنى الفكر، ثم نتناول التحديات الفكرية ووسائلها .

معنى الفكر في اللغة: تطلق كلمة فكر في اللغة العربية ويراد بها معانى متعددة.

المعنى الاول: تطلق كلمة فكر ويراد بها اعمال الخاطر في الشئ "

ويراد بها تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المآل، يقال لي في الأمور فكر، أي نظر، ومن العرب من يقول الفكر: الفكرة .

المعنى الثانى: قال الجوهري: التفكر التأمل.

المعنى الثالث: يراد بها ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظنياً، ويمكن القول أن الفكر هو القوة العاملة الناظرة في الأمور الموجهة للإنسان وهى التي تحكم على الأشياء وتقدر الأمور التي يتوصل بها الإنسان إلى مطلوب الإنسان في الحياة.[1]

المعنى الاصطلاحي للتحدي الفكري

لم أقف على تعريف إصطلاحي معين لعبارة التحدي الفكري ولكن أحاول تعريف هذا المركب حسب المدلول والمعنى اللغوي لكلمتي تحدي وفكر فأقول التحدي الفكري يعنى العقبات والصعوبات والإشكالات التي تعترض الشباب وتؤثر على تفكيرهم واتجاهاتهم الفكرية السليمة النابعة من عقيدتهم الإسلامية وتوجيههم وجهة مغايرة، ويمكن مقارنة هذا التعريف بتعريف الغزو الفكري الذى ورد في واحدة من تعريفات الغزو الفكري حيث جاء فيه " هذه المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتربوية والتوجيهية وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كلياً أو جزئياً وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعية واضعاف قوتهم لاستعمارهم فكرياً ونفسياً ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً استعماراً مباشراً أو غير مباشر".[2]

(1) جنحة المكرالثلاثة- عبدالرحمن حبنكه - دار القلم – دمشق – دار المعارف – مصر – طبعة 1980م –ص 37

(2) أجنحة المكرالثلاثة- عبدالرحمن حبنقكه – مرجع سابق ––ص 37

ثانيا: الوسائل المستخدمة في التحدي الفكري

استخدم أعداء الإسلام لتحقيق أهدافهم ضد الإسلام وسائل عديدة نلخصها في الآتي:

1/ تكوين مذاهب فكرية هدامة في بلاد المسلمين

هنالك عدد من الفرق والمذاهب إلا أن الباحث سوف يقف على أهمها:

أ/ العلمانية

وتعنى " فصل الدين عن السياسة أو الفصل الكامل بين الدين وبين الحياة الاجتماعية ....."[1]

وتعتبر العلمانية من المذاهب الفكرية الهدامة التي استهدفت شباب المسلمين.

ب/ الإلحاد

المراد بالإلحاد هو كل فكر يتعلق بأنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى سواء كان عند المتقدمين من الدهرية أو من جاء من بعدهم من الشيوعيين والماركسيين"[2]

ج/ الشيوعية

هي مذهب هدام إباحي ظالم من أسوأ ما عرفته البشرية من مذاهب وجدت على ظهر الأرض...."[3]

وهنالك فرق هدامة مثل البهائية والباطنية والدروز و القاديانية[4]، وهنالك فرق أخرى كالماسونية والصليبية العالمية والاستشراق"[5]

2/ ظهور التطرف الفكري والمذهبي والانتماءات المتطرفة" التيارات الإرهابية "داعش"

يشكل التطرف الفكري والمنهجي تحدياً كبيراً لأفكار الشباب المسلم.

3/ تبني رعاية طائفة كبيرة من أبناء المسلمين الشباب في كل بلد وتغذيتهم بالأفكار الهدامة وبناء شخصيات منهم تنفذ عبرها المخططات.

4/ إنشاء المؤسسات التعليمية " جامعات، مدارس، دور حضانة" وتنشيط تعلم اللغات في البلدان العربية والإسلامية فضلاً عن المدارس التبشيرية بالإضافة إلى السيطرة على مناهج التعليم في بلدان المسلمين.

---

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة – د.غالب بن على عواجى – المكتبة العصرية الذهبية – جدة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الاولى 1427هـ- 2006م – ج2- ص 681.

(2) المرجع السابق – ج2-ص 1003.

(3) المرجع السابق- ج2- ص 1055.

(4) راجع فرق معاصرة تنتسب الى الاسلام وبيان موقف الاسلام منها – د.غالب بن على – المكتبة الاسلامية العصرية – الطبعة الرابعة 1422هـ- 2001م – ج2- ص 644.

(5) الاسلام ومواجهة المذاهب الهدامة – محمد البهى- مكتبة وهبه القاهرة – الطبعة الاولى 1401هـ-1981م- ص 9

5/ إفساد المجتمع وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة والدعوة إلى اختلاط المرأة بالرجل وأن تعمل المرأة عمل الرجل.

6/ تخصيص الإذاعات وكذلك القنوات الفضائية .

7/ العولمة: تعتبر العولمة واحدة من أكبر الوسائل التي تشكل تحدي على أفكار الشباب المسلم في عصرنا الحاضر ومن آثار العولمة على الشباب " سلب عقول الشباب وضياع أوقاتهم ومستقبلهم ".[1]

التحدي الثقافي والاجتماعي

الثقافة تستمد غالباً من التعليم ووسائل الإعلام "المقروءة- المسموعة-المرئية " وبحسب ما تقدمه تلك الوسائل تكون ثقافة الأمة المسلمة فإما أن تكون ثقافة مثمرة وإما أن تكون ثقافة مدمرة"[2] هذا بحسب رأى الدكتور جمال الطاهر في كتابه الغزو الفكري أما الشيخ يوسف القرضاوي فقد عرف لنا الثقافة الإسلامية بقوله: هي التي محورها الإسلام ومصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به المشتقة عنه"[3]

أما عن التحدي الثقافي والاجتماعي لشباب المسلمين فيمكن تناوله من خلال الوسائل التي اتخذها أعداء الإسلام وهذه الوسائل تشكل تحدياً ثقافياً واجتماعياً يواجه شباب الأمة . وتتمثل هذه الوسائل في الآتي:

اولاً: النظم والمناهج التعليمية:

وضع أعداء الإسلام مناهج ونظم تعليمية لبث ثقافتهم وقيمهم الاجتماعية وهدم ثقافة المسلمين وقيمهم الاجتماعية مما يشكل تحدياً كبيراً يواجه شباب المسلمين اليوم.

ثانيا: الإعلام بكافة وسائله "مقرؤة ومسموعة ومشاهدة"

بالإضافة إلى الوسائط الأخرى الحديثة عبر الهاتف المحمول، كلها تشكل تحدياً ثقافياً كبيراً يواجه الشباب المسلم لأن هذه الوسائط تحمل الكثير من الثقافات والعادات التي تتنافى وتعاليمنا وقيمنا الإسلامية وأول ضحية لهذه الوسائط هم الشباب لأنهم المستهدف الأول بهذه المادة الهدامة ومن آثار هذه الوسائط ما نشاهده في سلوك أبنائنا الشباب وبناتنا من تقليد لهذه الثقافات الوافدة وذلك يتنافى وقيمنا الإسلامية فنشاهد تصبيغ الشعر وتطويله في شبابنا ووضع النقوش على الأيدي والجسد، والموضات الفاضحة في اللبس وحلاقة الشعر بطريقة مخالفة للشرع الحنيف بالإضافة إلى احتفال الشباب بأعياد الحب ورأس السنة وغير ذلك من الثقافات الوافدة التي ينقلها ويتناقلها الشباب في الوسائط الإعلامية المختلفة التي غزت شبابنا ومجتمعنا المسلم.

(1) الغزو ووسائله- الشيخ عبدالعزيز عبدالله بن باز- مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – ج1- ص 119.

(2) الغزو الفكرى – د.جمال الطاهر حسن احمد – مرجع سابق – ص 35.

(3) ثقافة الداعية – الدكتور يوسف القرضاوى – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1399هـ- 1979م – ص 9.

المبحث الثالث

سبل مواجهة التحديات

المطلب الاول

التنشئة والتربية السليمة من الأسرة والمدرسة

إن أول خطوة وأهم وسيلة لمواجهة التحديات التي تواجه شبابنا سواء كانت عقدية أو فكرية أو ثقافية أو اجتماعية هي التنشئة السليمة والتربية القويمة على منهج الإسلام وهديه قال صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ....."[1] وقد وضع الإسلام منهج قويم للتنشئة السليمة، يبدأ من اختيار الزوج والزوجة " الأب والأم" فالأب لابد أن يكون ذو خلق ودين والام كذلك .قال صلى الله عليه وسلم: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض....." [2] وقال صلى الله عليه وسلم في اختيار الزوجة: " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3]

فالمولود الذى يولد في هذه الأسرة ذات الخلق والدين قطعاً يجد الرعاية والتربية السليمة من الأبوين وهنالك شواهد تربوية كثيرة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في تربية وتعليم الصغار نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: " يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سالت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ....." [4] هذا الحديث درس كامل في العقيدة السليمة للصغار والكبار وهنالك أحاديث وشواهد أخرى كثيرة في تربية الأبناء.

أما المؤسسات التعليمية فهي مكملة لما بدأته الأسرة من التنشئة والتربية السليمة ويكون ذلك عبر مناهجها النابعة من تعاليم ديننا الحنيف وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فالمدارس بمراحلها المختلفة وحتى المرحلة الجامعية وما فوقها تعتبر مواعين ومحاضن تربوية لشبابنا فيجب أن تعالج هذه المؤسسات مسائل العقيدة وكذلك نعالج مشكلة التطرف المذهبي الذى يعتبر أعظم التحديات وتعالج أيضاً مشكلة الغزو الثقافي والفكري والاجتماعي.

(1) صحيح البخارى – الامام محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخارى – المحقق: محمد زهير – دار طوق النجاة – الطبعة الاولى 1422هـ – حديث رقم " 1385" – ج2- ص 100.

(2) سنن ابن ماجه – ابن ماجه ابوعبدالله محمد بن يزيد الغزوينى – تحقيق فؤاد عبدالباقى – دار احياء الكتب العربية – حديث رقم " 01967" – ج1- ص 632.

(3) صحيح مسلم – الامام مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيرى النيسابورى- المحقق: محمد فؤاد وعبدالباقى – دار احياء التراث العربى – بيروت – دون طبعة وتاريخ – حديث رقم " 1466" – ج2- ص 1086.

(4) مسند الامام احمد – ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل – المحقق: احمد محمد شاكر – دار الحديث القاهرة – الطبعة الاولى 1416هـ- 1995م – حديث رقم " 2669" – ج3- 195.

وفى مجال التعليم أيضـاً يجب عقد المؤتمرات العلمية العالمية لإصـلاح شـأن مناهج التعليم في كل مراحل الدراسـة منذ مرحلة الروضة إلى مرحلة الجامعة ويراعى هذا الاصلاح ويعالج مسائل العقيدة ومضامين الإسلام في العقيدة وحرية التدين ويعالج مشكلة التطرف المذهبي والفكري ويبين للعالم أجمع أن دين الإسـلام دين التسـامح وليس دين الإرهاب كما يتصـور بعضـهم ذلك فإذا تم ذلك كله نكون قد حصنا أبناءنا عقدياً وفكرياً وثقافياً.

المطلب الثاني

الوسائل والوسائط الإعلامية الحديثة

الإعلام ووسـائله ووسـائطه المختلفة سـلاح ذو حدين يمكن أن يلعب دوراً إيجابياً في بناء وترسـيخ القيم والأخلاق الفاضـلة والنبيلة وسـط الشـباب والمجتمع، فالإعلام المبثوث اليوم خاصـة في مادته المقروءة والمشـاهدة والمسـموعة ومن يقدم المادة يحتاج إلى إصلاح كبير وشبابنا يتأثر ويأخذ من هذه المادة والبضاعة المعروضة، والشباب يقبل بنفس مفتوحة وصدر مشروح للأخذ من هذه المادة فلذلك لابد من إصلاح المادة الإعلامية المقدمة بالإضافة إلى إنشاء وتأسيس قنوات فضائية متخصصة تستهدف الشباب وتناهض الإعلام المضاد، والأمر الآخر الذى يحتاج إلى معالجة هو الجوال والأجهزة الذكية التى أصبحت هي الأخرى وسيلة سالبة في المادة المقدمة فيها والموجهة لإفسـاد الشـباب في عقيدته وفكره وثقافته الدينية، فلابد من توعية الشـباب وتبصـيره بهذه المخاطر وكيف يتعامل مع هذه المادة الخبيثة التي وضـعها أعداء الإسـلام لاسـتهداف الشـباب خاصـة الفيديوهات والتطبيقات المحرمة التي تستهدف أخلاق وسلوك الشباب وتستميل شـهواتهم وتستغل فيهم مرحلة المراهقة والفراغ فالشباب في هذه المرحلة ضـحايا لهذه المخططات المريضـة التي تسـتهدف الإسـلام والقيم الفاضـلة النبيلة وهنا يبرز دور ولاة الأمر والمربين والدعاة في تبصـير الشـباب وتوعيته وتحصينه من هذه المخططات الخبيثة، قال صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

المطلب الثالث

اقامة المنتديات والندوات والملتقيات الشبابية

من وسـائل مواجهة هذه التحديات وتحصـين الشـباب منها، إقامة المنتديات والندوات والملتقيات لتفعيل الشـباب وشـحذ هممهم وتبصـيرهم بهذه التحديات وسـبل مواجهتها بأن تعد دراسـة دقيقة حول كل تحدي سـواء كان تحدي عقدي أو فكري أو ثقافي أو اجتماعي وبيان الوسائل الخبيثة التي يستخدمها الأعداء وكيف يواجه الشباب هذه المخططات الخبيثة بالإضافة إلى إعداد مادة علمية تقدم لأبنائنا الشباب عبر هذه المنتديات والملتقيات والندوات.

الخاتمة

بحمد الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه اكتملت الكتابة في هذا البحث الذى جاء بعنوان التحديات المعاصـــرة التي تواجه الشباب المسلم في الدين وسبل مواجهتها وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات على النحو التالي :

أولا: النتائج

1. أكد البحث على أن هنالك تحديات ماثلة تواجه الشباب المسلم وهى ضارة بمستقبلهم.
2. توصل البحث إلى أن أكبر التحديات العقدية التي تواجه الشباب في دينه هي وجود العقائد الفاسدة والتبشير والمذاهب والفرق الهدامة وظهور البدع.
3. توصل البحث إلى أن التحدي الفكري والثقافي يكمن في وسائل ووسائط الإعلام الحديثة وما يقدم عبرها من مادة فكرية وثقافية تستهدف الشباب.
4. توصل البحث إلى أن الدعوة للإلحاد والشيوعية والعلمانية تشكل تحدياً فكرياً لشباب المسلمين والدعوة للتحرر والإباحية يشكل تحدياً اجتماعياً وفكرياً وثقافياً.
5. أكد البحث على أن أقوى الوسائل لمواجهة هذه التحديات هو التنشئة السليمة من الأبوين داخل الأسرة وإصلاح مناهج التعليم بكل مراحله لتحصين الشباب وبناءه بناءً عقدياً وفكرياً وثقافياً سليماً .
6. أوضح البحث أن من المقاصد العليا للدين هي حفظ عقيدة وفكر وثقافة الشباب المسلم حتى يكون عمله محرراً وخالصاً لوجه الله تبارك وتعالى فضلاً عن حفظ بدنه وعقله وعرضه .

ثانيا: التوصيات

1. يوصى البحث بضرورة تحصين الشباب في باكورة عمره بتوجيه المقررات الدراسية في مرحلتي الأولية والثانوية.
2. أوصـــى البحث بإقامة المنتديات وعقد الندوات الفكرية والثقافية وإقامة الملتقيات الشـــبابية لتنوير الشـــباب بالتحديات وســـبل مواجهتها.
3. أوصى البحث بإجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول التحديات التي تواجه الشباب خاصة في جانب العرض والعقل والدين.

المصادر والمراجع

1. أجنحة الثلاثة- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني- دار القلم – دمشق – دار المعارف – مصر – طبعة 1980م.
2. الاسلام ومواجهة المذاهب الهدامة – محمد البهى- مكتبة وهبه القاهرة – الطبعة الأولى 1401هـ-1981م.
3. اعتقاد اهل السنة – عبدالله بن عبدالرحمن من موقع الشبكة الاسلامية – ج2-ص 4- تاريخ الاطلاع 2021/12/2مالساعة 2 ظهراً.
4. التحدى الفكرى وآثاره في المجتمعات الإسلامية المعاصرة – القاسم البيهقى المختار – بحث مقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامى الثالث والعشرون – بنسه – الجزائر- نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الاسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى بجدة – العدد (7) –ص 2162 تاريخ الاطلاع 2005/11/28م الساعة 7 مساء .
5. تكملة المعاجم العربية – رينهارت بيتر ادوزى- نقل الى العربية – وعلق عليه محمد سليم النعيمى وجمال الخياط – وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية – الطبعة الاولى 1997-2000م.
6. ثقافة الداعية – الدكتور يوسف القرضاوى – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1399هـ- 1979م.
7. الجامع لاحكام القراءة – ابو عبدالله محمد احمد الانصارى القرطبى – دار الحديث للطباعة والنر – الطبعة الثانية 1416هـ-
8. جمهرة اللغة – أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الاذدى،المحقق: رمزى مدير بعلبكى- دار العلم للملاين – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1987م.
9. سنن ابن ماجه – ابن ماجه ابوعبدالله محمد بن يزيد الغزوينى – تحقيق فؤاد عبدالباقى – دار احياء الكتب العربية – حديث رقم " 01967" 632.
10. شرح للامام بن تيمية – عمر بن سعود بن فهد العسير، نشر على موقع الشبكة الاسلامية – تاريخ الاطلاع 2021/11/28 الساعة 7 و30 دقيقة مساء.
11. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم – نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى- المحقق: د حسن بن عبدالله العمرى- دار الفكر المعاصر – بيروت – دار الفكر – دمشق .
12. صحيح البخارى – ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى – الطبعة الخامسة – 1986م – عالم الكتب – باب القصد والمداومة على العمل.
13. صحيح البخارى – الامام محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخارى – المحقق: محمد زهير – دار طوق النجاة – الطبعة الاولى 1422هـ – حديث رقم " 1385" .
14. صحيح مسلم – الامام مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيرى النيسابورى- المحقق: محمد فؤاد وعبدالباقى – دار احياء التراث العربى – بيروت – دون طبعة وتاريخ – حديث رقم " 1466" .
15. الغزو ووسائله- الشيخ عبد العزيز عبدالله بن باز- مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – ج1- ص 119.

16.فرق معاصرة تنتسب الى الاسلام وبيان موقف الاسلام منها – د.غالب بن على – المكتبة الاسلامية العصرية – الطبعة الرابعة 1422هـ- 2001م .

17.القاموس المحيط – مجد الدين ابوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى – المحقق: مؤسسة ورسالة – اشراف محمد نعيم – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت لبنان – الطبعة الثانية 1426هـ- 2005م.

18.لسان العرب- جمال الدين محمد بن مكرم بن على الانصارى – دون طبعة 1988م – دار لسان العرب – بيروت –لبنان.

19.مجلة الحضارة الاسلامية بين آصاله الماضي وآمال المستقبل، المكتبة الشاملة تاريخ الاصطلاح 2011/11/13م الساعة صباحاً ومساء

20.مجموعة البحوث والمقالات العلمية – على بن نايف والشحود- موقع شبكة مشكاة الاسلامية تاريخ الاطلاع 2021/11/13م الساعة 10 و28 دقيقة صباحاً.

21.المذاهب الفكرية المعاصرة – د.غالب بن على عواجى – المكتبة العصرية الذهبية – جدة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الاولى 1427هـ- 2006م .

22.مرأة الأصول في شرح مرقاة الوصول في اصول الفقه – العلامة مثلا خسرو – الطبعة الثانية – دون تاريخ – المكتبة الأزهرى للتراث – القاهرة – مصر.

23.مسند الامام احمد – ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل – المحقق: احمد محمد شاكر – دار الحديث القاهرة – الطبعة الاولى 1416هـ- 1995م – حديث رقم " 2669" .

24.مشارف الانوار على صحاح الأثار – عياض بن موسى بن عياض ابن عمرون اليحصبى- المكتبة العتيقة ودار التراث.

25.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – احمد بن محمد بن على الفيومى- المكتبة العلمية بيروت.

26.معجم اللغة العربية المعاصرة – د.احمد مختار عبدالحميد عمر – عالم الكتب بيروت لبنان – الطبعة الاولى 1429هـ- 2008م .

27.مقاصد الشريعة الاسلامية – محمد الطاهر بن عاشور – دون طبعة 1978م.

28.مقاصد الشريعة ومكارمها – علال الفاسى- دون طبعة وتاريخ – مكتبة الوحدة العربية – الدار البيضاء

29.المقاصد العامة الشريعة الاسلامية – د.يوسف حامد العالم – المرصد العالمي للفكر الإسلامي – دون طبعة وتاريخ – الرياض – السعودية – ص 207.

30.المقاصد العامة للشريعة – دكتور يوسف حامد العالم – المهد العالمى للفكر الاسلامى – طبعة 1414هـ- 1993م .

31.الوجيزفى عقيدة السلف الصالح – عبدالله بن عبدالحميد الاثرى – الناشر: وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد – المملكة العربية السعودية – الطبعة الاولى 1422هـ.

دور المسجد في تطوير الخطاب الديني

د. هدى عبد الرحمن محجوب سعيد

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن – جامعة الملك خالد

المقدمة

نزل القرآن الكريم علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يتعبد بغار حراء مختليا بنفسه مع الله سبحانه وتعالي فترة من الزمن على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أن نزل عليه الوحي ومن ثم بدأ دعوته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة سرية متخذاً من دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً لها، إلى أن أذن له بالهجرة إلى المدينة المنورة. فأول ما بدأ به هو بناء المسجد، لم يهتم صلى الله عليه وسلم ببناء بيت لذاته ولا لزوجاته، بل اتجه أولا لإنشاء المسجد لأهميته في توصيل ما أرسل به، وكان اختيار الموقع موحياً به لناقته صلى الله عليه وسلم، فكان المسجد مكاناً للتعليم ومنه سيرت الجيوش، وفيه دار القضاء والمحاكمة وتنفيذ الأحكام، ومواصلة المجتمع كافة شؤونه. ومواصلة المرضى، ومعاونة ومواساة الفقراء والمحتاجين، وبيت المال وإدارة شؤون الدولة بأكملها. لكن وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وانتشار الإسلام في كثير من أنحاء العالم، بدأ دور المسجد يكاد ينحصر في أداء العبادة فقط، مما أفقد المسجد الكثير من الدور الذي كان يمثله ويقوم به من قبل.

لذا ولأهمية المسجد في حياة الناس اخترت هذا الموضوع لعلي أدلو ولو بالقليل لإحياء دور المسجد في تطوير الخطاب الديني، حتى لا يكون مقصوراً على الصلوات فقط، ولعله يعود لسيرته الأولى ويمارس الدور الذي افتقدناه كثيراً.

هدف البحث:

تهدف الدراسة إلى إبراز دور الخطاب الديني في علاج الآثار السالبة التي ظهرت في المساجد واختفاء دوره الريادي اليوم حيث إنها كادت أن تكون مكاناً لأداء العبادة فقط ولا تصلح لأي شيء غيرها، وهذا من تخطيط أعداء الإسلام، والمسلمون صاروا ينفذون أجندة الغرب وأعداء الإسلام دون أن يفكروا في العواقب التي تأتي من وراء تعطيل دور المساجد في التربية والتعليم وعدم ترسيخ معاني الإخاء والعدل والمساواة.

مشكلة البحث:

وإن كان لهذا البحث من مشكلة فهي: ما طرأ على المسجد من تغير في معناه الحقيقي حيث أصبح يُستقل لأغراض وأعمال أقرب للشخصية منها للعامة والسياسية منها للدينية، مما جعل الكثير من الناس يعتزل المسجد إلا في أوقات معينة فقط. مما دعا لعمل مثل هذه الدراسات حتى تعيد للمسجد دوره الحقيقي الذي من أجله أنشئ، ونسأل الله التوفيق والسداد.

منهج البحث: أتبعت المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعنى بالدراسات الإنسانية.

هيكل البحث: قسمته إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى المسجد لغة واصطلاحاً ومفهوم الخطاب الديني.

المبحث الثاني: ما المقصود بالخطاب الديني؟

المبحث الثالث: تناولت فيه آداب المسجد وكيفية العمل بها، كما اشتمل البحث على خاتمة والتي تحتوي النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

معنى المسجد لغة واصطلاح ومفهوم الخطاب الديني

المطلب أول

معنى المسجد لغة واصطلاحاً

المسجد: جمعها مساجد وهو موضع السجود من بدن الإنسان وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان، مكان يصلي فيه الجماعة (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)[1]

الساجد: المنتصب في لغة طي وقال الأزهري: ولا يحفظ لغير الليث، وسجد سجوداً وضع جبهته على الأرض وقوم سجد وسجود. وقوله تعالى: (وخروا له سجدا)هذا سجود إعظام لا سجود عبادة لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل، وقال الزجاج: إنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم[2].

المسجد في القرآن الكريم "اصطلاحا":

وجاء معنى المسجد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) البقرة "114" أي ومن أكثر ظلماً ممن تعدى ومنع ذكر الله في المساجد، وهي جمع مسجد وهو كل موضع عُبِدَ الله فيه كما يقال للموضع الذي يجلس فيه (المجلس) وما ينزل فيه منازل نظير مسجد ومساجد. وقيل أن الذين منعوا ذكر الله في المساجد هم النصارى والمسجد هنا بيت المقدس وخرابها يكون بتعطيل ذكر اسم الله فيها[3].

وقوله تعالي (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) الجن "18" قيل هو مردود إلى قوله تعالى (قل أوحي إلي) أن المساجد لله. والمساجد هي البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجن كيف لنا نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ وأن المساجد بنيت لذكر الله وطاعته، وقيل هي الأعضاء التي يسجد عليها، وقيل هي الأرض كلها، وقيل مكة وسميت مسجداً لأن الكل يسجد فيها، ونسبت المساجد لله تشريفاً وتعظيماً لها[4].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل الآية" 48"، هذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا

(1) معجم المعاني الجامع_ 12 ربيع الأول 1433هـ ـ الدكتور مروان العطية ـ ص20

(2) لسان العرب – محمد بن جلال الدين بن مكرم "ابن منظور"، –ص–30

(3) جامع البيان عن تأويل أي القرآن –ج 1 – ط 1 –ص 18 للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري

(4) الجامع لإحكام القرآن –ج10–ط1–ص 525–للإمام القرطبي

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل الآية "49". وهذا ينطوي على النوعين من السجود، التسخير والاختيار،﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن الآية"6" فذلك على سبيل التسخير، وقوله) اسْجُدُوا لِآدَمَ]) البقرة"34"، قيل: أمروا بأن يتخذوه قبلة، وقيل: أمروا بالتذلل له، والقيام بمصالحه، ومصالح أولاده فأتمروا إلا إبليس[1].

ووردت كلمة مسجد ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من خمس وعشرون مرة [2] معظمها بمعني الخضوع والانقياد لله سبحانه وتعالى ومخاطب به الجن والإنس في كل الأزمنة والأمكنة، وليس المراد به عبادة الصلاة فقط لان حياة الفرد كلها لله تعالى، وهذا دليل على أنَّ المساجد لها دور عظيم في حياة الإنسان في كل جوانبها الحياتية والأخروية .

ومن دافع عن المساجد ونصر دين الله نصره الله تعالى، كما قال ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج"40 " ثم بيَّن الله ✞ صفات ناصريه، فقال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.الحج"41"

ولعظم فضل المساجد جعل الله ✞ من أقبح القبائح، وأعظم الظلم المنع من عمارتها، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ البقرة "114" ولا شك أن الله ✞ نسخ جميع الشرائع السابقة كلها بالإسلام، فبعد هذا النسخ يتعين منع عمارة الكنائس، والصوامع، والبيع، وجميع المعابد، ويجب إظهار هذه المساجد ورفعها، والعناية بها، لقوله: ✞ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ النور "36" .

أمَّا المسجد في السنة النبوية فهو المكان الذي أُعِدّ للصلاة فيه على الدّوام[3]، وأصل المسجد شرعاً: كل موضع من الأرض يُسجد لله فيه[4]؛لحديث جابر ♦، عن النبي :❐ (وجُعِلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة، فليصلِّ)[5]، وهذا من خصائص نبيّنا ❐ وأمّته، وكانت الأنبياء قبله إنما أُبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصصة كالبِيَع والكنائس[6]. وأضافه النبي ❐ إلى الله إضافة تشريف بقوله :❐ (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده)[7] ونجد أنّ رسول الله ﷺ استهلّ بناء دولته عند وصوله إلى قباء ببناء المسجد، بالإضافة إلى ما حصل في المدينة حال وصوله حيث استقبله أهلها، وأخذوا يتسابقون ليأخذوا بخطام ناقته، وكلّ واحدٍ منهم يطمع بنزول رسول الله ﷺ عنده، فأمرهم النبيّ ﷺ بترك الناقة؛ لأنّها مأمورةٌ من الله تعالى، فلمّا بركت الناقة قام ببناء المسجد النبويّ فيه، هكذا علّم رسول الله الأمّة أنّ للمسجد أهميّةً عظيمةً، وأنّ أمر الأمّة الإسلاميّة يبدأ ببناء المسجد، وأنّه لا قيام لها إلا بتفعيل دور المسجد، ويتجلّى دور المسجد وأهميته في ما يأتي:

(1) تفسير الجلالين –جلال الدين محمد بن احمد المحلي –ج1 ص 112

(2) بتصرف من كتاب :المساجد، د .حسين مؤنس – ص(13)

(3) معجم لغة الفقهاء، للأستاذ الدكتور/ محمد رواس، ص397.

(4) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد، للزركشي، ص27.

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب التيمم، بابٌ: حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم 335، ومسلم، كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصلاة، برقم 521.

(6) انظر: المفهم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 117/2.

(7) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم 2699.

أولا/ المسجد مكانٌ لاجتماع المسلمين، وسببٌ لتقوية الأواصر والروابط بينهم، حيث إنّ الحاكم يصلي بجانب المحكوم، والغفير بجوار الوزير، فتزول الطبقيّة وتذوب الفوارق بين المسلمين، بالإضافة إلى أنّ الصلاة في المسجد خمس مرّاتٍ في اليوم تقوّي علاقة المصلين بعضهم البعض، والمسجد مكانٌ لتعلّم كثيرٍ من أمور الحياة، فهو: سببٌ لتقوية إيمان المسلمين والحفاظ عليه، فهو المكان الذي يؤدّون فيه الصلاة، والعباداتٍ الأخرى، ويكونون في تسليمٍ ورضوخٍ كاملٍ لله تعالى.

ثانيا/ المسجد مركزٌ لقيادة الأمّة، كما كان الأمر في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد كان يدير سياسة الأمّة الإسلاميّة من المسجد، ويرسل الجيوش منه، ويتمّ فيه استقبال الوفود، وكان مقرّ الحكم الذي تتمّ فيه المعاهدات وقرارات الحرب والقضاء، وكذلك كان الأمر في عهد الخلفاء الراشدين من بعده، وأبطال الأمّة وقادتها الذين نهضوا بالإسلام، وقد توعّد الله تعالى من منع الناس من تفعيل دور المسجد في حياتهم، فقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وسعى فِي خَرَابِهَا أولئك مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة"114" .

ثالثا/ وكان المسجد في عهد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– مكاناً لإعلان أفراح المسلمين، ومركزاً لاستقبال الفقراء، وعابري السبيل، ومكاناً لتربية الأطفال، وتربية المجتمع على أساس الوحدة وعدم التفريق بينهم: فالمسجد للجميع فلا يفرق بين أبيض وأسمر، وبين غني وفقير، وبين متعلم وغير متعلم، فالمسجد يجعل أفراد المجتمع كلهم سواسية لا يتعدى فرد على حق فرد آخر، وهذا ما يسمّى الآن بحقوق الإنسان.

رابعاً/ المسجد مكان لتربية المجتمع على الشورى: وعلى الأمور الدينية وإعطاء الرأي الأصح، فذلك يجعل المجتمع متشاوراً ومتقارباً فيما بين أفراده. وكذلك القضاء على الفقر: ففي المسجد سيتعرف الغني على الفقير ويقدم له المساعدة المادية، أو عن طريق صناديق الزكاة الموجودة في المساجد الذي يذهب ماله لفقراء المجتمع، ونشر المعرفة والعلم بين أفراد المجتمع، فالمسجد منبر لطرح المواضيع العلمية الحياتية بجانب المواضيع الدينية، فينتج مجتمع متعلم ومثقف[1]. بل وصل الدور الاجتماعي للمسجد إلى درجة أنه كان مأوى للفارين من الهموم والغموم والمشاكل، فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له: (أبو أمامة) فقال: "يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة" قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله قال: "أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته؛ أذهب الله –عز وجل– همك وقضى عنك دينك" قال: قلت بلى يا رسول الله قال: " ((قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) قال: "ففعلت ذلك ؛ فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني[2]

(1) مقالات ثقافية – بقلم د/زائد مصطفي/ شبكة الألوكة -2017

(2) سنن أبي داود (1555) من طريق غسان بن عوف أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري به.
قلت :وهذا إسناد ضعيف من أجل غسان بن عوف المازني البصري فإنه ليّن الحديث كما قال الحافظ في التقريب تخريج مشكاة الحديث الصفحة 15/3

خامساً/ وللمسجد دور ريادي في معالجة مشكلة الفقر والقضاء عليها، وإشاعة التعفف في المجتَمع، فقد أنزل الله في أهل الصفة قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة "273" فكان المسجد متكفلاً بهم مراعيًا لهم، لا يألو جهدًا ولو بالقليل في إطعامهم وإدخال السرور عليهم، "فإِذَا أَتَى النبيَّ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا.

سادساً/ كما كان للمسجد أعظم الدور في إلهاب حماس المسلمين، وتشجيعهم على الذود عن الحرمات والدفاع عن المقدسات، وشحذ النفوس للجهاد والقتال في سبيل الله، فصلاح الدين الأيوبي –رحمه الله– خرج لملاقاة عدوه من النصارى بعد صلاة الجمعة، لسبع عشرة خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة. وخرج معه المسلمون من المساجد إلى الجهاد وهم يكبرون ويتضرعون فنصرهم الله.

وللمسجد في خدمة الأمة وإصلاح المجتمع أدوار أخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها. ويجب علينا جميعاً أن نحيي رسالة المسجد ونقوم بدورنا في بعثه وإحيائه في كل المجالات التي ذكرناها، كل على حسب مجاله وتخصصه، ولا يظن ظان أن الإمام أو الخطيب أو لجنة المسجد أو وزارة الأوقاف هم وحدهم المسئولون عليه، فكلنا مسئولون وكل واحد منا يجب عليه أن يشارك ويساهم في ترقية المساجد وتطويرها حسياً ومعنوياً، فالتاجر بماله ودعمه، والأمي بحثه ودعائه ويده، وطالب العلم بعلمه ودروسه وحضوره، والحافظ لكتاب الله بتعليمه وتحفيظه لغيره، والمدير والمربي بتوجيهاته وإرشاداته، والطبيب بخبراته واستشاراته، والمدرس في مجاله، ولو أن يساهم بحصص تقوية في المسجد للطلاب في المادة التي يتقنها فالكل مسؤول عن المسجد وما يقدمه. "ويقول صلي الله عليه وسلم :(إن للمساجد أوتاداً. لهم جلساء من الملائكة فإن غابوا سألوا عنهم وإن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم[1] .

المطلب الثاني

مفهوم الخطاب الديني

معنى الخِطاب في اللغة العربية وكما ورد في معجم المعاني الجامع هو الكلام الذي يحمل الشكوى والتذمر، ومقصده لفت نظر المسؤولين، وفصل الخطاب هو الكلام الذي تبيّن فيه مشكلة أو قضية معلّقة ويكون حكمها بيّناً.[2]

(1) أخرجه البخاري (418/2) وقال الألباني: حسن صحيح قدئ روي مرفوعاً ومرسلاً وموقوفاً والصواب
–مفهوم الخطاب الديني – د/ آية ياسر –2011م

(2) موقع قاموس المعاني هو معجم معاني متعدد اللغات، ويوفر خدمة التعليم [2]

يتميّز الخطاب الدينيّ بالتجديد ضمن إطار عقيدة الإسلام، ويرتبط مضمونه بما يحتاجه المسلمون، ويكون المقصد منه هو حل ومعالجة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر. يسعى الخطاب الدينيّ لنشر الدين الإسلامي عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً ومعاملات، لغايات تعليم الناس كل ما هو نافع لهم في الدنيا والآخرة، وبذل كل الجهود في سبيل خدمة هذا الدين؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام.)[1]

ومصدر كلمة الخطاب الفعل خاطب أي ألقى خطاباً تجاه الجمهور، وهو ما يقوله الخطيب من كلام للناس، وهو حديث مطول يستعرض فيه الملك إنجازاته أو بعض القضايا السياسية وينحصر المعنى في مجمل التعريفات حول السعي لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومعاملات وبذل الوسع في ذلك، لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين وبذل أقصى الجهد والطاقة من أسجل خدمة هذا الدين الحنيف وامتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ ولابد لمن يتصدر لهذا المقام، من شروط يلتزم بها حتى يقوم بهذا الدور منها العلم بكتاب الله وتفسيره والسنة الشريفة بدرجة تمكنه من تعليم غيره .ويمكننا أن نعرف الخطاب الإسلامي تعريفًا أوليًّا بأنه :الكلام الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية أم أفرادًا متفرقين جمعهم الاستناد للدين وأصوله مرجعيةً لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحيونها، أو للتفاعل مع دوائر الهُويات القطرية أو الأممية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معه[2].

(1) مقال للكاتب /هايل الجازي/2016/12/19

(2) مؤتمر اتحاد علماء المسلمين 2012

المبحث الثاني

الخطاب الديني ودوره في حياة الفرد المسلم

ولأهمية مواكبة الخطاب الديني بالمسجد لما حدث من تطوير في كل المجالات حتى لا يتهم بالرجعية والتخلف وتوضيح صلاحه لذلك نبين دوره في حياة الفرد المسلم:

الناظر في التعريفات أعلاه يجد أن العلاقة بين المسجد والخطاب الديني لا تكاد تنفك عن بعضها حيث أن المسجد هو المكان لتقديم الخطاب الديني وهو يقدم للمسلم كيفية أداء العبادات بالمسجد لأنَّ من عبد الله على جهالة لا يزداد إلا بعدا من الله. ومن هذا المنطلق يأتي دور المسجد في تطوير الخطاب الديني، ويكون التطوير في الخطاب نفسه بحيث يكون مناسباً للزمان والمكان الذي يقدم فيه وكذلك يراعي فيه المقدم له الخطاب من حيث المستوى الديني والتعليمي كما قيل "لكل مقام مقال" [1].

ولا يعني تجديد خطاب أئمة المساجد هدم قواعد الدين، أو إلغاء ثابتة من ثوابته، أو تعطيل خصلة من خصاله، أو إلغاء شعيرة من شعائره. فلا طاعة لمن ينادي بذلك لأن الإسلام كل لا يتجزأ ومنوال لا يقبل التجزئة، فلابد أن نأخذ بأوامره ونواهيه، وتجديد الخطاب الديني المقصود منه كما نفهمه من ديننا إعادة نشره غضاً طرياً من مصادره الموثوق بها عن طريق المنابر الشرعية لا المنابر غير المتخصصة التي تعمل على هدم ثوابت الدين والقدح في رموزه، وتشويه مصادره، وهم تلاميذ المستشرقين والماسونيين الذين يدربون دعاة من المسلمين لهدم الإسلام بمدونهم بكل غال ونفيس مقابل القدح في الإسلام وهدم بنيانه. ولكن نقول لهم ولغيرهم، مهما أتوا من قوة خسئتم، وفشلتم، وستخسئون وتفشلون كما خسئ كباركم وأساتذتكم الذين كادوا للإسلام ولرموزه سنين عديدة، بل دهور ولم يصيبوه في شيء.[2]

والخطاب الديني يشمل معنى عام، وآخر خاص فالمعنى العام: فهو كل سلوك أو تصرف يكون الباعث فيه الانتماء إلى دين معين سواً كان مكتوباً أو مسموعاً أو ممارس عملياً، ونجد هذا ظاهرا في كتابات غير المسلمين. وأما المعني الخاص: فهو ما يصدر من رجال الدين من أقوال أو أفعال أو نصائح دينية أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها الدين الذي يدينون به. ولذا فالخطاب الديني يجب أن يكون محصورا في خطاب من هو أهل أن يجتهد في بيان شرع الله. فكل خطاب يصدر من غير أهل الاجتهاد لا يجوز أن يسمى إسلامياً، ولا يجوز أن نُحمّلَ الإسلام أخطاء العوام في ممارستهم للدين أو فهمهم له. [3]

فهي قضية بالغة الأهمية في فكر المواجهة للرد على ما يثار ضد الإسلام والمسلمين من مزاعم، كما أنها إحدى التحديات الرئيسية التي تواجه المجتمع العربي والإسلامي منذ أن بدأت تبرز تحولات وتغيرات جوهرية بالنظام الإقليمي والعالمي، خاصة بعد

(1) رسالة في المسجد وتجديد الخطاب الديني بقلم: د. سعد خلف عبد الوهاب ص- 35

(2) موقع أرشيف الإسلام أون لاين –محاضرات بقلم د/عبد السلام حمود غالب الإنسي

(3) كتاب موقع الاسلم /سؤال وجواب –محمد صالح المنجد/فقيه وداعية اسلمي ولد بفلسطين مقيم بالسعودية /نال الدكتورة من جامعة الملك فهد للبترول /دو الحجة 1438هـ

أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي شكلت نقطة تحول تاريخية في العلاقة بين الإسلام والغرب، ما ترتب عليه من بروز العديد من الدعوات الداخلية والخارجية لإعادة النظر في الخطاب الديني الإسلامي، وخلق حالة من الجدل الذى ما زال مستمرًا بين ما هو مؤيد للدعوة إلى إعادة النظر في الخطاب الإسلامي، أو رافضاً لها باعتبارها أفكارًا غربية تسعى إلى المساس بالإسلام كدين والتاريخ الإسلامي لم يتوقف عن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني عصرًا بعد عصر، وإن كان بمسميات مختلفة، كالإحياء والإصلاح واليقظة والتطوير إلى غير ذلك من المسميات، وكان من أشهر المجددين في الفكر والخطاب الإسلامي الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي جدد سنة الخلفاء الراشدين، وأئمة الفقه الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي والإمام أحمد بن حنبل[1]. و تجديد الخطاب الديني لا يعني تغيير أدلة الشريعة أو العبث بأحكامها، لكنه يعني إنزال الحكم المناسب على الفعل المستجد، فهو ضرورة شرعية لا غنى عنها لإعمال ما اختصت به الشريعة من عموم وصلاحية لحكم التصرفات المستجدة في حياة الناس، والنوازل الحادثة وليست عملا ترفيهياً أو شيئاً ثانوياً، وبدونه سوف ينعزل فقه الشريعة عن واقع الحياة[2].

وهو يمثل الترجمة العملية ليس الشرعية وعمومها وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس في كل زمان ومكان، وبدونه يصبح الإسلام محنطا في فترة زمنية وعاجزا عن مسايرة الواقع، ولهذا فإنه يمثل ضرورة شرعية واجبة، وليس اختياراً إنسانياً أو توجيهاً أجنبياً، وبدونه سوف يُظلم الإسلام ظلماً بيّناً ونقدم عنه صورة مختلفة تشبع أحقاد أعدائه، وتستثير سخرية خصومه، وتحول بينه وبين واقع الحياة، ولهذا كان أمراً متعيناً بل وواجباً شرعياً. ووصفه بأنه إزالة ما شاب وسائله من تعطيل بسبب جمود بعض المنتمين إليه والقائمين به، وعدم مسايرتهم للغة العصر، مما زاد اتساع الفجوة بين العقيدة والسلوك لدى المخاطبين، وأحال الدين إلى كهنوت يختص به فئة دون آخرين، بهدف التطوير في الوسائل والأساليب، وبما يحقق عودا حميدا إلى الجذور الأولى للدين الحنيف، وينفى عنه البدع وانتحال المبطلين، وغلو المنحرفين وتحريف الجاهلين ويُراد به معالجة العلماء للقضايا المختلفة واجتهاداتهم على المستوى الفقهي أو الكلامي أو الصوفي في الإطار الإسلامي، وعلى هذا الفهم يترتب أن هذا النتاج البشرى غير معصوم وبالتالي يدخل في إطار النقد والمراجعة، وأن قبوله ورده يكون على أساس موافقته للكتاب والسنة وإجماع السلف، وأن غاية هذا النقد هو تنقية الدين من بعض الأفكار الخاطئة والترسبات التاريخية التي علقت به، وليست من الإسلام كما هو حال بعض المجددين في تاريخ الأمة الإسلامية[3].

لا يختلف اثنان في العالم الإسلامي على وجوب التجديد في طريقة العرض والأسلوب، ففي الدين قيم ثابتة، ومبادئ ثابتة، سمّها إنْ شئت الثوابت، هذه مغطاة بنصوص قطعية الدلالة، وفي الإسلام متغيرات مغطاة بنصوص ظنية الدلالة، هي محلُّ الاجتهاد، ومحلُّ التجديد والتطوير، والمشكلة إننا ابتدعنا في عقائدنا، وفي عباداتنا، وقلّدنا في دنيانا، فكنا في مؤخرة الأمم.

فالتجديد هو أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه، فالأزمة كما أراها ليست في تجديد الخطاب الديني، بل في مصداقية الخطاب الديني، ولنقرأ هذه القصة الواقعية:

(1) المحصول في علم الاصول أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي للرازي 1/1 107 – الإحكام في ألأصول المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ(95/1 –ص-120

(2) المحصول للإمام الرازي 107/1/1 والأحكام للآمدي 95/1

(3) تجديد الخطاب الديني ومواجهة الإرهاب إشكاليات وتحديات – محمود علي -الأربعاء، 02 مايو 2018 18:28

(وهي قصة قصيرة، إمام مسجد في بريطانيا نُقل إلى بلدة في ظاهر لندن، فاضطر أن يركب المركبة العامة كل يوم، ومن غرائب الصدف أنه يركب المركبة نفسها مع السائق نفسه، في إحدى المرات صعد المركبة، وأعطى السائق ورقة نقدية، ردّ له السائق البقية، عندما عدّها وجدها تزيد على ما يستحق عشرين سنتاً، فقال: أنا كَوْني مسلمًا ينبغي أن أردّ هذه الزيادة، ثم قال: هي زيادة طفيفة، والشركةُ عملاقة، ودخلها فلكيّ، ولا تتأثر بهذا المبلغ الزهيد، هو هبة من الله إليّ، وهذا طبعاً خطأ، فلما جاء وقت نزوله من المركبة وقف أمام السائق، ودون أن يشعر أعطاه العشرين سنتاً، فابتسم السائق، وقال له: ألست إمام هذا المسجد؟ قال: بلى، قال: والله حدَّثتُ نفسي أن أزورك في المسجد لأتعبد اللهَ، ولكنني أردت أن امتحنك، هذا الإمام وقع على الأرض لهول الصدمة، فلما استعاد وعيَه وقف، وأمسك بعمود، وقال: يا رب كدت أبيع الإسلام كله بعشرين سنتاً"[1]/

كم من مسلم يبيع دينه كله بشركة، بحصته من شركة، باستعصائه في بيت، بكذب، باحتيال، الأزمة اليوم أزمة مصداقية الخطاب الديني، لماذا فعَلَ الأنبياء شيئاً لا يكاد يصدَّق، وآلاف الدعاة لا يفعلون شيئاً؟ لأن الأنبياء فعلوا بسلوكهم ما قالوه بألسنتهم [2].

ونجد أن الخطاب الديني اليوم لم يعد ذلك الخطاب الذي يوجه إلي المصلين بالمساجد فقط، بل أصبحت وسائل التواصل مما يعرف بالعولمة كلها منابر يمكن أن تستغل إما سلبا وإما إيجابا للإسلام مما القي على عاتق الدعاة والمسلمين عامة مسؤولية مراقبة هذه المواقع والتأكد مما تنشره هل هو صحيح أم غير ذلك، لأنَّ أكثر الناس اليوم أصبحوا يتلقون الإجابات على استفساراتهم عبر هذه المواقع لسهولة الوصول إليها مما جعل لها آثار سلبية وإيجابية بين الشباب خاصة وهذا يضاعف من أهمية المسجد وتنوع ما يقدم فيه من خطاب ديني يجعله مواكب لما يقدم بهذه المواقع توجيها وتصحيحا لبعضها لأنها أصبحت واقعا نعيشه رضينا أم أبينا[3]

وترى الباحثة أنّ المنكرين لتجديد الخطاب الديني لهم عذر ظاهر وهو أن النظر إلى واقع تلك الدعوة، ومصدرها ودعاتها، وزمان انطلاقها يوحي بأنَّ المقصود بها تغيير الخطاب الشرعي وتبديله وتطويعه لما يريد غير المسلمين، والتخلي عن كثير من ثوابت الدين التي وردت بها النصوص القطعية، وأجمع عليها المسلمون على مر العصور، والإتيان بدين جديد غير ما عرفه الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم إلى هذا العصر. وأما الذين ظنوا أن مناداة بعض المفكرين المسلمين بتجديد الخطاب الديني يعد تراجعًا عن شيء من ثوابت الدين، وتنصلًا من تكاليفه وتشريعاته، فقد خاب ظنهم وأفلس سعيهم، وطاشت سهامهم، فما من أحد يستطيع أن يفعل ذلك، لأن الله قد تكفل بحفظ دينه وكتابه، وضمن لمن تمسك به الظهور والغلبة ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله))[4]. وتجديد الدين جاء ذكره في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن

(1) / رسالة في بريد الباحثة من اصدقاء الفيس

(2) ـ كتاب ومضات في الإسلام – محمد راتب النابلسي –الباب العاشر – الفقرة (2-2)ص 123

(3)ـ تجديد الخطاب الدعوي- موسوعة – محمد راتب النابلسي – موقع الشبكة

(4) أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعا) ينظر صحيح البخاري- كتاب الاعتصام: 125/9 وصحيح مسلم- كتاب الإمارة 1523/3. سنن ابن ماجة)1344/2)ح 4048. أخرجه أبو يعلى (6417)، والطبراني في الأوسط (47)، وابن عدي في الكامل 84/7.

رسـول الله عليه وسـلم قال: ((إن الله يبعث في الأمة على رأس كل مائة سـنة من يجدد لها دينها))[1]. وذكر حديث حذيفة وفيه قال رسول الله (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة((2).

المطلب الثاني

ضوابط مجددي الخطاب الديني

أولا: العلم بحكم الشرع الذي يريد أن يأمر الناس به، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الأحكام وطرق دلالتها وكيفية الجمع بينها عند التعارض لقوله تعالي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء"36".

ثانيا: العدالة واشـــترطها العلماء حتى يطمئن الناس على عدل من يفتيهم في أمر دينهم وهو مبلغ لكلام الله عز وجل فإن لم يكن عدلاً فهو فاسق، ولا يجوز ذلك في حق المبلغ عن الله ورسوله.

ثالثا: معرفة أحوال الناس وعاداتهم وأعرافهم وفي هذا المعنى يقول الإمام القرافي: (إنَّ الإحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت وتبطل معها إذا بطلت... وعلى هذا القانون تراعي ﷺ الفتاوى طول الأيام فما تجدد من العرف اعتبره وما ســقط منه سقط منه أسقطه ولا تجمد على المسطور طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك فاسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون عرف بلدك،

رابعا: فقه النفس والإحاطة بمقاصد الشريعة لقوله ﷺ:((ربما حامل فقه ليس بفقيه [3])

خامســـا: بذل الجهد ممن هو أهل للنظر في أدلة الشـــرع حتى يحث في نفســـه العجز عن المزيد من البحث فينظر في الأدلة ومفهومها ويتأملها حتى يكون حكمه موافقا لما جاء به الشرع. وفي هذا المعنى يقول الغزالي في الاجتهاد التام: "أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه العجز عن مزيد الطلب" ويجب أن يكون خطابه واضحاً ويراعي فيه حال المخاطبين من كل النواحي العمرية والتعليمية والثقافية والبيئية، ويكون الأسلوب بلغة بسيطة يفهمها المخاطبون من غير تكلف ولاعنت، وكذلك يجب مراعاة الأهمية في الترتيب وعدم المساواة بين كل الأحكام كالفرائض والسنن والمستحبات وغيرها من فروع الشريعة الإسلامية المتعددة [4].

والمصالح التي جاءت الشريعة بتحصيلها وتكميلها ليست على درجة واحدة في الأهمية ولذلك قسمها العلماء إلى :ضروريات وحاجيات وتحسينات، ومنها أصلي ومنها تابع، فلابد من معرفتها لمن أراد القيام بالخطاب الديني [5].

(1) أبي داود كتاب الملاحم- باب ما يذكر في قرن المائة ذكر هذا التفسير عن العلقمي عند ذكر الحديث- **34**(رقم/4291) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (149)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/599)

(2) ينظر مختصر المنتهى لابن الحاجب المالكي علي شرح عضد الملة والدين وحاشية التفتازاني 63/2

(3) الفروق 2/1 3/ ص12.حديث مرفوع.رواه/زيد بن ثابت –كتاب السنة–ص 64

(4) نفائس الأصول في شرح الحصول، تحقيق عياض السممي(رسالة دكتوراه) 302/1 ،308.

(5) البحر المحيط – لمحمد بن بمادر الزركشي –تحقيق عبد القادر عبدالله العاني 124/5

فالضروريات غير قابلة للتجديد ولا الاجتهاد لأنها ثابتة بالكتاب والسنة، وأما الأقسام الأخرى فالتجديد فيها ممكن بالشروط والضوابط المذكورة سابقا في هذا البحث.

المبحث الثالث

آداب المسجد وكيفية العمل بها

المطلب الأول

آداب المسجد

للمساجد آداب ذكرها العلماء، وهي مستمدة من الوحيين الكتاب والسنة، والمقصود بالآداب الأوامر والنواهي والمستحبات التي تفعل عند دخول المساجد أو قبل ذلك، وهي كثيرة أكتفي بذكر بعضها:

أولا/ استحباب لبس الثياب الحسنة واستعمال السواك عند الذهاب إلى المسجد، قال تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ/ الأعراف: 31]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاة) ونرى بعض الناس يأتي للمسجد بملابس نومه أو البيجامات أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة و بها روائح كريهة مما يؤدي الى مضائقه الملائكة والمصلين، فرب العالمين أولى بالتجمل، قال تعالى: ﴿ ذلك وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج " 32" ومن الآداب أيضا التبكير للمسجد، المشي إليه، وعدم سؤال الحاجة فيه، ذكر الأدعية المأثورة عند الذهاب وعند دخول المسجد كقوله ﷺ:(اللهم افتح لي أبواب رحمتك وعند الخروج :اللهم إني أسألك من فضلك) وغيرها من الأدعية المستحبة، وكذلك الإكثار من التسبيح والذكر والصلاة علي النبي ﷺ ونهي البيع والشراء بالمسجد، ونهي عن الخروج من المسجد بعد الآذان إلا للضرورة، روى مسلم في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ(([1] وفي رواية أخرى: ((إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ القرآن)) وقال النووي رحمه الله: "وينبغي للجالس فيه أن يأمر بما يراه معروفا وينهى عن المنكر[2] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن البيع و الاشتراء في المسجد) واللفظ له وإسناده حسن. وللإمام مالك بلاغاً: أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ–أحد خيار التابعين– كَانَ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ يَبِيعُ فِي الْمَسْجِدِ، دَعَاهُ فَسَأَلَهُ مَا مَعَكَ؟ وَمَا تُرِيدُ؟ فَإِنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهُ، قَالَ: عَلَيْكَ بِسُوقِ الدُّنْيَا .وَإِنَّمَا هَذَا سُوقُ الْآخِرَة [3] ِ وعن أَبي هريرة – رضي الله عنه –: أَنَّه سمعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لاَ رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ، فإنَّ المسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا))[4] عَنْ سَعِيدِ بنِ المسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ

(1) الأستذكار – 80-45- ورواه مسلم أيضا (569) و وروى البيهقي في "السنن" (20763)

(2) شعيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر– أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي **2/34**

(3) كشف المعطى عن وجه الموطا – محمد إشفاق الرحمن/174ورواه الترمذي وأبو داود وغيرهما.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (568)

فِي الْمَسْجِدِ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ"[1].

أما بالنسبة لإنشاد الشعر بالمسجد فإنه يخص الشعر الرفيع كشعر حسان بن ثابت، أما ما كان خبيثا وغير طيب، فلا يجوز إنشاده داخل المسجد لأنَّه لا تليق بها.

ومن آدابها أيضا انتظار الصلاة للصلاة كما ورد في الحديث: وَعَن سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:((مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ))[2] وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ (خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ[3] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم! قالوا وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله يُقسَم وأنتم ها هنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا وأين هو ؟ قال: في المسجد . فخرجوا سِراعا إلى المسجد ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم ما لكم؟ قالوا يا أبا هريرة: فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئا يُقسَم! فقال لهم أبو هريرة: أما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا بلى رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد .[4] وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يُعَلِّمَهُ كان له أجر معتمر تامّ العمرة، فمن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يُعَلِّمَهُ فله أجر حاجّ تامّ الحجة .

والناظر في آداب المسجد المذكورة أعلاه يجدها كلها تدعو إلى حسن التأدب بالأخلاق الفاضلة والتهذيب بكل معانيه، وهذا في حد ذاته دعوة، لأن الدعوة الفعلية عند النبي ﷺ كانت مؤثرة أكثر من غيرها فكثير ممن دخل الإسلام كان بسبب تعامله ﷺ والكل يعلم قصة ذلك الإعرابي الذي تبول بالمسجد ولكن بحكمته ﷺ كان سببا في اعتناقه الإسلام، والأمثال تطول في ذلك. لذلك علينا أن نهتم بهذه الآداب حتى تكون خطاباً دينياً مؤثرا في دعوة الغير حتى نحقق ما نصبو إليه من تطوير الخطاب الديني، ولا يخفى علينا تأثر الشباب بالموضات المستحدثة من لبس، وحلق للشعر وتصفيفه، ولفه. فإذا تحلى الدعاة والخطباء، بهذه الأخلاق الفاضلة في مساجدهم وخارجها، مراعون كل ما هو حديث لكنه موافقاً للشرع الإسلامي، لكانوا أسوة حسنة لهؤلاء حتى لا يبحثون عنها عند غير المسلمين ومن أدب المسجد أيضا خلع الحذاء وإزالة ما علق به من أوساخ خارج المسجد، وإطباقه

(1) صحيح البخاري برقم (887) وصحيح مسلم برقم (252) واللفظ له كتاب فضائل الصحابة-باب فضائل حسان بن ثابت –حديث رقم 4666-

(2) أخرجه النسائي (2/55_56) ، وأحمد (469/37 الرسالة) ، وأبو يعلى (7546) ، وابن حبان (1752

(3) أخرجه مسلم (2701)

28. رواه الطبراني في (الأوسط) بإسناد حسن. ووافقه الهيثمي والألباني. (صحيح الترغيب والترهيب 144/1

(4)-كتاب فضل العلم –زواه الطبراني في الاوسط بإسناد حسن –ج 1

ووضعه في أقرب مكان مخصص والحذر من رفعه فوق الرؤوس، أو تلويث المسجد به، ثم إطباق باب المسجد بهدوء عند الدخول. وتجنب أكل الثوم أو البصل، وما له رائحة كريهة، و قبل الدخول إلى المسجد إزالتها، بتنظيف الفم بالماء والفرشاة والمعجون كما في الحديث: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا)) متفق عليه. وعدم رفع الأصوات فيه كما جاء في الحديث النبوي: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال)(ألا كلكم مناج ربه فلا يؤذينّ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة)).[1]

ومنها كذلك عدم لبس الزينة والتبخير للنساء عند الذهاب للمسجد كما قال ﷺ في الحديث: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال صلى ﷺ :((يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المساجد))[2].

ومن آداب المسجد إغلاق الهواتف المحمولة عند الدخول للمسجد حتى لا يحدث إزعاجاً للمصلين وكذلك الطهارة، لا يدخل المسجد جنب، ولا نُفَساء، ولا حائض إلا عابري سبيل وذلك لينال المسلم الأجر العظيم.ويستن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ويمتثل قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [3]

التطيب ولبس أجمل الثياب: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف "31"

ومن الآداب المشي إليها بسكينة ووقار[4] لقوله صلى الله عليه وسلم ﷺ إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلي الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا) [5] وفسر الوقار بغض البصر، ويحصل من ذلك الراحة النفسية والطمأنينة، وكذلك عدم تشبيك الأصابع لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم :(إذا توضأ أحدكم في بيته ثم أتي المسجد كان في صلاة حتى يرجع، فلا يفعل هكذا، وشبك بين أصابعه)[6]

ومنها تسوية الصفوف إذا أقيمت الصلاة، والاعتناء بذلك عناية بالغة وقد قال عليه الصلاة والسلام :(سووا صفوفكم ,فإن تسوية الصف من تمام الصلاة) وفي رواية (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم) [7] ومنها عدم حجز مكان فيه لأنّ المصلين فيه

(1) رواه النسائي وأبو أحمد

(2) أخرجه الترمزي (3059)والفظ له ،والبيهقي في (السنن الصغير)(3310)والخطيب في (الموضح)(25/1)3

(3) سورة الاعراف –الآية (31)

(4) آداب المساجد – أبو بكر جابر الجزائري- 2012

(5) رواه البخاري ومسلم

(6) رواه الدارمي –عون المعبود –شرح سنن ابي داود –رقم (1245) –طبعة جديدة

(7) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

سواسية، مما يؤدي إلى ترك بعض الأماكن خالية لا يصلي فيها أحد ,ويؤدي إلي تخطي الرقاب في الصلاة. وكذلك عدم مضايقة المصلين في الصف، كأن يسد البعض فرجة ضيقة فيزاحم المصلين مما يؤدي إلى عدم تسوية الصف.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه (إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زواري فيها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، وحُق على المزور أن يكرم زائره)[1]

((إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ))[2] قَالَ ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[3].

ونخلص من آداب المسجد التي ذكرناها وهذه وغيرها الكثير الذي لم يتسع الموضع لذكرها، نجد أن هذه الآداب تصب في تهذيب المسلم المكلف بأداء فريضة الصلاة فإذا تأدب المسلم بهذه الآداب خمس مرات في اليوم، فهل يستطيع أن يخالفها باقي يومه؟ فالإجابة أكيد لا فأنها ستصبح ملازمة له لا تنفك عنه كما قال ﷺ في معني الحديث عندما سأل: ((أرأيتم إن كان عند باب أحدكم نهراً يغتسل منه خمس مرات في اليوم فهل يبقي من درنه شيء؟ قيل لا فقال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)) فكذلك إذا تأدب المسلم بهذه الآداب فأنها تجعل حياته كلها تبعاً لما جاء به القرآن والسنة من تهذيب للنفس البشرية وتحسين الخلق والمعاملة مع الآخرين وبعد هذا يكون أسوة لغيره، لأن للقدوة العملية فاعلة أكثر من القولية، كما ظهر ذلك جلياً في سنة النبي ﷺ,حيث أنه كان يقول لأصحابه ((خذوا عني مناسككم))[4]/ و (صلوا كما رأتموني أصلي))[5].

وكان الصحابة يقلدونه في كل أفعاله، وفهمت السيدة أم سلمة رضي الله عنها ذلك عنه، فعندما استشارها في الرجوع من العمرة يوم الحديبية، قالت له احلق واخلع إحرامك فسوف يتبعونك، وهذا ما حدث، فهذا دليل على أن السنة الفعلية مؤثرة أكثر من غيرها. فإذا كان المسلمون أو الدعاة والخطباء على هذا المنوال فإنهم لا يحتاجون لخطاب ديني طويل إلا قليلاً في الخطب المفروضة لأنهم سيكونون أسوة لغيرهم فيتبعهم الآخرون في ذلك. لأنهم يكونون محبوبين لدي الناس، لأن الله قد أحبه بهذه الصفات فينادي الله عز وجل في جبريل فيحبهم وينادي جبريل في الناس ويحبونهم والمحب لمن يحب مطيع، ولكن وللأسف الشديد نجد أن الكثير من المسلين لا يفعل الكثير من هذه الأشياء، فأصبحت الصلاة أداة تؤدى من غير خشوع ولا خضوع، بل مجرد حركات من غير حضور للقلب ألا القليل ممن رحم الله، حيث أصبح الناس مشغولون بمباهج الحياة الكثيرة من أموال ونساء وتطاول في البنيان وغيرها. ونسوا أن الله تكفل لهم بهذا إن هم عبدوه حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا

(1) رواه أبو تميم 528

(2) أخرجه الترمذي وابن ماجة/ انظر "تهذيب التهذيب" (209/3)

(3) أخرجه البخاري في صحيحه /(8606)ومسلم في صحيحه/(3101)

(4) الرحيق المختوم –صفي الدين الماركفوري–ص99 –اخرجه الطبراني في كتابه الكبير /324/1

(5) أخرجه البخاري وغيره فى حديث لمالك بن الحويرث وقد سقت لفظه بتمامه فى أول " باب الأذان (213).

أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الذاريات "56-58" فبعد المكلفون بالخطاب أيضا عن دعوة غيرهم حيث أصبحوا منشغلون بالرد على بعضهم البعض إذا اختلفوا في أضعف المسائل فيتبادلون السباب والشتائم والكيد لبعضهم، ناسين ما كلفوا به من تجاوز المختلف عليه فعسى أن يكون فيه رحمة للأمة مما جعل الكثير ينشق ليكون مجموعات يتعصب كلٌ لرأيه مؤكداً خطأ غيره، مما أدى للحرونات بين المسلمين بعضهم البعض من غير مراعاة لحرمة دم المسلم، حيث أن دمه حرام وعرضه حرام وماله حرام، جاعلين قوله ﷺ ((كل المسلم علي المسلم حرام))[1] وراء ظهورهم وقوله أيضا :((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالبنيان يشد بعضه بعضا و كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضوا تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2].

فنجد الكثير من إمكانات الدنيا، من مال وطاقة ونساء وفكر، قد جندت في سبيل الصد عن صراط الله عدم الوصول إلى مرضاته، فقد أصبحت مهمة الدعوة الإسلامية فرضاً من الفروض العينية، يخاطب به كل مسلم صادق مع الله في إسلامه، ولم تعد مقتصرة على ثلة من الناس، مهما بلغ شأنهم ومهما كانت أهميتهم.

وترافق مع هذا التحرك طرح غربي آخر يدعو إلى نشر وتعميم أو بالأصح فرض وإدخال تجارب جديدة وضعت نتائجها نماذج «للإسلام الإصلاحي» بحيث تصبح هي الأنظمة المسيطرة والموجهة والوحيدة السارية في سائر البلدان الإسلامية، ومما ذكر في هذا الصدد ما سُمِيَ بالتجربة الأتاتوركية التي ابتدعت «الإسلام العصري العلماني» وهو الذي يراه الغرب النموذج الوحيد الصالح الآن لإعماله في البلاد الإسلامية بغرض نقلها من التخلف إلى الحداثة، وإدماجها في النظام العالمي الجديد، وإنقاذها بالطبع من التطرف والإرهاب [3]. وضرورة الفصل بين مرامي تجديد الخطاب الديني وأصل الشريعة لازم، فالدمج بينهما، كما أسلفنا، تعطيل للتجديد وغلق لأبواب الاجتهاد. فالخطاب الديني وسيلة توصيل المعنى الذي قصده الشارع إلى المخاطب به. وهنا تبرز الدعوة إلى المجادلة بالتي هي أحسن كما فسرها المحدثون من السلف بالقدرة على الإقناع ولإقامة الحجج والبراهين، يقول تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} العنكبوت (46)، وقال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}النحل"125"، فالإخلاص وحده غير كافٍ لأداء وظيفة الدعوة بل يلزم معه العلم والإحاطة بواقع الناس وحاجاتهم .يقول تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}يوسف "108"

ومن هنا تبرز أهمية المسجد في تبليغ هذه الدعوى أولا للدعاة أنفسهم ومن ثم ينطلق بها هؤلاء إلى الغير، سواء كان عبر المنابر المعدة لذلك، أو عبر منابر التواصل الاجتماعي التي أصبحت أكثر انتشاراً من المنابر التي كانت في السابق، ولابد من تطوير

(1) تخرجه مسلم من رواية أبي سعيد مولي عبدالله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة وأبو سعيد هذا لا يعرف اسمه وقد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في ثقاته – رقم /35

(2) أخرجه مسلم في البر والصلة ولاداب في تراحم المؤمنين وتعاطفهم (2586)وكتاب الاداب رقم (611)

(3) جريدة الحياة 2003/10/25 =عدد 378-2012/12/12م

وتجديد الخطاب الديني حتى يكون مواكباً لما يتطلبه العصـــر الحديث. وأيضـــا إعداد الخطيب وتدريبه على مواجهة ما يلاقي من صعاب في مجال الدعوة متأسياً بالنبي ﷺ وكذلك مثقفاً دينياً مستعداً للرد على ما يلاقي من أسئلة واعتراضات من قبل المخاطبين الذين صاروا يتلقون الكثير من معلوماتهم عبر الوسائط وما يعرض فيها من آراء لم يتحقق من مدي صحتها.

وخلاصـة القول: إنه لا سـبيل لاسـتعادة هيبة الإسـلام ورد اعتباره إلا بالقضـاء على التخلف الحضـاري الثابت في حق العالم الإسلامي، ممثلاً في الثالوث الخطير (الفقر والجهل والمرض)، إن أكبر ما يواجه الإسلام من تحديات العصر هم المسلمون أنفسهم، إنهم نماذج مجسدة له، فهؤلاء لا يعيشون في مستواه وبالتالي فهم لا يعبرون عنه، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، وإننا لن نستطيع أن نصنع حضارة للعالم مستندة إلى تعاليم الإسلام إلا إذا وضعنا تلك الحضارة موضع التطبيق، وهذا يكون بالفعل لا بالقول.

إن الإســـلام ليس مجرد اعتقاد وتصـــور، أنه نظام حياة ونهج وســـلوك. ونقطة البداية للخروج بأغلبيتنا العاجزة المطحونة من ضـياعها وسـلبيتها، لا يكون إلا بكسـر الحلقة المفرغة التي تدور فيها ليس بتوعيتها فقط ولا بمحو أميتها الأبجدية، وإنما أسـاس أميتها العقدية وأميتها الوظيفية، وهذه هي مهمة الخطاب الديني الإسـلامي اليوم، فوعي الشـعوب الإسـلامية عقائدياً وسـلوكياً هو أســـاس نموها وهو شـــرط حريتها وســـعادتها. وذلك منذ الأزل وحتى اليوم كما قال ﷻ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد "11" ومن هنا قال الإمام المجدد المرحوم الشيخ محمد عبده (إن الإسلام محجوب بأهله الذين لم يقوموا به) وقوله (الدين في الإســلام علم والعلم في الإســلام دين) ( ). يعتبر التأهيل الاجتماعي للخطباء وتحســين أحوالهم المادية عاملاً مهماً في الانسجام مع مما يمكنه من معالجة ما يستجد في واقع الناس بجدية ووعي كبيرين.

الخاتمة

أحمد الله حمد الشـــاكرين على إكمال هذه الورقة التي حملت عنوان "دور المســـجد في تطوير الخطاب الديني" والتي توصـــلت الباحثة من خلال هذا الطرح إلى نتائج أهمها:

أولا: إذا أردنا تطوير خطابنا الديني لابد من الرجوع لما كان عليه الأولون من السلف.

ثانيا: لابد من مواكبة العصر في الخطاب الديني حيث أنه لا يمكن توصيله للأمم الأخرى إلا بما يشبه أسلوبهم العصري.

ثالثا: إن دور المسجد لا ينتهي أبداً في أداء رسالته الدعوية طالما هنالك مؤمنين يقيمون الصلاة.

رابعا: إنّ العلمانيين يحاولون طمس الحقائق الإسلامية حتى لا يعلمها الكثير من الأجيال الجديدة.

وقد أوصت الباحثة بما يلي:

أولا: ربط الشباب والأطفال بالمساجد حتى يكون معيناً لهم على حبها والدعوة إليها.

ثانيا: الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة لله لما لها من انتشار.

ثالثا: إقامة مؤتمرات سنوية يلتقي فيها الدعاة من كل البلاد المسلمة حتى يكون خطاب ديني موحد.

رابعا: الدعوة إلى توحيد الفرق والجماعات الإسلامية وعدم التمسك بالآراء التي فيها خلاف.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. التعليق على تفسير الجلالين / جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد) (المتوفى: 864هـ)،
2. جامع البيان عن تأويل آي القران / أبو جعفر بن جرير الطبري / أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة / الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
3. الجامع الكبير - سنن الترمذي /: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت
4. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
5. جريدة الحياة العدد الخامس والعشرين /اكتوبر 2003م. العدد/2012/12/12/378م
6. سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
7. سنن الدارقطني / أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن / ت: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم / الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان /الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
8. الفروق / أسعد بن محمد بن الحسين، أبو المظفر، جمال الإسلام الكرابيسي النيسابوري الحنفي راجعه: د. عبد الستار أبو غدة / الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية / الطبعة: الأولى، 1402هـ - 1982م.
9. لسان العرب / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين "ابن منظور" الناشر: دار صادر – بيروت / الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
10. المحصول/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ت: الدكتور طه جابر فياض العلواني / الناشر: مؤسسة الرسالة / الطبعة: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م.
11. مختصر صحيح مسلم «للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري» / المحقق: محمد ناصر الدين الألباني/ الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان / الطبعة: السادسة، 1407 هـ - 1987 م.
12. معجم المعاني / مروان العطية / ربيع الأول 1433هـ.
13. معجم لغة الفقهاء / محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي / الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
14. مقالات ثقافية بقلم زائد مصطفى / شبكة الألوكة / 2017م.
15. نفائس الأصول في شرح الحصول/ رسالة دكتوراه / ت: عياض السلمي

مؤسسات التعليم العالي ودورها في صناعة الفتوى (مركز الإفتاء الشرعي- جامعة القران الكريم وتأصيل العلوم- السودان - نموذجا) دراسة فقهية مقارنة

الدكتور/ زاهر عبد الحميد محمد صالح

أستاذ الفقه المقارن المساعد – كلية الشريعة والقانون – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – السودان

الملخص

جاء البحث بعنوان: مؤسسات التعليم العالي ودورها في صناعة الفتوى (مركز الإفتاء الشرعي – جامعة القران الكريم وتأصيل العلوم – السودان نموذجا)، وهدف البحث الى توضيح مفهوم الفتوى، وإبراز دور مؤسسات التعليم العالي في صناعة الفتوى، وتأتي أهمية البحث في أنه يعكس تجربة لمؤسسة تعليمية في مجال صناعة الفتوى، وقد انتهج البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، واقتضت طبيعة البحث الى تقسيمه لثلاثة مباحث ففي المبحث الأول تناول البحث مفهوم الفتوى، وتناول في الثاني أحكام الفتوى وشروطها، وضوابطها، والمفتي، والمستفتي، وفي الثالث تناول الجانب التطبيقي: (مركز الإفتاء الشرعي – جامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم وتجربته في صناعة الفتوى)، وقد توصل البحث الى نتائج و توصيات أهمها: أن لمركز الافتاء الشرعي دور واضح في صناعة الفتوى، وأن هنالك رغبة وتفاعل كبيرين من المجتمع مع المركز، وأن المركز قد رفد المؤسسات الرسمية بالفتاوى والقرارات، كما أكد البحث أن المركز قام بحل الكثير من القضايا الاجتماعية أهمها: (اصلاح ذات البين، التركات، الدماء والديات)،وقد أوصى البحث بتعميم التجربة بالمؤسسات التعليمية ذات العلاقة بصناعة الفتوى حول العالم، وأوصى البحث بالاهتمام بتدريب المفتين باعتباره أقوى الوسائل في صناعة الفتوى.

المقدمة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين، الذي بعث رحمة للعالمين وهداية للضالين، وعلى أله وصحبه أجمعين، وبعد.

مما لا شك فيه أن خلو المجتمع من المفتين يجعل الناس يسيرون وفق أهوائهم ؛ ويتخبطون في دينهم خبط عشواء فيحلون الحرام ويحرمون الحلال، ومن ثَمّ فحاجة الناس إلى مؤسسات فقهية، ومجامع، ومراكز للفتوى لا تقل عن حاجتهم الى الطعام والشراب، فتلك المجامع والمراكز قبلة لكل من يريد أن يستنير في مسألة فقهية، أو قضية قانونية، أو أخذ مشورة، أو حل قضية، أو البت في نازلة من النوازل، فوجود مثل تلك المؤسسات ضرورة تمليها الواقع في ظل تفشي الجهل في المجتمع لذلك وصف ابن القيم رحمه الله المفتين الذين يشغلون تلك المؤسسات بأنهم: في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلي الطعام والشراب وطاعتهم واجبة بنص الكتاب. [1]

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهاذين أفسد دنياهم).[2]

أسباب اختيار الموضوع:

1. الرغبة في الكتابة في هذا الموضوع.
2. لحاجة الى إبراز دور مؤسسات التعليم العالي في صناعة الفتوى.
3. إبراز تجربة مركز الإفتاء الشرعي. .

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث في أنه موضوع يتعلق بالعلم والعلماء والمفتين .

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى الاتي:

1. التعريف بمفهوم الفتوى.
2. توضيح ضوابط وشروط الفتوى.

(1) ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين. ج1، ص16

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القران،ج5، ص260.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في سؤال رئيس هو هل لمؤسسات التعليم العالي دور في صناعة الفتوى؟

وتفرع منه التساؤلات التالية.

1. ما مفهوم الفتوى .
2. ما ضوابط الفتوى .
3. ما السياسات المتبعة في صناعة الفتوى .

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسات سابقة توافق عنوان البحث موافقة دقيقة إلا أن هنالك دراسات وبحوث تتعلق بموضوع الفتوى من حيث بيان مفهوم الفتوى، وبيان ضوابطها وهي كالآتي:

1. دراسة الدكتور قطب الريسوني والتي جاءت بعنوان صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة، وضوابط، وتصحيحات، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1435هـ/ 2014م.
2. دراسة بدرية الساري جاءت بعنوان المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة، دار كنوز إشبيلية، ط1، 1436هـ، 2015م.
3. دراسة عبد المجيد محمد السوسة جاءت بعنوان ضوابط الفتوى في القضايا المعاصرة، جامعة صنعاء، كلية الشريعة الإسلامية، ط1.

هيكل البحث:

المبحث الأول: مفهوم الفتوى والمصطلحات

المطلب الأول: تعريف الفتوى لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: حكم الفتوى، وضوابطها، وشروط المفتي، وآداب المفتي.

المطلب الأول: حكم الفتوى.

المطلب الثاني: ضوابط الفتوى.

المطلب الثالث: شروط المفتي.

المطلب الرابع:آداب المفتي.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي لمركز الإفتاء الشرعي – جامعة القران الكريم – في صناعة الفتوى.

المطلب الأول: جامعة القرءان الكريم النشأة والتكوين.

المطلب الثاني: مركز الإفتاء الشرعي النشأة والتكوين.

المطلب الثالث: تطور مركز الإفتاء الشرعي.

المطلب الرابع: أعمال وإنجازات مر كز الإفتاء الشر عي.

المبحث الأول

مفهوم الفتوى والمصطلحات ذات الصلة.

المطلب الأول

تعريف الفتوى لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: الفتوى بفتح الفاء وبالياء اســـم من أفتى العالم إذا بين الحكم ويقال: فتيا وفتوى، وهي في اللغة الإبانة مطلقا فيقال أفتيته في الأمر أي أبنته له، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام.[1]

أصل كلمة الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي [2].

أفتاه في الأمر: أي: أبانه، والفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه [3] .

وقال في اللسان: وأفتيت فلانا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها، وأفتى المفتي إذا أحدث حكما [4] .

مما سبق يخلص الباحث الى أن معنى الفتوى في اللغة يشمل الجواب على الحكم الشرعي كما يشمل تعبير الرؤى.

الفرع الثاني: تعريف الفتوى اصطلاحا.

للفتوى في الاصطلاح لها عدة تعاريف منها:

عرفت بأنها: ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل [5] وعرفت بأنها: إخبار عن حكم الله تعالى في إلزام أو إباحة. [6]

وعرفت بأنها: توقيع عن الله تعالى [7].

يري الباحث بأن التعريفات الســـابقة كلها مجتمعة ومتفقة على معنى واحد وهو أن الفتوى تكون جوابا لمن ســـأل في أمر من الأمور بغض النظر من أن كونه أمرا شرعيا أو لا.

كذلك نخلص الى أن معنى الفتوى في اللغة والاصطلاح واحد.

---

(1) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (147/15)، فصل الياء، باب الفاء، ط1، دار صادر للنشر

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (2، 462)، كتاب الفاء

(3) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، ج 9، ص 524، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.

(4) لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، ج15، ص 145،مرجع سابق.

(5) التعاريف: المناوي، ص 550، ط1، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 1410هـ

(6) الفروق: القرافي، ج3، ص354، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418، 1998م.

(7) أدب المفتي والمستفتي، النووي، ص14، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الفكر، دمشق، ط 1408هـ.

المطلب الثاني

المصطلحات ذات الصلة بها (المفتي، والمستفتي، والاستفتاء).

الفرع الأول: تعريف المفتي:

المفتي هو اسم فاعل من أفتى وهو الذي يتصدى للفتوى بين الناس، وفقيه تعينه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية.[1]

الفرع الثاني: تعريف المستفتي.

اسم فاعل من الاستفتاء، وهو من يقوم بطلب الفتوى قال العلامة المناوي: المستفتي هو طالب حكم الله من أهله والمستفتي فيه هو الواقع المطلوب كشفه وإزالة إشكاله. [2]

الفرع الثالث: تعريف الاستفتاء.

هو طرح سؤال تقريري أو سؤال تعلم ومنه قوله تعالى: (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا) أي فاسألهم سؤال تقرير.

المطلب الثالث

أهمية الفتوى

الفتوى أمره عظيم لأنه أمر متعلق بالله عز وجل وبشرعه، وكذلك لتعلقه بحياة الناس وتتلخص أهمية الفتوى في الآتي:

1/ أن الله عز وجل تولى أمر الفتوى بنفسه عز وجل: قوله تبارك وتعالى: (ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) والمفتي هو وارث الأنبياء وقد قال الإمام الشاطبي: المفتي قائم في الأمة مقام النبي – صلى الله عليه وسلم – [3]

2/ خطورة الفتوي: نظرا لخطورتها وعظمتها فقد كان كثير من علماء السلف يتورعون عنها، ويتحرجون منها، ويخافون من تبعاتها فقد نقل الإمام النووي – رحمه الله تعالى: أن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وفي رواية: ما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

وقال أبو حنيفة: لولا الفرق من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت يكون له المهنأ وعلي الوزر [4]

(1) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ج2، ص673، دار الدعوة.
(2) التعاريف: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، ص 654، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410هـ.
(3) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي، مجلد 2، ج 4، ص174، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003 م.
(4) المجموع شرح المهذب: للغمام النووي، ص 94 و93، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م.

المبحث الثاني

حكم الفتوى، وضوابطها، وشروط المفتي، وآدابه

المطلب الأول

حكم الفتوى

الفتوى تعتريها الأحكام التكليفية الخمسة (الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم، والإباحة) فرض كفاية بمعنى إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين

ويكون فرض عين على الشخص إذا لم يوجد أحد غيره [1].

وتكون الفتوى واجبا كفائيا إذا وجد غيره من المفتين[2].

وتكون مباحة في حالة الحدث الوشيك الوقوع [3]، وإذا كانت النازلة نادرة الوقوع، أو افتراضيه تكون الفتوى فيها مكروهة[4]، أما التحريم إذا كان المفتي يفتي بلا علم [5].

المطلب الثاني

ضوابط الفتوى.

أولا: أن تكون الفتوى بمقتضى الدليل

أن يتبع المفتي ويصدر فتواه أولا من الكتاب أو السنة فإن لم يجد فيهما الحكم يصار الى الإجماع، فإن لم يجد فيبحث في القياس الصحيح قال الإمام الشافعي رحمه الله: يحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها الذي لا اختلاق فيها [6]

(1) المجموع شرح المهذب: محمد ابن زكريا النووي، ج1،ص101، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422، 2001م.

(2) التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدي، ج3، ص 347، دار الفكر، ط2، 1398 هـ.

(3) أصول الفتوى: ص 21

(4) مباحث في أحكام الفتوى:

(5) إعلام المقعين ج 4، 227

(6) الرسالة: محمد ابن إدريس أبو عبد الله الشافعي، ص 599، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1358 هـ، 1939 م.

ثانيا: العناية بمقاصد الشريعة.

على المفتي أن يراعي مقاصد الشريعة حين ينظر في الأدلة الشرعية لكي يستخرج الحكم فينظر في المقاصد من خلال أنواعها الأربعة الرئيسية وهي: مقاصد الشريعة ابتداء، ومقاصد الإفهام، ومقاصد التكليف، ومقاصد الامتثال [1]

ثالثا: الاستشارة والمشاورة.

يجب على المفتي مشاورة طلبة العلم في المسألة المعروضة أمامه قال ابن القيم: إن كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي له أن يشاوره، ولا يستقل بالجواب، ذهابا بنفسه وارتفاعا بها.[2]

رابعا: تقديم الفتوى الجماعية على الفتوى الفردية في النوازل والمستجدات

فالفتوى الجماعية في مثل هذه الحالات. أوفق لأن فهم الواقع وقراءته يتطلب استشارة أهل الخبرة والدراية[3].

المطلب الثالث

شروط المفتي

نظرا لخطورة الفتوى، ومكانتها العظيمة فقد وضع العلماء شروطا عديدة لأبد أن تتوفر في من يتصدر الفتوى.

لأبد أن يكون مسلما، بالغا، عاقلا، وعدلا، وضابطا، ومجتهدا قال في البحر الرائق: أنه يشترط إسلام المفتي، وعدالته [4]

وقال في الفتاوى الهندية لابد أن يكون المفتي من أهل الاجتهاد [5]، وأن يكون عالما بالسنة، وعالما بالناسخ والمنسوخ، وعالما بلسان العرب لغة وإعرابا، عالما بأعراف الناس [6].

(1) الاجتهاد عند الإمام الشاطبي دراسة مقارنة: الدكتور عمار بن عبد الله علوان، ص 64، لبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ، 2005 م.

(2) إعلام الموقعين: ابن القيم، 256و 257

(3) ضوابط الفتوي في القضايا المعاصرة:محمد العوادة، موقع الملتقى الفقهي

(4) البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي، ج6، ص 290، دا ر المعرفة، بيروت، لبنان.

(5)- الفتاوى الهندية: ناظم الدين وجماعة من علماء الهند،ج 3، ص 309 دار الفكر 1411، 1991م.

(6) نهاية السول في شرح مناهج الأصول: جمال الدين الأسنوي، ج4، ص 547، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ،

المطلب الرابع

آداب المفتي

المفتي لكي يكون قدوة وإماما لابد أن يتخلق بالآداب السمحة وهي كالآتي:

أولا: الإخلاص لله عز وجل وصلاح السريرة، وأن يبتغي وجه الله عز وجل في عمله دون رياء أو سمعة [1].

وقال الإمام أحمد: لا ينبغي للرجل أن يعرض نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمسة خصال وذك منها: النية، الحلم والوقار والسكينة، والقوة في الطرح، والكفاية حتى لا يبغضه الناس.[2]

ثانيا: اتخاذ الوسطية في أسلوب الفتوى:

على المفتي أن يسلك المنهج الوسط دون تشدد أو تساهل مع اتباع الدليل قال النووي: يحرم التساهل في الفتوى ومن عرف به حرم استفتاؤه فمن التساهل ان لا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر[3].

ثالثا: مطابقة العمل للقول:

حتى يكون المفتي موثوقا به فيجب أن يوافق قوله عمله قال الإمام الشاطبي رحمه الله: الفتيا لا تصح من مخالف لمقتضى العلم[4].

رابعا: أن يكون حسن المظهر والملبس: حري بمن تصدر الفتوى أن يكون حسن اللباس، حسن المظهر حتى يكون خير دليل للناس العوام، كالإمام أحمد رحمه الله تعالى فقد قال صاحب كتاب صفة الصفوة: لا أعلم أني رأيت أحدا أنظف ثوبا، ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبا وأشده بياضا من أحمد بن حنبل [5].

خامسا: التخلق بخلق التواضع.

لابد للمفتي أن يتحلى بهذا الخلق الجميل، حتى يكون قريبا من الناس، وأن لا يدع مجالا للكبرياء والغرور من أن ينفذا الى نفسه[6].

(1) إعلام الموقعين: ابن القيم، ج4، ص 199
(2) كشف القناع: البهوتي، ج6، ص 299
(3) آداب الفتوى: ص 37
(4) الموافقات: ج 4، ص 252
(5) صفوة الصفوة:، ج2، ص 340
(6) الفقيه والمتفقه: ج2، ص 229

سادسا: الإكثار من الدعاء بالتوفيق والسداد.

على المفتي أن يكثر من دعاء الله عز وجل لكي يكون التوفيق حليفه، ولكي يلهم الصـواب قال ابن القيم رحمه الله [1]: حقيق بالمفتي أن يكثر الدعاء بالحديث الصحيح إشارة الى حديث سنن النسائي [2](اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشـهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).

سابعا: كتابة الفتوى بخط واضح.

أي تتسم الفتوى بالموضوع في عباراتها، وصياغتها

(1) إعلام الموقعين: ابن القيم الجوزية، ج4، ص257.

(2) أخرجه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب بأي شئ تستفتح صلاة الليل، ج3، ص 212،ط3، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب. 1406، 1986م.

المبحث الثالث

الجانب التطبيقي: (مركز الإفتاء الشرعي - جامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم وتجربته في صناعة الفتوى)

المطلب الأول

جامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم النشأة والتكوين. جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

نشـــأت الجامعة من بذرة طيبة لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإســـلامية بأم درمان ممثلة في معهد القرآن الكريم الذي افتتح في العام 1412هـ الموافق له 1991م؛ بمبادرة طيبة من حلقات القرآن الكريم بولاية الجزيرة، تقرر بموجبها تنازل حلقات القرآن الكريم عن دارها لإنشاء كلية تتبع لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ثم تطورت إلى كليات انتشرت في ود مدني وبعض مدن ولاية الجزيرة، وهذه الكليات تتمثل في كلية الشريعة، كلية التربية، كلية القرآن الكريم بالكاملين، كلية الشريعة بالهلالية،وكلية التربية مرحلة الأساس بود مدني.

ثم أدى التطور المضطرد في برامجها التعليمية ومناشطها والتوسع في بنيتها التحتية؛ إلى تطويرها إلى مؤسسة تعليمية كبرى، ففي 5/ من رجب 1428هـ الموافق له 19/ من يوليو 2007م أعلن رئيس الجمهورية عن قيام جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، في احتفالٍ حاشد.

وفي 11/ من صفر 1429هـــ الموافق له 18/ من فبراير 2008م، وقّع السـيّد رئيس الجمهورية على قانون جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بعد أن أجازه المجلس الوطني في جلسته رقم (26) من دورة الانعقاد الخامسة بتاريخ 6/ من محرم 1429هـ الموافق له 15/ من يناير 2008م، وأصبحت بمقتضى هذا القانون هيئة علمية ذات شخصية اعتبارية وفي سبيل التطور والتوسع أنشـأت جامعة القرآن الكريم وتأصـيل العلوم إضـافة للكليات أعلاه كلية اللغة العربية بالمناقل، وكلية الاقتصـاد والعلوم الإدارية بالحصـاحيصـا، وكلية المجتمع وكلية الدراسـات العليا والبحث العلمي، ومركز تأصـيل العلوم وكلية اللغات بالحوش وكلية الحاسـوب وتقانة المعلومات برفاعة.وأخيرا أضيف مركز الإفتاء الشرعي ليكون أحد مراكز الجامعة العاملة في مجال خدمة المجتمع.[1]

(1) الموقع الرسمي لجامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم.

المطلب الثاني

مركز الإفتاء الشرعي بجامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم

الفرع الأول: النشأة والتكوين.

لما كان لمركز الإفتاء من دور عظيم في المجتمع، تم تأسيس هذا المركز بموجب قرار أصدره معالي الدكتور/ محمود مهدي الشريف خالد ـ المدير السابق لجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم في أواخر العام 1435هـ الموافق: 2014م .

المسألة الأولى: أهداف إنشاء المركز:

قام المركز لتحقيق الأهداف التالية:

1- استقبال المستفتين والمستفسرين والرد على فتاويهم واستفساراتهم واستشاراتهم.

2- تقديم الفتوى للأفراد والجهات الخاصة، ورفد الجهات التشريعية والتنفيذية والقضائية بالرأي الفقهي في الفتوى عند طلبها.

3- النشر المقروء والمسموع والمرئي للفتاوى وتيسير سبل الحصول عليها.

4- رصد ما ينشر عن الإسلام من فتاوى بغرض دراستها والتعامل معها بما يحقق رسالة وأهداف الجامعة.

5- تدريب المفتين في سائر مجالات الفتوى.

6- خدمة الشريعة الإسلامية وتمكينها في الواقع من خلال نافذة الإفتاء.

7 ـ تقديم الاستشارات القانونية للأفراد والجهات الخاصة.

8 ـ توعية المجتمع وتبصيره بنشر الرسائل الفقهية المتعلقة بالفتوى في القضايا المعاصرة.

9 . التعاون والتنسيق مع الجهات ذات الصلة بالفتوى.مثل المجامع الفقهية.

10 ـ إصدار البيانات في المناسبات الدينية والنوازل والمستجدات.

11 ـ زيارة المركز للأسر لإصلاح ذات البين بالتنسيق مع الجهات المجتمعية والدعوة.

المسألة الثانية: هيكل المركز.

يتكون المركز من ثلاثة أقسام، هي:

أولاً قسم الفتوى:

وفيه أربعة دوائر:

1. دائرة فقه الأسرة: وتنظر في قضايا الأحوال الشخصية: كالطلاق، والعدة،والحضانة، والتركات

2. الدائرة الاقتصادية والمالية: تنظر في القضايا المتعلقة بالأموال .
3. دائرة الشؤون الاجتماعية: تنظر في قضايا الصلح، ومستجدات ونوازل قضايا المجتمع.
4. دائرة الفتوى العامة: وتنظر في الفتاوى العامة .

ثانياً: قسم التدريب:

يعني هذا القسم بالاتي:

1. تدريب المفتين.
2. إقامة دورات وورش وندوات في موضوعات الفتوى.
3. طباعة فتاوى المركز.

ثالثاً: قسم الاستشارات القانونية:

يقوم بتقديم الاستشارات القانونية.

الفرع الثاني: تطور المركز

في لقد تطور المركز تطورا ملحوظا بعد عامين من تأريخ تكوينه، ففي العام 2016م شـهد المركز توسـعا كبيرا، وتطورا ملحوظا فقد قام المركز بإنشاء فروع بجميع مجليات الولاية الستة، ويضم كل فرع ستة من العلماء المميزين المختصين علوم الشريعة.

دوائر المركز بمحليات الولاية:

نعني بالدوائر فروع المركز المنتشرة في أنحاء الولاية.

للمركز ستة دوائر بـ (محليات الولاية)، كالآتي:

1. دائرة الكاملين ومقرها كليه القران الكريم بالكاملين
2. دائرة الحصاحيصا مقره كلية الاقتصاد بالحصاحيصا
3. دائرة رفاعة والهلالية مقرها كلية الشريعة الهلالية.
4. دائرة جنوب الجزيرة مقرها كلية اللغات (الحوش)
5. دائرة المناقل والقرشي مقرها كلية اللغة العربية (المناقل)
6. دائرة أم القرى مقرها محلية أم القرى.

الفرع الثالث: أعمال المركز وإنجازاته

المسألة الأولى: المراحل التي تمر بها الفتوى.

لخطورة الفتوى وأهميتها فقد سلك المركز مراحل عديدة يتخللها مراجعة الفتوى وتصحيحا لمزيد من الإحتياط والتثبت. وفي هذا النموذج يوضح مراحل استخر اج الفتوى. وهذا مايوضحه هذا الملحق الذي يحمل الرقم (1).

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
كلية الشريعة
مـــركز الإفتـاء الشـــرعي

مراحل استخراج الفتوى :

1. يقابل المستفتي مسجل المركز لتدوين الفتوى.
2. يقوم المسجل بعد تدوين الفتوى بإرسالها لرئيس قسم الفتاوى لتصنيفها وإرسالها للجنة المختصة .
3. تقوم الشعبة المختصة بطرح الفتوى على اللجنة المختصة.
4. بعد فراغ الشعبة المختصة من الفتوى والإجابه عليها تقوم بإرسالها لرئيس قسم الفتاوى.
5. يقوم رئيس قسم الفتاوى بمراجعتها واعتمادها وإرسالها لمدير المركز.
6. يقوم مدير المركز بمراجعتها الأخيرة واعتمادها وإرسالها لمسجل المركز لتسليمها لصاحبها.

المسألة الثانية: إحصائيات الفتاوى وعددها

لقد قام المركز بإصدار فتاوى في شتى الأبواب (الطلاق، الصلاة، المعاملات المالية، فتاوى محالة من المحكمة، التركات، الزواج، الزكاة، الحج، الهبة). وهذا موضح في هذا الملحق رقم (2)

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
كلية الشريعة
مـــركز الإفتـــاء الشـــرعي
قسم الفتاوى

التاريخ: 2/ محرم/ 1443هـ الموافق 2021/9/9م

احصائية بفتاوى الطلاق

الرقم	العام	العدد الحالات	التاريخ	النوع
1	2016	170		طلاق
2		32		صلاة
3		14		معاملا مالية
4		20		فتاوى محالة من المحكمة
1	2017م	230	/12/31	طلاق
2		21		ميراث
3		19		زواج
4		2		زنا
1	2018م	216	/12/13	طلاق
2		40		صلاة
3		7		زكاة
4		17		ميراث
1	2019م	270	/ 12/20	طلاق
2	2019م	52		صلاة

3		14		حج
4		12		ميراث
1	2020م	300	/12/30	طلاق
2		16		صلاة
3		36		هبة
4		24		معاملات
5		26		زكاة
1	2021م	94	2021/10/18م	94
2		15		معاملات
		4		هبة
		45		صيام
		48		صلاة

المسألة الثالثة: نماذج من فتاوى مركز الإفتاء

نموذج (1)

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
كلية الشريعة
مـــركز الإفتـاء الشـــرعي
قسم الفتاوي

التاريخ: 9/ محرم / 1442هـ الموافق 2020/8/27 م

موضوعها: طلاق

فتوى المستفتي: ط ا ب

طلقت زوجتي طلقتين، الطلقة الأولى: طلاق صريح وبعد سنة أرجعتها بعقد جديد.

والطلقة الثانية: قبل ثلاث سـنوات ذهبت زوجتي لبيت أهلها ومكثت معهم لمدة سـنة فطلبتُ منها أن ترجع لبيتها فرفضـت وطلبت الطلاق فقلت لها: أنتِ طالق بالثلاثة أمام والدها وأخوها وابن خالتها، فما الحكم ؟.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

بالإشـارة إلى موضـوع إحالة المسـتفتي (ط ا ب) والتي كانت بتاريخ: 2016/11/6 م إلى مركز الإفتاء الشـرعي، فقد نظرت لجنة الإفتاء الشرعي في قضية المستفتي وتوصلت إلى الآتي:

الطلقة الأولى واقعة وقد أرجعها بعد ذلك.

أما الطلقة الثانية وهي قوله لها: أنتِ طالق بالثلاثة، فهذه الطلقة تقع طلقة واحدة على قول شـــيخ الإســـلام ابن تيمية وابن القيم والإمام الشوكاني وبعض العلماء المعاصرين.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: [كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاثِ واحدةً]، صحيح مسلم.

وعن ابن عباس رضـــي الله عنه قال: [طلقَ ركانة بن عبد يزيد أخو بني المطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شـديداً قال: فسـأله رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: كيف طلقتها ؟، قال: طلقتها ثلاثاً، قال: فقال: في مجلسٍ واحد؟ قال:نعم، قال:" فإنما تلك واحدة فأرجعها إن شـئت "، قال: فرجعها، فكان ابن عباس يرى أنما الطلاق عند كل طهر]، في مســند الإمام أحمد.

الخلاصة:

هذه الطلقة الثانية والتي كانت بلفظ أنتِ طالق بالثلاثة تقع طلقة واحدة.

إنَ هذه الزوجة بانت منه بينونة صـــغرى، فللزوج أن يرجع زوجته بعقد ومهر جديدين إن أرادا ذلك لأنه ما زالت هنالك فرصة.

والله تعالى أعلم.

د. فهمي أحمد إدريس محمد
رئيس قسم الفتوى

د. زاهر عبد الحميد محمد صالح
مدير مركز الإفتاء الشرعي

نموذج رقم (2)

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
كلية الشريعة
مـــركز الإفتـــاء الشـــرعي
قسم الفتاوي

التاريخ: 25/ جمادي الاول / 1441هـ الموافق 2020/1/21م

فتوى شرعية رقم: 6

موضوعها: طلاق

المستفتي: أ. م.ر

بالإشارة إلى الاستفتاء المقدم من المستفتي والذي ذكر فيه:

الطلقة الأولي: في نقاش مع زوجتي قلت لها انتِ طالق وأرجعتها بعد شهر تقريباً.

الطلقة الثانية: في نقاش مع زوجتي قلت لها انتِ طالق وأرجعتها في أقل من شهر تقريباً.

الطلقة الثالثة: أرادت زوجتي الذهاب إلي مناســـبة فقلت لها لو ذهبتي انت طالق وكانت نيتي التهديد وكان هذا الكلام يوم 2020 /1/17م

الفتوى:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،و بعد: نفيد بان الشعبة المختصة بالمركز قد نظرت في الأمر وأجابت بالآتي:

إن كان الأمر كما ذكره السائل فنقول:

الطلقة الأولى: واقعة لأنها بصريح العبارة والرجعة صحيحة.

الطلقة الثانية: واقعة لأنها بصريح العبارة والرجعة صحيحة.

الطلقة الثالثة: غير واقعة لأنها معلقة والمعلقة من قبيل ألفاظ الكناية، وتكون على حســـب نية الزوج، وكانت نيته هنا التهديد وليس الطلاق، لذلك لا تقع طلاقاً وإنما تقع يميناً وعليه كفارة يمين. وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وهو ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية السوداني، وهو المفتي به لدى المحاكم السودانية، والمفتي به لدينا.

الخلاصة:

الطلقة الأولى والثانية: واقعتان لأنهما بصريح العبارة.

الطلقة الثالثة: غير واقعة لا نها طلاق معلق على شرط.

الزوجية قائمة بينهما لأن الزوج كان قد أرجع زوجته من الطلقة الثانية.

تبقي لهما حبل واحد.

ونوصي الزوجين بتقوى الله وحسن التعامل بينهما، كما نوصيهما المحافظة على الأسرة والتالف بينهم.

والله تعالى أعلم

لجنة الفتوى دائرة فقة الأسـرة

د/ محمد عبدالله الزبير

رئيس شعبة فقه الأسرة

د/ إبراهيم سليمان محمد الماحي

مقرر شعبة فقه الأسرة

د/ زاهر عبدالحميد محمد صالح

مدير مركز الإفتاء الشرعي

نموذج رقم (3)

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
كلية الشريعة
مـــركز الإفتـــاء الشـــرعي
قسم الفتاوي

التاريخ: 11/ جمادي الأول / 1441هـ الموافق 2020/1/7

فتوى شرعية رقم 3

موضوعها: طلاق

المستفتي: ج خ ا م

بالإشارة إلى الاستفتاء المقدم من المستفتي والذي ذكر فيه:

الطلقة الأولي: دخلت على زوجتي وكنت مخموراً ولم أعي ما قلت وفي الصـــباح أخبرني أولاد بأني طلقت زوجتي وأرجعتها في نفس اليوم.

الطلقة الثانية: دخلت على زوجتي وكنت مخموراً ولم أعي ما قلت وفي الصـــباح أخبرني أولاد بأني طلقت زوجتي وأرجعتها بعد سبعة أيام تقريباً.

الطلقة الثالثة: في نقاش مع زوجتي في موضوع معين قلت لها طلقانة وكان هذا الكلام يوم 2019/9/16م.

الفتوى:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،و بعد: نفيد بان الشعبة المختصة بالمركز قد نظرت في الأمر وأجابت بالآتي:

إن كان الأمر كما ذكره السائل فنقول:

الطلقة الأولى والثانية: غير واقعتين لعدم إدراك الزوج ما قاله وقد جاء هذا المعني في المادة 134 من قانون الأحوال الشخصية السوداني لسنة 1991م "أنه يشترط في المطلق العقل، البلوغ، الاختيار ".

و في البند 2 (لا يقع طلاق فاقد التميز بسبب الجنون أو العته أو السكر المطبق)، وغير ذلك من الأسباب المذهبة للعقل.

الطلقة الثالثة: واقعة لا نها بصـــريح العبارة، وبما ان عدة الطلاق قد انتهت فقد بانت منه زوجته بينونة صـــغرى فلا ترجع إلى زوجها إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها،وتبقى للزوج حبلان.

الخلاصة:

الطلقة الأولى والثانية: غير واقعتين لعدم إدراك الزوج.

الطلقة الثالثة: واقعة لا نها بصريح العبارة.

عليه إرجاعها بعد عقد ومهر جديدين، وبرضاها ورضا وليها.

تبقى لهما حبل واحد.

ونوصي الزوجين بتقوى الله وحسن التعامل بينهما، كما نوصيهما المحافظة على الأسرة والتالف بينهم.

والله تعالى أعلم

لجنة الفتوى دائرة فقة الأسـرة

د/ إبراهيم سليمان محمد الماحي

مقرر شعبة فقه الأسرة

د/ محمد الأمين علي محمد

رئيس قسم الفتوى

د/ زاهر عبد الحميد محمد صالح

مدير مركز الإفتاء الشرعي

الخاتمة

وفيها النتائج والتوصيات.

أولا: النتائج.

1. أن جامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم بالسودان كمؤسسة بوزارة التعليم العالي لها دور كبير ومؤثر في صناعة الفتوى.
2. أن مركز الإفتاء الشرعي بجامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم – له إسهامات مقدرة في خدمة المجتمع في شتى المجالات.
3. أظهر البحث أن إسهامات المركز تجاه المجتمع تتمثل في رفد الأفراد والمؤسسات بالفتاوى الشرعية، وحل قضايا المنازعات، وإصلاح ذات البين.
4. أظهر البحث أن الفتوى بالمركز تقوم على الجماعية، وانها تمر بمراحل حتى تخرج في صورته النهائية.
5. أكد البحث أن مركز الإفتاء الشرعي بجامعة القرءان الكريم تحتل المرتبة الثانية في مجال الإفتاء وصناعتها بالسودان وذلك بعد مجمع الفقه الإسلامي السوداني.
6. أكد البحث أن المركز أصبح بمثابة بيت خبرة للمحاكم الشرعية وهذا يظهر في عدد الفتاوى المحالة الى المركز من المحاكم الشرعية وهذا ما بينه الملحق رقم (2).7 / أكد البحث أن المركز له ارتباط وتواصل مع الجهات الإفتائية العالمية.

ثانيا: التوصيات.

1. لقد أوصى البحث بضرورة إنشاء مجامع ومراكز للفتوى بمؤسسات التعليم العالي ذات الصلة بالفتوى.
2. لقد أوصى البحث بضرورة تدريب المفتين بصورة مستمرة.
3. أوصى البحث بحث الباحثين بإجراء مزيد من البحوث والدراسات في مجال صناعة الفتوى.
4. أوصى البحث بإقامة كليات ومعاهد متخصصة في مجال صناعة الفتوى.

المصادر والمراجع.

أولا: القرآن الكريم

1. لسان العبرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (147/15)، فصل الياء، باب الفاء، ط1، دار صادر للنشر
2. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (2، 462)، كتاب الفاء
3. المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، ج 9، ص 524، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.
4. لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، ج15، ص 145،مرجع سابق. –
5. التعاريف: المناوي، ص 550، ط1، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 1410ه
6. الفروق: القرافي، ج3، ص354، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418، 1998م.
7. أدب المفتي والمستفتي، النووي، ص14، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الفكر، دمشق، ط 1408ه.
8. المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ج2، ص673، دار الدعوة.
9. التعاريف: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، ص 654، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410ه.
10. الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي، مجلد 2، ج 4، ص174، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003 م.
11. المجموع شرح المهذب: للغمام النووي، ص 94 و93، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م.
12. المجموع شرح المهذب: محمد ابن زكريا النووي، ج1،ص101، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422، 2001م.
13. التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، ج3، ص 347، دار الفكر، ط2، 1398 ه.
14. أصول الفتوى: ص 21
15. أصول الفتوى: ص 21
16. مباحث في أحكام الفتوى:
17. إعلام الموقعين ج 4، 227
18. الرسالة: محمد ابن إدريس أبو عبد الله الشافعي، ص 599، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1358 ه، 1939 م.
19. الإجتهاد عند الإمام الشـــاطبي دراســـة مقارنة: الدكتور عماربن عبد الله علوان، ص 64، لبنان، بيروت، دارابن حزم، ط1، 1426ه، 2005 م.
20. إعلام الموقعين: ابن القيم، 256و 257
21. ضوابط الفتوي في القضايا المعاصرة:محمد العوادة، موقع الملتقى الفقهي
22. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي، ج6، ص 290، دا ر المعرفة، بيروت، لبنان.
23. الفتاوى الهندية: ناظم الدين وجماعة من علماء الهند،ج 3، ص 309 دار الفكر 1411، 1991م.
24. نهاية السول في شرح مناهج الأصول: جمال الدين الأسنوي، ج4، ص 547، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،
25. إعلام الموقعين: ابن القيم، ج4، ص 199

26. كشف القناع: البهوتي، ج6، ص 299 -

27. آداب الفتوى: ص 37- الموافقات: ج 4، ص 252

28. صفوة الصفوة: ج2، ص 340

29. الفقيه والمتفقه: ج2، ص 229

30. إعلام الموقعين: ابن القيم الجوزية، ج4، ص257.

31. أخرجه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب بأي شئ تستفتح صلاة الليل، ج3، ص 212، ط3، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب. 1406، 1986م

32. الموقع الرسمي لجامعة القرءان الكريم وتأصيل العلوم.

قاضي الكوفة الاول سلمان بن ربيعة الباهلي ودوره في القضاء والفتوحات الإسلامية

The first judge of Kufa Salman bin Rabia Al-Bahili and his role in the judiciary and Islamic conquests

م. علاء عربي سبع

جامعة ديالى – كلية التربية للعلوم الانسانية – وحدة الابحاث المكانية

alaa.oraiby2016@gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الغر الميامين﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ .

عرف التاريخ الإســـلامي أسماء لامعة عز على الزمان ان يجود بمثلها، اســـتطاعت بحق تنير هذا التاريخ بعدد من الانجازات العظيمة والتي أسهمت في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، ويقيناً ان القائد سلمان بن ربيعة كان من بين تلك الشخصيات النادرة التي تشرف التاريخ في كتابة انجازاتهم بسطور من ذهب، فلقد كان القائد سلمان بن ربيعة الباهلي الذي أبلى البلاء الحسن في الجهاد والعطاء، فقد كان شخصية نادرة تجلت فيها أعظم آيات الشجاعة والذكاء وحسن التدبير، وعلى الرغم من اختلاف الروايات التاريخية في مسألة صحبته للرسول ﷺ من عدمها، لكنه مع ذلك عاش في مدرسة النبوة مع الصحابة الكرام فهؤلاء الرجال عاشوا عيشة القناعة متعففين أغنياء في أنفسهم وكبريائهم رضوا بالقليل اليسير، وحياة مثل هؤلاء القادة الكبار لنا فيها عبر ودروس فهم يمثلون أعلى درجات القناعة والتضـــحية، لقد كان ســـلمان بن ربيعة أول قاض في الكوفة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ♦ وليس كل إنسان يصلح للقضاء، خاصة في أيام عمر بن الخطاب ♦، أو يصلح لأهل الكوفة التي كانت حينذاك تعج برجالات العرب وكبار الصحابة من جهة، وبأخلاط شتى من أمم وأقوام وقبائل مختلفة من جهة أخرى، وهذا دليل على غزارة علم سلمان بالدين الحنيف واستقامته وعدله وتدينه، وتمتعه بعقلية راجحة متزنة، وشخصية قوية نافذة، مما جعله موضع ثقة الناس جميعا.

Abstract

The Islamic nation has given birth to many great leaders who had a great role in spreading the Islamic religion and raising the banner of Islam throughout the globe. Among these great leaders is the leader Salman bin Rabia al-Bahli ،who did the best in jihad and giving. Despite the contradictions of the historical narratives presented by the historians in the matter of his companionship to the Prophet (peace be upon him) or not, but nevertheless lived in the school of prophecy with the companions of the honorable, The subsistence and the conviction are self-indulgent and proud, and the lives of such great leaders are through us and their lessons are the highest degrees of conviction and sacrifice.

المبحث الأول

سيرته وحياته

اسمه:

سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر، وهو منبه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر[1] بن نزار بن معد بْن عدنان السهمي [2].

كنيته:

إما كنيته فقد كني رحمه الله أبو عبد الله الباهلي [3]، وكذلك يكنى بسلمَان الخيلي او سلمان الخيل [4]، كان يلي الخيل لعمر بْن الخطاب، فكان يقال له: سلمان الخيل، وكان عمر بْن الخطاب قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين خيلًا كثيرة معدة للجهاد فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، فكان العدو إذا دهم الثغور، ركبها المسلمون، وساروا مجدين لقتاله، فكان سلمان يتولى تلك الخيل بالكوفة [5]،

معرفة بأنساب الخيل:

ولقد ذكر ابن قتيبة انه أول من ميّز بين العتاق [6] والهجن[7]، [8]، وهذا يدل على ان سلمان بن ربيعة كان له معرفة في انساب الخيل، ولقد كتب عمر بن الخطاب ♦ إلى سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو بأرمينية[9] يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف في العطاء، اي ان يفرق بين الخيل العتاق والهجين، فكان يسهمها، ولا يسهم فيها إلا لكل عتيق، فعرض الخيل، فمر به فرس عمرو بن معديكرب [10]، فقال له سلمان: فرسك هذا مقرف، فغضب عمرو، وقال: هجين

(1) ابن سعد: الطبقات، ج6ص181. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10ص284. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21ص462.
(2) المزي: تهذيب الكمال، ج11ص240.
(3) المزي: تهذيب الكمال، ج11ص240. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21ص462. ابن الأثير: أسد الغابة، ج2ص508.
(4) ابن حبان: الثقات، ج4ص333.
(5) ابن الأثير: أسد الغابة، ج2ص508.
(6) العتاق: وهو خلاف الرق وهو الحرية والعتاقة اي عتق العبد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9 ص36.
(7) الهجين: الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي؛ وخيل هجن، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج3ص274.
(8) ابن قتيبة: المعارف، ج1ص433.
(9) أرمينية: ناحية بين آذربيجان والروم، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة. أكثر أهلها نصارى. بها عجائب كثيرة ذكر أكثرها عند مدنها وقراها. ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1 ص495.
(10) عمرو بن معديكرب بن عبيد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد، أبو ثور الزبيدي، كان فارسا شجاعا شاعرا، له في الجاهلية الغارات العظيمة والوقائع العجيبة،، ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج4ص282.

عرف هجينا مثله [1]، فقام إليه ابن الأشتر[2]، وكان من رهطه[3] فأخذ بيده فنحاه، ثم قال: يا عمرو ما تراك بتثليث للماء الذي يكون عليه بالبادية، وأما تعلم أن هذا الإسلام، وأن أمر الجاهلية قد اضمحل؟ أما لو أمرنا بك لأخذناك له، فقال عمرو: وكنت فاعلا ؟ قال: نعم، بالذي يحلف به، فقال عمرو: اليوم عرفت الذل فبلغ أمرهما عمر، فكتب إلى سلمان: سلام عليك، أما بعد: فقد بلغني صنيعك بعمرو، وإنك لم تحسن بذلك، ولم تجمل، فإذا كنت بمثل مكانك من دار الحرب، فانظر عمرا وطليحة وذويهم فقربهم منك واستمع منهم؛ فإن لهم علما بالحرب وتجربة، فإذا وصلت إلى دار الإسلام ومصرهم، فأنزلهما منزلهما التي أنزلاها أنفسهما، وقرب منك أهل الفقه والقرآن وكتب إلى عمرو: سلام عليك، أما بعد: فقد بلغني إفحامك لأميرك، وشتيمتك له، وبلغني أن لك سيفا تسميه الصمصامة، وإن لي سيفا أسميه مصيبا، وإني أحلف بالله أن لو قد وضعته على هامتك ألا أرفعه حتى أقدك به فلما جاء كتاب عمر فقرأه فقال: أحلف بالله لئن هم ليفعلن [4].

صحبته للرسول ﷺ:

اختلف المصادر في صحبته للرسول ﷺ، فمنهم من عده من الصحابة ومنهم من جعله من كبار التابعين، فلقد ذكره ابن ابي حاتم وابن عبد البر والمزي وابن كثير من الصحابة الذين عاصروا الرسول ﷺ[5]، اما العجلي والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن الاثير والنووي انه من كبار التابعين [6]، ويبدو ان سلمان بن ربيعة الباهلي كان من الصحابة الاجلاء، لان الخلفاء الراشدين ﷺ كانوا لا يؤمرون في الفتح الا الصحابة، وان سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش والقضاء في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ♦ وزمن الخليفة عثمان بن عفان ♦، وان الخليفة عمر بن الخطاب كان حريصاً على ان يتولى الصحابة قيادة الجيش والمناصب الخطيرة من امثال القضاء وتقسيم الغنائم والفيء، ولكن يبدو ان إسلام القائد سلمان بن ربيعة كان متأخرا ولم يرد ذكره في الغزوات مع الرسول ﷺ لذلك نال شرف الصحبه ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول.

زواجه:

لم تذكر المصادر عائلته وهل كان متزوج او لديه اولاد، فقط ذكرت اخيه عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي المكنى ب ذا النور[7].

(1) ابن هشام: سيرة ابن هشام، ج1ص41.

(2) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث ابن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة ابن جلد بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب الأشتر النخعي، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج56 ص373.

(3) رهط: رَهْطُ الرجلِ: قومُه وقبيلتُه. يقال هم رهط دنية، ينظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3 ص1128.

(4) الفزاري: السير لأبي إسحاق،ج1 ص183.

(5) الجرح والتعديل، ج4ص297؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج2ص632؛ تهذيب الكمال، ج3ص1333؛ البداية والنهاية، ج7ص246.

(6) معرفة الثقات، ح1ص422؛ تاريخ بغداد، ج10ص284؛ تاريخ دمشق، ج21ص463؛ اسد الغابة، ج2ص508؛ تهذيب الاسماء، ج1ص288.

(7) البُرِّي: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ج1ص348.

المبحث الثاني: دوره في القضاء والمقاسم والفتوحات:

1. **توليه القضاء:**

كان الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي أول من قضى بالكوفة، فقد بعثه عمر بن الخطاب ♦ قاضيا بالكوفة قبل شريح، فمكث أربعين يوما لا يأتيه خصم، وكان ذلك من انتصاف الناس فيما بينهم [1]، فلما ولي سعد بن أبي وقاص الولاية الثانية في أيام عثمان بن عفان ♦ استقضى سلمان أيضا، وقد شهد القادسية فقضى بها، ثم قضى بـ المدائن[2] [3]، وليس كل إنسان يصلح للقضاء، خاصة في أيام عمر بن الخطاب ♦، أو يصلح لأهل الكوفة التي كانت حينذاك تعج برجالات العرب وكبار الصحابة من جهة، وبأخلاط شتى من أمم وأقوام وقبائل مختلفة من جهة أخرى، وهذا دليل على غزارة علم سلمان بالدين الحنيف واستقامته وعدله وتدينه، وتمتعه بعقلية راجحة متزنة، وشخصية قوية نافذة، مما جعله موضع ثقة الناس جميعا[4].

رواتب القضاة:

1- سلمان بن ربيعة الباهلي الكوفة 500 درهم كل شهر.

2- شريح القاضي الكوفة 100 درهم كل شهر.

3- عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفة 100 درهم كل شهر وربع شاة كل يوم.

4- عثمان بن قيس بن أبي العاص مصر 200 دينار.

5- قيس بن أبي العاص السهمي مصر 200 دينار[5].

2. **المقاسم:**

أ- مقاسم العراق (المدائن):

لقد جعل سعد بن ابي وقاص ♦ على المقاسم (قسمة الغنائم) في فتح المدائن الصحابي والقائد سلمان بن ربيعة الباهلي، فجمع سلمان بن ربيعة الباهلي ما في القصر والايوان والدور، ولقد قسم سلمان الغنائم فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا، وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل، وكانت الجنائب في المدائن كثيرة [6]، وقيل أصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج9ص206؛ الزركلي، الأعلام، ج1 ص111.

(2) المدائن: جمع مدينة، وإنما سمّيت بذلك لأنها كانت مدنا، كلّ واحدة منها إلى جنب الأخرى، فأوّلها المدينة العتيقة، ثم مدينة الإسكندر، ثم طيسفون، ثم أسفانبر، ثم الرومية واسمها بالفارسية توسفون وعرّبوه على الطيسفون والطيسفونج. وقيل: هى سبع مدائن بين كل مدينة والأخرى مسافة بعيدة أو قريبة، آثارها وأسماؤها باقية، ينظر: صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج3 ص1243.

(3) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج5ص5-6.

(4) الصَّلاَّبي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، ج1ص217.

(5) العمري: عصر الخلافة الراشدة:، ج1ص174.

(6)- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4ص20.

وقيل إن الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسمها سلمان بن ربيعة وبعث سعد بالأخماس إلى عمر[1]، وكان فتح المدائن في صفر سنة ست عشرة قالوا: ولما دخل سعد المدائن أتم الصلاة وصام، وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجدا للأعياد، ونصب فيه منبرا، فكان يصلي فيه- وفيه التماثيل [2].

ب- مقاسم فتح باب الابواب [3]:

لقد جعل الخليفة عمر بن الخطاب ♦ على المقاسم في فتح باب الابواب سلمان بن ربيعة الباهلي، ولقد رد أبا موسى إلى البصرة وبعث سراقة بن عمرو، وكان يدعى ذا النور، إلى الباب، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة، وكان أيضا يدعى ذا النور، وجعل على إحدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي، وكان بكير سبقه إلى الباب[4].

3. **إسهاماته في الفتوح:**

- **فتح الشام:**

لقد غزا القائد الصحابي سلمان بْن ربيعة الباهلي الشام مع أَبِي أمامة الصدى بْن عجلان الباهلي[5]، فشهد مشاهد المسلمين هناك ثُمَّ خرج إِلَى العراق فيمن خرج منَ المدد إِلَى القادسية متعجلا فشهد الوقعة وأقام بالكوفة [6].

- **فتح حصن سلمان:**

ينسب هذا الحصن الى سلمان بن ربيعة الباهلي، الذي كان في جيش ابي عبيدة مع ابي امامة الصدي بن العجلان صاحب رسول الله ❐ نزل حصنا بقورس[7] فنسبت إلية، وقيل: إن سلمان كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه إلى أرمينية[8] عسكر عند هذا الحصن وقد خرج من مرعش[9] فنسب إليه[10].

---

(1) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج2ص366.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4ص20.

(3) الباب: مدينة عجيبة على ضفة بحر الخزر، مبنية بالصخور، وهي مستطيلة يصيب ماء البحر حائطها. طولها مقدار ثلثي فرسخ وعرضها غلوة سهم، عليها أبواب من الحديد، ولها أبراج كثيرة، على كل برج مسجد للمجاورين والمشتغلين بالعلوم الدينية، وعلى السور حراس تحرس من العدو، ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1، ص506.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2ص430.

(5) أبو أمامة: اسمه صدي بن العجلان. من بني سهم بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعيد بن قيس بن غيلان بن مضر، وأم بني معن بن مالك: باهلة بن صعب بن سعد العشيرة من مذحج، وتوفي سنة ست وثمانين، ينظر: البغوي، معجم الصحابة، ج3 ص381.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ج1ص255.

(7) قورس: مدينة أزليّة، بها آبار قديمة، من نواحي حلب؛ وهي الآن خراب، وبها آثار قديمة. ينظر: صفيّ الدين، مراصد الاطلاع، ج3 ص1132.

(8) أرمينية: ناحية بين أذربيجان والروم، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة. أكثر أهلها نصارى. بها عجائب كثيرة ذكر أكثرها عند مدنها وقراها، قالوا: إنما مقبرة ملوك أرمينية ومعهم أموالهم وذخائرهم. ينظر:القزويني، اثار البلاد، ج1 ص495.

(9) مَرْعَشُ: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5 ص107.

(10) البَلَاذُري، فتوح البلدان، ج1 ص150 ؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1 ص264

- **معركة القادسية:**

لقد برز اسم الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي في فتح العراق فقد قيل انه أبصر أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها، وجلسوا تحتها، وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، والآخر عبد الرحمن ابن ربيعة ذو النور، ومال على آخرين قد تكتبوا، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله[1].

- **فتح أذربيجان**[2]:

كان أهل أذربيجان قد نقضوا العهد مع المسلمين او الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين الذي أصلحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة وذلك بعد ما حبسو الجزية بعد وفاة عمر بن الخطاب ♦، لذلك ارسل الخليفة عثمان بن عفان ♦ الى الوليد بن عقبة الذي كان والياً على الكوفة بدل سعد بن ابي وقاص ♦ فارسل الوليد بن عقبة سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة أربع وعشرين الى اذربيجان باثني عشر الف مقاتل، فسار سلمان الى ارمينيا على راس جند الكوفة، فقتل وسبى وغنم وفتح حصون كبيرة كان الروم يسيطرون عليها، ثم انصرف من ارمينيا بعد ان ملا يديه حتى اتى الوليد بن عقبة[3].

- **فتح أرمينية:**

ولما استخلف عُثْمَان بْن عَفَّان كتب إِلَى معاوية وهو عامله عَلَى الشام والجزيرة وثغورها يأمره أن يوجه حبيب بْن مسلمة الفهري[4] إِلَى أرمينية وكان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم[5]. قَدْ علم ذلك منه عُمَر ثُمَّ عُثْمَان رضي اللَّه عنهما ثُمَّ من بعده.

ويقال: بل كتب عُثْمَان إِلَى حبيب يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت، فنهض إليها في ستة آلاف ويقال في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة فأتى قاليقلا[6] فأناخ عليها وخرج إليه أهلها فقاتلهم ثُمَّ ألجأهم إِلَى المدينة فطلبوا الأمان عَلَى الجلاء والجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهرا، ثُمَّ بلغه أن بطريق أرمنياقس قد جمع للمسلين جمعا عظيما وانضمت إليه أمداد أهل اللان وأفخاز وسمندر منَ الخزر[7] فكتب إِلَى عُثْمَان يسأله المدد فكتب إِلَى معاوية يسأله أن يشخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوما ممن يرغب في الجهاد والغنيمة فبعث إليه معاوية ألفي رجل أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع

(1) الطبري: د، تاريخ الرسل والملوك، ط 2 (دار التراث – بيروت 1387هـ) ج 3ص569.

(2) أذربيجان: ناحية واسعة بين قهستان واران. بها مدن كثيرة وقرى وجبال وأنهار كثيرة. بها جبل سبلان؛ قال أبو حامد الأندلسي: انه جبل بآذربيجان بقرب مدينة أردبيل من أعلى جبال الدنيا. ينظر: القزويني، آثار البلاد، ج1 ص284.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4ص246-247.

(4) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن محارب بن فهر، وامه زينب بنت ناقش بن وهب بن ثعلبة، وقيل الفهري القرشي نزل الشام وله صحبة، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ص187؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج2 ص310؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3 ص133.

(5) القرطبي: جوامع السيرة، ج1ص343.

(6) قاليقلا: مدينة بارمينيا العظمة من نواحي خلاط، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7ص17.

(7) الخزر: هم جيل عظيم من الترك، بلادهم خلف باب الأبواب الذي يقال له الدربند، ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1 ص584.

وجعلهم مرابطة بها ولما ورد عَلَى عُثْمَان كتاب حبيب كتب إِلَى سَـعِيد بْن العاصـي بْن أمية وهو عامله عَلَى الكوفة يأمره بإمداده بجيش عَلَيْهِ سلمان بْن ربيعة الباهلي وهو سلمان الخيل، وكان خيرا فاضلا غزاء فسار سلمان الخيل إليه في ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا عَلَى الفرات، وقد أبطأ عَلَى حبيب المدد فبيتهم المسـلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم ولما فرغ المسلمون من عدوهم فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم في الغنيمة فلم يفعلوا حَتَّى تغالظ حبيب وسلمان في القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس بن مغراء[1]:

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم... وإن ترحلوا نحو ابن عفان نَرْحَل

وإن تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا... وهذا أمير في الكتائب مُقْبل

ونحن ولاةُ الثغر كنا حُمَاته... ليالي نرمي كل ثغر وننكل

وكتب إِلَى عُثْمَان بذلك فكتب: أن الغنيمة باردة لأهل الشـام، وكتب إِلَى سـلمان يأمره بغزو أران[2]، وكان هذا اول خلاف وقع بين اهل الكوفة واهل الشام[3].

- **فتح الري**[4]:

وفي سنة خمس وعشرين انتفض اهل الري فغزاهم أبو موسى الأشعري، وفيها استعمل عثمان على الكوفة أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجهز سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفاً إلى برذعة، فقتل وسبى وفتحها[5].

- **فتح البيلقان**[6] **وبرذعة**[7]:

ولقد سـار سـلمان بن ربيعة الباهلي إلى أران ففتح البيلقان صـلحا على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم أتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور[8] نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله أهلها أياما وشن

(1) أوس بن مغراء القريعي أحد بني قريع بن عوف بن كعب يكنى أبا المغراء مخضرم شهد الفتوح وهاجى النابغة الجعدي وكان النابغة فوقه في الشعر، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9ص254.

(2) أران: ناحية بين آذربيجان وأرمينية وبلاد ابخاز. بها مدن كثيرة وقرى. قصبتها جنزة وشروان وبيلقان. بها نهر الكر وهو نهر بين أرمينية وأران، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج1ص493.

(3) البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي، ج9 ص336.

(4) الرّيّ: كورة معروفة، تنسب إلى الجبل، وليست منه. وكذلك كورة شهرزور، وكورة الصامغان. والرّيّ أقرب إلى خراسان، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج2ص690.

(5) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1ص20.

(6) البيلقان: مدينة دون برذعة على طريق العراق وهي من عمل الران، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1ص119.

(7) رذعة: هي مدينة ارمينية، وقد تقدم ذكرها، وطول برذعة ثلاثة أميال في عرض مثلها وهي نزيهة حصينة ذات أنهار وأشجار ومياه كثيرة وهي أم بلاد الران كلها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1ص87.

(8) الثُّوثُوزُ: نهران بأرّان أو أرمينية، ويقال لهما،الثرثور الكبير والثرثور الصغير، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2ص75.

الغارات في قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها، ووجه خيله ففتحت رساتيق[1] الولاية ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية وأدى بعضه الصدقة وهم قليل ووجه سرية إلى شمكور[2] ففتحوها وهي مدينة قديمة لم تزل معمورة حتى أخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسد[3] عن أرمينية فعظم أمرهم فعمرها بغا سنة أربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة إلى المتوكل وسار سلمان إلى مجمع أرس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الإتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران[4] ومدينة الباب[5].

- **فتح الباب**

وكان عثمان قد كتب إلي سعيد بن العاص[6] أن ينفذ سلمان إلي الباب للغزو فسيره فلقي المهزومين علي ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سعيد سلمان بن ربيعة علي الباب واستعمل علي الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان[7].

- **ذكر الترك**

لما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب. فقال له شهريار: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غزو بلنجر والترك. قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال عبد الرحمن: لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وبالله إن معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم، قال: وما هم ؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ❐، ودخلوا في هذا الأمر بنية، ولا يزال هذا الأمر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم، فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، وعادوا ولم يقتل منهم أحد، ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات، فظفر كما كان يظفر، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك، فتذامرت الترك، واجتمعوا في الغياض، فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا واشتد قتالهم، ونادى مناد من الجو: صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة! فقاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادى مناد من الجو: صبرا آل سلمان! فقال

(1) رساتيق: جمع رستاق وهو كل موضع فيه مزارع وقرى، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1ص38.

(2) شمكور: قلعة بنواحي أرّان، بينها وبين كنجة يوم وأحد عشر فرسخا، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3ص364.

(3) يزِيد بْن أَسد بْن كرز البَجلِيّ الْقَسرِي جد خَالِد بْن عَبْد الله الْقَسرِي وَالِي الْعرَاق، ينظر: ابن حبان، الثقات، ج3ص443.

(4) مدينة الشابران، صغيره حصينة كثيرة الرساتيق، وأما المسافات فمن إتل مدينة الخزر إلى باب الأبواب اثنا عشر يوما، ومن سمندر إلى باب الأبواب أربعة أيام، وبين مملكة السرير إلى باب الأبواب ثلاثة أيام، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1ص304.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2ص479-480.

(6) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر أبو أحيحة القرشي الأموي، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21 ص105.

(7) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3ص26.

سلمان: أوترى جزعا؟ وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي[1] على جيلان[2]، فقطعوها إلى جرجان، ولم يمنعهم ذلك من إنجاء جسد عبد الرحمن[3].

وفاته:

اختلفت معظم المصادر في سنة استشهاد الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي ♦ فمنهم من قال سنة ثمان وعشرين، ومنهم من قال سنة تسع وعشرين، ونهم من ذكر أن استشهاده سنة ثلاثين[4]، ولكن جميع المصادر تتفق انه استشهد في زمن الخليفة عثمان بن عفان ♦ وفي ولاية سعيد بن العاص في بلنجر من بلاد أرمينيا، ولقد ذكر الدينوري: وان سلمان بن ربيعة الباهلي دفن في ناحية بلنجر من بلاد أرمينيا وان اهل بلنجر يعظمونه كثيرا. فاذا احتبس عليهم المطر استسقوا به فسقوا، وقال في ذلك ابن جمانه الباهلي:

انا لنا قبرين قبراً ببلنجر... وقبراً باعلى الصين يالك من قبر

فهذا الذي بالصين عمت فتوحه... وهذا الذي بالترك يسقى به القطر

والقبر الذي في الصين هو قبر قتيبة بن مسلم الباهلي[5].

(1) أبو هريرة الدوسي اختلفوا في اسمه فمنهم من زعم انه عمير بن عامر بن عبد ومنهم من قال سكين بن عمرو ومنهم من قال عبد الله بن عمرو وقد قيل عبد الرحمن بن صخر ويقال ان اسمه عبد شمس ومنهم من قال عبد نهم ومنهم من قال عبد عمرو وقد قيل ان اسمه في الجاهلية عبد نهم فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وهذا اشبه كان إسلامه سنة خيبر سنة سبع من الهجرة وكان من الحفاظ المواظبين على صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت على ملء بطنه وقد كان دعا اللهم لا تدركني سنة ستين فمات سنة ثمان وخمسين بالمدينة، ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ج1 ص35.

(2) جيلان: غيضة بين قزوين وبحر الخزر صعبة المسلك لكثرة ما بها من الجبال والوهاد والأشجار والمياه، في كل بقعة ملك مستقل لا يطيع غيره، والحرب بينهم قائمة، والمطر كثير جداً ربما يستمر أربعين يوماً لا ينقطع ليلا ولا نهاراً، ويضجر الناس منه. وبيوتهم من الأخشاب والاخصاص وسط الأشجار، ولا حد لكثرة أشجارها الطوال لو كانت بأرض أخرى كان لها قيمة، ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1 ص353.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص412.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج9 ص206؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21ص476؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج2 ص62.

(5) البلاذري:انساب الإشراف، ج13ص230.

الاستنتاجات

1- تبين من البحث ان سلمان بن ربيعة الباهلي كان من الصحابة الإجلاء، لان الخلفاء الراشدين ♦ كانوا لا يؤمرون في الفتح الا الصحابة، وان سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش والقضاء في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ♦ وزمن الخليفة عثمان بن عفان ♦.

2- كان الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي أول من قضى بالكوفة، فقد بعثه عمر بن الخطاب ♦ قاضيا بالكوفة قبل شريح.

3- ولقد تولى الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي القضاء للمرة الثانية عندما ولي سعد بن أبي وقاص الولاية الثانية في أيام عثمان بن عفان ♦ وهذا لانه سلمان بن ربيعة كان يصلح للقضاء، وليس كل إنسان يصلح للقضاء، أو يصلح لأهل الكوفة التي كانت حينذاك تعج برجالات العرب وكبار الصحابة، وهذا دليل على غزارة علم سلمان بالدين الحنيف واستقامته وعدله وتدينه، وتمتعه بعقلية راجحة متزنة، وشخصية قوية نافذة، مما جعله موضع ثقة الناس جميعا.

4- كان يكنى بسلمان الخيل لأنه كان يلي الخيل لعمر بْن الخطاب، فكان يقال له سلمان الخيل، وكان عمر بْن الخطاب قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين خيلًا كثيرة معدة للجهاد، وكذلك لمعرفة بأنساب الخيل فهو اول من ميز بين العتاق والهجين في الخيل.

5- كان متفوقا على زملائه في الصفات القيادية، فعندما بعث عثمان بن عفان ♦ كتابا إلى الوليد بن عقبة –عامله على الكوفة– يأمره به أن يرسل نجدة من أهل الكوفة إلى أهل الشام بقيادة رجل ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه، لم يتردد الوليد لحظة في اختيار سلمان لهذا الواجب البالغ الخطورة، فاختاره من بين عدد كبير من القادة أصحاب الفتوح، وهذا لمعرفته بشجاعته وان له تجارب طويلة في قيادة الرجال.

المصادر

1. الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت 630هـ).
2. اسد الغابة، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، البري: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِلمساني (ت 645هـ).
3. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق: محمد التونجي، ط1 (الرياض – دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، 1983م)، البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن اهنشاه (المتوفى: 317هـ).
4. معجم الصحابة: تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط1 (الكويت – مكتبة دار البيان، 2000)، البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ).
5. فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988).
6. انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1 (بيروت – دار الفكر، 1996)، البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ).
7. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3 (بيروت – عالم الكتب، 1403)، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ).
8. السنن الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3 (بيروت – دار الكتب العلمية، 2003)، ابن ابي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (ت 327هـ).
9. الجرح والتعديل: ط1 (بيروت – دار إحياء التراث العربي،1952)، ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ).
10. الثقات: طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، ط1 (حيدر اباد – دائرة المعارف العثمانية، 1973).
11. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق، مرزوق على ابراهيم، ط1 (المنصورة،: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – 1411 هـ – 1991 م)، ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ).
12. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد وعلي محمد، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ).
13. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، (بيروت، 1980م)، ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ).
14. المنتظم في تاريخ الامم والملوك: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ط1(بيروت – دار الكتب العلمية، ب1992)، الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت463هـ).

15. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1(بيروت: دار المغرب الاسلامي، 2000م)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت748هـ).
16. العبر في خبر من غبر،ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية (بيروت ـــ د ت)، الزبيدي، ابو الفيض مرتضى محمد بن عبد الرزاق الحسني (ت1205هـ).
17. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، د.ت)، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ).
18. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ).
19. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث – 1420هـ– 2000م)، صفيّ الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت 739هـ).
20. مراصـــد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، (دار الجيل، بيروت، 1412هـ)، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ).
21. تاريخ الرسل والملوك، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1968م)، العجلي، أبو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح (ت261هـ).
22. تاريخ الثقات، ط1 (مكة المكرمة: دار الباز، 1984م)، ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي (660 هـ).
23. بغية الطلب في تاريخ حلب، ت: سهيل زكار، دار الفكر (لبنان ـــ 1988) ج3،ص 1210 ـــــ 1214، ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ).
24. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م)، الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ).
25. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (بيروت – دار العلم للملايين، 1987)، الفزاري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث (ت 188هـ).
26. السير : تحقيق: فاروق حمادة، ط1 (بيروت – مؤسسة الرسالة، 1987م)، ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ).
27. المعارف: تحقيق: ثروت عكاشة، ط2 (القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992 م)، القرطبي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ).
28. جوامع السيرة النبوية: (بيروت – دار الكتب العلمية، د ت)، القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ).
29. آثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر – بيروت)، ابن كثير: الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774هـ).
30. البداية والنهاية: (بيروت – دار الفكر، 1407 هـ – 1986 م)، المزي، جمال الدين أبو الحجاج بن عبد الرحمن (ت742هـ).
31. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م)، ابن منظور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت227هـ).

32.لسان العرب، ط3 (بيروت: دار صادر، 1993م)، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين (ت676هـ).

33.تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ابن هشـــام، ابو محمد عبد الملك بن هشـــام بن أيوب الحميري (ت213هـ).

34.السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الايساري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2 (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1955م)، ياقوت، أبو عبد الله الحموي (ت626هـ).

35.معجم البلدان، ط2 (بيروت: دار صادر، 1995م)، الصلابي: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي.

36.تيسـير الكريم المنان في سـيرة عثمان بن عفان رضـي الله عنه – شـخصـيته وعصـره، ط1 (القاهرة – دار التوزيع، 2002 م)، الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (ت1396هـ).

37. الأعلام، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، العمري، أكرم بن ضياء العمري.

38.عصر الخلافة الراشدة – محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، الناشر: مكتبة العبيكان.

اقتصاد المعرفة ودورها في تنمية الاقتصاد الإسلامي في فلسطين

The knowledge economy and its role in the development of the Islamic economy in Palestine

عمر عبد الحليم الحايك

باحث دكتوراه في إدارة الأعمال

محمود سمير الحلبي

ماجستير القيادة والإدارة

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف اقتصاد المعرفة ودورها في تنمية الاقتصاد الإسلامي في فلسطين وقد استخدم الباحثان المنهج الوصف التحليلي، وقاما بتصميم نموذج مقابلة لغرض جمع البيانات، من خلال مقابلة المعنين بالوزارات التالية (الأوقاف والشؤون الدنية، وزارة الاقتصاد الوطني، وزارة الاتصالات، أمناء المكاتب المركزية).

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج كان من أهمها:

تبني الحكومة الفلسطينية للعمل وفق اعتماد رؤية شاملة للنهوض بالاقتصاد الإسلامي.

تعزيز ونشر ثقافة الاقتصاد الإسلامي بين رجال الأعمال والمهتمين في مجال الاقتصاد.

زيادة اهتمام وزارة الشؤون الدينية الفلسطيني للوصول للطلبة الدارسين في مجال الاقتصاد، من خلال التواصل مع الجامعات والكليات لتعزيز الاقتصاد الإسلامي ضمن البرنامج التعليمي في كل الأقسام ذات العلاقة.

وقد خلصت الدراسة لمجموعة توصيات أهمها:

تعزيز مفهوم تقديم التغذية الراجعة بصورة منتظمة ودقيقة من المنصات الإلكترونية التي تعني بمجال الاقتصاد وتزويدها في المواد اللازمة لنشر وترسيخ الثقافة الإسلامية بما يخص الاقتصاد تحديداً.

تعزيز توفير تطبيقات وأدوات وتقنيات تحفز لتطبيق الاقتصاد الإسلامي.

خلق بيئة محفزة للتجار ورجال الأعمال والمختصين الذين يهتمون بمجال الاقتصاد نحو تطبيق الاقتصاد الإسلامي في فلسطين.

إنشاء قسم خاص بالمكتبة المركزية تحتوي على كافة الأبحاث والدراسات التي تخدم العمل في الاقتصاد الإسلامي.

Abstract

This study aimed to identify the knowledge economy and its role in the development of the Islamic economy in Palestine. The researchers used the analytical descriptive method, and designed an interview model for the purpose of data collection, by interviewing the stakeholders of the following ministries (Endowments and Religious Affairs, Ministry of National Economy, Ministry of Communications, central office secretaries).

Among the most important findings of the study:

Adoption of the Palestinian government to work according to the adoption of a comprehensive vision for the advancement of the Islamic economy.

Enhancing and spreading the culture of Islamic economics among businessmen and those interested in the field of economics.

Increasing the interest of the Palestinian Ministry of Religious Affairs to reach students studying in the field of economics, by communicating with universities and colleges to promote Islamic economics within the educational program in all relevant departments.

The study concluded with several recommendations, the most important of which are:

Enhancing the concept of providing regular and accurate feedback from electronic platforms that are concerned with the field of economics and providing them with the materials necessary for the dissemination and consolidation of Islamic culture with regard to the economy in particular.

Enhancing the provision of applications, tools and techniques that stimulate the application of the Islamic economy.

Creating a stimulating environment for traders, businessmen and specialists who are interested in the field of economics towards the application of Islamic economics in Palestine.

Establishing a special section in the central library containing all research and studies that serve work in the Islamic economy.

المقدمة

لقد ارتبط التطور الاقتصادي لشعوب العالم عر التاريخ بتطور الانسام العلمي وإبداعه الفكري وقدرته على انتاج المعرفة سعياً منه إلى تحسين ظروفه وتحقيق رفاهيته وقد مر الانسان بمراحل اقتصادية متعددة منها الاقتصاد الزراعي والاقتصاد الصناعي حيث شكلت فيمها الأرض ورأسا المال والايدي العاملة والمقومات الأساسية للإنتاج ولكن في ظل التغييرات سالتي شهدها العالم في شتى المجالات وعلى وجه الخصوص والتطور التكنولوجي والمعلوماتي، اصبح لدى الانسان القدرة على الابداع والابتكار في وسائل الإنتاج واساليبه من خلال تحويل المعلومات إلى المعرفة ومن ثم تحويل هذه المعرفة إلى منتج متميز ذا قيمة اقتصادية بحيث اطلق على هذا النوع من الاقتصاد القائم على المعرفة.

أن اقتصاد المال في الإسلام عصب الحياة فضلاً عن ان اقتصاد القوى هو قدرة الفرد والمجتمع والدولة أن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظت الضرورات الخمس وحفظها مقوماتها والاقتصاد يؤدي دوراً رئيساً في حمايتها واستمرارها في أحسن حالاتها.

يتجه اقتصاد المعرفة لما أثبت من أهمية وقوة اقتصادية حقيقية وقد وضع الإسلام أسساً في ا لمجتمع منها أسس اعتقادية فالمال نعمة وعلى الانسان شكرها، قولاً بشكر المنعم، وتظهر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على العلم والمعرفة، فقد جعل فداء الأسير أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة بدلاً من المال وقد استمر هذا الاهتمام عبر التاريخ من خلال انشاء الدواوين والمكتبات والحرص على الترجمة وتشجيعها.

ولقد خطت دولة فلسطين خطوات حثيث في طريق الوصول إلى اقتصاد المعرفة ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية للتعرف على اقتصاد المعرفة وتقييم ذلك.

مصطلحات الدراسة:

التعاريف الاصطلاحية:

1. اقتصاد المعرفة: هو ذلك الاقتصاد الذي يهتم بدراسة نظم الإنتاج وتصميم المعرفة وإجراء تطوير هذه النظم بهدف تحسين رفاهية الأفراد والمنظمات والمجتمع، ويعتمد أسلوب البحث العلمي للوصول إلى نماذج نظرية تساهم في تطوير الأدوات العلمية والقدرات التقنية وإمكانية تطبيقها على الواقع لتحقيق أهداف المشروع (Brian,1999,8).
2. الاقتصاد الاسلامي: علم يعتني بقواعد النشاط الإنساني في الحصول على حاجاته المتعددة الضرورية والكمالية وعناصر الإنتاج والتداول والتوزيع وحقوق الأفراد الاقتصادية وحدود مصلحتهم تجاه مصلحة الجماعة (عثمان،1394هـ:234).
3. دولة فلسطين: تعد دولة فلسطين من أهم الدول الإسلامية والمقدسة على مر العصور فهي تتمتع بمكانة عظيمة جداً جمع عليها العالم فمكانتها الدينة والثقافية والسياحية والتاريخية تفتقر اليها من الدول العربية الكبرى، وعاصمتها القدس الشريف.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي:

ما دور تنمية اقتصاد المعرفة على الاقتصاد الإسلامي في فلسطين؟

ويتفرع منها الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما واقع تنمية اقتصاد المعرفة في دولة فلسطين؟
2. ما مستوى الاقتصاد الاسلامي في دولة فلسطين؟
3. ما مستوى علاقة تنمية اقتصاد المعرفة ودورها على الاقتصاد الإسلامي في دولة فلسطين؟
4. ما مستوى تأثير تنمية اقتصاد المعرفة على الاقتصاد الاسلامي في دولة فلسطين؟

فرضيات الدراسة:

1. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تنمية اقتصاد المعرفة الاقتصاد الإسلامي في دولة فلسطين = $0.05 \geq \alpha$)).
2. لا يوجد أثر لتنمية اقتصاد المعرفة والاقتصاد الاسلامي في لدى دولة فلسطين عند مستوى دلالة = $0.05 \geq \alpha$)).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة وبشكل أساسي إلى التعرف على مفهوم الاقتصاد الاسلامي في فلسطين في تحقق تنمية اقتصاد المعرفة، وتحقيق الأهداف التالية:

1. الكشف على تنمية اقتصاد المعرفة على الاقتصاد الإسلامي في دولة فلسطين.
2. التعرف على واقع تنمية اقتصاد المعرفة في دولة فلسطين.
3. تحديد علاقة تنمية اقتصاد المعرفة على الاقتصاد الاسلامي لدولة فلسطين.
4. تحديد أثر تنمية اقتصاد المعرفة في الاقتصاد الإسلامي.
5. الخروج بتوصيات قابلة للتطبيق، ويمكن الاستفادة منها في دولة فلسطين، تتعلق بالاقتصاد الاسلامي نحو اقتصاد المعرفة.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في شقين رئيسيين هما النظرية والتطبيقية:

- الأهمية التطبيقية:

1. معرفة الوسائل والآليات التي تساهم في اكتساب دولة فلسطين للمعرفة وتوطيدها بعيداً عن الاستهلاك.
2. التعرف على طبيعة العلاقة بين تنمية اقتصاد المعرفة والاقتصاد الإسلامي.

3. يأمل الباحثان بأن تساهم النتائج التي ستحققها هذه الدراسة وتوصياتها في تحقيق التقدم النوعي في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة لدى مسؤولي دولة فلسطين.

- الأهمية النظرية:

1. تُعد هذه الدراسة الأولى على حد علم الباحثان التي تدرس الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة.
2. إضافة نتائج الدراسة للمكتبة الفلسطينية كمرجع نظري للمُهتمين والمختصين.
3. جمع إطار معرفي واضح عن متغيرات الدراسة (الاقتصاد الاسلامي واقتصاد المعرفة).
4. ستساهم هذه الدراسة في إثراء معلومات الباحثان حول تنمية اقتصاد المعرفة والاقتصاد الاسلامي والعلاقة بينهما، وذلك من خلال الاطلاع على أدبيات الدراسة في الكتب والدراسات، والمراجع، والمقالات ذات العلاقة.

حدود الدراسة:

- الحد الجغرافي: دولة فلسطين.
- الحد الزماني: عام 2021م.
- الحد الموضوعي: اقتصر الباحثان في دراستهم على تناول مفهوم تنمية اقتصاد المعرفة الاقتصاد الإسلامي

منهجية الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي.

الإطار النظري للدراسة

أولاً/ اقتصاد المعرفة:

مقومات الاقتصاد المعرفي: الاقتصاد المعرفي مجال مركب ومعقد لا يتحقق لدي الدول بسهولة، ومن أجل أن يُوجَد اقتصاد يعتمدُ على المعرفة.

أهم المقومات فيما يلي (جريس وزيادة، 2010،2):

- مجتمع المعرفة بكل مستويات: يعتمد على المعرفة حيث يكون كل أفراد المجتمع ذو قدرٍ من المعرفة، وليست المعرفة حصراً على ذوي الاختصاص ونخب المجتمع، فالشعار في اقتصاد المعرفة أنّ المعرفة للجميع.
- التعليم: ويعتبر من أهم دعائم مجتمع المعرفة، حيث يطالب النظام التعليمي في تلك المجتمعات بأفراد لديهم قدرات ومهارات ومخرجات تتناسب مع متطلبات هذا المجتمع، ومن ثم يجب إعادة النظر في عمليات الإنفاق على التعليم والسياسات التي توجهه والتي يجب استنادها على المستندة استراتيجيات واضحة.

- البحث والتطوير: ولا بد تأسيس هياكل تكون مسئولة عن إنتاج المعرفة، كمراكز البحوث، ومراكز التطوير وأنظمة وقوانينٍ للإبداع والابتكار تُشجع المبدعين وتحمي نتاجهم والسعي على ترجمة هذه الإبداعات إلى تقنية تساهم في العملية الإنتاجية. وضرورة وجودَ شبكات للتواصل والتنسيق بينهم.

– سمات الاقتصاد المعرفي: هناك سمات عديدة خاصة يتميز بها اقتصاد المعرفة نظراً لما يتضمنه من معطيات مميزة قدم من قبل الباحثين برؤى بعضها متشابه وبعضها مختلفة، وسوف تستعرض الباحثة تلك الآراء بغية الاقتراب من تلك السمات بما يوضح هذا المفهوم، ومن الباحثين الذين تشابهت وجهات نظرهم (سلمان، سلمان،87.62،2004)، (الشمري والليثي،22،2008)، (عليان،383،2008)، (عماد الدين،14،2003).

واتفقت آرائهم على تلك السمات:

– انتقال النشاط الاقتصادي من إنتاج وصناعة السلع إلى إنتاج وصناعة الخدمات المعرفية.

– ارتفاع الدخل لصناع المعرفة كلما ارتفعت وتنوعت مؤهلاتهم وخبراتهم وكفاءاتهم.

– الاستخدام الكثيف للمعرفة العلمية والمعرفة العملية المتطورة عالية التقنية وتوظيفها في أداء النشاط الاقتصادي لتحقيق أعلى نتائج متوقعة.

– الاستثمار في الموارد البشرية باعتبارها رأس المال الفكري والمعرفي.

– لم يعد تأسيس شركات عالمية يتطلب استثمارات مالية ضخمة.

– تحول المعلومة إلى سلعة يمكن الاتجار بها.

– قضى اقتصاد المعرفة على الندرة التي سادت الاقتصاد التقليدي، وقام على أساسها علم الاقتصاد، بتحوله إلى اقتصاد الوفرة، وذلك باعتماده على أصول إنتاجية معرفية لا تستهلك بالاستخدام، ولا تخضع للمبادلة، وإنما تزاد أهمية وقيمة؛ كما تزايد استخدامها وتنوع من يستخدمها، ثم أن المعرفة لا تفقد ملكيتها عندما تباع، كما يحدث في الاقتصاد التقليدي، بل العكس تتولد إلى معلومات ومعرفة جديدة بفعل التقنية الرقمية.

– توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بفاعلية حيث يقوم اقتصاد المعرفة على الاستخدام الواسع والمكثف للتقنية الحديثة، وأنظمة المعلومات الرقمية عبر الشبكات السريعة، والإنترنت، والأقمار الصناعية، والبرمجيات.

– أنه مرن شديد السرعة والتغير، يتطور لتلبية احتياجات متغيرة، ويمتاز بالانفتاح والمنافسة العالمية؛ إذ لا توجد حواجز للدخول إلى اقتصاد المعرفة، بل اقتصاد مفتوح بالكامل.

– ارتباطه بالذكاء والقدرة الابتكارية وبالخيال، وبالوعي الإدراكي بأهمية الاختراع والخلق والمبادأة الذاتية والجماعية

– يتصف اقتصاد المعرفة المقترن بالتقنية الرقمية بقدرته الفائقة على الانتشار في دول العالم، وتخطيه الحدود.

– الاعتماد على القوى العاملة المؤهلة والمتخصصة والمدربة على التقنيات الجديدة (البكري،65،2005).

– اعتماد التعلم والتدريب المستمرين على الأساليب العلمية المتقدمة بما يضمن للعاملين مستويات عالية من التدريب ومواكبة التطورات التي تحدث في ميادين المعرفة والبحث العلمي والبرمجيات ونظم المعلومات، والتقنية الرقمية الحديثة (مؤتمن،3،2000).

– تفعيل عمليات البحث والتطوير كمحرك للتغيير والتنمية (الرشيد،104،1989).

– تحول المعرفة إلى مورد اقتصادي متجدد يفوق في أهميته الأرض أو الموارد الاقتصادية الطبيعية والآلة، حتى أن القيمة المضافة الناتجة عن العمل في المعرفة تفوق بعشرات وربما مئات المرات القيمة المضافة الناتجة عن العمل في الزراعة أو الصناعة التقليدية (ابو حلاوة،2006).

– تتسع عوائد المعرفة لتشمل عوائد الاستثمارات الناتجة عن مبادرات ومشروعات المعرفة التي تُوجد باستمرار فرص لأعمال وأنشطة جديدة مولدة للربح، وتشمل أيضاً أرباح من يكتسب خبرة ومعرفة مهنية تعود عليه، كذلك ريع المعرفة المتمثل فيما تجنيه الشركات من أرباح ناتجة مما يقوم به العاملين بها من جهد ذهني (أبو حلاوة،15،2006).

– عناصر الاقتصاد المعرفي: هناك مجموعة من العناصر تتمثل فيما يلي: (الشمري، الليثي،240،2008):

– بنية تحتية مجتمعية داعمة تتمثل في الكوادر المدربة ذات المستوى العالي من التأهيل.

– الوصول إلى الإنترنت ووجود مجال واسع لاستخدامه ليشمل شرائح واسعة من السكان.

– مجتمع تعلم: يثري ويوفر متطلبات تحقيق تعلم يؤدي إلى إنتاج المعرفة.

– مجتمع متعلم: عمال وصناع معرفة لديهم معرفة وقدرة على التساؤل والربط ويستوجب ذلك التركيز على مستوى التعليم والعمل على تدعيم التأهيل والتعليم المستمر، وإقامة المراكز والمعاهد المؤهلة للنهوض بمستوى الكوادر الموجودة، وزيادة الخبرة لدى الطلبة المتخرجين من أجل ضمان جيل من العاملين ذوي الخبرة العالية.

– منظومة بحث وتطوير فاعلة.

ثانياً/ الاقتصاد الاسلامي:

مفهوم الاقتصاد الاسلامي: مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن الكريم والسنة والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان (كتاب مدخل الاقتصاد الإسلامي،57.2010).

خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي: (محمد،2010)

إن خصائص الاقتصاد الإسلامي التي يذكرها الباحثون كثرة وقلة، فهي مجرد اجتهاد منهم بمحاولة تمييز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من أنظمة الاقتصاديات الأخرى، فالبعض فصل بالخصائص والبعض أجملها.

1. نظام رباني: إن الاقتصاد الإسلامي نظام رباني، ليست أصوله من وضع البشر، بخلاف الأنظمة الأخرى من رأسمالية أو شيوعية، وطالما هو نظام رباني فإن مصادر استمداده محصورة بالقرآن والسنة والإجماع ومقاصد الشارع التي تحدثنا عنها في فصل مستقل.
2. اقتصاد عقدي: لأنه منبثق من أصل العقيدة الإسلامية، ويتحاكم فيه إلى العقيدة يلتزم ببعض الالتزامات كالزكاة، والصدقات ونحوها.
3. فيه طابع تعبدي: لقد قلنا: إن الاقتصاد الإسلامي نظام رباني وكل طاعة لبند من بنود هذا النظام هو طاعة لله تعالى، وكل طاعة لله هي عبادة، فتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي عبادة، يقول الله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي يطيعون.
4. الموضوعية: فرد الأمانات مثلاً خيرٌ يجب أن يتمسك به، سواء كان هذا الخير نائلاً المسلم أو الكافر، الصديق أو العدو، وسواء تحقق على يد مسلم أو كافر، عدو أم صديق، يقول الله عز وجل ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾
5. الهدف السامي: إذا كان هدف الاقتصاد في المذاهب الاقتصادية غير الإسلامية زيادة الرفاهية المادية، فإن هدف الاقتصاد الإسلامي زيادة على ذلك: تحقيق السمو الروحي والتهذيب النفسي للإنسان، قال تعالى ﴿وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ فالإنفاق هنا لتحقيق هدف تزكية النفس، وقال جل شأنه ﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ وليس الجهاد بالضرورة أن يكون قتالاً، بل قد يكون إصلاحا اجتماعيا، أو فكرياً، أو تهذيب نفسياً، أو سموا روحياً.

وإنما جعل الإسلام هدف الاقتصاد الثراء المعنوي إلى جانب الثراء المادي، لأن سعادة الإنسان لا تتحقق إلا باجتماع الأمرين معاً، المادي والمعنوي، وبذلك يتم التوفيق بين حاجات الروح والبدن.

6. اقتصاد بناء: يحرم كل ما هو ضار بالفرد والمجتمع، فهو يحرم الربا والغش، فهو يحرم الكسب عن طريق الجريمة، والبغاء، والاتجار بالخمر والمخدرات، والأصل في ذلك قوله ﴿لا ضرر ولا ضرار﴾
7. ترشيد استخدام المال: والحديث في ذلك طويل ومتشعب ونكتفي بأن نذكر من ذلك:

أ. الاعتدال في الإنفاق، وقد تقدم في قوله تعالى﴿والذين إذا أسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ فلا إسراف ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ ولا تبذير ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ ولا بخل ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا﴾.

ب. عدم تمكين السفهاء من المال، فالله تعالى خلق المال ليبني به الكون والنفوس، ولذلك فإنه لا يمكن منه من لا يحسن فيه، ولذلك شرع الحجر على السفيه الذي لا يحسن التصرف بالمال، قال تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾.

ج- عدم استعماله لترويج الباطل: ولذلك حرم الرشوة ونحوها، فقال تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾.

د- عدم استعماله استعمالا مضراً بالغير: فلا يحل لمن ملك مذياعاً أن يعلي صوته بشكل يمنع غيره من النوم أو المذاكرة أو العمل.

8. الجمع بين الثبات والتطور: إن مهمة الثبات هو ضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا تمضي شاردة على غير هدى مهمته وجود ميزان ثابت يرجع إليه الإنسان بكل ما يعرض له من تطورات، وبكل ما يجد في حياته من ملابسات وظروف وارتباطات فيزنها بهذا الميزان الثابت ليرى أنها قريبة أو بعيدة من الحق والصواب، ومن ثم يظل في الدائرة المأمونة لا يشرد إلى التيه... قيمة الثبات وجود مقوم للفكر الإنساني، مقوم منضبط بذاته فلا يتأرجح في الشهوات والمتأثرات، وإذا لم يكن هذا الضابط بذاته فلا ينضبط شيء إطلاقاً.. إنها ضرورة من ضرورات البشرية أن تتحرك داخل إطار ثابت"

9. الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة: ينفرد الإسلام بسياسة اقتصادية متميزة وذلك لجمعه بين المصلحتين العامة والخاصة، أي اعتبار مصلحة الفرد مع عدم إهدار مصلحة الجماعة فهو دين الوسطية والاعتدال يقول تعالى ☸وكذلك جعلناكم أمة وسطا☯ وهي وسطية نسبية لا تعني الوسط بمعنى البينية المعروفة، فالاعتدال سمة الإسلام وأسلوبه في كافة نواحي الحياة فقوام السياسة الاقتصادية هي حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة يقول تعالى ☸لا تظلمون ولا تظلمون☯، ويقول الرسول ☸لا ضرر ولا ضرار☯ ويقول في مناسبة أخرى "إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له ماذا تصنع؟ قال مكاني أصنع فيه ما أشاء فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا"

فالنظام الاقتصادي الرأسمالي: ينظر إلى الفرد على أنه محور الوجود والغاية منه، ومن ثم فهو يهتم بمصلحته الشخصية ويقدمها على مصلحة الجماعة كلها، وهذا هو سر منحه الحق الكامل والمطلق في الملكية والحرية الاقتصادية، ويعلل النظام الرأسمالي موقفه هذا من الفرد بأنه لا يوجد ثمة تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وأن الأفراد حين يعملون على تحقيق مصالحهم الخاصة فإنهم في الوقت نفسه يحققون مصالح الجماعة، ولكن هذا التقديم مصلحة الفرد آثار سيئات أهمها: كثرة الأزمات الاقتصادية، وانتشار البطالة والتفاوت الكبير بين الدخول وظهور الاحتكارات.

10. الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية:

يمتاز الاقتصاد الإسلامي بأنه اقتصاد روحي ومادي، فجميع تصرفات الإنسان المادية لابد أن تتصف بمراقبة الله وابتغاء وجهه فالمسلم حين يعامل الناس معاملة اقتصادية فلابد أن يتذكر حديث "العمل عبادة" وحديث "إنما الأعمال بالنيات وحين يقرر هذه الفكرة لا يريد من وراء ذلك أنها مقصودة لذاتها وإن قيمة هذه التوجيهات حماية للفرد نفسه.

11. الواقعية:

الاقتصاد الإسلامي اقتصاد واقعي لا يميل إلى الخيال، فهو واقعي في غاياته وطريقته لأنه يستهدف في مبادئه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية، فلا يكلف الإنسان مالا طاقة به.

12. الإنسانية:

الاقتصاد الإسلامي إنساني حيث أن الحلول التي يضعها لمشاكل الحياة الاقتصادية ترتبط بفكرته ومثله في العدالة، فكل أنواع النشاط في الحياة الاقتصادية في الإسلام خاضعة لقضية الحلال والحرم بما تعبر عنه هذه القضية من قيم ومثل وبامتدادها أيضا إلى جميع الأنشطة الإنسانية، وألوان السلوك الإنساني حاكماً

أو محكوماً، مشترياً أو بائعاً، مؤجراً أو مستأجراً، عاملاً أو متعطلاً، كل وحدة من هذه السلوك فيها إما حلال أو حرام، وإما عدل أو ظلم، فمن ثم نستطيع القول بأن التوجيهات الإسلامية تقدم لنا تصوراً عاما للاقتصاد الإسلامي كما تضع لنا أصولاً كلية نهتدي بها حين التنفيذ.

والاقتصاد الإسلامي إنساني لأنه لا يهمل العوامل غير الاقتصادية، كالعوامل الاجتماعية والسياسية والأخلاقية.

فهو يشمل هذه الموارد في المجتمع البشري على هدى المفهوم الأخلاقي للرفاهية في الإسلام في دائرة الحلال

13. الرقابة المزدوجة:

عندما يضع أي نظام بشري مبادئه وقوانينه فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز الرقابة، ويستطيع الناس مخالفة هذا النظام ما داموا بعيد عن أعين الرقباء، أما في الإسلام النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين: رقابة بشرية، ورقابة ذاتية. والرقابة البشرية وجدناها بعد الهجرة، فالرسول ❐ كان يراقب الأسواق بنفسه، وعندما فتحت مكة أرسل من يراقب أسواقها. ومن هنا ظهرت في الأسواق بنفسه، وعندما فتحت مكة أرسل من يراقب أسواقها. ومن هنا ظهرت وظيفة المحتسب لمراقبة النشاط الاقتصادي إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحساس المسلم أن الله – عز وجل – أحل كذا وحرم كذا، يفرض رقابة ذاتية، لذلك رأينا سلوك المسلم في نشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته، وعندما سئل الرسول ❐ عن الإحسان قال: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". حديث صحيح.

14. العالمية: من الخمس التي خص بها خاتم الرسل ❐ أنه بعث للناس كافة، وكان كل نبي يبعث لقومه خاصة.

ونص القرآن الكريم على هذا في عدد من سوره، في قوله ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ و ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ و﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ و ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ و ﴿ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾.

ولهذا جاء الإسلام صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان.

والاقتصاد جزء من هذا الدين الخاتم، ولهذا جاء بأحكام كلية، ومبادئ عامة تناسب كل مكان وزمان، وجمع بين الثبات والمرونة أو التطور، واتسع لاجتهادات المجتهدين، وجعل الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يوجد ما يعارض نصاً، أو أصلاً ثابتا أو مقصدا من مقاصد التشريع الإسلامي.

فالاقتصاد الإسلامي لم يكن لبيئة مكة وحدها، أو المدينة، أو الجزيرة العربية، ولم يقتصر على بيئة تجارية، أو زراعية، أو صناعية.

ولعل الأديان السابقة لم تأت بنظام اقتصادي عالمي متكامل، لأنها كانت محددة الزمان والمكان.

واقع الاقتصاد الإسلامي ودوره في تنمية اقتصاد المعرفة في دولة فلسطين

يعاني الاقتصاد الفلسطيني في غزة ظروفاً غاية في الصعوبة، فالبطالة مرتفعة إلى أبعد الحدود مع استمرار الحصار لثمانية أعوام والتعرض لثلاثة حروب وعدم قيام حكومة التوافق بمهامها في قطاع غزة ويعتبر أهم أسباب تردي الأوضاع الاقصتادية، الاحتلال الإسرائيلي والحصار المتواصل والحرب الثلاث على قطاع غزة والتدمير للقطاعات الاقتصادية البنى التحتية وتوقف التمويل الدولي واغلاق المعابر، الأمر الذي أدى إلى عدم القدرة على الاستيراد للمواد الخام لتشغيل المصانع.

كما شهد الاقتصاد الفلسطيني خلال العام 2013م مزيداً من المعاناهة من استمرار التباطؤ الاقتصادي للعام الثالث على التوالي، وتراجع النمو الحقيق بشـــكل ملحوظ إلى 203%، مقارنة مع 6.3% في عام 2012مو 12.4% عام 2011 يأتي هذا الضعف في أداء الاقتصاد على خلفية البتاطؤ الاقتصادي في معدلات النمة المتحققة في الضفة الغربية، وقد أدى هذا التباطؤ إلى تراجع معدلات النمو في الدخل الحقيقي.

التحديات والمعوقات للنمو والتطور الاقتصادي في الأراضي الفلسطيني تعود إلى: (رجب، 2014)

1. افقتار قطاع غزة لكثير من الموارد الاقتصادية الطبيعة التي يمكن أن تشكل اساساً للحصول على المواد الأولية والمستلتزمات الإنتاجية.
2. توقف العمل بالانفاق واغلاقها منذ تموز/ يوليو 2013م، بعد القيام بتدميرها فقد كانت هذا الانقاف تسمح بإدخال مختلف السلع.
3. تراجع مستوى المناخ الاستثماري الواجب تهيته للمستثمرين سواء كان الامر يتعلق بالاستثمار المحلي من المقمين في القطاع.
4. القيود والعراقيل التي ما تزال يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على علميات إعادة الاعمار خصوصاً في مجال ما يمكن السماح بدخوله من الاحتياجات الأساسية.

مشكلات أخرى يعاني منها الاقتصاد الفلسطيني: (الحمد، 2012).

1. ضعف البنية العامة للاقتصاد الفلسطيني، وتزايد وتعمق تشوهاته الهيكلية والإنتاجية الموروثة عن الاحتلال حيث خططت إسرائيلي لابقاء هذه التبعة والحالة الاقتصادية المتردية باجراء بالاغلاق والحصار.
2. الارتباط بالاقتصاد الإسرائيلي في مجالات البنية التحتية والخدمات الحيوية وفي مجال التجارة الخارجية والاستراد للمنتجات الاستهلاكية ومدخلات الصناعة.
3. القيود التي وضعتها اتفاقات اوسلة 1993م وبروتوكول باريس 1994، للسطلة في مجالات الاستيراد والتصدير والسوق المالي والحوالات المالية وإصلاح البنية.
4. شبكة الاستطيان والطرق الالتفاقية الخاصة في الضفة الغربية.
5. استمرار تناقص الموارد المتاحة بسبب عمليات المصادرة والاستيطان وتجريف الأراضي الزراعية في الضفة الغربية.
6. تزايد الاعتماد على القطاع الحكومي في تشغيل العمالة في ظل تراجع قدرة الطقاع الخاصة عن توفير فرص العمل.

يلاحظ الباحثان: أن هناك دور كبير للاحتلال الإسرائيلي في عملية الحصار واغلاق المعابر على دولة فلسطين مما يودي ذلك إلى انخفاض في الاقتصاد الفلسطيني وزيادة عدد البطالة، وعدم دخول العديد من المواد الخام يوقف الكثير من المنشآت الصناعية.

الدراسات السابقة:

- الدراسات العربية:

– دراسة (الحاج، 2015) بعنوان: جاهزية قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات كعامل محدد لنجاح التوجه إلى اقتصاد المعرفة في الأراضي الفلسطينية. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على جاهزية قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات كعامل محدد لنجاح التوجه إلى اقتصاد المعرفة في الأراضي الفلسطينية وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي وتحليل مضمون المنهج الاستنباطي لوصف وتفسير وتحليل البيانات الثانوية والاحصائية والمؤشرات من مصادرها والحصول على البيانات الأولية من خلال اجراء مقابلات مع ذوي العلاقة، وكان أهم النتائج: أن قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات يعتبر قطاعاً جاهزاً ومهيئاً للتحول لاقتصاد المعرفة. وكان أهم التوصيات: اعتماد استراتيجية وطنية شاملة للتحول لاقتصاد المعرفة مع الاستمرار في تطوير البنية التحتية لاقتصاد المعرفة.

– دراسة (الحاج، 2008) بعنوان: الاقتصاد الإسلامي في اطار نظرية المعرفة الإسلامية، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الاقتصاد الإسلامي ونظرية المعرفة الاسلامية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين وأكدت الدراسة أهمية البعد المعرفي في معالجة قضايا الاقتصاد الاسلامية

وكان أهم التوصيات: أن أي مشروع حضاري بعناصره الاقتصادية وغير الاقتصادية يهدف إلى البناء واقع جيد يحرر فيه الاسنان العربي من اسر التخلف والتعبية والتجزئة والسكون الحضاري لابد أن يحقق بناء نظرياً متكامل يخطط آليات الانتقال.

–دراسة (الزرقا،2008) بعنوان: مصادر المعرفة في علم الاقتصاد الإسلامي ونتائجها المنهجية، هدفت هذه الدراسة إلى توضيح أهمية استفادة كل من الاقتصادين والشرعيين من ثنائية مصادر المعرفة في الاقتصاد الإسلامي يقوم على ركزتين هما الاقتصاد يقوم على ركزتين هما الاقتصاد التقليدي والشريعة الإسلامية وفقهها. كان أهم النتائج للدراسة: أن نقص المعرفة بالشريعة أو بالاقتصاد يودي لأخطاء وأن ذلك النقص هو أهم عقبة أمام تقدم هذا العلم ويجب أن يدرس علم الاقتصاد الإسلامي في اطار الشريعة.

كان أهم التوصيات دراسة كل عنصر من النظام من جهة ما يثيره من قضايا اقتصادية تحليلية أو تطبيقية.

دراسة (أبو الشامات،2012) بعنوان:الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في جامعة بغداد من وجهة نظر التدريسيين هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الفروق في نظرتهم بواقع الصعوبات التي تواجه البحث العلمي وفقاً للتخصصات التي يعملون بها، حيث تحدد البحث المدرسين الذين كان عددهم (225) مدرس ومدرسة للعام (2010-2011)، واستخدمت الباحثة الاستبانة كأداة لجمع المعلومات وقامت بتحليل الدراسة، وكان من أهم النتائج: وجود صعوبات ومعيقات تؤثر بشكل كبير على حركة البحث العلمي في الجامعة وهي ترتبط بالجوانب المادية والفنية والتنظيمية التي لها الأثر الكبير. كان أهم النتائج للدراسة:

وجود صـــعوبات ومعيقات تؤثر بشـــكل كبير على حركة البحث العلمي في الجامعة وهي ترتبط بالجوانب المادية والفنية والتنظيمية التي لها الأثر الكبير.

- الدراسات الأجنبية:

– دراســـة هيلتون (Hulten, 2014) بعنوان: بيان أهمية رأس المال القائم على المعرفة وأهمية توســـيع مفهوم الابتكار والبحث العلمي والتطوير، هدفت الدراسـة إلى التعرف على بيان أهمية رأس المال القائم على المعرفة وأهمية توسـيع مفهوم الابتكار والبحث العلمي كانت أهم النتائج: أن الاقتصاد مبني على المعرفة ويعتبر مصدراً مهماً للنمو الاقتصاد.

– دراسـة كاردر (Carder:2011) بعنوان: تطوير اقتصـاد المعرفة في الدول المتقدمة هدفت هذه الدراسـة تطوير اقتصـاد المعرفة والمعلومات بفضـــل اهتمامها بتطوير التعليم والتكنولوجيا والبشـــر مما أدى إلى حدوث تطوير هام في اقتصـــاد المعرفة وجعله يحتل صدارة اهتمام كثير من دول العالم.

منهجية وإجراءات الدراسة:

تم اجراء مقابلات مع الجهات ذات بموضـــوع الدراســـة، وحول الإجراءات التي قاما بها الباحثان في اختيار مجتمع الدراســـة والجهات التي تم مقابلتها والطريقة التي تمت بها هذه المقابلات، فقد تمت كما يلي:

آلية اجراء المقابلات:

- اختيار مجتمع الدراسة:

قاما الباحثان بحصر الجهات ذات العلاقة بالشؤون الإسلامية والدوائر الحكومية المختصة بنشر المعرفة وذات علاقة بالشؤون الاقتصادية الفلسطينية.

اختيار المؤسسات والشخصيات.

قام الباحثان بتحديد المؤسسات المناسبة وكانت خلاصة عملية الحصر تتمثل في الجهات التالية:

1. وزارة الشؤون الدينية في فلسطين.
2. وزارة الاقتصاد.
3. وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.
4. المكتبة المركزية في فلسطين.
5. محاضرو وأكاديميو جامعيين.

قاما الباحثان بتحديد المواعيد والحضـور على الموعد لتعريف الشـخصـية بالباحث وعنوان الدراسـة للبدء بطرح الأسـئلة المعدة مسبقاً، وبعض الأسئلة الفورية من الباحث خلال المقابلة.

محاور المقابلات:

اعتمد الباحثان على مجموعة من المحاور تتضمن أسئلة مفتوحة ومتغيرة حسب مجريات المقابلة، نظراً لاختلاف وتنوع طبيعة عمل الجهات التي سيتم مقابلتها، والمحاور هي:

1. تقييم عمل وزارة الشؤون الدينية في نشر الثقافة الإسلامية في مجال الاقتصاد.
2. خطة عمل وزارة الاقتصاد نحو العمل وفق منهجية تضمن استقرار وتطور الوضع الاقتصادي للدولة.
3. جاهزية قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات داعمة لاقتصاد المعرفة (خطوط اتصال، انتشار الانترنت، انتشار الحواسيب، المواقع الإلكترونية المختصة).
4. توفر الكتب والمجلات والأبحاث التي تساعد في ترسيخ فكر الاقتصاد الإسلامي لدى القرّاء والمهتمين.

المقابلات:

- **دور وزارة الأوقاف والشؤون الدينية:**

وحول دور وزارة الأوقاف في نشر وتأكيد الثقافة الإسلامية، فقد أوضح السيد وكيل الوزارة أن الوزارة من أكثر الدوائر الحكومية التي تعمل على ترسيخ العمل الاقتصادي في فلسطين وفق المنهج الإسلامي، وذلك من خلال المنابر الإسلامية المختلفة، ومن أبرز ما تقوم فيه الوزارة:

-نشرة دعوية دورية تصدر عن الوزارة للتأكيد على العمل بالاقتصاد وفق الشريعة الإسلامية.

-التأكيد على خطباء الجمعة على تخصيص خطبة خاصة بمنافع الاقتصاد الإسلامي ومخاطر العمل في المناهج الأخرى التي تخالف المنهج الإسلامي.

-زيارات ميدانية للتجار وأصحاب العلاقة لتوعيتهم بالاقتصاد الإسلامي.

-تخصيص أرقام هواتف للتواصل والاستفسار عن الحالات الاقتصادية المختلفة.

وقد أشار أنه من الملاحظ أن كثير من البنوك العاملة في فلسطين لا تتبع المنهج الإسلامي وأن بعض التجار تعمل بخلاف القواعد الأساسية للاقتصاد الإسلامي.

حيث أنه في كل زياراتهم الميدانية وخطبهم الدعوية الخاصة بهذا الموضوع فإنهم يجدوا عددا من الناس يجهل مبادئ الاقتصاد الإسلامي.

- **وزارة الاقتصاد:**

وحول خطة عمل وزارة الاقتصاد نحو العمل وفق منهجية تضمن استقرار وتطور الوضع الاقتصادي للدولة، فقد أوضح السيد وكيل الوزارة أن الوزارة تعمل على الارتقاء بالاقتصاد الفلسطيني، وتحاول أن تكون قريبة من المنهج الإسلامي، إلا ان الواقع قد

يفرض علينا بعض الأمور التي يتم العمل بها لسد المخاطر الناتجة على الاحتلال وارتباط الاقتصاد الفلسطيني باقتصاد الاحتلال، ومن المعيقات التي تحول دون تطبيق المنهج الإسلامي في الاقتصاد الفلسطيني.

– المعابر الفلسطينية التي تشهد اغلاقات كثيرة من قبل الاحتلال.

– الضرائب المفروضة من قبل الاحتلال.

– الشروط التي يضعها الاحتلال لتصدير أو الاستيراد.

– إضافة إلى بعض المعيقات التي تعتبر معيقات داخلية منها (غياب الثقافة الإسلامية عند بعض التجار أو رجال الأعمال، عدم توفر بيئة حاضنة للمشاريع الكبيرة اللازمة للعمل في فلسطين، التأثير الخارجي على البعض وتخويفهم من تطبيق المنهج الإسلامي).

- **وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.**

وحول جاهزية قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات داعمة لاقتصاد المعرفة (خطوط اتصال، انتشار الانترنت، انتشار الحواسيب، المواقع الإلكترونية المختصة)، فقد أوضح السيد وكيل الوزارة أن الوزارة من أكثر الدوائر الحكومية جهوزية في التطور التكنولوجي، وهي تسعى لتطبيق هذه التكنولوجيا في جميع الدوائر الحكومية وقد أعدت لذلك ما يلي:

–توفير خدمة انترنت، بالإضافة.

–تتعاون مع الجامعات المحلية لدعم بحوث خاصة بتكنولوجيا المعلومات.

–المشاركة في اصدار قانون المعاملات الإلكترونية ونشر هذا القانون.

وأكد أن المؤشرات تشير إلى أن انتشار المعرفة، حيث بلغ عدد مشتري الهاتف المحمول حوالي 3.3 مليون مشترك، ومشتركي الهاتف 403 ألف مشترك، والإنترنت 235 ألف مشترك، أما الحاسوب فقد بلغ 1.1 مليون جهاز حاسوب.

وعند سؤاله عن مدى توفر المواد والمنصات الخاصة بالاقتصاد الإسلامي، أشار أنه لا يوجد منصة خاصة ولكن يوجد منصات مختلفة للاقتصاد بشكل عام.

- **المكتبة المركزية في فلسطين.**

وحول توفر الكتب والمجلات والأبحاث التي تساعد في ترسيخ فكر الاقتصاد الإسلامي لدى القرّاء والمهتمين، فقد أوضح مدير عام المكتبة، أنه المكتبة تحتوي على العديد من الكتب الإسلامية التي تساعد في نشر الثقافة الإسلامية، وعند سؤاله عن حجم الطلب على الكتب الخاصة في الاقتصاد الإسلامي، أشار إلى أن رواد المكتبة الذين يبحثون عن كتب الاقتصاد قليل منهم من يسأل أو يطلب كتب في مجال الاقتصاد الإسلامي، ولكن عدد كبير من هم يطلب كتب الاقتصاد بشكل عام.

النتائج والتوصيات

النتائج:

ومن خلال استعراض ما جاء في محاور المقابلات مع الجهات المعنية، فإن الباحثان يوضحان أبرز النتائج التي توصلا لها من هذه المقابلات:

1. رغبة وزارة الشؤون الدينية الفلسطينية بنشر ثقافة الاقتصاد الإسلامي في مختلف المنصات التابعة لها.
2. تدفع وزارة الشؤون الدينية بتنفيذ خطتها الخاصة بتوعية رجال أعمال والتجار للعمل وفق الشريعة الإسلامية.
3. وزارة الاقتصاد وهي الجهة الحكومية التي تمثل الحكومة في مجال الاقتصاد تعمل جهودها نحو تحسين الاقتصاد الفلسطيني ولكنها في أعمالها تحاول أن تحاكي التجارب الناجحة بغض النظر إذا كانت تجارب إسلامية او غيرها.
4. قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات يعتبر قطاعاً جاهزاً للمساعدة في تطبيق الاقتصاد الإسلامي، وهذا التطور سيكون أفضل في السنوات القادمة.
5. يوجد مساهمات من المكتبة المركزية لتوجيه المهتمين بالاقتصاد، نحو الكتب والأبحاث والمجلات التي تتبع بالأصول والقواعد الإسلامية.
6. يوجد حاجة لتكاثف الجهود من قبل الحكومة والجامعات في دعم الاقتصاد الإسلامي.
7. ضعف في فهم الحقائق الخاصة بالاقتصاد الإسلامي لدى العاملين في مجال الاقتصاد الفلسطيني.

التوصيات:

يوصى الباحثان من خلال نتائج الدراسة التي توصلا لها بالتالي: .

1. تبني الحكومة الفلسطينية للعمل وفق اعتماد رؤية شاملة للنهوض بالاقتصاد الإسلامي.
2. تعزيز ونشر ثقافة الاقتصاد الإسلامي بين رجال الأعمال والمهتمين في مجال الاقتصاد.
3. زيادة اهتمام وزارة الشؤون الدينية الفلسطيني للوصول للطلبة الدارسين في مجال الاقتصاد، من خلال التواصل مع الجامعات والكليات لتعزيز الاقتصاد الإسلامي ضمن البرنامج التعليمي في كل الأقسام ذات العلاقة.
4. تعزيز مفهوم تقديم التغذية الراجعة بصورة منتظمة ودقيقة من المنصات الإلكترونية التي تعني بمجال الاقتصاد وتزويدها في المواد اللازمة لنشر وترسيخ الثقافة الإسلامية بما يخص الاقتصاد تحديداً.
5. تعزيز توفير تطبيقات وأدوات وتقنيات تحفز لتطبيق الاقتصاد الإسلامي.
6. خلق بيئة محفزة للتجار ورجال الأعمال والمختصين الذين يهتمون بمجال الاقتصاد نحو تطبيق الاقتصاد الإسلامي في فلسطين.
7. إنشاء قسم خاص بالمكتبة المركزية تحتوي على كافة الأبحاث والدراسات التي تخدم العمل في الاقتصاد الإسلامي.

المراجع

1. سلمان، سلمان (2004)، البعد الاستراتيجي للمعرفة، مركز الخليج للأبحاث: دبي.
2. الشمري، هاشم والليثي، ناديا (2008)،الاقتصاد المعرفي، دار صفاء للنشر والتوزيع:عمان.
3. عليان، ربحي مصطفى (2008)، إدارة المعرفة، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان.
4. عماد الدين، منى مؤتمن (2003)، نحو رؤية جديدة للبحث التربوي في مجتمع الاقتصـاد المعرفي، دراسـة مقدمة إلى إدارة البحث والتطوير التربوي، الأردن.
5. أبو حلاوة، كريم (2006)، أين نحن من مجتمع المعرفة.((www.usinfo-stse.gov).
6. الشمري، هاشم والليثي، ناديا (2008)،الاقتصاد المعرفي، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان.
7. الدكتور عبد الكريم عثمان كتاب معالم الثقافة الإسلامية ص 234 الطبعة الرابعة نشر دار اللواء سنة 1394هـ.
8. كتاب المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، انظر ص 57، 58 من الطبعة الأولى سنة 1971م.
9. د. محمد رواس، كتاب مباحث في الاقتصاد الاسلامي من أصوله الفقهية ص 54 تأليف: قلعة جي مطبعة دار النفائس.
10. Brian N., Kurt W., (1999) ,"The Knowledge Management", Theory Papers